نشر الثناء الحسن

على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن وذكر الحوادث الواقعة في هذا الزمن

تأليف

المؤرخ العلامة إسماعيل بن محمد
الوشلي التهامي الحسني
المتوفى سنة ١٣٥٦ هـ

تحقيق

إبراهيم أحمد المقحفي

عناوين الكتاب الفرعية والأساسية
كلها من وضع المحقق...

الجزء الرابع

مكتبة الإرشاد
صنعاء

نشر الثناء الحسن

على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن
وذكر الحوادث الواقعة في هذا الزمن

بسم الله الرحمن الرحيم

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع
مكتبة الارشاد
صنعاء

مكتبة الارشاد
الجمهورية اليمنية - صنعاء - ميدان التحرير
شارع ٢٦ سبتمبر ص . ب ٣٠١٩ تليفون: ٢٧١٦٧٧ - ٢٧٩٢٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

تتميم وتذييل:

إعلم أنه لمّا كان علم التأريخ لا تتم فائدته وتعود عائدته إلاّ بذكر الحوادث، ذيّلت ذلك بفصل متضمن لحوادث الوقت العجيبة ونوادره الغريبة، فإن النفوس تشتاق إلى استماعها وتنشط مرتاحة إلى فنون أنواعها، فقلّ ما يوجد مؤلف في علم التأريخ إلاّ وهو مُحلّىً بذلك ومُطَرَّز بما هنالك، وابتدأته من سنة سبع وثمانين بعد المائتين والألف وهو المشهور بعام عَسِيْر[1] مكتفياً بما تيسّر منها ووصل إلى أعلا سبيل الاستقراء، لأني كنت في ذلك الوقت دون التمييز وبعده أدركت إدراكاً ضعيفاً لبعد فهمي وقلة عزمي.

فأبتدي أولاً بحادثة عسير لأنها أعظم حادثة وأفظع واقعة وقعت باليمن. فأقول مستعيناً بالله: أنه في شهر رمضان من عام سبعة وثمانين بعد المائتين والألف تحرك أمير السراة[2] محمد بن عايض[3] وجهّز جموعاً كثيرة نحو خمسة وثلاثين ألفاً إلى الجهة اليمانية وقصد بندر الحُديدة وفيه علي باشا من طرف الدولة العثمانية[4]، فما زال الأمير المذكور يسير بجنده وهم أخلاط من أهل السراة ومن قحطان يسير في البلاد ويطلب مشايخها وأعيانها ويأخذ منهم العهد على النصرة والطاعة، ومشى معه من المخلاف السليماني الأعيان من الأشراف والمشائخ فمضى على ذلك حتى وصل إلى الضَّحِي فلاقاه المشائخ جميعاً وتأمنوا به بواسطة السادات فتوجه إلى الحُديدة ودخلها من الجانب اليماني من محل يُسمَّى «قضبه» إلى جانب البندر وعسكَر بها

---

(١) أي العام الذي حاولت فيها قبائل عسير بزعامة محمد بن عايض العسيري غزو مدينة الحديدة، وهو يوافق بالميلادي عام (١٨٧٠م).

(٢) السراة: سلسلة جبلية تمتد من جهة الطائف إلى تهامة اليمن. والمقصود هنا (سراة عَبِيْدَة) وهي منطقة واسعة لقبيلة عبيدة من قحطان فهي مركز من مراكز إمارة بلاد عسير.

(٣) محمد بن عايض بن مرعي: من بني مغيد، أمير بلاد عسير. وليها في حداثة سنه، عام (١٢٧٣هـ)، واستمر إلى أن طمع بضم تهامة اليمن إلى عسير، وهي الحادثة التي يحكيها المؤلف والتي كانت سبباً في قتله عام (١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م).

(٤) علي باشا الحلبي: وكان قد تعين في اليمن بشهر محرم سنة (١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م).

وقصد وناوش البندر بالحرب وصارت الغلبة للدولة عليه بعد أن حمل عليها بعسكره يريد الدخول فقتل منهم جمع كثير بالمدافع النارية، ثم ولّى راجعاً حتى وصل إلى أطراف بلاد صليل محل يُسمَّى دَيْر علي[1] وأمسى فيه على سبعة عشر من رمضان وجنده مضبوط، من ظفروا به أخذوا ساتر عورته ولا يميزون بين أحد، فمن ذلك لمّا رجعوا إلى الضَّحِي دخل السيد الولي الكامل محمد بن عبد الباري الأهدل[2] فأخذوا من الخدّامين ساتر العورة، وما أسلموا السيّد إلاّ بشفاعة بعضهم كرامةً من عند الله، ثم لمّا أمسوا في دَيْر علي وقع الشَّوَر[3] بينهم على الرجوع إلى الزيدية فقهقر لها وأوهم أنه إنما رجع لحاجة وهي رؤية البلاد والتسقي منها، لئلا يفزع الناس فيفرّوا، وغرضه نهب البلاد جبراً لجنده فيما وقع عليهم من القتل في الحُديدة، فدخل صبيحة الإثنين سابع عشر رمضان ونهبها نهباً ذريعاً وأخذ ما فيها وهتك الحرم ولم يُبْق بها أحد غير المساكن خالية، ووقع منهم بعض قتلى، ثم مكث إلى العصر من ذلك اليوم فارتحل منها ذاهباً إلى بلده، وفي تلك الليلة دخل الخوف قلوب أهل البلد في ليلة باردة في كانون فخافوا من الرجعة عليهم، وقد سمعوا بذلك أكاذيب أن عسير حين أمسوا ببلاد صليل علموا بقتلى منهم فعزموا على الصباح، فسرَى أهل البلد فارّين على أقدامهم عراة جائعين ظُماة إلى الضَّحِي[4] والمعروفية[5] ونواحيهما، وبعد ثلاثة أيام رجعوا والبلاد خالية من مصحف يقرأ فيه، وكان ما كان والله المستعان.

ويوم دخوله الزيدية توجهت طائفة من الخيل إلى المُنيرة[6] فتلقاهم السيّد العلاّمة الأجل محمد بن يحيى الأهدل وداراهم بشيء من الحطام وكانوا يريدون الغدر به فحماه الله من مكرهم وخيانتهم مع السلامة، وقد أخبرني أنهم لمّا وصلوا إلى المُنيرة شاهد الجم الغفير من الناس شبه الطيور تتخطفهم وسمعوا صوتاً كصوت المدفع خرج من قبة الولي الشهير عبد الله بن عمر الأهدل إلى الجهة التي هم فيها فوقع عقب ذلك فيهم الرعب فولّوا هاربين، وظهر في القبة شق بعد سماع ذلك الصوت وقد رأيته وهو موجود إلى الآن، ثم توجه الطاغية بالفئة الباغية آيباً خائباً بشراويه فما

---

(١) **دَيْر علي**: إحدى قرى المطاوية من مديرية الزيدية.

(٢) **محمد بن عبد الباري الأهدل**: انظر ترجمته بالجزء الأول، وكذلك جميع من سيرد ذكرهم من آل الأهدل وآل الزوّاك وسائر الحسينيون.

(٣) الانفاق.

(٤) **الضحي**: بلدة في وادي سردد، بالجنوب الشرقي من مدينة الزيدية بمسافة (٢٠) كيلاً، فيها مركز قبيلة الجرابح.

(٥) **المعروفية**: قرية في جنوب الزيدية بمسافة (٨) أكيال.

(٦) **المنيرة**: من قُرى آل الأهدل وتقع في غربي الزيدية بمسافة (٧) أكيال، فيما بينها وبين البحر.

وصل إلى السقي[1] إلاّ وقد تواصلت الأخبار وقَضت عليه الأقدار بهزيمة السلطان الأسد الضرغام عبد العزيز بن محمود خان لأنه سمع الأخبار بوصل الجيش إلى الحُديدة استثار غضبه، واستشاط غيضه، فيُذكر أنه قام بنفسه إلى الجيش الحربية البحرية المعدة للنوائب والخوارج فَجهز ورتّب القوة بالمدافع العظام والجيوش التي لا ترام وجعل قائد الحرب فيهم محمد رديف باشا، فما استقر أمير السراة المذكور في ريدة[2] إلا والبوابير الحربية واقفة في القنفذة[3] فنزلوا ورتّب الجيوش وقدم المدافع والمهمات بعسكره الجرار وخميسه البتار وذلك في عام ثمانية وثمانين بعد المائتين والألف، فمضى إلى السراة فحاصر السقي أياماً وهدم حصونها بالمدافع وأخذ ما فيها وقَبض على الأمير ومن معه من أخوانه والرؤساء، فأمّا الأمير ومن قبض من أخوانه وأعوانه فهلكوا بالقتل والإغتيال والعياذ بالله، ثم استولى على بقية حُصونه كالسقا وأبهى[4] وانقرضوا وصاروا كأمس الذاهبْ، وصارت بأخبارهم الرّكبان وقعد بهم الزّمان والله المستعان، وهذا آفة الهوان الذي هو الهوان كما قيل:

إنّ الهوَى لهو الهوان بنفسه ... وصريع كل هوى صريع هوان

وفي ذلك يقول السيّد العلاّمة الإمام محمد بن عبد الله الزوّاك:

من كان مع حده المحدود قد وقفا ... ترد عنه وجوه الحادثات قفا
ومن يكن برداء الكِبْر مرتدياً ... فعن قريب يرى بالذُّل مُلتحِفا
والبغي مصرعه من يمتطيه غدا ... عَلى شفا جُرُفٍ يهوى به تَلَفا
أمّا ترى الأزد إذ أموا بجمعهم ... إلى الحُديدة بغياً منهم وجَفَا
وناوشوا الحرب فاستغوتهم ظنن ... بأن يكونوا عن الوالي بها خلفا
فقابلتهم من الأجياد طائفة ... كل امرءٍ منهم بالفتك قد شغفا
قامت بها لهم الحرب العوان على ... ساق فهم في الورى قد أصبحوا جيفا
ظن ابن عايض أن القوم قد وَهَنُوا ... وذلك الظن عن عقل له سخفا
فأوردوه بنيرانٍ مسعرةٍ ... وكان في زعمه أن يرتقي غرفا
ثناهم الحتف عن فتح به إنكسروا ... ووجه بدرهم بالحزن قد كلفا
وواصلوا للسرى نحو السّراة على ... مذلة والغطا عنهم قد انكشفا
وكل هذا بتوفيق الإله جَرى ... وحسن رأي سديد للذي شرفا

---

(١) السقي: قرية من بلاد عسيرة.
(٢) ريدة: من قرى أبها.
(٣) قنفذة: بدون لام التعريف، من قُرى غامد.
(٤) أبّها: مدينة كبيرة هي قاعدة بلاد عسير.

أعني عليّ الذي سمو بنسبته ... إلى عليّ إمام السادة الحنفا
الصادق العزم والحزم الذي همّا ... حماية الملك من عاد عليه هفا
يفرّج الهم منه روضه انف ... ويشرح الصّدر منه منطق لَطُفا
وفي السماحة ما مَغنٌ وحاتمهم ... وفي الشجاعة ما عَمرو[1] الّذي اتّصفا
لا زال يسمو عليّ القدر ذا سعة ... مجدد السعد بالإقبال متصفاً
وبعد أن رَجَع الباغي لريدته ... وظن أن قد نجىٰ من قبح ما زلفا
وما درىٰ أنه من سوء سيرته ... لصائبات الرزايا قد غدا هدفا
هيهات يفلت والأقدار قاضية ... بأن مصرعه مع سِرْبهِ أزِفا
وحينما بلغت أسماع دولتنا ... ما حل من حادث قد سوّد الصّحفا
ثارت حفيظة سلطان الممالك من ... أضحىٰ به شمل هذا القُطر مؤتلفا
تجهز الجيش إرسالاً على ثقة ... من العزيز بتدبير الذي عسفا
جاءت بوابير كالأعلام حاملة ... من الطوابير جيشاً سيله جحفا
من كل شهم من الأبطال يقدمهم ... رديف باشا وريح النصر قد ردفا
بريد ريدة حيث الأشقيا حشدوا ... جموعهم وعلى أرجائها اكتنفا
حلّت بهم من رديف القوم رادفة ... من بعد راجفةٍ منها السقف رجفا
ذاك الفريق الذي حزّب الضلال به ... تفرّقوا وعليهم بأسه عصفا
فللمدافع في أبراجهم زحلاً ... والبرق والرعد من أجوافها قصفا
وكان يومٌ عسيرٌ بالجلاد على الباغين ... غير يسيرٍ هوله كثفا
فيه سحاب من البارود يمطرهم ... من أسرب بالمنايا وبله وكفا
والبيض صلّت على هاماتها زمراً ... شُلّوا إذا ما رأوا برق الضبا خطفا
وحل ما حل من أنواع زجرهم ... قتلٌ وأسرٌ ونهبٌ لم يدع طرفا
ظنوا بأن الجبال الشّم تمنعهم ... طوفان جيش طما حتى علا الشعفا
لا عاصم اليوم من أمر الإله لكم ... فكل حق امرىء من جِنْس ما اقترفا
فيا ابن عايض يا مغرور كيف ترى ... عواقب البغي والإدّا الذي سلفا
قد انقضيت فلا عينٌ ولا أثر ... حتى كأن لم يكن ذاك الذي عرفا
فالحمد لله حق النصر عن كثب ... لدولة الحق والمخذول قد نسفا
فصار في صقعه من بعده عِضَةً ... لمن عتى مفسداً في الأرض وانحرفا
فأسأل الله مولانا بعزته ... وبالنذرين أهل العزم والخُلَفا
بأن يديم مدى الأزمان دولتنا ... ظلاً ظليلاً على الإسلام قد ورفا

(١) يشير إلى عمرو معدي كَرِب الزَّبيدي.

فهو العزيز وذا عبد العزيز ومن   بعزه لا يزداد فوقه كنفا
وقد تأرخ ما دار القضاء به   في عامه دمر الباغي فلا أسفا

سنة ١٢٨٧

انتهى. وقد كان قبل هذا قال أبياتاً دَعَى عليهم بها فاستجاب الله دُعاه، وهي هذه:

أعلِمت بالخطب الجليل الهائض   وبما جرى من فعل باغ باغِض
أمرٌ أتاه ابن عايض منكر   وسَطى على القُرَى سطوة جاهض
مُذ بان عن فتح الحُديدة عجزه   وافا لِلزَيْديّة كسيل العارض
نَشَر الفساد وعم نهب بلادنا   وثنا السرى من بعد هوّل فائض
أيظن ذا فخراً له بين الورى   هيهات إذ أن أمره بتناقض
فالله يجزيه بغاية عدله   حتى يُعَاض بضائع عن عايض
ويقام في يوم القضاء بما أتى   بمقام خزيٍ فاضحٍ أو خافض

انتهت الأبيات، فاستُجيب له فيهم وضاعوا ولم يوقف لهم على عينٍ ولا أثر إلى وقت تحرير هذا، ولم يُرْجِع الأمير لأهل الزيدية شيئاً مما نُهب عليهم إلاّ أنه في أثناء طريقه ذاكرهُ بعض من يَخشى الله أن الجُنْد قد أخذوا الأرِقّاء[1] ولعل فيهم أحراراً وربما يكون فيهم من العترة الطّاهرة، فتذكّر وأَمَر برد الرقيق خشية الغلط فردّهم من أثناء الطريق، ثم بعد ذلك توجه السيّد العلاّمة مُفتِي مدينة الزّيدية محمد بن عبد الله الزَوّاك ومعه السيّد العلاّمة أبو القاسم بن عبد الرحمـٰن الأهدل إلى السّراة لرد ما أمكن من الكتب، فتوجها إلى تلك البلاد فَردّا ما تيسر لهما، ووصل المفتي إلى السّقا[2] وفيه أحمد مختار باشا[3]، وكان رديف باشا بعد أخذ زَبْدة قد توجه إلى اصطنبول، والسيد أبو القاسم رجع قبل، وردّوا من الكتب الكثير الطيب وفات ما فات، ثم بعد ذلك توجه أحمد مختار باشا إلى الجهة اليمنية ووصل إلى الحُديدة ثم توجه بالعسكر الكثيرة ومضَى بجحفله الجرّار إلى فتح صنعاء، وكانت في تلك الأيام

---

(١) الارقاء: العبيد حيث كانت هذه الظاهرة منتشرة تلك الأيام.

(٢) السّقا: قرية في بلاد عسير.

(٣) قائد عثماني تعين خلفاً لرديف باشا عقاباً للأخير على إقدامه بقتل محمد بن عايض، وقد قام أحمد مختار باشا بتنظيم أحوال بلاد عسير ثم سار بعسكره منها إلى الحديدة واستقر بها وتشير كتب التاريخ إلى أن أعيان مدينة صنعاء طلبوا منه إنقاذهم من الفوضى التي تضرب أطنابها في المدينة، فتقدم زاحفاً إلى صنعاء سنة (١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م) وبذلك استقر الأتراك بالمدينة لتبدأ مرحلة الاحتلال العثماني الثاني.

فاعترض له في الطريق قتال الفتنة في بُادي المشائخ بعد تلاشي أمر أئمة صنعاء[1] الدين على طريقة القرامطة وهم تابعية المارقة من الدين المخالفة لعامة المسلمين الذين على طريقة القرامطة وهم الدعاة أهل مَتْوَح وعَتَّارة[2]. فقاتلهم وحاصرهم وأخذوهم عنوة وبدّدهم وأخذ ما بأيديهم من الأموال وأخذ داعية بدعتهم ووجهه إلى الحُديدة فمات في الطريق. ثم توجه أحمد مختار باشا إلى صنعاء المحروسة وفتحها في سنة تسعة وثمانين بعد المائتين والألف ورتبها واستقر بها المُلك، وصارت قاعدة مُلكهم باليمن إلى وقت تاريخ هذا وهو عام تسعة وعشرين بعد المائتين[3]. وفي هذا العام ـ أعني عام تسعة وثمانين بعد المائتين[4] طلع السيِّد العلامة محمد بن يحيى الأهدل صاحب المُنيرة إلى جهة بني قَيْس[5] في شهر شوال لإصلاح الفتنة بين البَوْني وهَفَج بأمر سعادة المشرف حلمي باشا، وصدر الأمر بطلوع السيِّد العلامة محمد بن عبد الله الزَوَّاك معه، فطلعا إليهم ولم يكن سد المادة على ما ينبغي، فجعل بينهم السيِّد هدنة مقدار ثلاثة أشهر، وعند رجوعهم قال الزَوَّاك هذه الأبيات:

يا نجل يحيى الذي طابت عناصره	لا زلت بين الورى في أرفع الدرج
إنّا وصلنا إلى قوم بخرشبة	للصلح في فتنة البَوْنِي والهَفَج
لقد وجدنا أناساً لا عقول لهم	والكل في قصده يمشي على عوج
عمي عن الحق إلاّ أن أعينهم	مفتوحة لارتكاب البغي والهرج
وقد سعيتم بما فيه الصلاح لهم	فإن أبوا فسيأتي الله بالفرج

انتهت الأبيات. وفيه وصل القاضي العلامة حسن صدقي مؤلف «وظائف القضاة إلى ترجيع إحدى البينات» متولياً القضاء ببندر الحُديدة وسُمِّي بقاضي القُضاة، وطلب نواب القضاء العائد إليه إلى الحديدة لامتحانهم واختار المتأهل منهم من غيره. فأبقى من تأهل كالقاضي العلامة أحمد بن محمد البهكلي، وعَزَل من لم يكن متأهلاً، وسار في القضاء سيرة حسنة وفي خلال ولايته حج إلى بيت الله الحرام ثم

(١) يقصد سقوط الدولة القاسمية، وتنازع حُكم صنعاء بين عدد من مشائخ القبائل، أمثال الشيخ علي حسين الدفعي صاحب شُعوب وغيره من قبائل بلاد أرحب وخولان والحدا وغيرها.

(٢) متوح وعتارة: بلدتان حصينتان في جبال حَرَاز، وهما من أهم مواقع الإسماعيلية.

(٣) لعله يقصد بعد الثلاثمائة، لأنه تاريخ تأليف الكتاب، بدليل قوله: إلى وقت تاريخ هذا. ومعلوم أن الاحتلال العثماني الثاني امتد إلى سنة (١٣٣٦هـ).

(٤) (١٨٧٢م).

(٥) بني قَيْس: قبيلة ومنطقة في السهل الغربي من حَجّه، مركزها مدينة «الطَوْر» لذلك يقال لها (بني قَيْس الطَوْر) وهي أربعة أقسام: ربع البوني، ربع هفج، ربع مسعود، ربع الشمري أي الشمالية.

عاد إلى الحُديدة فامتدحه سيدي الخال العلاّمة محمد بن عبد الله الزواك بقصيدة مهنياً له بها وذاكراً ما حازه من الفضائل والعلوم، وقدّم أمام ذلك نثراً صورته: بعد حمد الله الّذي لا يدرك الصنعاء إلاّ من زمزم بذكره، ويطيب المقام إلاّ لمن أوى إلى ركن من طاعته وشكره، ولا ينزل في حرمه إلاّ من استخلصه من عباده، وحلاّه بقلائد كرمه، والصّلاة والسّلام على سيدنا محمد كعبة الجود المخصوص بالمقام المحمود وآله وصحبه وجنده وحزبه، فإن أجَلّ ما تنشر له أعلام الأفراح، ويذهب بجميع الأتراح، وصول مولانا الهُمام السيّد السامي المقدام قاضي قضاة العصر وفخر أبناء الدهر حسن صدقي حَرَس الله مقامه وأسعد لياليه وإيّامه من بلد الله الحرام بعد أداء فرض خامس أركان الإسلام وبلوغ المرام بتلك المشاعر العظام، فشكرالله تعالى على قدومكم الّذي نشر السرور وألبس القلوب خبر الحبور، وتقسّم النّاس المسرّة كنهم قسماً فكان أجلهم قِسماً أنا، وقد بعثت ما لا يستحق أن يُذكر بل يهجر كلمات أبرزها الفكر الكليل والذهن العليل، ولولا صفاء الوِد بين الأحباب لم أتجاسر على تقديمها إلى ذلك الجناب:

هنيئاً قدمتم بالسّعادة واليُمنِ ... من الحرم المنعوت في الذكر بالأمن
فأهلاً بمن قد جاء من أرض مكة ... وقد بلغ المقصود من فضل ذي المن
ومن خامس الأركان جاء بواجب ... من النسك المبرور والعمل المدني
قد ابتهجت أقطارنا وتبلّجت ... بمقدم سامي المرتقى طاهر الرّدن
أبو عاصم الساعي على منهج العلا ... ومن أعجزت أمداحه كل ذي لسن
هو السيد المُنطق إنحل مشكلٌ ... فيأتي بما يُشفى الفؤاد وما يغنى
وفي طبعه لطف النّسيم إذا انبرى ... سحيراً على روض يضاحك للمزن
هو البدر إن أدجت غياهب حادث ... فيجلو سريعاً ما ادلهمّ من الدُّجن
وحاز علوماً لا يحاط ببعضها ... وعن شرح ما قد ناله عَجز المُثنى
أبا عاصم هنّيت حجاً مباركاً ... سَتُجزى على مبروره الفوز في عدن
لَبِستَ من الإحرام ثوب تواضع ... ومن يتضع لله أصبح ذا شأن
وقمت مقام الخاشعين لربهم ... لدى البيت والحجر المعظم والركن
وفي عرفات موقف القُرب والرضى ... وقفت بقلب خاضع موقف القن
وفي السعي ما بين الصفا ومروة ... حويت صفاً البِدِ المصونِ من الأفنِ
ونلت المُنَى لمّا وصلت إلى مِنَى ... لرمي جِمارٍ بالسكينة متأني
أفِيضت لك الأنوار عند لحاضه ... وقمت مقاماً لا يكيّف في لذهن
إلى الحسن الصّدقي وجهت مدحتي ... على وهن في السّبك يُذهب بلاحن
ولكن إمداحي لسامي مقامه ... مدائح صدق ليس بالوهم والظن

فإن رمت إعراباً لمبنى وصفه
فدونك في اللحن البرى من اللحن

فلا زال مشمولاً بعين عناية
وعز وحفظ في الأقامة والظعن

وحسن ختامي بالصلاة مسلماً
على الخاتم المبعوث للأنس والجنّ

كذا الآل والأصحاب نصر دينه
ببيض المواضي والمثقفة اللدّن

انتهى. وبقي في القضاء إلى عام إحدى وتسعين، فخرج من الحديدة إلى الجهة الشامية محققاً قضية سيدي الوالد رحمه الله الآتي ذكرها عقب هذا إن شاء الله، ومتفقداً للقضوات، ووصل إلى بندر اللُّحية ثم رجع إلى مدينة الزّبيديّة وعرّج في طريقة على المُنيرة لزيارة السيّد العلامة محمد بن يحيى الأهدل وقال له: جئنا لزيارة الأحياء والأموات. وقد أخبرني السيّد أنه رأى من لطافته وحسن سيرته مايجلّ عن الوصف وأنه أزال عنه مَظلمةً وقعت عليه بالمغالطة من بعض أرباب الأمر بالزّبيدية، ثم عاد إلى الحُديدة.

وفي هذا العام - أعني عام إحدى وتسعين - قُتل سيدي الوالد محمد بن أبي القاسم الوشلي ظلماً على يد جماعة من صليل بعد خروجه من سُوْق القَنَاوِص[1] ليلة الجمعة من شهر صفر فصادفوه خارجاً وأخذوا ماله، وأكرمه الله بالشهادة على أيديهم بشهادة الحديث الشريف: «من قُتل دون ماله فهو شهيد»[2] فانتقم الله من قاتليه فأهلكهم بالقتل في مدة قريبة. ثم لم ينسّد باب القتل من بعده إلى الآن.

وفي شهر ذي القعدة من عام اثنين وتسعين بعد المائتين وصل نوري أفندي بالتلغراف[3] إلى مدينة الزّبيدية وهو شيء عجيب وأمر غريب أُخترع في هذا الزمان المتأخر، وبه انضبطت المملكة واتّصلت الأخبار في أسرع مدة من البلدان البعيدة، وهي آلة اخترعوها تُسمَّى بالمكيْنة ووضعوا في كل بلد من البلدان الكبار في جميع ممالك الدّولة مكيّنة منها، ومدّوا خَيْطاً يشبه الحديد وليس منه، متصلاً بجميع البلدان التي فيها المكينات مرتفعاً في الهواء على أعواد بعضها من خشب وبعضها من حديد، ورأس الخيط متصل بالمكينة في كل بلدة وله طرف بين الماء في بئر ونحوها ولا يَعْمَل إلا إذا كان له طرف بين الماء، فمن كانت له حاجة إلى أيّ بلد ولو بَعُدت

(١) القَنَاوِص: بفتح القاف والنون وكسر الواو. مدينة في بطن تهامة على خط طريق السيارات بين حَرَض وحجّه. تبعد عن الحُديدة شمالاً بمسافة (٨٦) كيلاً، يحدها من الشمال مديرية الزهرة ومن الشرق مديرية الطّور ومن الجنوب الغربي مديريتي الضّحِي والزّبيدية.

(٢) أي له ثواب شهيد عند الله. رواه الترمذي وغيره وصححه وقال السيوطي هو متواتر.

(٣) يؤرخ الكاتب لبداية ظهور التلغراف الكهربائي وأبجديته في اليمن، وهو المعروف بإشارات مُوْرس نِسبةً إلى مخترعه: صموئيل مُوْرس.

المسافة كما بين صنعاء واسطنبول مثلاً وغيرها من البلدان الشاسعة والقريبة فيكتب حاجته في ورقة وسلّمها إلى صاحب المكينة فيحرّك المكينة بنقراتٍ ما يسمع غيرها، وفي أسرع وقت يجيء الجواب بالإفادة التّامة من غير زيادة ولا نقصان. وقد أخبرني كثير ممن يحكم هذا الشيء أنّه إذا حُركت الآلة في بلد يُخبر إلى بلد آخر أن تلك الآلة التي في البلد الآخر تتحرك في ذلك الوقت من غير فرق ولو بَعُدت المسافة بينهما، وهذا أمر يشبه البرق في السرعة ولعل بينهما مناسبة بأشياء الله أعلم بحقيقتها بدليل أنه إذا وقع الغيم والمطر خرجوا مسرعين من المحل التي فيه تلك الآلة وأغلقوا أبواب المحل وكَوّاته خوفاً من تجاذب البرق والآلة، وما ذاك إلاّ لكون بينهما مناسبة من العجائب أنهم يفهمون الكلام من النقرات. وقد كان في المدة السابقة يوم حدوثه في اليمن تُركَّب ورقة طويلة عرضها قدر بنانة مطويّة في رأس الآلة فتنتفض تلك الورقة عند مجيء الخبر، وفي الآلة شيء يشبه الإبرة يُنَقِّش فيها ألِفَات[1] قصار وطوال ونُقَط، إصطلاح يعرفونه بينهم، فيُعْرَف من تلك النقوش حروفاً يجمعها ويكتبها فإذا هي عين الخبر الذي دفعه صاحبه إلى صاحب التلغراف، وقد اختبرت صحته وتحققت وصارت في حُكم اليقين. ثم إنهم تفننوا وأحكموا الأمر وتركوا تلك الأوراق وفهموا الخطاب من تلك النَقرات فقط فسبحان من علّم الإنسان ما لم يعلم.

وقد امتدح سيدي الخال العلامة السيّد محمد بن عبد الله الزوّاك نوري أفندي[2] لمّا وصل بالمكينة إلى الزيدية بهذه القصيدة مؤرخاً وصوله بها في الشطر الأخير من البيت الأخير:

أهـلاً وسهـلاً بـالأغـر الكـريـم	الألمعـي اللّـوذعـي الفهيـم
شـرفـت أرجـاء الـزيـديـة	والأنـس والأفـراح فيهـا مقيـم
فـاخَـرت المـركـز إذ أصبحـت	والسِلـك بـالأخبـار فيهـم زعيـم
سنـاء محـي الـديـن نُـوري بهـا	مُحِـي ظـلام الحـادثـات البهيـم
فـاق علـى أقـرانـه بـالـذكـا	وحسـن طبـع فيـه لطـف النسيـم
ومنطـق جـزل بـآدابـه	يُشَنِّـف السمّـع بـدر نظيـم
مبـرز مـا أعيـا الـورى دركـه	بجـودة الفكـر القـوي السليـم
فـي أنجـد الأرض وأغـوارهـا	علـى الأسـاطيـن ذوات الشكـم
يـوحـي معـانـي القـول فـي أحـرفٍ	منـه تلقّـاهـا فـؤاد الفهيـم
فـاسمـع لِيُخبِـر عمّـا جـرى	فـي نقـرات الألِفْبـاءِ وميـم

(١) أي خطوط.
(٢) نوري أفندي: هو الموظف المختص بتشغيل التلغراف، وأصله من سوريا.

بمــــودع الســـر فلـــم يفشـــه	والحفــظ لــلأســرار شــأن الحليــم
قبل إرتــداد الطَـرف يــأتيـك مــا	تطلبـــه فـــأعجـــب الأمـــر عظيـــم
قـد صــدحـت مــن فــوق أعــواده	صــوادح المــدح بصــوت رخيــم
وبــالــدعــاء قــد نهجــت ألســن	بــواســع الجــود السميــع العليــم
تــدعــو لمــولانــا مليــك الــورَى	خليفـــة الله الأبَـــر الـــرحيـــم
سلطــانـنــا عبــد العــزيــز الــذي	حَمَـى حِمَـى الــديـن سيـف صـريـم
واختـــم النّظـــم بتـــأريخـــه	يتــرجــم السِلــك بنصــر قــويــم

٣٦٣ ١٤١ ٣٤٣ ١٥٤

سنة ١٣٠٢

انتهت. وقال أيضاً هذين البيتين على لسان التلغراف لمّا انفصل نوري أفندي من تلغراف الحُديدة وتوجه إلى بلاد عسير وفي ذلك تورية لطيفة:

تلغـــراف الحُـــديـــدة قـــال إنـــي	لقـــد أوجســـت مـــن بعـــد المـــديـــر
هلمـــوا وانظـــروا حـــالـــي فـــإنـــي	تبـــدلـــت الظـــلام عقيـــب نـــوري

ومما يبطل عمل التلغراف انقطاع ذلك الخيط الممدود أو سقوطه واتصاله بالأرض، ويُعرف ذلك في البعد بسكون آلة موضوعة إلى جانب المكينة تتحرك دائماً فإذا انقطع أو سقط سكن ذلك المتحرك فحينئذ يخرج من يصلحه فإذا أصلحه بوصل الخيط أو رفعه عن التراب عادت العملية. ومما يُقال أن الشيخ محي الدين بن العربي قدس الله سره كشف له عنه فأخبر بمجيئه فيما بعد، فقال: إذا دق الحديد في الحديد جاء الخبر من بعيد، والله أعلم بحقيقة الأمور.

جوانب من تاريخ الدولة العثمانية[1]:

وفي عام ثلاثة وتسعين ومائتين بعد الألف خلع السلطان الغازي عبد العزيز خان محمود خان ثم قُتل بعد أيام من خلعه، وله قصة يطول شرحها لم أقف على تحقيقها وقت رَقْم هذا. وفيه في السابع عشر من شهر شعبان جلس ابن أخوه السلطان الغازي عبد الحميد بن عبد الحميد على تخت المُلك فامتدحه ـ حينئذ ـ سيّدي الخال العلاّمة السيّد محمد بن عبد الله الزوّاك بهذه القصيدة الفريدة مؤرخاً عام جلوسه في الشطر الأخير من البيت الأخير:

سهـــام الحـــق لـــلأعـــداء صـــوائـــب	وجُنـــد الله ليـــس لـــه مقـــال
ومـــن كـــان الإلـــه لـــه نصيـــراً	تـــديـــن لـــه الأبـــاعـــد والأقـــارب

---

(١) العنوان من وضعنا، وكذلك جميع العناوين في الكتاب.

ألم تر مِلّة الإسلام قامت		مؤسسة القواعد والجوانب
وان الدين أصبح في شعاع		بسيفٍ من سيوف الله صائب
بخاقان الملوك حميد فعلٍ		مجيد الأصل محمود العواقب
أفي عبد الحميد الشان يقفوَ		أخاه وهو للتوفيق صاحب
وقرت أخمصاه فوق تخت		علا بهما على زهر الكواكب
وقسطنطينية كُسيت جمالاً		بطلعته السعيدة في الكواكب
وبدرٌ كماله لا ينجلي		بشعبان مُحي شخب الغياهب
فقام إلى الخلافة غير وان		ولا وكل لدى هم حمى النوائب
حمى الإسلام ممن حاد عنه		وأوهن شولة الدول الأجانب
إذ الفِرَق الطَواغي قد تمالوا		على حربٍ فلا بلغوا المآرب
فإنّ الله حافظ دين طه		وناصره على مدد الحقائب
بسيف خليفة الإسلام حقاً		وسلطان المشارق والمغارب
تهب إليه رياح النّصرُ أنّى		توجّه فهو منصور الكتائب
فسوف ترى الأعادي عن قريبٍ		تضيق عَليهم رحب المذاهب
يظنون الدّخول هناك سهلاً		وقد خابت ظنونهم الكواذب
لتلقاهم ليوث في حروبٍ		ظباهم في أكفهم مخالب
تفرّق جمعهم فرقاً ثلاثاً		فمقتولٌ ومأسورٌ وهارب
كأنك بالّذي يجري عليهم		إلى الأقطار تنشره الجوانب
وكل النّاس في فرج وبِشر		مدعين الدّعاء لذي المذاهب
لناصر دينه بدوام مُلك		وقوة شوكة تغني المحارب
وأعوان له وزراء صدق		جحاجحة غطارفة مناصب
فمنهم من تصدى للمعالي		فرقته إلى أعلا المراتب
ملاذ عاصم ليثٌ هصورٌ		كميٌ فارس الجرد السلاهب
سديد الرأي إنْ عَنّ التباس		فيصدر رأيه عن كل صائب
تجمع فيه مفترق المزايا		فيأتي في المقام بما يناسب
شجاعة حيدر وسماع مَعْناً		كذا حِكم بن قيسٍ ذي التجارب
أتى اليمن السعيد مُشير باشا		وقد هاجت به الفِتن القواضب
فأطفأ نار حرب أوقدوها		فعادت وهي من نار الجباجب
وحسبك أن همدان بن زيد		له خضعوا وهم شكس غوالب
حلّ الناس في دِعة وأمنٍ		بأحسن سيرة ونفى المناعب
وإصلاحاته غور ونجدٌ		مخلدة له أسنى المناقب

فـلا بـرهـت لـه حـركـات نصـر
تـؤول بـه إلـى حُسْـن العـواقـب
أيـا عيـن الـولاة ومصطفـاهـم
وعـاصِـم مـن يخـاف مـن المعـاطـب
إلـى علياك يُهـدَى المـدح حقـاً
بمـا أوتيـت مـن شـرف المنـاصـب
فخـذ نظمـاً مـدحـت بـه مقـامـاً
لـدولـة آل عثمـان الأغـالـب
وفيـه مـن مـديحكـم عقـود
حكـت فـي حينهـا الشُهـب الثـواقـب
واختـم مـا نظَمـت مـن القـوافـي
بتـأريـخ المـواقعـة منـاسـب
جلـوس إمـامنـا فـي تخـت مُلْـكٍ
تـأرخ جنـد ديـن الحـق غـالـب

انتهت. وكان صاحب الترجمة ملكاً حازماً شجاعاً مقدماً دانت له العباد والبلاد، وخضعت له الطوائف الكُفرية، وجرت بينه وبينهم حروب وكانت الطائلة والنصرة له عليهم، والإسلام يعلو ولا يُعلىٰ عليه. وفي مدة سلطنته لم يقبل لهم مخالطة ولا مداخلة بل كان يناجزهم بالحرب أو يهادنهم وكم قد أرادوا مغالطته وحاولوا ميله إلى مخالطتهم وأن يكون لهم في الأمر مدخل فلم يظفروا منه بطائل، ولمّا أيسوا منه تـواطئوا على خلعة وتولية أخيه السلطان محمد رشاد خان وجَعْل الأمـر شورى بين طائفة مـن المسلمين وبين سائر المُلك الكُفرية وسَمَّوا ذلك بمجلس المبعوثـان[1] وبهذا كان لهم الحل والعقد ولم يكن للسلطان إلا الاسم فقط، وسيأتي تحقيق ذلك إن شاء الله فـي حوادث العام السابع والعشرين بعد ثلاثمائة والألف. وكان السلطان عبد الحميد جواداً ذا كرم خارق ومحاسن كثيرة عظيمة، مُعظماً للحرمين الشريفين، قائماً بخدمتيهما ومصالحهما، وكانت مدة سلطنته ثلاثاً وثلاثين سنة، ووقت رَقْم هذا وهو موجود بسلانيك أقام بها بعد خلعه، وأجرى له من بيت المال مبلغ جسيم من المال يليق بحاله ويقوم بالكفاية التامة له ولدائرته.

ثم أن المشير مصطفى عاصم[2] جرت له مع حَاشِد حروب، وهو الذي أشار إليه السيّد في القصيدة المار ذكرها قريباً بأنه من أعوان السلطان عبد الحميد وأنه جاء مشيراً باليمن، وقد ثارت به نار الفتن فأطفأها، فمن ذلك ما جرى بينه وبين قبائل حاشد من الحروب وكانت الغلبة والنصرة له عليهم، ودخلوا تحت الطاعة والاستسلام في أمور يطول شرحها لم أتحققها لبعد الديار وطول العهد، وفي ذلك

---

(١) مجلس المبعوثان: هو بمثابة برلمان كان يضم في عضويته ممثلي الولايات التابعة للدولة العثمانية.

(٢) المشير مصطفى عاصم: من الولاة العثمانيين الأتراك في اليمن، ومدة ولايته من سنة (١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م) إلى عام (١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م).

يقول سيدي الخال العلاّمة السيّد محمد بن عبد الله الزوّاك مادحاً ومهنياً له بالنصر والظّفر:

بمن تزهر العلياء وتسمو المكارم ... وتفخر الهيجاء وتزهو الصوارم
بطلعة مولانا المُشير الّذي له ... طلائع نصرٍ ما لهن تقادم
ومَنْ نازل الأقران والوجه أبلج ... ومن يضرب الهامات والثغر باسم
ومن الأقطار للناس بأسه ... إلى أن صفت أنجادها والتهائم
على اليمن الميمون قد مدّ عدله ... فضاءت بنور العدل منه المعالم
وألّف من بعد التنافر أهله ... وأنصف مظلوم وجوزي ظالم
وعمّ بإصلاحاته كل بلدة ... فأوقاتنا من صفوهن مواسم
فإن رِمت منه نائلاً فهو نافعٌ ... وإن خفت جوراً لِذنبه فهو عاصم
إليه انتساب المجد والكرم الذي ... يقصر عن أدناه معن وحاتم
فدونك مدحي مصطفى عاصم فلي ... محاسنه تملى وفكري ناظم
ومن بَعدِه ماضي العزيمة ماجد ... قومندان حرب باسل القوم جازم
هو الشهم إسماعيل قائد جحفل ... مبارزه لا تنثني وهو سالم
وقورٌ إذا الأبطال طاشت عقو ... لها حبورٌ إذا لاقى الكماة القلاحم
وأركان حرب منهم كل فاتك ... هزبر لدى الهيجاء هصورٌ مصادم
عساكر شاهانيّة كل قشعم ... ترامت على الأعداء منه القشاعم
لهم صدمات اذعنت لجلادهم ... وذلّت رقاب عربها والأعاجم
نهنيكم النصر الّذي أصبحت به ... ثغور المعالي بالتهاني بواسم
وذاك بتوفيق الإله ونصره ... وسديد رأي أحكمته العزائم
فكم وقعةٍ قد شتت شمل حاشد ... ولم يُغن عنهم جمعهم والتعاظم
وأنّى لهمدان ثبات لحربكم ... وقد قابلت بالشاشخان الضراغم
جررتم إلى خَمِرٍ وحوثٍ كتيبة ... كبحر بأمواج الردى يتلاطم
فما حاشد من بعد هذا بحاشد ... ومن عاصم ما للعُصيمات عاصم
وهذا جزا من كان للبغي راكباً ... له الذل والخسران حتماً يلازم
لسلطاننا قد أوجب الحق طاعة ... ومن يعصه فهو الشقي المفاقم
ألاّ إنّما السلطان في الأرض جنّة ... تُرد به عنا الخطوب الدواهم
أمدّ علينا الله وافر ظله ... ودام علينا عطفه والمراحم
وابقى تبا لدّهر دوله غير له ... مشيدة أركانها والدعائم

انتهت. وإذ قد عرض ذكر الدّولة العثمانيّة، فلنذكر بعض محاسنهم ومن عَظُم أمره من سلاطينهم، فاعلم أولاً أنه كان ابتداء دولتهم في عام تسعة وتسعين

وسبعمائة، أعني ابتداء دولة السلطان الغازي عثمان بن ارطغرل وجلوسه على تخت السلطنة في البلاد الرومية، وذلك عقب إنقراض الدّولة السلجوقية وإلا فآباؤه قاموا بالمُلك في غير البلاد الروميّة، وما زالوا قائمين بالمُلك إلى أن أفضى إلى السلطان عثمان هذا، وهو الذي يُنسبون إليه، ولم تزل فيهم السلطنة على نسق سلسلةِ نسبهم يتوارثونها إلى هذا التاريخ وهو أربعة وثلاثين وثلاثمائة وألف، والقائم به الآن منهم هو السلطان محمد رشاد خان ابن السلطان عبد الحميد خان.

وكانت قوة دولة السلطان عثمان مستفادة من طريق علاءِ الدين السلجوقي لأنّه قام في آخر دولة علاء الدين، وقد ضعف وكبر سنه فأيده ومكّنه من الراية السلطانية وخلع عليه الخلع السنية لمّا رآه أهلاً لذلك، فقام به حينئذ وعظم أمره وانتشر المُلك في ذريته واتسع، فكانت دولتهم أعظم الدول الإسلامية وغيرها في العِظم والاتساع والفخامة والشهامة وحُسن الشكل والهيئة والانتظام والانضباط والتدبير والقوة العَددية والعِددية، واستفاضوا على البلاد التهامية والنجدية من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق ومن أقصى الشام إلى أقصى اليمن، فطار ذكرهم كل مطار وسار مسير الليل والنهار، وطالت مدة دولتهم بما لم يقع لأحد من الدول قبلهم، ودانت لهم رقاب العباد حيثما استفاضوا، وخَضعت لهم شم الأنوف من كل حاضر وباد أينما خاضوا، وانتشرت محاسنهم الجسيمة وبهرت مكارمهم العظيمة، فأرباب دولتهم من الرؤساء أغنى النّاس على الإطلاق، وإحسانهم ملأ الكون وطبق الآفاق، ولم تزل في كل زمن لهم الغلبة على الدّول الكفرية بمقتضى علو كلمة الإسلام العلية، وجَعْل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا، فكم عظموا شعائر هذا الدّين المتين وكم أسّسوا له القواعد وشيّدوا منه الأركان والأساطين، وقاموا بخدمة الحرمين الشريفين حتى اتسمت سلاطينهم بذلك وصار لهم على ألسنة الخطباء فوق المنابر في الجُمَع والأعياد في جميع الممالك، وقرروا المعايش الجسيمة في كل بلدة لمن يقوم بتعليم القرآن وتدريس العلوم. وبالجملة فدولتهم أعظم الدّول الإسلامية أدام الله لهم النّصر والتوفيق والتمكين وأيدهم بالظفر بالأعداء والفتح المبين.

وقد ساق السيّد العلاّمة مُفتي مكة المكرمة أحمد بن زيد دحلان في تاريخه المُسمّى بـ «تأريخ الدول الإسلامية» تراجمهم من ابتداء سلطنتهم إلى انتهاء مدة السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد في سنة ثلاثة وسبعين بعد المائتين والألف، فقال: اعلم أن الدولة العثمانية كان منهم ملوك في بلاد ماهان قريب بَلَخ فلمّا ظهر التتار وأفسدوا في الأرض خرجت بَلَخ وماهان وارتحل الناس وتفرّقوا في الأرض وكان ممن ارتحل جدهم سليمان شاه وينتهي نسبه إلى يافث بن نوح عليه السلام، وارتحل مع سليمان شاه أولاده وأهله وعشيرته وكثير من قومه وقصدوا بلاد الروم

لأجل جهاد الكفار، ثم إن سليمان شاه غرق في نهر الفرات رحمه الله تعالى وسار ابنه أرطغرل إلى الروم وهو ومن معه وصار يجاهد الكفار بإذن من السلطان علاء الدين السلجوقي، وقوى أمر أرطغرل واجتمع معه خلق كثير وبقي على ذلك إلى أن توفي سنة ٦٨٧ فقام بالجهاد بعده ابنه الأمير عثمان فلمّا رأى السلطان علاء الدين السلجوقي جِدّهُ واجتهاده وعَلِم نجابته في فتح البلاد أكرمه وأمده بأنواع الإعانة والإمداد وأرسل إليه الراية السلطانية والخلع السنّية والطبل والزمر، فلمّا ضرب الطبل بين يدي السلطان عثمان نهض قائماً على قدميه إعظاماً للسلطان علاء الدين فما زال كذلك حتى فرغوا، فمن ذلك اليوم كان بين العساكر العثمانية القيام على أرجلهم عَنْد ضَرْبُ طبل نوبة السّلطنة في الأعياد والأسفار. وكان ملكاً عادلاً شجاعاً مرابطاً مجاهداً يراعي الأبطال والأيتام والأرامل ويُحسن إليهم، وكان يحب العلماء والصلحاء، وكان كثير التردد إلى الشيخ العارف بالله اده بالي القرماني وربما يبيت في زاويته فرأى ليلة في منامه أن قمراً خرج من حضن الشيخ المذكور فدخل في حضنه وعند ذلك نبتت من سرته شجرة عظيمة سَدّت أغصانها الآفاق وتحتها جبال راسيات ذات أنهار وعيون والناس ينتفعون من تلك المياه، فلمّا استيقظ الأمير عثمان قص رؤياه على الشيخ فقال له الشيخ: لك البشارة بمنصب السلطنة وسيعلو أمرك وينتفع الناس بك وبأولادك وأني زوجتك بنتي، فقبلها الأمير عثمان وتزوّج بها فولدت له أولاداً منهم السلطان أورخان. ثم أن السلطان علاء الدين كبر سنه وضعف أمره فتسلطن السلطان عثمان في البلاد التي افتتحها سنة ٦٩٩ تسع وتسعين وستمائة وفي سنة ٧٠٠ سبعمائة توفي السلطان علاء الدين السلجوقي وحصل اختلاف كثير بين أولاده وضعف ملكهم فاستولى السلطان عثمان على كثير من البلاد التي كانت تحت أيديهم واتسع ملكه وعظم أمره وكثر جهاده وافتتح مدائن كثيرة، وكان مقر سلطنته في «قرا» حصاراً، وبقيت السلطنة في أولاده، ولمّا افتتحوا «بروسيا» صارت هي دار سلطنتهم، وكان افتتاحها في أول سلطنة ابنه السلطان أورخان سنة ٧٢٧ واستمروا بها إلى أن افتتح السلطان محمد القسطنطينية فصارت هي دار سلطنتهم، وكان فتحها سنة ٨٥٧ وكان السلطان عثمان صالحاً عابداً زاهداً متواضعاً مُعَظِّماً للدين وأهله وشعائره، يُرْوَى أنه قَبل أن يتسَلْطَن كان مسافراً إلى موضع فنزل ضيفاً على إنسان فلما أراد النوم رأى مَصْحفاً معلقاً في الموضع الذي كان به فوقف على قدميه إلى الصباح تعظيماً للمصحف وترك النوم. ومن زهده في الدنيا أنه ما خلف نقداً ولا متاعاً إلاّ دِرعاً وسيفاً يقاتل بهما الكفار، وشيئاً من الخيل وشيئاً من الأغنام، فالغنم التي ترعَى في نواحي مدينة بروسيا باسم السلاطين العثمانية من نسل تلك الأغنام، وخلف من الثياب قفطاناً وعمامة وبعض مناطق من نسائج القطن وملعقة ومملحة،

وذلك لزهده في الدنيا وكثرة كرمه وإنعاماته على العساكر الذين كان يستجلبهم إليه لجهاد الكفار حتى كانوا يلقون أنفسهم في المهالك لأجل خدمته ونصرته رحمه الله تعالى. انتهى ما أردت نقله من كلام السيد أحمد دحلان.

ومنهم السلطان الصالح محمد بن مراد خان المشهور بالفاتح، وقد ذكره السيّد العلاّمة محمد بن الطاهر البحر في تأريخه المُسمّى «تحفة الدهر» بالولاية فقال في أثناء ترجمة الشريف أبي الغيث بن محمد الشجري القُديمي ما لفظه: وذكر صاحب «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» من كرامات الشريف أبي الغيث بن محمد أنه وقف في الموسم في المكان الذي يُفَرّق فيه الصُرّ السلطاني بالمسجد الحرام، وقال للكُتّاب: أعطوني منه ما يخصني، فقال له بعضهم: إن كنتَ رجلاً كاملاً فهات لنا تقريراً سلطانياً بما ترونه ونعطيه لك، فما مضت ساعة إلا وأتاهم بتقرير من سلطان عصره محمد بن مراد بجامكيّة وغيرها، فدفعوا له ما هو مكتوب في المرسوم السلطاني، وكان السلطان محمد المذكور من أولياء الله تعالى ومن أهل الخطوة ويقال إن صاحب الترجمة بعد أن فارق الكُتّاب المذكورين دخل الطَوَاف فرأى السلطان محمد في المطاف وهو مختفٍ فأمسكه وقال له: إن لم تكتب لي تقرير الصّر يكوّن لي ولأولادي لأفضحنك بين الناس، فكتب له مرسول في تلك الساعة بمطلوبه فأتى به إليهم فأمضوه على ما ذكرنا. انتهى كلام البحر.

وقد ذكر العلاّمة محمد بن عبد المعطي المشهور بالأسحاقي في مؤلفه «لطائف الأخبار» فتحه للقسطنطينية ودخوله فيها وكيفية بنائها العجيب، وما اشتملت عليه من العجائب وما حوته من المزايا لكونها من أعظم فتوحات الإسلام، وسيأتي ذِكر ذلك قريباً إن شاء الله.

وقد ترجمه السيّد العلاّمة أحمد بن زين دحلان في تأريخه فقال: مولانا السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية، كان جلوسه على تخت السلطنة سنة ٨٥٥ بعهد من أبيه له وكان عمره إذ ذاك تسع عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام، وقصة فتحة القسطنطينية طويلة مذكورة في التواريخ وكذلك سيرته مذكورة فإنها سيرة حميدة يطول ذكرها، وكان السلطان محمد طلب من العارف بالله الشيخ آق شمس الدين أن يحضر مع المجاهدين فتح القسطنطينية وكان يُعَظّم الشيخ المذكور ويعتقد فيه كمال الولاية، فحضر وبشره بالفتح وعيّن له اليوم والساعة التي يكوّن الفتح فيها بطريق الكشف فلمّا كان ذلك الوقت ذهب وزير السلطان للشيخ في خيمته ظناً منه أن الوعد قد تأخر فوجد الشيخ ساجداً على التراب مكشوف الرأس وهو يتضرع ويبكي ثم رفع رأسه وكبّر وقال: الله أكبر الحمد لله الذي منحَنا فتح هذه المدينة، فإذا العسكر قد

دخلوا بأجمعهم ففتح الله ببركة دُعائه في ذلك الوقت الذي أشار به. ثم إن السلطان طلب من الشيخ شمس الدين ـ المذكور ـ أن يريه موضع قبر أبي أيوب الأنصاري[1] فقال الشيخ: إني شاهدت في موضع كذا نوراً فلعل قبره هناك، فجاء إلى ذلك الموضع وتوجه أمامنا ثم قال: اجتمعت روحي بروح أبي أيوب وهناني بهذا الفتح وقال: شَكَر الله سعيكم خلّصتموني من ظلمة الكفر، فأخبر السلطان بذلك فحضر بنفسه إلى ذلك الموضع وقال: التمس منك يا مولانا الشيخ أن تريني علامةً أراها بعيني ليطمئن بذلك قلبي، فتوجه الشيخ ساعة ثم قال: احفروا في هذا الموضع ـ وهو من جانب الرأس من القبر مقدار ذراعين ـ فحفروا فظهر لهم القبر وعنده لوح من رخام مكتوب عليه أنه قبر أبي أيوب الأنصاري، ففرح السلطان وتغير وغلب عليه حال حتى كاد يسقط لولا أن أمسكوه وقال السلطان: فرحي بوجود مثل هذا الشيخ في زماني أكبر من فرحي بفتح القسطنطينية، ثم أمر ببناء قُبّة على قبر أبي أيوب رضي الله عنه.

وكان فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧ في اليوم الحادي والخمسين من محاصرته لها، وكان يوم الأربعاء لعشرين مضت من جمادي الآخرة وقيل في تاريخ فتحها: بلدة طيّبة، وصلّى المسلمون أول جمعة في أعظم كنائس الدنيا بها وهي «آيا صوفية»[2] ثم بناها السلطان محمد هذا مسجداً. وافتتح غيرها من بلاد الكفر نحو اثنتي عشرة ولاية واستولى على أكثر من مائتي مدينة، ويالغ مؤرخوا العثمانيين فقالوا: هو أعظم سلطان في الدّنيا، وهو أول من جعل القوانينَ لآل عثمان، وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ ليلة الجمعة لخمسٍ مضت من ربيع الأول سنة ٨٨٦ وكانت مدة ملكه إحدى وثلاثين سنة وشهرين وعمره إحدى وخمسين سنة. انتهى ما ترجمه به السيد أحمد دحلان. وصورة ما ذكره الإسحاقي:

ثم تولى السلطان محمد خان بن السلطان مراد في سنة ست وخمسين وثمانمائة وستة وعشرينَ سنة، وكان من أعظم سلاطين آل عثمان وأقواهم إقداماً واجتهاداً وأكثرهم توكلاً على الله، وله غزوات كثيرة من أعظمها فتح القسطنطينية الكبرى، وساق إليها السّفن رخاء تجري براً وبحراً، وحاصرها خمسين يوماً وفتحها في اليوم الحادي والخمسين وهو الرّابع والعشرون من جمادى الآخر سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلّى في أكبر كنائسها صلاة الجمعة وهي «أيا صوفية». وقد عمل بعض الفضلاء، لفتح القسطنطينية تاريخاً وهو «بلدة طيبة» سنة ٨٥٧ وذكَر علماء التاريخ أن

---

(١) أبي أيوب الأنصاري: صاحب رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم.
(٢) آيا صوفيا: كنيسة في القسطنطينية وقد حوّلها محمد الثاني العثماني جامعاً سنة (١٤٥٣م)

مدينة القسطنطينية كمل بناؤها في أربعين سنة وكان اسمها قبل ذلك «البرنسيه» ومات بانيها قسطنطين في منتصف سنة ست وعشرين وستمائة من تاريخ الاسكندرية، وهي مدينة مثلثة الشكل جانباً في البر وجانب في البحر، ولها سور سمكه إحدى وعشرون ذراعاً. والآن صارت القسطنطينية معدن الفخار والعلا ومقر السلطنة الشريفة العثمانية واجتمع فيها أهل الكمالات من كل فن، فعلماؤها الآن أعظم علماء الإسلام، وأهل حِرَفها أدق الفطناء في الأنام، وقد ضُبطت أماكنها زمن المرحوم زكريا أفندي شيخ الإسلام سنة ٩٩٤ فوجد بها من محلات المسلمين ثلاثة آلاف وتسعمائة وثمانون محلاً، ومن الجوامع أربعمائة وثمانية وثمانون جامعاً، ومن المساجد أربعة آلاف وخمسمائة وستة وتسعون مسجداً، ومن مكاتب الأطفال ألف وستمائة وأربعة وخمسون مكتباً، ومن المدارس خمس مائة وخمسة وثمانون مدرسة، ومن التكايا ومن الخانات مائة وخمسة وخمسون خاناً، ومن الزوايا ثمانمائة وستة وثمانون زاوية، ومن الشنمان تسعمائة وخمسة وسبعون شيشمة ـ وهي الصهاريج للشرب بلغة الترك ـ ومن الحنفيات أربعة آلاف وأربعمائة وثمانون حنفية، ومن الأفران ألفاً ومائتان وخمسة وثمانون فرناً، ومن أسواق الأسْبَان تسعمائة وخمسة وثمانون سوقاً، ومن القبانية إثنا عشر ألف قباني، ومن الحمامات ألف حمام، ومن البوظات ثمانمائة وخمسة وثمانون بوظة، ومن القهاوي ألفان وثلاثمائة واثنان وخمسون قهوة، ومن محلات النصارى أربعة آلاف وتسعمائة، ومن محلات اليهود أربعة آلاف وتسعمائة وخمسة وثمانون محلاً، ومن الكنائس مائة وخمسة وأربعون كنيسة، ومن الميخانات أربعة آلاف وخمسمائة وثمانية وخمسون ميخانة وذلك خارج عما تجدّد بعد ذلك من المحلات والجوامع وحمّامات البيوت وغير ذلك. وقد ضبط في مملكة آل عثمان من قضاة القضات[1] ما جملتهم خمسة آلاف وتسعمائة وستون قاضياً، ما هو بقضاء أناضول خمسة آلاف وثلاثمائة، وما هو بقضاء الروملي ثلاثمائة وستون قاضياً، وذلك خارج عن الموالي والد شمانية والملازمين. وقد سمعت من شخص من العسكر بالمنصورة أن بالقسطنطينية الآن من العسكر المنصور ما هو من النشرية أربعون ألفاً ومن الأسباهية ستون ألفاً ومن عُجم أو علان أربعة وعشرون ألفاً ومن للجبجيات ثلاثة عشر ألفاً ومن العربات اثنا عشر ألفاً ومن الطوبوجية سبعة آلاف، وذلك خارج عن الموالي الوزراء والحاشوية والمغتنين والمتفرقة والزعماء والمتقاعدين والصاجقية والنساء والمساجين وأرباب الآلات، وما لهؤلاء من الأتْبَاع والخدم، وما لكل مملكة من ممالك آل عثمان مثل

---

(١) القضوات.

مصر ولبنان واليمن والحجاز والثغور والبنادر والحصارات والشرق والغرب من العساكر والأجناد مما يعجز عنه الوصف، وأخبرت ـ أيضاً ـ انه في يوم جلوس المرحوم السلطان عثمان بن المرحوم السلطان أحمد جرت الترقي للعسكر المنصور فبلغ قدر خزينة مصر سبع مرات فسبحان مالك الملك جل جلاله.

وقد اطّلعنا على بعض تواريخ الدول السابقة والملوك السابقة فيما سمعت فما رأينا مثل دولة بني عثمان ولا أحسن نظاماً منها ولا أحفظ قانوناً منهم ولا سيما إطاعتها للشرع الشريف وتوقيرها أهل العلم وحملة القرآن وإسداء الخيرات للفقراء والمساكين وسكان الحرمين الشريفين ومجاوريهما، على ما سيأتي بيانه فيه قريباً. وكانت مدة السلطان محمد: إحدى وثلاثين سنة، وتوفي سنة ست وثمانين وثمانمئة. انتهى ما حققه الأسحاقي. قلت ما ذكره كان باعتبار وقته وأمّا الآن فقد زاد جميع ما ذكره أضعاف ذلك.

ومن أعظم ملوكهم السلطان سليم[1] بن السلطان بايزيد بن السلطان محمد الفاتح، فسليم صاحب الترجمة هو حفيد محمد الفاتح. وقد ذكر المؤرخون لتولّيه السلطنة حكاية عجيبة، فممن ذَكَر الحكاية الإمام محمد بن علي الشوكاني في تاريخه المُسمّى «البدر الطالع» والأسحاقي في تاريخه، وعِبارة الأسحاقي لفظها: حكاية عجيبة وهي أن السلطان با يزيد حذره مُنَجِّم حاذق من أهل عصره أنّ هلاكه سيكون على يد ولد له بعدما ولد له عدة أولاد فكان التحذير قبل أن يولد له السلطان سليم، فطلب السلطان بايزيد قَابِلَةً كان يعتمد صدقها وكانت من الصالحات الخيّرات وقال لها: إذا وَضَعت جارية من الجواري ذكراً فاقتليه ولا تدعيه حياً وإن ولدت أنثى فاتركيها، وأكّد عليها في ذلك غاية التأكيد، واستمرت على ذلك إلى أن ولد السلطان سليم فتناولته القابلة لتقتله فرأت صورة جميلة فَرَقّ قلبها وقالت في نفسها: بأي وجه ألقى الله تعالى في قتل هذا الطفل المعصوم والله لا أُقْدِم على قتله، وقالت لأبي يزيد: جاءتك بنت جميلة حسنة الصوت، فلمّا أخبر بذلك سمّاها سليمة، واستمر الحال متلوفاً لا يعلمه غير القابلة وأمّه والله تعالى، وكان كلما كبر ظهرت عليه سمة الغَلَبة والتنهر فإذا اجتمعت أخواته البنات وجلسَ بينهن ضَرب ونَهب ما بأيديهن من المآكل وغيرها، وكان يحذرون منه فدخل السلطان بايزيد إلى السرايا في يوم عيد وأمر بأن يُطَيَّب ويُزَيَّن واستدعى ببناته وأجلسهن بين يديه وأمر أن يوضع بين يدي كل واحدة منهن أنواع الحلوَى والفواكه، وبينهن السلطان سليم فَشَرع في عادته وخطف ما بأيديهن من الحلوَى والفواكه ووقع الكل بين يديه فصار لكل خطفات

(١) هو سليم الأول، تاسع سلاطين العُثمانيين (١٥١٢ ـ ١٥٢٠م).

منه، فتعجب السلطان بايزيد وصار يتأمل في ذلك وصار السلطان سليم يضرب البنات فقال السلطان بايزيد للنساء الواقفات: هذا لا يكون أنثى اكشفوا لي عنه، فبادرته القابلة وقالت: نعم هو ذكر وليس أنثى، فقال لها: وكيف خالفت أمري وما تقتليه؟ فقالت: خِفت الله وخلصت ذمتك من قتل هذا الولد المعصوم ولا ذنب له. فتفكر طويلاً ثم قال: ما قدره الله فهو كائن لأمرٍ منه، وأَمَر بتربيته إلى أن كان من أمر الله ما كان. ولمّا استولى على بايزيد مَرَض النّقرس ضعف عن الحركة وترك السفر سنين فبطر العسكر لكثرة راحتهم وطلبوا سلطاناً قوي الحركة كثير الأسفار ليجاهد في سبيل الله ورأوا السلطان سليماً ذا قوّة وشهامة أجلد من سائر أخوانه، وعاين السلطان بايزيد من أركان الدولة والعسكر ميلهم إلى السلطان سليم فأشار عليه وزراؤه أن يفرغ عين السلطنة بقلب سليم لسليم، ويختار المقام في إدارته عزّ ونعظيم، فأبرموا عليه في ذلك فأجابهم إلى سؤالهم وفَرَغ له عن السلطنة، فتوجه إلى «أدرنة» فلمّا وصل إليها انتقل إلى رحمة الله في سنة ثمان عشرة وتسعمائة[1] فكانت مدة سلطنته اثنين وثلاثين سنة، والله سبحانه وتعالى أعلم. انتهت الحكاية.

وقد ترجم له السيّد العلاّمة أحمد دحلان بقوله: مولانا السلطان سليم فاتح مصر[2]، كان مولده سنة ٨٧٢ وجلس على تخت السلطنة ثامن شهر صفر من سنة ثمانية عشر وسبعمائة بعد موت أبيه، ونازعه أخوه أحمد وحاربه فهزمه وقتله خنقاً، ثم أرسلَ خلف أخيه السلطان فرقود الذي كان نائباً عن أبيهم بايزيد حين سار للحج فقتله وقتل أيضاً سبعة عشر كلهم من بيت السلطنة في ليلة واحدة، وكان شجاعاً حازماً قوي البطش سفاكاً فتاكاً، وفتح جملة حصون ومداين كانت للكفار، وسيرته حميدة كان محباً لأهل الحرمين وهو أول من خطب له بالحرمين من آل عثمان وأول من رتب لهم صدقة، واشترى من ماله أرضاً بمصر وجعل محصولها كذلك، وهو أول من اجتمع به أشراف مكة فإنه أرسل إليه الشريف بركات ابنه الشريف اباغي فأنعم عليه وجعله شريكاً لأبيه في الإمارة، وهو أول من أحدث المحمل الرُوْمي وأول من قام بكسوة الكعبة من آل عثمان من مال نفسه، وأول من ملك مصر والحجاز واليمن والشام وجميع أقطار الغرب وكان ذلك تحت يد السلطان الغوري وقصته معه طويلة مذكورة في التواريخ، وكان دخول السلطان سليم مصر يوم الخميس تاسع عشر ذي الحجة سنة ٩٢٢ اثنين وعشرين وتسعمائة، ومكث فيها نحو ثمانية أشهر ورجع إلى

(١) (١٥٢٠م).

(٢) فتح مصر وسورية وهو الذي قضى على دولة المماليك في موقعه مرج دابق سنة (١٥١٦ ـ م).

الروم وطَلَع له دُمَّل في ظهره واتسع حرجه به حتى توفي بسببه رحمه الله تعالى، وكانت وفاته تاسع شوال سنة ٩٢٤ ليلة السبت فأخفى موته حتى حضر ابنه سليمان[١] وكان غائباً، وكانت مدة السلطان سليم ثمان سنين ونحواً من ثمانية أشهر وبلغ من العمر أربعاً وخمسين عاماً، وكان يعرف اللغة العربية وكان أديباً له شعر حسن يدل على أدبه رحمه الله تعالى. انتهى ما ترجمه به السيد أحمد دحلان.

أحداث عام ١٢٩٤هـ:

وفي شهر رمضان من عام أربع وتسعين بعد المائتين غزت قبيلة الجَرابح[٢] على قبيلة بني البُرَّه[٣] بالمغلاف، فَقُتل من الجرابح نحو سبعين قتيلاً فيهم السيد قاسم شيبة، وسُمِّيت هذه الوقعة بالكريدية باسم البقعة التي جَرت فيها الواقعة[٤]، فتحزب حينئذٍ أهل المخلاف صلَيل ومَنْ والاها وهمّوا بالمسير إلى الجرابح وإلى مدينة الضَحِي لنهب الأموال، فاستغاثت الجرابح بقائمقام باجل واسمه «خلف» ليقوم معهم إلى قائمقام الزيدية ويمنعوا جميعاً أهل المخلاف من تعديهم. فَبلغ ذلك السيد العلامة محمد بن يحيى الأهدل، فبادر بالتوجه لمنعهم من مقصدهم المذكور، ولمّا وصل إلى المعروفية[٥] ووجد كثيراً فمنعهم عن السير، ولم يكن عنده علم بقائمقام باجل والزيدية بأنهم في الضحي، وكان معه في ذلك المسير شيخ الحشابرة علي بن أحمد الحُشَيْبري[٦] وشيخ صليل سعيد أدبع لمعونته، فركب المذكوران من الضحي ولمّا شَرُفا على المعروفية رءاهم بعض ذلك الجمع فأرادوا قصدهم بالحرب، فسمع بذلك الشيخ علي بن أحمد والشيخ سعيد أَدْبَع فركبوا دوابهم وخرجوا لمنعهم، ولمّا رءاهم «خَلف» عيَّر قائمقام بأن هؤلاء مشائخ بلدك خرجوا لقتالنا ولم يحترموك، فحينئذٍ أطلقوا عليهم البنادق فَقُتل سعيد أدبع، ولمّا قُتل رجعوا إلى الضحي وفرّق جمع المخلاف. فبعد ذلك انتشر الخوف وعم سائر البلاد فتحرك عثمان باشا من الحُديدة بالعسكر والمدافع ومعهم الموسيقا فوصل إلى الضحي ومنها خرج إلى الزَيدية واستقر بها وطلب جميع مشائخ البلاد فوصلوا إليْه كلهم حتى مشائخ

---

(١) سليمان الأول القانوني. هو عاشر السلاطين العثمانيين (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م)، لقبه الأتراك بالقانوني والإفرنج بالعظيم. وقد بلغت الامبراطورية في عهده أوج سيطرتها.

(٢) الجرابح: بطن من قبائل عك، ديارهم في مديرية الضَحي بوادي سُردُد.

(٣) بني البُرَّة: من قبائل صلَيل في بلدة المغلاف الواقعة في شرقي مدينة الزيدية بمسافة (٢٢) كيلاً.

(٤) الكريدية: من قرى بني البرة، بمديرية المغلاف. تقع على مقبرة من محل الزبح.

(٥) المعروفية: بلدة كبيرة في وادي سردد عِدادها من مديرية الزيدية.

(٦) الحشابرة: من قبائل صليل يسكنون على شط سردد.

والسيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل صاحب المنيرة والسيّد الواعظات، وطلب السيّد العلاّمة محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل صاحب المراوعة وقال للمشائخ بحضرة السّادة - إمّا قبلتم صلح السّادة بينكم وإلاّ فهذه المدافع حاضرة، فسارعوا إلى قبول الصلح خوفاً منه، فجرى الصلح بينهم على أيدي السادة وتبدّل الخوف بالأمن، ثم طلب من الناس أموالاً جزيلة سمّاها بالجزاء وأخذ من كل شخص ريالاً، فمن أطاع سَلِمَ ومن عصَى ربطه في المدافع في الشمس حتى يُسَلِّم.

أحداث عام ١٢٩٥هـ:

وفي عام خمسة وتسعين أنزل الله أمطاراً عظيمة صلحت بها زراعة الخريف. ومن كثرة الأمطار ظهر النّامس[1] وكثر كثرةً عظيمة حتى شَهُر العام بعام النّامِس، ومَنَع الناس طِيْب المنام، وكَثُرت بهم الجراحات بسببه.

أحداث عام ١٢٩٦هـ:

وفي عام ستة وتسعين خُلع ملك مصر إسماعيل باشا بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا وتولّى ابنه محمد توفيق باشا، وفي مدته وقعت فتنة أحمد عرابـي ومحمد أحمد، وقد ذَكَر السيّد العلاّمة أحمد بن زيد دحلان مفتي مكة المكرمة في تاريخه المُسمّى بـ «تاريخ الدول الإسلامية» طرفاً من سيرتهم فقال في معرض ترجمة محمّد توفيق هذا: وفي زمنه حصلت فتنة أحمد عُرابـي لأنه اتفق مع كثير من رؤساء العساكر على عزل رياض باشا من رئاسة الوزارة وكان ذلك في منتصف من شوّال سنة تسعة وتسعين ولم يزل الأمر في اتساع إلى ابتداء شهر جماد الثّانية من سنة تسعة وتسعين فحضر في ميناء الاسكندرية كثير من الوابورات الحربيّة التي للانكليز والفرنسيس ووابورات لغيرهم أيضاً لإعانة توفيق باشا ومنع عرابـي باشا ومن معه من التغلّب ومن التجهيزات التي شرع فيها، وبقي الأمر كذلك حتى انتشب الحرب بين عرابـي وعساكر الإنكليز وانتهت بدخول أولئك العساكر مصر، وعوقب عرابـي وبعض من معه بعقوبات مختلفة الأنواع.

ومن الحوادث الغريبة التي وقعت سنة ستة وتسعين أنه ظهر رجل ببلاد السودان التي هي تحت حكم صاحب مصر يُقال له محمد أحمد، اشتهر عند كثير من النّاس أنّه المهدي وتبعه خلق كثير، ووقعَ بينه وبين العساكر المصريّة التي في تلك الأطراف قتال ووقائع كثيرة.

وفيه كفّت الشمس وغاب جميع قرصها وظهرت النجوم، وطال الكسوف من

(١) البعوض.

بعد شروق الشمس إلى قرب الظهر ثم انجلت. وفيه وقع بالناس جدري عظيم مات به خلق كثير.

أحداث عام ١٢٩٧هـ:

وفي عام سبعة وتسعين توفي السيّد العلاّمة شيخ الإسلام مفتي المراوعة بل اليمن بأسره محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل، والسيّد العلامة الولي الشهير أبو القاسم بن يحيى بن أبي القاسم الأهدل، رحمهما الله.

وفيه وصل محمد بك المشهور بكمندار من صنعاء لتصليح هذه الجهة، وعسكر بالقناوص ثم طلب مشائخ المخلاف وحبس منهم سبعة نفر، وفي شهر رمضان قتل منهم عيسى بن عبد الله كُلفُود(١) خنقاً وأشاع أنه في كل يوم سيفطر بواحد من السبعة، معنى أنه كل ليلة سيخنق واحداً، ففزعت عشائرهم إلى السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل صاحب المُنيرة ليستنقذهم من يده بالشفاعة، فوصل إليه السيّد وشفع إليه بأن ينقلهم إلى حبس الزّبيدية، وكان لا يقبل شفاعة شافع ولمّا وصل إليه السيّد أكرمه وشفعه فيهم وأمر بنقلهم إلى الزّبيدية، وسلّمهم الله من شرّه ببركته، وألقى الله الرّعب في قلوب النّاس منه والهَيْبة فتركوا المُظَالَمة لا خشيةً من الله بل خوفاً منه وانتشر الأمن في البلاد من وادي مَوْر إلى وادي زَبيد وما بينهما، وكان إذا رُفعت إليه شكية يأخذ أمراً بالعزم بمجرد الشكاية فلم يَعتدِ بعد ذلك أحد على أحد. ومما وقع عنده: أنه شكى رجل بآخر أنّ له عنده ناقة فأمره بتسليمها إليه فقال له: ناقته عندي ولكن لي عنده ناقتان، فأمر غريمه بتسليم النّاقتين إليه بدون طلب شهادة منهما فخرجا من عنده واصطلحا. وكان لا يستشير أحد ولا يقبل كلام أحد سِوَى الشيخ علي بن أحمد الحُشَيْبري فإنه حظي عنده وكان له لديه كلمة.

أحداث عام ١٢٩٨هـ:

وفي عام ثمانية وتسعين خطر بباله أن يغزو قبيلة بني مروان(٢) وبينه وبينهما مسافة ثلاثة أيام تقريباً، وهي قبيلة خارجة عن طاعة الدولة ومساكنهم كائنة بين أشجار مُلْتَفّة تُسَمَّى الشِعَاب(٣)، فغزاهم بثلاثمائة نفر من الترك وثلة من العرب، ولم يستعد من المدافع شيئاً فأحاطوا بالعسكر وقتلوهم عن آخرهم وما نجّى منهم إلا

---

(١) عيسى بن عبد الله كلفود: من مشائخ قبائل صليل.

(٢) بني مروان: من قبائل مديرية حَرَض في تهامة الشمالية، يرجعون إلى بني مالك بن شهر

(٣) الشعاب: مركز إداري من مديرية حَرَض. أهم قراه: المراميد، القائم، العدير بني هلال، بني راشد الدشوش، المعترض الأسفل، الشجن، حصن الفلفل.

القليل وهرب محمد بك على فرس له وما نجى من الشعاب - وهي اسم الأشجار المذكورة - إلاّ وقد مزقت ثيابه، ونجى برأسه، فطلبته الدّولة إلى صنعاء وحُبِس حتى مات مسجوناً عقوبة له بسبب أنه أساء التدبير في الغزو بالعسكر هذه المسافة الطويلة مع قِلّتهم وقِلّة الزّاد والسلاح.

وفيه سلّط الله النيران على مدينة الزبيدّية فكانت تظهر كل يوم أكثر من عشر مرّات من مواضع مختلفة، وطال ذلك نحو شهر حتى أهل المدينة خرجوا إلى البرية وتركوا بيوتهم بأطفالهم وأثاثهم وأقاموا بها ليلاً ونهاراً مدّة ظهور النيران، وكان - في تلك الأيام - بالزّيدية شخص اسمه سليمان ماغيناش متولياً مع الدولة متستراً بالإسلام وهو يهودي فظهر حاله وأسلم واختتن، فاتُهم بأنه هو الذي يُحَرّق بشيء في يده يشبه المرآة إذا قُوبِل به للشمس أحرق ما قُدّامَهُ ولو مع البُعد، فأنكر ذلك وقال: أنا أُتهم بهذا الأمر وليس هو مني وإنما الشمس في منزلة ناريةٍ، وكان يَدّعي معرفة الحساب وكانت الأيام شديدة الحر، الله أعلم بالحقيقة.

أحداث عام ١٢٩٩هـ:

وفي شهر شوال من عام تسعة وتسعين ظهر نجم من ذوات الأذناب من جهة الشرق أول الفجر، وكان ذيله مرتفعاً إلى علو ما زال يتقدم طلوعه كل ليلة ونوره يتزايد نحو ستة أشهر إلى أن كان يطلع وقت العشاء وقد ضعف نوره وتأخر إلى أن استتر بالنهار.

وفيه وصل جميل باشا إلى الزّيدية وضاعف زكاة زراعة الخريف على الناس، وسَبب ذلك أنهم خرجوا مُخَمّنين للزراعة وكانت ضعيفة من قلة الأمطار ثم بعد التخمين أنزل الله أمطاراً نافعة عامة صلحت بها الزراعة فضاعف المكتب عليهم.

وفيه وقعت مقتلة عظيمة من قبيلة القحرَى[1] أكثر من مائة قتيل على يد الجرابح، وقد ذكر البدر الأهدل في «تحفة الزمن» أنه في عام إحدى وأربعين بعد ثمانمائة قُتل من الجرابح على يد القحرى أكثر من مائة قتيل انتهى فالحرب سجال.

أحداث عام ١٣٠٠هـ:

وفي شهر ذي الحجة الحرام من عام ثلاثمائة بعد الألف ظهرت حمرة عظيمة ومكثت مدة طويلة، تظهر بعد الغروب وتَبقَى إلى ثلث الليل الأول، وتظهر بعد طلوع الفجر وتبقى إلى أن يتضح النهار. وأصفرّت الشمس في أول طلوع الحمرة نحو ثمانية أيام، وقلّ ضوئها، وضعف حرّها.

---

(١) القحرا: بضم فسكون ففتح، قبيلة تسكن مديرية باجل.

أحداث عام ١٣٠١هـ:

وفي عام واحد بعد ثلاثمائة وقع قتال بين الترك الذي بحجة(١) ورئيسهم رفيق باشا وبين أهل الظَفير(٢) وكانت الغلبة لرفيق باشا، ثم نزل إلى الزيدية بعد انقضاء الحرب وبرفقته عبد الله بوني باشا، وذلك أول نزول البوني إلى الزيدية وتنبه بالأمر على أهل تهامة.

وفيه نزل شخص في بير تُسمّى الأُصيلية - بضم الهمزة - على التصغير - بمدينة الزيدية ليصلحها فثارت منها حرارة أنضغط منها فمات فوراً، ثم نزل آخر ليخرجه منها فضغطته الحرارة فمات فوراً، ثم نزل ثالث فَسَلِم وأخرجهما.

أحداث عام ١٣٠٢هـ:

وفي عام اثنين بعد ثلاثمائة أنزل الله أمطاراً كثيرة بجهة مدينة الزيدية وصلحت زراعتها فقط، وسائر البلاد الطين والضّاحي خالية من الزراعة، فرحل إليها الناس من كل جانب وأنزل الله بركة عظيمة في المزارع عاش أهلها وغيرهم وابتغوا كلهم من فضل الله. ولكثرة الأمطار التي وقعت بها في هذا العام جَرى على السنة الناس تسميتها خيسة.

وفي آخر هذا العام عمّت الأمطار وكثر سيل الوادي سُرْدُد، وقد نَبت «الفَتّ» الكثير في الصيف وهو الزرع الذي ينبت بدون استنبات من السنابل المتساقط من زرع العام الماضي. وصلحت ثمرة الوادي والضّاحي وبعض الناس اكتفوا بوجود الفَتّ وحصلت لهم منه ثمرةً نافعة.

وفيه نزل أحمد فيضي والياً بصنعاء(٣)، ومات الرجل الصالح قاسم بن محمد حجري من قرحة بحلقة، نسأل الله العافية.

وفيه وقعت قضية شنيعة على السادة المهادلة بسوق القَنَاوِص وهي أن السيّد يحيى بن أبكر مكعدل كان قد وقعت بينه وبين بعض صلَيل ضغائن بسبب الرئاسة فحينئذٍ تواطئوا على أن يقتلوه إذا حضر السوق، فأمهلوه حتى إذا حضر في بيت وعنده أولاده وبنو عمه وأحاطوا بهم من كل جانب وأثاروا الحرب عليهم، فقتل

---

(١) حجّة: مدينة جبيلة مشهورة تبعد عن صنعاء - شمالاً بغرب - بمسافة (١٢٧) كيلاً.

(٢) الظّفير: بلدة في قمة جبل شمال مدينة حجة بمسافة نحو (١٥) كيلاً.

(٣) أحمد فيضي باشا: من ولاة العثمانيين الأتراك في اليمن. وكان هذا أول قدمة بمسؤوليه الوالي، وقد استمر حتى عام (١٣٠٤هـ) ثم عزل مرة أخرى ليتولى ما بين عامي (١٣٠٩ - ١٣١٥هـ) ثم عزل وعاد للمرة الثالثة لتستمر ولايته ما بين عامي (١٣٢٣ - ١٣٢٦هـ)

السيد يحيى من أبكر وسبعة من أولاده وبني عمه وأضرموا عليهم النار بعد القتل حتى صاروا فحماً لم يُعرفوا، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العليم العظيم.

وفيه في السابع والعشرين من شهر رمضان وقعت نار بمدينة الزيدية اشتهرت بنار البعيش لكونها خرجت من بيت شخص اسمه كذلك، وبيته غربي المدينة فأحرقت جميع دورها من شرقها إلى غربها إلا القليل.

أحداث عام ١٣٠٣هـ:

وفي عام ثلاثة بعد ثلاثمائة وفي شهر محرم الحرام وقع تساقط كثير في النجوم في ليلة واحدة، ودام من أول الليل إلى الفجر.

وفيه وقعت فتنة بين قبيلة صليل وقبيلة العطاوية[١] منشؤها أن جماعة من العطاوية عَدت على شخص من بني الجبيلي مِن قبيلة صليل يَرْعى غنماً فقتلوه وأخذوا غنمه، فقامت صليل بالقتال للعطاوية وقُتل من كل من القبيلتين سبعة عشر قتيلاً، ثم عادوا صليل على القتال ثانياً وثالثاً فترفعت العطاوية إلى قرب الجبال ووقعت صليل في النهب، فنَهبت جملة من قُرَى العطاوية وأحرقتها منها قرية بني الربيدي[٢] وقرية بني الحلة[٣] وأخرجت مدافن طعام ونُهِبَ حسين ربيدي دراهم كثيرة، فوصل إليهم أحمد باشا الذي يُقال له «أبو فاتحة» ويقال له «أبو مسبحة» لملازمته دائماً للمسبحة وجنوحه كثيراً إلى الإصلاح وقراءته الفاتحة عقبه، فَشَهُر بذلك، ثم أجمعهم في بيت عطا[٤] وحاول الإصلاح بينهم فلم يصطلحوا، ثم السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل فلم يصطلحوا أيضاً، ومنعت العطاوية من قبول الصلح ومكثوا في المحل الّذي شُرّدوا إليه حتى أنزل الله أمطاراً عظيمة ببلدهم وقد أضرت بهم الشّدة وألجأهم ذلك إلى الرجوع إلى بلدهم لزراعتها، وكان ذلك سيد الصلح بينهم وبين صليل.

وفيه عُزل أحمد بك من قائمقامية الزّيدية وتولّى بدله شاهين بك.

وفيه توفي محمد أفندي بالسُّم ودُفن، فأُتهِم بذلك شاهين بك، فَرُفعت الأخبار بذلك إلى الحديدة فأرسلوا حَكَماً، فأخرجوه من القبر بعد ثلاثة أيّام ووجدوا به السُّم.

---

(١) تسكن القبيلتان في مديرية الزيدية.

(٢) يقال لها: دير الربيدي، بجوار دير جلالة من مديرية الزيدية.

(٣) الحلة: هي من قرى الحشابرة، بمديرية الزيدية.

(٤) بيت عطا: من قرى العطاوية، بمديرية الزيدية. تقع بالقرب من الحلة وجنوب قرية المهدلي.

أحداث عام ١٣٠٤هـ:

وفي عام أربعة بعد ثلاثمائة وقعت شدة وغلاء عظيم وارتفعت الأسعار وعدم الطّعام، وكان غالب أكل النّاس من البر والأرز، وجرى على الألسنة تسمية ذلك العام بـ (مِتور) بميم وواو مكسورتين بينهما فوقية ساكنة وآخره راء، ومكث ذلك بالنّاس ثلاثة أشهر.

وصلحت في هذا العام زراعة الوادي والطّين فارتفع الغلاء واضمحلّت الشدة والحمد لله.

وفيه وقعت فتنة عظيمة بين أهل المخلاف وقبيلة الجرابح وهي المُسَمَّاة بالحدية لوقوعها يوم الأحد، منشؤوها أن شخصاً من بني البُزة سَرَى بالليل إلى بلدة الجرابح[1] ليسرق ما وجده فأدركه ناس من الجرابح فقتلوه، فعظم على قبيلته قتله مع ما قد سبق بينهم من أمور يطول شرحها فخرجوا لقتال الجرابح وخرج معهم بنو محمد[2] والمصاعلة[3] ومن والاهم وساروا يوم الثلوث بجيش عظيم والتقوا في محل يُسمّى الشِعْبَة من بلاد الجرابح[4] فهزم بنو البُزه هزيمة فاضحة وقتل منهم نحو المائة، وقُتل من الجرابح واحد فأخذتهم الحميّة وحضروا سُوق القَنَاوِص وأعلنوا بالصّايح: أنّ كل حازب للسّلاح يحضر يوم الأحد لقتال الجرابح، فما تخلّف أحد من البحر إلى الجبل وساروا - بعد الوقعة الأولى بخمسة أيام - بجيش كالسّيل أكثرهم يقصد نهب الضحي وفيها علماء وضعفاء، فالتقى الجَمْعان في محل يُسمّى راك العُمَريَّة شرقي مدينة الضّحِي، وهُزم أهل المخلاف هزيمة أشد من الأولى، وقُتل منهم نحو المائتين وعَمّت النوادب من كل قرية.

أحداث عام ١٣٠٥هـ:

وفي عام خمسة بعد ثلاثمائة وقع رخاء عظيم في الأسعار، فالحمد لله.

أحداث عام ١٣٠٦هـ:

وفي عام ستة بعد ثلاثمائة تخلّف الوادي سُردد عن مجاريه الأصلية وتفرّق في مواضع فنزل جانب منه قِبلي مدينة الزّيدية، ملأ تلك الساحات في ليلة النصف من شعبان وقد عَلَت الماء غَبَرة شديدة، وجَانِب منه نزل بجهة قرية العجلانية من بلاد

---

(١) الجرابح: قبيلة تسكن مديرية الضحي.

(٢) بنو محمد: فخيذة من الحشابرة بمديرية المغلاف.

(٣) المصاعلة: من قبائل مديرية الضحي.

(٤) الشعبة: قرية بمنطقة الجرابح السفلى من مديرية الضحي.

الحشابرة وما والاها وبمحل يُسمَّى الرّجع[1] وجاء بالأشجار التي تنبت بأرض الوادي كالأثل والأراك فنبتت في محل تخلفه وبلغَ سيله إلى البحر، ومدة تخلفه سبع سنين فكثر الخير في أرض الضواحي وصلحت زراعتها حتى أنّ الدولة تركت التخمين بعدها وكانوا يجعلون عليها الزّكاة.

وفيه وصل السيّد جيلان بن المساوَى من الأُستانة بما وقع له من الإكرام من الدّولة، وتمام سيرته مذكورة في ترجمته من الفصل الأول من هذا المجموع.

وفيه كثر سيل الوادي مَوْر ووصل إلى البحر، ومكث الماء في السَّبَخَة - حول النُّحيّة من الجهة الشرقية - مدةً طويلة حتى اكتسبت السّبخة من طين الوادي وزرع فيها ونَبَت فيها الأراك والأثل، وتوخّم البندر بمكث الماء حوله فوقع بأهله وباء عظيم وإسهال ذريع مات به أكثرهم تغلقت منه بيوت.

أحداث عام ١٣٠٧هـ:

وفي عام سبعة بعد ثلاثمائة مات جماعة بالزّيدية من أهل العلم والفضل من الأشراف القديميين وغيرهم، فانخرطوا في ذلك السّلك - في عام واحد - كانخراط السّبحة، كالسيّد العلاّمة أحمد بن محمد الزوّاك والسيّد العلاّمة عبد الله بن حسين الزوّاك والسيّد العلاّمة إبراهيم بن عبد الله القُديمي والسيّد العلاّمة قاسم بن عبد الرحمٰن الأهدل والسيّد العلاّمة الفاضل عبد القادر بن علي عجلان وغيرهم، وقد مضى ذكرهم مترجمين في الفصل الأول من هذا المجموع.

وفيه غزا محمد عارف أهل الشّاهِل[2] بعد أن طلب منهم شيئاً كثيراً من النقود فامتنعوا فقتل جماعة من الطرفين فيهم محمد عارف.

أحداث عام ١٣٠٨هـ:

وفي عام ثمانية بعد ثلاثمائة انفتح الحرب بين الإمام محمّد بن يحيى بن حميد الدين[3] إمام شهارة[4] وبين الدولة العثمانية، فجهّزت الدولة عليه من العدة والعدد

---

(١) العجلانية والرجع: قريتان من أعمال مديرية الزيدية.

(٢) الشّاهل: جبل في بلاد الشّرف، يقع بالشمال الغربي من مدينة حجة بمسافة (٣٧) كيلاً.

(٣) الإمام محمد بن يحيى حميد الدين: دعوته سنة (١٣٠٧هـ) ووفاته (١٣٢٢هـ). وعن تاريخه انظر كتاب «سيرة الإمام محمد بن يحيى حميد الدين» تأليف القاضي علي بن عبد الله الأرياني والمطبوع بتحقيق الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحية، الصادر في مجلدين عن مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٩٩٦م).

(٤) شهارة: مدينة مشهورة في بلاد الأهنوم شمالي مدينة حجة، وكانت مركز دولته.

ما لا يُحصى، وكان رأس الجيش حسن أديب، فحصلت مقتلة عظيمة من الطرفين وهلكت أموال جسيمة يطول شرحها، وجاءت طريق الوالي حسن أديب من الحديدة إلى الزيدية فعَزل القاضي بها ـ حينئذٍ ـ إبراهيم سليم لمقتضى اقتضى عزله وولى القاضي علي بن حسن النعْمي، ثم طلع إلى حجّة ورتب أمورها ورجع إلى الزيدية وسافر منها إلى الحُديدة ثم طلع إلى صنعاء ورتب الطريق وقوّى المعاقل بالعِدّة والعدد من مَناخَة[1] إلى صنعاء في مسافات متقاربة بحيث أن البوق إذا ضرب من مناخة سمعه من يليه إلى صنعاء متواصلاً كالسلك، فوصل إلى صنعاء واستنقذها من يد الإمام وهو مُحَاصِر لها، فملأها بالجُند والأسلحة والجبخانة، ولمّا تقررت أمورها رجع إلى الاستانة فوصل أحمد فيضى كرّة أخرى والياً بصنعاء وذلك في عام تسعة وثلاثمائة.

أحداث عام ١٣٠٩هـ:

. . وحينئذٍ أرسل حضرة السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد السيّد العلاّمة محمد الحريري الرّفاعي الحموي[2] من حماة الشام مناصحاً للإمام السيّد العلاّمة محمد بن يحيى بن حميد الدين في الرجوع عمّا هو عليه، فوصل الحريري إلى صنعاء في شهر ربيع الأول منها وطلب الإمام للوصول إليه فلم يساعد خشية من وقوع محذور، وأرسل أحمد بن يحيى الرّدَمي نائباً عنه[3] فجرى الخطاب الشفاهي بينهما وحرّر الرفاعي في ربيع الثاني إلى الإمام كتاباً يتضمن النصيحة، صورته[4]:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم، والحمدُ لله وحدَه، وصلاة الله على مَنْ لا نبيّ بعدَه، وسلامُ الله وبركاته على أهلِ البيت الكرام وأتباعهم ومُحبيهم على الدّوامَ، أما بعد:

فالتحيةُ الزكيّةُ والتسليماتُ العطريةُ، تُهدىٰ لحضرةِ السيّدِ الشريفِ، والعالمِ العَلَمِ الغِطْرِيف، بقيةِ السلفِ، وبَرَكَةِ الخلفِ، المتحلي بالفضلِ والكمالِ، كريمِ السجَايا والخصالِ، سليلِ السادةِ الأماجدِ المُكرّمين السيدِ الفاضلِ محمد بنِ يحيى

---

(١) مناخة: بفتحات، مدينة في رأس جبل حَراز، غربي مدينة صنعاء بمسافة (١٢٠) كيلاً.

(٢) هو شيخ الزاوية الحريرية في حماة والمتوفي سنة (١٣١٦هـ). وقد سبقت ترجمته في هذا المجموع.

(٣) أحمد يحيى الردمي: تولى للأتراك القضاة في أماكن عديدة آخرها في همدان صنعاء، وكانت وفاته سنة (١٣٢٠هـ). انظر: نزهة النظر ص (١٦٤)، وسيرة الإمام محمد بن يحيى حميد الدين (١/ ٣٦٥). ومعجم البلدان.

(٤) انظر أئمة اليمن (١/ ٥٢). وكتاب الدر المنثور في سيرة الإمام المنصور (١/ ٣٧١).

أخبرُكم - أخبركُم الله بالخير - أن جدّكم حميدِ الدين، كان الله لنا وله وللمسلمين، عليه الصلاةُ والسلام قال: «الحكمةُ ضالةُ المؤمنِ أينما وجدها التقطها»، وأنتم أهلُ الحكمةِ إنْ شاء اللهُ. فكيف فاتكم شرفُها، وقد علمتُمْ أنَّ الزمان ما سمح لأسلافكم العظام، من الدنيا بحرام، كيف والأحاديثُ كثيرةٌ بأنَّ الدنيا تبقى لمحمدٍ وآله، وقدْ قال عليه الصَّلاة والسَّلامُ: «اللهمَّ اجعلْ رزقَ آلِ محمدٍ كفافاً، وقوتهم عفافاً»، إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة، وأن مذاهبَ الأئمةِ على اختلافها قائلةٌ بوجوب جمع الكلمة، وعدمِ التفرقةِ. وقدْ قالَ النبيُّ ﷺ:

عليكُم بالسوادِ الأعظمِ الحديث. وصَرَّح بهذا النصّ النبوي «بأنه من شذَّ شذَّ في النار» وهل السوادُ الأعظمُ إلاّ جماعةُ المسلمين، وطوائفُ الموحّدين منَ العربِ والعجمِ، المجتمعين تحتَ لواء الخليفةِ الأعظمِ، ظلّ اللهِ في العالمِ، الصالحِ المباركِ التقيّ، والملكِ المؤيدِ الرضي، سلطانِ المسلمين وابنِ سلطانِ المسلمين، مولانا السلطانِ الغازي عبدِ الحميد خان. أيّدَ اللهُ مُلْكَهُ إلى انتهاءِ الدورانِ.

وإنك تعلمُ أيّها السيدُ أنَّ الإمامةَ التي تطلبُها الآنَ، نَزَل عنها حضرةُ سيِّدنا الإمامِ الحسنِ، رضوانُ اللهِ وسلامُه عليه، واستعوضَ عنها غرَفَ الجِنانِ، وما طَلَبهاأحدٌ من أهلِ البيتِ الكرامِ إلاّ وأصبحَ دونَها قتيلاً، وما بَلَغَ المَرَامَ، وقد توطَّنَتْ أحكام الخلافةَ المَرْضيةِ في العائلةِ الطاهرةِ العبّاسيّةِ زَمَناً من الأزمان، فصَدَمها القَدَرُ بانطماسِ شأنِها، وانقضاءِ زمانِها. وآلَ أمرُ الخلافةِ الشرعيةِ بإجماعِ المسلمين، واتّفاقِ المؤمنين، إلى الملكِ الغازي المجاهدِ، مشيِّد بُنْيانِ الشرعِ والقُرْقانِ، هادمِ أركانِ الكفرِ بكلّ مكان، مولانا المرحوم السلطانِ الغازي سليم خان، عليه الرحمةُ والرضوان، وسليل هذا العقد الفريدِ الذي لا يجحد، إلى الخلفاء العثمانيين يداً بعد يد، مِنْ خليفةٍ إلى خليفةٍ مؤيّد، إلى أن انتهى بالعزِّ والإقبال والمجدِ والإجلالِ بالعقد الصَّحيح، والإجماعِ الصَّريحِ، إلى سيدِنا ومولانا خليفةِ الإسلام، مؤيِّد شريعةِ المصطفى عليه أفضلُ الصلاةِ والسلامُ، أعني به إمامَنا الغازي المنصورَ عبدَ الحميدِ خان ابنَ السلطانِ الغازي عبد المجيد خان. الذي سبقَ ذكرُ اسمِهِ الجليلِ، لا زَالَ للإسلام ظلاً ظليلاً آمين.

وها هو بحمدِ اللهِ تعالى حافظٌ بالجنودِ المنصورةِ، بلادَ المسلمين، حارسٌ بالأعمالِ المَبْرُورةِ، بيتَ اللهِ الحرامَ، ومسجدَ سيِّد المُرْسلين عليه، وعلى آلِهِ أفضلُ الصلاةِ والسلامِ، معزٌّ للسادةِ الأشرافِ، حافلٌ مجلسُه بالعلماء العاملين، العالمين بأحكام الخلاف، مواظِبٌ على الفروضِ والسننِ، متمسكٌ بما جاء به جدُّه الحسن، انتشرت خيراتُه وعمَّتْ مَبرّاتُه، وإنَّ اللسانَ واللهُ قاصرٌ عن أداءِ حقوقِ الثّناءِ عليه،

قاصرٌ عن إيضاحِ ما أحسن الله به في الأخلاق المحمدية إليه، فطاعته مفروضة، وخدمتُهُ مشروعةٌ، ومحبّتُهُ لله ولرسوله واجبةٌ، والخروجُ عليه بغيٌ وعدوانٌ. وقد بلغهُ عنكَ: أنك تُكَفِّر المسلمين، وتحرّضُ القوم على قتالهم، ورأى من كُتُبِكَ خمسة رسائلَ أرسلت بها بخطّك وختمك إلى أكثر القبائل، وبها تقيمُ على كفرِ الترك دلائلَ، حتى نشزتَ نارَ الحرب بين المسلمين، وشققْتَ العصا في زمانٍ يجبُ فيه الكفُّ عن هذا، فإنما تشفي بها صدورَ الكافرين. فأوجب ذلك غضبَ السلطان المعظم عليك، وجهّز العسكرَ لجهادِ العسكرِ المجتمعة لديك، وأقسم: إنهُ لا بدَّ إنْ لم تقِفْ عندَ حدِّكَ، قتلَكَ ومَنْ اتبعكَ بسيفِ جنْدِه، على أنك جئت بأمرٍ يهدمُ من الدين الأركانَ، وهيَّجْتَ بسببك أهلَ الفسادِ والطغيان. ولما كان أمدَّهُ الله بحياته ونصرِهِ، حريصاً على حفظِ دماءِ المسلمين، تأخذُهُ الرِّقّةُ والشفقةُ على الموحّدين. أحبَّ نُصْحَكَ قبل أنْ يقعَ بك الرّدى، فانتخَبَني من حماة الشام، وأرسلَني لنُصحك مأموراً مخصوصاً موجزاً بالكلام، على أنها تجمعُني وإيّاكَ الأعراقُ الهاشميةُ والحميّةُ العربيّة. وقد أتيتُ اليمنَ من أوطاني امتثالاً لأمرِه الكريمِ الواجبِ الامتثال، مُتكِلاً على الكريمِ المتعالِ، فبادرتُ بهذا الكتابِ لحضرتِكُمْ مع المذاكرة مع جنابِ أخيك الفاضلِ أحمد بن يحيى الردمي، ولم يكنْ ذلك إلاّ إنذاراً وتفهيماً لا إرشاداً وتعليماً، فإنَّ فضلَكُمْ معلومٌ، لكنَّ الأقدارَ إذا تقدَّرتْ، قدَّمتْ وأخَّرتْ. فإنْ تكنْ أيُّها السيدُ تجمعُ وتجيبُ، فلكَ مِنْ عَواطِفِ السلطانِ أوفرُ نصيبٍ، حُرْمَتُكَ محفوظةٌ، ومنزلتك مصونةٌ، وشأنُك مزيدٌ، ومقامُكَ جليلٌ. والله على ما أقولُ لك وكيل. وإذا أبيتَ فلا تلومَنَّ غيرَ نفسِكَ، وإني راغبٌ للاجتماعِ بكَ لبعضِ أمورٍ لا يسوغُ تصدُّرُها، قدْ بلغْتُ بعضَها مُشافِهاً لحامل هذا التحريرِ، فإنْ أحبَبْتَ أتيناه، وعلى اللهِ العسيرُ يسيرٌ. وإن كنتَ لا تشتهي ذلك، فاكتب جواباً بالسَّمع والطاعةِ لحضرةِ سلطانِ المسلمين، متضمناً الكلامَ الشفاهيَّ الذي أُوْدِعَ عندَ حاملِ هذا، وأن أقومُ - إنْ شاءَ اللّهُ - بخدمتِكُم فيه لدى الحضرة السلطانية طِبْقَ المرغوب، وأشعرُ بما يُسَرُّ بهِ أبو البتولِ التقيةِ، وقدْ عَرفتُمْ المقصودَ، وكفى ما وقعَ مِنْ قتلٍ وقتالٍ، وضيعِ أنفسٍ وأموالٍ. ولعمري، إنّ العربَ لا تقدِرُ على قتالِ الدولةِ العليّةِ بحالٍ من الأحوال، بل جرّوا إلى نفوسِهم آثارَ الدَّمارِ والنَّكال، وهذه جنودُ الدَّولةِ العليّةِ، قد وَرَدَتْ على اليمنِ كالرِّمال، والباغي عليه من اللّهِ الوَبَال، فليتّقوا الله في أنفسِهم إنْ كانوا مؤمنين، وليحقِنُوا دماء اخوانهم المسلمين، ولينقادوا لطاعةِ الله ورسولِهِ بانقيادِهم لطاعةِ مولانا أمير المؤمنين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين، والعاقبة للمتّقين، والحمدُ للّهِ ربِّ العالمين.

[وكان رَقْمُهُ بمحروس صنعاءَ في ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٠٩ تسع وثلاثمائة وألف][1]

ولمّا وصل إلى الإمام قرأه وأجاب على الحريري بما صورته:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

اللهمّ أيِّدْ دينَكَ القويمَ بالعلماءِ العاملين، واكشِفْ ببركَتِهِمْ جهلَ الجاهلين، وارفَعْ بحميدِ سَعْيِهِمْ غفلةَ الغافلين/ فهم بحارُ العلمِ الزاهرة، ونجومُ الهدى الزاهرة، وزينةُ الدنيا والآخرة، وأهلُ الفضائلُ المتكاثرةُ، دَعْ عنكَ من آثارَ الجهل عُجاجَهُ وفارقَ طريقَ الحقِّ ومنهاجَه، وجعلَ الراحةَ بُراقَهُ ومِعْرَاجَه، منهم، ذو المجدِ الشامخِ المنيفِ، والحَسَبِ الباذخ الشريفِ، والأدبِ المثمرِ روضُهُ الوريف، السيِّدُ محمدَ الحريري الحسيني الحموي، ألبَسَهُ الله جلبابَ التَّقوى، وقادَهُ إلى التمسُّكِ بالحبلِ الأقوى، وأعادَ على مُحَيَّاهُ السَّلامَ الأسنى والإكرامَ الأهني، وصلّى الله وسلمَ على خاتمِ أنبيائهِ، وعلى آلِهِ سفينةِ النجاةِ وتراجمةِ الكتابِ وقرُناه، وعلى أصحابهِ الذين اتّبعوه بعد مماته وفي محياه، وبعد؛

فإنا نحمدُ الله إليكُم الذي لا نرجو ونخشى سواه. ولا نعبدُ إلاّ إيّاهُ، وإنَّهُ أتانا أيها السيد منك كتابٌ كريمٌ، ومسطورٌ رائقٌ فخيم، أفادَ معرفتَكَ بحقوقِ العترةِ النبويةِ والسّلالةِ العَلَوِيةِ، بما ورد فيهم من الآياتِ القرآنيةِ، والأحاديثِ الصحيحةِ المرويةِ، وإن دواعي المحبةِ اقتضتِ المراسلةَ، وبواعثَ المودةِ حَدَتْكَ إلى المكاتبةِ والمواصلةِ، وإنَّ مِنْ لوازم المحبةِ والإيمانِ بَذْلَ النصيحةِ للاخوانِ، لا سيما ولاةَ الأمورِ الذين أناطَ الله بهم صلاحَ الجمهورِ، وأفادَ ـ أسعده الله ـ أنه مستنكرٌ لماجرى بينَنَا وبينَ الولاةِ المُرْسَلين، من جضرةِ الدولةِ العثمانية، والسُّدَّةِ الخاقانيةِ من الحربِ والاختلافِ، وعدمِ التوافقِ والائتلافِ، وأنه يرى الخيرَ في صلاحِ ذاتِ البينِ، ورفعِ الفتنةِ المؤديةِ إلى الهلاكِ والحَيْن. وأنّهُ قد وردَ الحثُّ عليه في السُّنَّةِ والكتابِ، وأنَّهُ مناطُ رضاءِ ربِّ الأربابِ، وأنَّ السلطانَ الأعظمَ مِمَّن أقامَ الله بهِ الدينَ، وانتظمتْ به أحوالُ المسلمين، وتشرّفَ بخدمةِ الحَرَمَيْنِ الشريفين، وقام بها الكُفّارِ، وجهابذةِ الأشرارِ، وأن رغبَتَهُ في صلاحِ الدنيا والدين، وقمع الفجّارِ المُعتدين، وأنَّ القُطرَ اليمانيَّ المحروسَ باللهِ محلُّ الإيمان كما ورد عن سَيّدِ ولدِ عدنان، وأنَّ سعيَهُ في ذلك مصلحةٌ دينيةٌ ومحبةٌ إيمانيةٌ، فنقول: نِعْم الأمرُ كما ذكرتُم مما وقَعَ بيننا وبينَ من تعلّقَ بالسلطنةِ القاهرةِ، أعزَّ الله بها الإسلامَ، وقمَع بها ذوي الإلحادِ الطغام، ولَمْ

---

(١) انظر: أئمة اليمن (٢/٥٥ ـ ٥٩) وكذا كتاب: الدر المنثور في سيرة الإمام المنصور (١/ ٣٧١).

يكن لنا في الرئاسةِ الدنيوية طلبٌ، ولا في الراحة البدنية اربٌ، ولا نعوِّلُ على جمع المالِ ووفرةِ المكتَسبِ، ولا مزيد على ما نحنُ فيه منَ الحسب والنسب. لكن رأينا المأمورين لم يؤدوا حقوقَ اللّهِ، ولا رَعَوا حُرْمَة ما حرّم الله، ولا غضبوا يوماً على معاصي اللّهِ، ولمْ يعملوا بشيء في كتاب الله، ولا بسنة رسول اللّه وشرعوا من الدين ما لمْ يأذَنْ بهِ الله، وارتكبوا المعاصيَ، وزمّوا إليها الناس بأطراف النواصي، وجاهَروا بشربِ الخمورِ، ونكاحِ الذكور، وارتكاب الفجور، وظلموا كلّ ضعيف، وأهانوا كلَّ شريفٍ، حتى ضعفَت الذريّةُ، وارتفعت كلمةُ اليهودية والنصرانية، وصارت الأكرادُ والحبوشُ تحكمُ في البريةِ، ولا يرقبون في مؤمنٍ إلاً ولا ذمة. ولا يأخذُهم في المسلمين رأفةٌ ولا رحمةٌ. فلمّا لمْ نجدْ عن أمرِ اللّه بُدّاً، استعنّا به وتوكّلْنا عليه، وبذَلْنا في الجهاد جهداً، امتثالاً لقولِ اللّهِ عزّ وجلّ: «وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنةٌ»، وقولِهِ تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾. وقولِهِ تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ وخوفاً ممّا خوّفنا الله به، في قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾. ونحوَ قوله ﷺ: «التأمُرُنَّ بالمعروف ولتَنْهُنَّ عن المنكر. أو ليُسلّطنَّ الله عليكم شِرارَكُمْ، فيدعو خِيارَكُمْ فلا يُستَجاب لهم حتى إذا بلغَ الكتابُ أجلَهُ. كانَ الله هو المنتصرَ لنفسِهِ» ولم نزلْ نتوخّى أنّ السلطنة القاهرةَ، أعزَّ الله بها أركانَ الإسلام، إذا رُفِعَتْ إليها تلك القبائحُ التي لا يختلِفُ في وقوعِها اثنان، أنْ تأخُذَها حميّةُ الدينِ والإيمان فلا يلامسها فرط من الإضاعة عمّا تلافى وخاف من الإضاعة. ويُستَدرَكُ ما فات من حقِّ عترةِ رسولِ اللّهِ ﷺ، الذين لا يُستَحَقُّ بدون أتباعِهِم الشفاعةُ، فلم يزدادوا مع طولِ المدّةِ إلاّ انسلاخاً من الدينِ، وتوسُّعاً من تأميرِ الفَجَرةِ المعتدين.

فإنْ قلتَ أيُّها السيدُ: إنّ تلك القبائحَ مُباحةٌ في الإسلام، وإنّ فاعلَها مستحِلٌّ من إتباعِ شريعةِ سيدِ الأنامِ، فهلمّ الدليل! ولا يقولُ ذلك إلا ضليلٌ. وأنكرتَ أيها السيدُ أنّ ورثَةَ الرسولِ الحجّةُ في الفروعِ والأصولِ، صاحَ بك قولُه تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ وقولُه تعالى: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾. وقولُه ﷺ: «إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتُمْ به لنْ تضِلوا: كتابَ اللّهِ، وعترتي أهلَ بيتي»، «إنَّ اللطيفَ الخبيرَ نبّأني أنهما لنْ يفترقا حتى يَرِدا على الحوضِ». وقولُه ﷺ: «إنَّ عندَ كلِّ بدعةٍ يكونُ من بعدي وليٌّ من ذريتي إلخ»، وقولُه ﷺ: «أهلُ بيتي أمانٌ لأهلِ الأرضِ» الخ وقوله ﷺ: «أهلُ بيتي كسفينةِ نوح»

البحِ، وعيرُ ذلك مما لا يحتمله المقامُ، فلننظرْ ببيانِ الحجةِ أوضحَ المحجّةِ، لا ما خوّفتنا بهِ من القتلِ والنكبِ، وإنّا أهلُ بيتٍ لا تزعزعُنا كواذبُ الآمالِ، ولا نعدُّ بذلَ نفوسِنا في سبيلِ اللهِ إلاّ من أشرفِ الخصالِ، ولا نفزعُ إلى غيرِ ذي الجلالِ، ولا ندعو سواه في البكرِ والآصالِ.

على أنّ قومي يحسبُ الموتَ مغنماً وان فراراً من الزحفِ عارٌ ومغرمُ

أمِنْ هذا الذي هو جُندٌ لكم ينصرُكم من دونِ الرحمنِ (إنَّ الكافرين) إلا في غرورٍ ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2]، و ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[3] فنحن مَنْ وَعَدَ ربُّنا على يقينٍ، والعاقبةُ للمتقين. وإنّك لا تجدُ في محطّتنا المنصورةِ إلاّ قائماً بعبادةِ ربِّهِ، إذا أسْدَلَ الليلُ جناحَه، أو تالياً لكتابِ الله، أو ذاكراً لربِّهِ إذا طلع الفجرُ صباحَه. ومساجدُنا معمورةٌ بالعلمِ والعملِ، وقلوبُنا خاليةٌ عن الجبنِ والفشلِ. هذا ولا نفتخرُ كغيرِنا بآلاتِ الحرب الفاخرةِ، ولا بالجيوشِ المتكاثرةِ التي هي تحتَ أمرِنا عاثرة، بل نبرأ من الحَوْلِ والقوّةِ ونتمسّكُ بأذيالِ سيرةِ الإمامةِ والنبوّةِ.

مغارسُ طالتْ في ربا الفَضْلِ فالتقَتْ على أنبيـاءِ اللّـهِ والخلفـاءُ
إذا حَمَلَ النّاسُ اللواءَ علامةً كفاهم مشارُ النقعِ كلَّ لواءِ

فقدْ أوضحنا لكَ، أيُّها السيّدُ، طريقتَنا، وأسلفْنا إليكَ حقيقةَ أفعالِ أعادينا، فأيُّ الفريقينِ أحقُّ بالأمنِ إن كنتم تعلمون؟! ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾. ولو يعلمُ السلطانُ الأعظمُ بحقيقةِ الحالِ لسارَعَ إلى معاونتنا بالحالِ والمالِ، ولرَفَعَ المأمورين عن الخطةِ اليمانية، ولأمَرَهُمْ بمحاربةِ الفرقةِ الكفريّةِ، ومنعَهُم عن محاربةِ العترةِ الزكيّةِ التي هي بضعةُ الذّاتِ الشريفةِ النبويةِ، ولأوفى جدَّنا رسولَ اللهِ ﷺ أجرَ تبليغ الأبناءِ المشار إليه، بقولِهِ تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ولتباعَدَ عن مقاتلةِ مَن قَالَ فيهم خاتمُ النبيين: «مَنْ قاتلَهُمْ آخرَ الزمانِ، فكأنما قاتَلَ مع الدّجّالِ». وعن الدعوةِ النبويةِ في قولِهِ لأهلِ بيتِهِ: «أنا حربٌ لِمَنْ حاربتم، سِلمٌ لمن سالَمْتُم»، وقد أَمَرَنا اللّهُ بالكَوْنِ مع الصادقين. بقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٦٠).
(٢) سورة محمد، الآية: (٧).
(٣) سورة القصص، الآية: (٥).

وَجَـٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[1] ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[2].

يا قومَنا، أجيبوا داعيَ اللهِ وآمنوا به يغفرْ لكُم من ذنوبكم ويجرْكم من عذابٍ اليم، ومَنْ لا يُجِبْ داعيَ اللهِ، فليس بمعجزٍ في الأرض، وليس له من دونه أولياء.

ويا قوم، ما لي أدعوكُم إلى النجاةِ، وتدعونني إلى النار؟ فإذا وجدتَ أيُّها السيّدُ لنا خلاصاً من أوامرِ اللهِ، أفدْتنا مِنْ كِتابِ اللهِ وسُنّةِ رسول الله ﷺ ودعْ عنكَ التخويفَ بالمخلوقين، والحالُ كما قيل:

جــاء شقيــقٌ عــارضــاً رُمْحَــهُ ... إنَّ بنــي عمِّــكَ فيهــم رمــاح

وأمّا اجتماعُ الكلمةِ، فمِنْ أينَ لنا ذلك، وإلا فهو عندَنا من أجل المسالكِ، حَقْناً للدماءِ، ورَفعاً للدَّهماء، ونسألُ الله أنْ يرفعَ عنِ الأمةِ المحمديةِ الضيقَ والمحَن، ويجمعَها على اتباعِ الكتابِ وقرنائِهِ، أهل بيتِ نبيِّهِ المؤتَمن، وأن يُعيذَنا من الشيطانِ الرجيمِ، ومِنْ مُضلّاتِ الفتنِ، وحسبُنا الله ونعمَ الوكيل، وصلّى الله على سيدِنا محمدٍ وآله.

التاريخ ٦ شهر صفر سنة ١٣٠٩[3].

انتهى.

ثم في خلال ذلك وصل ياور السلطان بكباشي السيِّد علي مثنى الحسني اليمني[4] مُرسلاً من حضرة السلطان الأعظم بنصائح لأهل اليمن وذلك في جمادي الثانية منها، فوقف في صنعاء وبعث منه مكاتيب بذلك إلى الإمام، فأجاب الإمام بكتاب إلى الحضرة السلطانية رأساً، صورته:

---

(١) سورة الحجرات، الآية: (١٥).

(٢) سورة يوسف، الاية: ١٠٨.

(٣) في أئمة اليمن «وحرر في سادس ربيع الآخرة سنة (١٣٠٩هـ)، ونشر الكتاب في مجلة المنار، شهر ربيع الأول (١٣٢٦هـ)، وعلق محمد رشيد رضا «تسمع الدولة هذه الأخبار وتقرأ مثل هذا الجواب، ثم هي توالي إرسال الجيوش إلى اليمن، انظر أئمة اليمن، (٢/ ٥٩).

(٤) علي مثنى الحسني الرجامي اليمني: عَرّفه زبارة (أئمة اليمن (١/ ٦٣) بأنه «الياور للسلطان عبد الحميد، وأصله من اليمن ثم دخل إلى استنبول وخدم الأتراك حتى كان من الياورات» وأشار القاضي علي الأرياني (الدر المنثور ١/ ٣٥٧) أن «الياوَر بلغتهم: خادم السلطان، وصارت خدمة السلطان عندهم من أرفع الأمور، لا تعد من النُقصان». أما نسبته الرجامي فإلى وادي رِجَام ـ بكسر ففتح ـ من بني حِشَيْش في شمال شرقي مدينة صنعاء.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي خضعت الأعناق لكبريائه وعظمته، وهبطت الجبال لهيبته وخشيته، وتطأطأت الرقاب لباهر سلطانه وعزته، وجعل شرائع الإسلام نوراً ساطعاً، وبرهاناً لِعُنُق الإختلاف قاطعة، أحمدُ حَمْد، من اعترف بنِعَمِهِ الباطنة والظاهرة، وأقر بقدرته القاهرة، وحكمته الباهرة، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحدهُ لا شريك له، شهادة تضرب خيامها في أعلا عِلِيين، وتحرك صبابات أهل التوحيد بمشاعر اليقين، وصلى الله على سيدنا محمد الذي ختم به الأنبياء رحمة للمؤمنين، ونقمة على الكافرين. وعلى آله وعترته المبلغين عنه أحكام الكتاب والسُنّة الذين سالت مهجهم الكريمة، على حد السيوف والأسِنّة، وعلى أصحابه المجاهدين في الله حق جهاده، وصاروا بذلك من خير عباده، حيث أذلّوا بسيوفهم رقاب الجبابرة، وساروا بأرواحهم - رضي الله عنهم - الدّار الآخرة. وبعد، فلنا إلى الذّات الكريمة، والمقامات الفخيمة العظيمة، حضرة سلطان المسلمين، وخليفة سيّد المرسلين، وحامي الدين عن أرجاس الكفر الملحدين، أشرف التحيات، ونوامي البركات، ونجأر بالدّعوات لحفظ ذاته الشريفة، ودوام سرر سلطنته المنيفة، وإنّا نقدم إلى شريف حضرته، وعالي مقامه وسرّته، إنّها لمّا تراكمت المصائب على أهل اليمن، وتضاعفت وتعاقبت المظالم، وشاعت المنكرات وتواترت، وأهملت شرعة الإسلام وضاعت، وظهرت في الدّين وتتابعت الآفات والمحن ونَجَم نجم النّفاق ونفق، وعُذِّب الصادق بالخسف حين صَدَق، وتضاعفت الأعشار ومطالب الماليّة حتى أن بعض الرعيّة لا تفي حاصلات أرضها بما عليه من اللوازم الوضعيّة، وظهرت المحرّمات حتى صارت كالحلال، وصار بيع الخمر كالماء الزّلال، وصارت البغايا يمشين بأيدي القوّادين من دون تكتم ولا احتشام، وبذلك فسدت الذرية، ولم تعرف غير ما سرقته طبيعة التربية العربيّة، وصُدّ الحاج عن بيت الله الحرام، كما اشتهر عاماً بعد عام، والعذر للمأمورين الكرنتينه، التي حكمها قطعاً قطعياً، مؤثراً تأثير العلة المكينة، وارتفعت السّوقة والأنذال، وساد في النّاس كل جاهل مختال، ومن استغاث من ذلك بنصوص الكتاب المجيد أو نصوص السُنّة النبويّة قيل له بغير هذا قضت الأصول الدوليّة، وإن استغاث بشكواه إلى حاكم الشريعة فليس همّه إلاّ جمع المال وحُكم الله سبحانه في مَضْيَعه، وإن رام يستغيث بسلطان الإسلام، فطلوع السماء ليس لأحد فيه مرام، وإن كتب إلى الحضرة العليّة فدون بلوغها خرط القتاد، من حيث أنّ لكل مأمور جماعة من الرّصاد، يضعون لهم المعاشات لأجل التفتيش والإنتقاد، فما وجدوا من المكاتيب المنافية لمقاصدهم أهملوه، وما طلبوا فيه من شهادة الزُوْر حرّروا فيه المضابط وختموه. فعند ذلك ضاق على أهل اليمن، وبلغت الأرواح التراق، فوجدوا الموت خير لهم من الحياة،

وهم مع ذلك - بعزة الإسلام - رجال حُماه، وبالشيمة العربية أبطال كماه، لولا حُسن ظنهم بسلطان الإسلام لَما ذلوا، ولولا تمسكهم بالدين لتكاثروا وما قتلوا. فلمّا لم يجدوا ملجأً يلجأون إليه، ولا مفزعاً يفزعون إليه، قاموا يدفعون عن أنفسهم هذه المشاق، ويفكّون أعناقهم من زِمام الخناق، وانشد لسان حالهم:

إذا لم يكن إلاّ الأسنّة مركباً فلا رأي للمُضطَر إلاّ ركوبها

وعند ذلك بادرهم المأمورون بالحرب بكرة وعشية، وأخربوا الديار المستأمنة وقتلوا الذريّة، وانتهبوا الأموال الخاصة، وساموا بالخَسف من قَدروا عليه من الرجال، ثم راموا بعد ذلك أن يقتحموا بالحرب الجبال الوعرة والمضايق المتعسرة، فكثر القتل والقتال، وتتابع الحرب النزال، وصار المأمورون يفتخرون بكثرة القتلى من عسكر النظام، ويقولون ليس عليهم في قتلهم حرج ولا مَلام، مع أن كُبراء المأمورين لا يتجاسرون على وصولهم محل المعركة، بل يتأخرون ومن تراجع من العسكر النّظام ضربوه بالمدافع حتى عمّت بلواهم وبَعُد مرماهم، ولمّا عجزوا عن بلوغ أمنيتهم، زوّروا إلى حضرة سلطان الإسلام التزاوير الكاذبة، ويُنسبون إلينا القول بالمذاهب المزيفة الزّاهية، والعقائد الكفرية غير الصّائبة. نعوذ بالله العظيم أن نعمل بغير كتاب ربنا وسُنّة نبينا وجدِّنا، وكيف وقد وَصَفنا الله تعالى بالتطهير، وجَعل مودّتنا أجرة تبليغ الرسالة من البشير النشير، فقال تعالى عزّ مِنْ قائل عليم: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٢٣﴾[2] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾[3]. وقال نبينا وجدنا رسول الله ﷺ: «أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نَجَا ومن تخلّف عنها غرق وهوى»[4] وقال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بَعْد: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أنبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[5] وقال:

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٣٣).

(٢) سورة الشورى، الآية: (٢٣).

(٣) سورة النحل، الآية: (٩٠).

(٤) الحديث أخرجه الحاكم عن أبي ذر.

(٥) أخرجه مسلم عن زيد بن أرقم.

فهي كل حلق من أهل بغي عدول ينفون عن هذا الدين تخوين الفاعلين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين». ولمّا سمعنا وتنوّنا من نصوص الكتاب والسنة ما يوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المخوف، وبدت الأعلام التي توجب: إن ينتصر الله تعالى لديه انتصاراً أو يبعث لذلك جنوداً وأنصاراً جزرنا أنفسنا لذلك ابتغاء لوجه الله تعالى، وغيرة على دين الله، لا نريد بذلك علواً في الأرض ولا فساداً ولا مشاققة لسلطان الإسلام، ولا عناداً ولا مطمع لنا في جميع الأموال ولا في استرقاق الرجال ولا رغبة لنا في طلب الراحة ولا مزيد على ما كنا فيه من سعة الأموال والفلاحة، ولم نعرج عليها حين أخذها المأمورون وصاروا يعذبون من اتهموه أن لديه شيئ من أموالنا، وهم الآن مُعذّبون مقهورون، بل صرنا نعد ظُلم البريء مما يقرب معه الفرج، ونثق بالله سبحانه في حُسن المَخرج، وعند اشتداد مراير الحرب واستعار نيران القتال والضرب لم نشعر إلا بمكاتيب وصلت إلينا من جناب الياوَر المكرم ياوَر السلطان الأعظم بكباشي علي مثنى الحسيني اليمني، تضمنت أنه أرسل من الحضرة السلطانية، والسدة الخاقانية، لإبلاغ السلام إلى كافة أهل اليمن وبذل النصائح بالتخويف والتحذير والترغيب والترهيب، والكشف عن حقيقة أسباب المحارب وعدم الإئتلاف والمقاربة. وقد كان سبق قبله مكاتيب من جهة السيّد العلاّمة محمد الرفاعي الحريري الحموي، وأجبنا على الجميع بكشف الأسباب الدينية والدنيوية.

وحاصل الأسباب الدينية أنه لم يبق مع المأمورين في اليمن. من علاّمة الإسلام إلاّ ضرب المدافع في مولد رسول الله ﷺ.

وحاصل الأسباب الدنيوية أن الفقير والغني استويا وأن الرويبضة[1] من الناس ارتفع على أهل السيادة والشيم، ولم يساعد المأمورين - إلاّ من لا يبالي - إذا تعدى أو ظلم. هذا وسلطان الإسلام حامي شريعة سيّد الأنام، خادم الحرمين ومولى الفريقين، رمَى بنَا في فلاة كثيرة السباع، ولم يطردها عن ديار الإسلام إلى ديار الكفرة اللئام، ولم يقرّ أيدي العِترة النبوية على هذه الخطة اليمانية كما كان عليه أسلافهم يأمرون فيها بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الحدود والقِصاص، ويأخذون من الأموال بالعدل لا بالاختصاص. وقد قرّر - أيّده الله تعالى - بعض الكفار على بعض الممالك الجزيلة، ولم يعاملهم إلاّ بالمعاملات الجميلة، وكيف بأولاد رسول الله الذي لا تنال شفاعة جَدّهم إلاّ بمودّتهم ولا تنزل البركات إلاّ بالإحسان إليهم.

---

(١) الفئات الدنيا من الناس.

ومما كتب إلينا الباور المذكور أن الواجب حقن الدماء وتسكين الفتن، وأجبناه إلى السعي في الهدنة والصلاح وسكون حوافق الحرب التي سالت منه المطالح على العمل بالكتاب والسنّة، والفتك بدوي الفساد والفتنة، وأن يكون العمل بقوله الله عز وجل: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝﴾[1] إلى آخر الآية. فلمّا أسعفناه إلى الصلح والهدنة ظن المأمورون فينا الوَهَن والأمنة فضاعفوا تلك المعاملات وتكرار إرسال العساكر إلى الثغور بالمدافع والطوابير التي لم يرد بأسها غير حول الله وعظيم قدرته بأيدي بعض مُشمّرة وأسود مُتنمّرة. فماذا علينا من مَلام بعد عرض كتاب الله سبحانه وسنّة سيد الأنام، إن كان هم مولانا السلطان إقامتها والعمل بمحاكمته فإنه لم يكن همّ المأمورين غير هلاك اليمن فصاروا يستجلبون غضب مولانا السلطان لتتابع إمدادهم بإرسال العساكر إلى اليمن لأجل تغطية ما قد أجروه من الظلم وسوء المعاملة التي تزلزل منها الجبال. وحال تحريره وهم يزخرفون أنواع التزويرات المحال. ويجهّزون أناساً من أهل صنعاء وغيرهم من أهل الطغيان، يشهدون لهم بالعدالة، ويشهدون على غيرهم بالضلالة. ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝﴾[2] أم على الله يفترون؟ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝﴾[3] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝﴾[4] إلى آخر الآية.

وحين زعموا أن تلك الأفعال الشنيعة والمعاملات القطعية عن أمر سلطان الإسلام، رفعنا هذا إلى شريف حضرته لينظر بنظر يكون به حقن دماء المسلمين وحفظ أموال وأديان وأعراض الموحّدين، وكَفّ أيدي المعتدين، وإحياء ما اندرس من شريعة سيد المُرسلين، وإجراء العدل في المعاملات، والأمر بالمعروف، ورفع المنكرات، لتكون ذمته عند الله تعالى بريئة، وشفقته بالضعفاء المؤمنين ظاهرة وخفيّة، وأمّا المأمورون فما قصدهم إلا مصالح نفوسهم وإن هَلَك ـ بأفعالهم ـ العموم، أو غضب الحيّ القيّوم. تحرر في سادس عشر جمادى الآخر سنة ١٣٠٩. انتهى.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: (٩).
(٢) سورة المائدة، الآية: (٥٠).
(٣) سورة الأنعام، الآية: (٨٢).
(٤) سورة الجاثية، الآية: ٢١.

لسياسته وحلمه وتسديده وتقريبه، وسكنت الفتنة والحمد لله.

ثم بعد ذلك جرى الصلح بين الدولة وبين الإمام على يد الوالي أحمد فيضي

وفي شهر جمادى الأولى من هذا العام - أعني عام تسعة بعد ثلاثمائة - نزل الوالي أحمد فيضي من صنعاء إلى حجة ثم منها إلى الزبيدية ولم يُحْدِث حرباً بل القصد الإرهاب فقط. وكان نزوله في الزبيدية في بيت عبد الله بوني باشا ومكث به يومين ثم ارتحل إلى صنعاء، ويوم نزوله حدث بعسكر الدولة الذين بالزبيدية وباء عظيم وإسهال ذريع، ثم فشا في أهل الزبيدية ووقع بهم وبالعسكر موت كثير، ودام ذلك نحو نصف شهر ثم رفعه الله.

وفي ذي الحجة منه وقع في موسم الحج بمكة ومنى وعرفات موت ذريع بسبب الإسهال فمات به عَالَم كثير، منهم السيد العلامة محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الأهدل والسيد الأجل الفاضل محمد بن عبد الله الأهدل والنقيب الصالح محمد بن علي عامر، وقَفَل أكثر الحجاج من مكة قبل طواف الإفاضة وتمام أعمال الحج لهول ما شاهدوا، إلا من كان ثابت الجأش فإنه تجلد وأتم أعمال الحج.

أحداث عام ١٣١٠هـ:

وفي شهر صفر من عام عشر بعد ثلاثمائة توفي سيدي الخال الصالح الفاضل أحمد بن عبد الله الزَوّاك ببندر الحديدة وبه دُفِن.

أحداث عام ١٣١١هـ:

وفي شهر صفر من عام إحدى عشرة بعد ثلاثمائة توفي أخوه سيدي الخال العلامة الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الله الزَوّاك بمدينة الزبيدية وبها دُفِن. وقد سَبَقت ترجمتهما في الفصل الأول من هذا المجموع.

وفيه وصل غالب بك بالعساكر إلى مدينة الزبيدية وتسلّم من أهل المخلاف(١) أموالاً جزيلة، وكان معه في ذلك الأمر عبد الله بوني باشا ثم افترقت الكلمة بينهما لِمُوجَب، ورخي الأمر، فاتفق أن توجّه البوني باشا إلى بلده الريفة(٢) فاعترضته قبيلة صليل في الطريق بالحرب وأرادوا قتله وكان معه جماعة من خدمه وحَشَمه، وكان راكباً في الجاري فكأنه آنس ما قصدوه به فنزل قبيل ذلك وصلى الفجر، وبينما هو في

---

(١) يقصد مخلاف الواعظات.

(٢) الريفه: قرية من مديرية الطُوَر محافظة حَجّة، بها مركز قبيلة بني قيس، وتشرف على وادي مور النازل إلى بلاد الزهرة.

أثناء الصلاة إذا نار الحرب على الجاري وكان قد قَدّمه قبله فظنوا أنه راكب فيه، فحينئذ ركب فَرَساً له تُسمّى الجناح وكرّ فيهم مقاتلاً فوقع القتل من الطرفين، ولما رأى ذلك وكاد أن ينفرد والجموع تتكاثر عليه من كل جانب ركب دابةً أخرى لعدم فرار فرسه الجناح، ونجَى عليها إلى أن وصل قرية دوغان[1] قرية المشايخ بني الكلفود وهو في تلك الحال يقاتل حتى قَتَل فيهم جُملةً، وقد سمعت بعضهم يشهد له بالشجاعة في ذلك اليوم، واستولت صليل على الجاري حقه فجروّه إلى دير السيف[2] ومزّقوه وتعبّثوا به ثم بعد ذلك وصل السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل إليهم واستنقذه منهم.

أحداث عام ١٣١٢هـ:

وفي شهر صفر من عام اثني عشر بعد ثلاثمائة توفي سيّدي الأجل الصالح محمد بن عبد الرحمـٰن صايم الدهر بالزّيدية وبها دُفن.

وفيه نزل الوالي أحمد فيضي من صنعاء إلى بندر الحديدة، يقال أنه لقصد الإصلاح بين السيد جيلان بن المساوَى وبين زوجته التي أهديت له من حضرة السلطان عبد الحميد، وكان قد وقع بينهما مخالفة فأصلح بنيهما، واستلم من أهل الحديدة مالاً جزيلاً، وكان عبد الله بوني باشا ـ إذ ذاك ـ حاضراً معه وله عنده منزلة رفيعة، ولمّا رجع الوالي إلى صنعاء خرج معه إلى أن وصلا بَاجِل ومن هناك كتب له أمراً بيده في الولاية على أهل المخلاف وعضّده بأمر آخر إلى أدهم بك، وكان أدهم في حَجّه فرُفع إليه الأمر فوصل في عسكر كثيف إلى القَنَاوِص وغزَى أهل دَيْر السيف فَقتل فيهم وأسَر، ثم توجه بعسكره إلى الزّيدية فَعَسْكَر بها وجرت أمور شنيعة وقَتَل جماعة من أعيان صليل وغيرهم غِيلةً واستوفوا بمكيال أعظم من المكيال الّذي كالوا به يوم «قضية الجاري» في دَيْر السيف.

أحداث عام ١٣١٣هـ:

وفي عام ثلاثة عشر بعد ثلاثمائة ضَرَب البرق في قرية الطيّار[3] من جبل ملْحَان فوقعت بين جماعة مجتمعين في محل وأصابت يحيى بن موسى بحر من أهل بيت عطا[4] كان به أجله، وفَلَقت منهم شخصاً آخر نصفين ثم التأم وبقي محل الالتئام

(١) دوغان: من قرى مديرية القناوص.
(٢) دير السيف: قرية عِدَادها من مديرية القناوص.
(٣) بنو الطيّار: قرية في نواحي مدينة المحويت بمنطقة الوسط.
(٤) بيت عطا بلدة شمال مدينة الزيدية بنحو (١٠) أكيال، بجوار الطريق الإسفلتية بين الزيدية والقناوص.

أبيض مستطيل كالخيط من رأسه إلى قدمه وعاش بعد ذلك مدة طويلة، وفلَق طبلاً كان هناك وأدخل في بطنه هِراً فالتأم عليه فكان الهر يصيح من بطن الطبل، فسبحان القادر الفعّال لِمَا يريد.

وفيه وَفَد شخص هندي إلى الزّبيدية اسمه: سجاعت علي الهندي، يزعم أنّه شريف النّسب حسيني - بالتصغير - وأمّه من وراء بلاد خُراسان، كان في بلده صاحب رياسة وثروة ثم أنه أخذ الطريقة القادرية[1] ولازم الأذكار حتى أشرف على الوصول وكأنه وقع في ذهنه ريشة فخرج من بلده يريد المدينة المنورة، فوصل الزبيدية ونزل عند السيّد العلاّمة المرحوم محمد بن حسين الزوّاك فلازمه وحصلت بينهما مودّة، ورآه صاحب عائلة فحاوله على أن يُعَلّمه صنعة الكيمياء وكان يَدّعي أنه يعرفها فلم يساعده، وكان يتكلم بأمور غيبية منها أنه كان يقول لسيّدي الشيخ العلاّمة عبد الرحمن بن عبد الله القُديمي: انتظر وقوع اثنتين: ظُلْم التُرْك ومكَر النصارى، فظهر ذلك في عام خمسة وعشرين بعد ثلاثمائة. وكان لا يصلي وإذا قيل له في ذلك قال: أنا أحوالي مخالفة لأحوال النّاس، والله أعلم بالحقيقة. ثم بعد إقامته مدة بمدينة الزبيدية صرف وجهه عن المدينة المنورة إلى بندر الحديدة لعارضٍ، فأقام بالبندر عند السيّد الأجل علي بن أحمد الزَوّاك، فَذَكر أنه رأى منه أحوالاً خارقة منها أنه سافر من عنده إلى المراوعة وقت شروق الشمس فوصل ناس من المراوعة إلى الحديدة وقت ارتفاع النهار فذكروا أنهم وجدوه وقت شروق الشمس بقرب المراوعة من ذلك اليوم.

وفيه وقعت شدة وارتفعت الأسعار، ثم رفع الله ذلك ونزلت في آخره.

أحداث عام ١٣١٤هـ:

وفي أول عام أربعة عشر وقعت أمطار عظيمة فصلحت زراعة الدُّخن والذّرة، وجاء الجراد وشبّ في الأرض ملأ الجهات وأكل الزرع. ولكثرة الأمطار كان كلّما أكله عاد حتى نبتت أجنحته فطار فصلح حينئذ الزرع وجعل الله بركةً عظيمة في ثمرة الدّخن وأمّا الذّرة فوقع فيها شَراف[2] ولم يحصل منها غير العجور الكثير[3]، وحَصَل للسيد محمد بن يحيى الأهدل من أرضه المُسَمَّاة بـ الجعيفري نحو ستين ألف محزم من العجور.

---

(١) طريقة صوفية تُنسَب إلى عبد القادر بن موسى الجيلاني المتوفي سنة (٥٦١هـ/ ١١٦٦م).

(٢) أي ورق بدون ثمرة؛ وهو الذي يُقال له: الشَّرْف.

(٣) **العجور**: عود الذرة المعروف باسم: القُصَب.

أحداث عام ١٣١٥هـ:

وفي عام خمسة عشر بعد ثلاثمائة وقع بجهة اليمن[1] قحط عظيم وشدة عامة في الجبال والتهائم فعمّ ذلك جميع البلاد وما نجىٰ منه الأكثر من الحاضر والباد. وقد كان وقع في شهر صفر منه مطر عظيم في يوم الأربعاء، وكان آخر أربعاء من الشهر فوقع الناس في الزراعة وأخرجوا جميع ما عندهم في زراعة الأرض حتى نفد ما بأيديهم، فنبت الزّرع حتى كاد يستوي فتأخرت عنه الأمطار، وما زال ينقص إلى أن ذهب كله بسبب ذلك، فأخذ الضعف في الناس من ذلك الوقت وما زال يتزايد بهم حتى اشتد القحط وأُكلت الميتات، ووقع الموت الذريع في الناس والدّواب وارتفعت أسعار الطعام والعُجور حتى بلغ قيمة نصف الحَكَم ريال، وخَمس زُرَب من العَجُور بريال، وبلغ كِرَا حِمْل الجَمَل من الصّليف إلى المُنيرة ستة ريال، وشاع على الألسنة تسمية هذا العام بـ(ساحبة). وفيه رخصت الخيْل ونزلت أسعارها إلى أدنىٰ ثمن وزهد فيها الناس، واستمر رخصها إلى سنة ١٣٢٤ فاعتراها مرض وهو ورم يأخذها في الرأس، مات به منها كثير، ثم عقب ارتفاع المرض عنها بعد أن بقي منها النزر اليسير ارتفعت أثمانها وعاد النّاس إلى المغالاة فيها كما كان قبل ذلك، وقد وقع في تاريخ . . .[2] فيها موت ذريع حتى كادت تَفنَى؛ فقال عند ذلك السيّد العلاّمة أحمد بن عبد الرحمٰن صائم الدهر ثلاث أبيات منها:

قالوا لنا في الخيل موتٌ فما   أبقَى لنا غير الذي لا يُراد

أحداث عام ١٣١٦هـ:

واستمر غلاء الأسعار إلى عام ستة عشر، ثم نزلت الأمطار في بعض البلاد وسالت الأودية وقد أنفذ جميع ما بأيدي النّاس، فجاءت السنين بالطعام الدّخن فَزَّرعت الأرض منه وصلحت الزراعة في بعض البلاد، ولم يزل هذا الحال مستمراً إلى عام خمسة وعشرين فتارةً تكون السنة العظيمة وأخرى تصلح الزراعة في بعض البلاد، والحمد لله على ما شاء فيوم علينا ويوم لنا.

وفي هذا العام توفى سيدي العم الصّالح عبد الله بن أبي القاسم الوشلي بالزيدية ودُفن بمقبرة سيّدي الشيخ أبي بكر صائم الدّهر رحمه الله تعالى آمين.

---

(١) اليمن: يقصد الجنوب، مثل شام: شمال.

(٢) بياض بالأصل.

وفي جمادى الآخرة منه توفي السيّد الأجل الولي الأكمل محمد بن أبي القاسم بن أبي الغيث الأهدل بالجدري، بالمنيرة وبها دُفن نفع الله به.

أحداث عام ١٣١٧هـ:

وفي جمادي الأخرى من عام سبعة عشر بعد ثلاثمائة، أو في العام الذي بعده وصلت العساكر العثمانية إلى الضحي لإصلاح قبيلة الجرابح، فكان أحد رؤسائهم إبراهيم أدهم قائمقام باجل فأخذوا منهم دراهم ومَرَاهِين ولم تحصل منهم الطاعة الكاملة فارتحلت العساكر من الضحى إلى الحازة[1] ولمّا وصلوا إلى محل يُسمى النّاصري[2] ثار الحرب عليهم من الجرابح فاقتتلوا وهُزمت العساكر هزيمة فاضحة وقُتل منهم نحو مائتي نفر منهم رئيس من رؤسائهم صاحب رتبة كبيرة عند الدولة، وأُخِذَ منهم مدفع وبِغال وبنادق كثيرة وجبْخانة، ثم ولّوا منهزمين إلى بَاجِل وانقلبت المراهين من الجرابح الّذين كانوا بأيديهم في الضّحِي، ثم إن السيد إبراهيم بن سليمان واخوانه استنقذوا المدفع والبنادق من أيدي الجرابح وسلّموها إلى الدّولة بباجل، ثم إن الدولة أرادت الأخذ بالثأر وتربية الجرابح فيما صدر منهم فاجتمع في باجل نحو سبعة طوابير ومعهم من العُدة قوّة عظيمة ثم ساروا إليهم يَقْدُمهم محمد علي بك، فوصلوا إلى الضّحي وبَذلت الجرابح الطاعة والمراهين كالمرّة الأولى ولكن الدّولة أرادت تربيتهم لسابق الإساءة منه فارتحلوا إلى حازه الجربحيّة ولمّا وصلوا إلى محلّ يُسمّى «رأس الشريف» ثار عليهم الحرب من الجرابح فاقتتلوا إلى أن وصلوا السليم بالتصغير مع تشديد اللام[3] فباتوا به والحرب لم ينكف عنهم وأصبحوا سايرين إلى أن وصلوا الزبيلة فما وصلوها إلاّ بعد اللتيا والتي وقد قُتل منهم نحو مائتي قتيل كالمَرّة الأولى، وأقاموا بها إلى أواخر شهر رمضان وفي خلال هذه المدة وصل السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل وبرفقة السيّد الأجل جيلان بن أحمد عابد إلى الجرابح واستنقذ منهم بنادق كثيرة وغيرها للدولة، فسلّموها إلى الدولة بالزبيلة وأخذوا منهم أماناً للجرابح ودخلوا بهم معهم وأصلحوا بينهم، ولمّا كان ليلة سبع وعشرين من رمضان ارتحلوا ليلاً إلى باجل والمراهين معهم، وتركوا السّراج يضيء موهمين بقاؤهم في ذلك المحل لئلا يفطن بهم عند المسير فيَقْصَدون بالحرب. وفي الوقعتين قُتل من الجرابح جملة.

---

(١) الحازة: المقصود بكلمة الحازة الأماكن الواقعة في سفوح الجبال. وهذه منطقة بجوار جبل أعلا الضّحي.

(٢) الناصري: قرية لقبيلة الجرابح من مديرية الضحي، تقع بجوار مدينة الكَدَن.

(٣) السليّم: قرية بجوار مدينة الكَدَن من مديرية الضحي، صارت جزءاً من المدينة.

وفي رابع شوّال منه توفي السيّد الصالح أبو بكر بن إسماعيل صائم الدهر. وفي شوال أيضاً منه انقضّ كوكب وظهر له ضوء شديد وسمع عقب انقضاضه دكدكة كصوت المدافع نحو نصف ساعة.

وفيه أو في العام الذي قبله أخذت الدولة مشائخ باجل بني حميدة وحسين هلالي وجماعة غيرهم، وأرسلوا بني حميدة إلى جزيرة رودس والآخرين إلى طرابلس الغرب وحُبسوا هناك، فأمّا الهلالي وجماعة فَشَرَدوا في طريق البر إلى أن وصلوا بيت المقدس ثم إلى المدينة المنورة ومكثوا بها إلى وقت الحج فساروا مع المحمل البري إلى مكة وبعد انقضاء الحج رجعوا إلى بلدهم ولم تخاطبهم الدّولة، وأمّا بنو حميدة فمكثوا في رودس إلى عام ثلاثة وعشرين بعد ثلاثمائة وألف فَعَفَت عنهم الدّولة وأطلقوهم مُكَرَّمين فرجعوا إلى بلدهم.

وفي السّابع عشر من ذي القعدة منه وصل نفر من الحكماء من بندر الحديدة قاصدين حَجّه، فاعترض لهم جماعة بين بلاد صلَيل وبني قَيس، فقتلوهم وأخذوا أموالهم وألقوهم في بأر مختاره[1].

أحداث عام ١٣١٨هـ:

وفي عام ثمانية عشر وقع التّغرير على الوالي بصنعاء حسين حلمي باشا[2] من أهل الزّيغ والبهتان بالسيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل صاحب المُنيرة والسيّد العلاّمة محمد بن حسين الزَوّاك مفتي الزيدية، فَطَلبت الدولة وصولهم إلى الحديدة فوصلوا ثم حاولوا إرسالهم إلى محل آخر بعيد على وجه التغريب فحماهم الله، وعلى رأس خمسين ليلة صدر الإذن برجوعهم إلى بلدهم فكان في ذلك رِفعَةً لهم وَضِعَةً لغيرهم.

وفيه أرسل الله طوفاناً من الأمطار في الطريق البحري إلى البصرة[3] وصادف وقوع ذلك والبوابير والسواعي في وسط اللّجة شاحنة تمراً، راجعة من البصرة وفيها أناس لا يُحصون كثرةً من بلدان متفرقة كالهند ومسكت[4] وعدن والحديدة وكَمَران واللّحية وفَرَسان وجَازان ومُصَوّع وغيرها، فغرقت في تلك الجهة من البوابير

---

(١) مختارة: حصن لقبيلة الواعظات في مديرية اللّحية.

(٢) حسين حلمي باشا: والي عثمان تركي مدة ولايته من عام (١٣١٦) إلى (١٣١٨هـ) وهو الذي أسس إدارة المعارف بصنعاء وفتح دار المعلمين والصنائع وبعض المدارس.

(٣) يقصد الخليج العربي.

(٤) مسقط.

والسواعي نحو ثلاثمائة بما فيها من الأنفس والأموال ولم ينج منهم إلاّ قليل رمتهم السفن على جبال في بطن البحر.

وفيه انهدمت بئر القُمّة[1] التي منها معدن الملح على شخص كان في ذلك أجله.

وفيه وقعت حروب متعدّدة بين أهل الجامعي ومَوْر[2]، وعَضَد كلاً من الطائفتين طوائف، فنشأ من ذلك نهب وحريق، وقُتل من الجانبين يزيد على مائة قتيل، فخرج إليهم السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل وهم في اختلاف عظيم من الجبل إلى البحر فأصلح بينهم ولصلاح نيته تم الصلح على يديه جزاه الله خيراً.

أحداث عام ١٣١٩هـ:

وفي شهر شعبان من عام تسعة عشر نزل غالب بك بعسكره من القُفْل[3] إلى قبيلة الواعظات[4] وعَسكَر بجبل عزان ومعلق[5] وتسلّم من الواعظات نحو عشرين ألف ريال. وكان يغزو قرى الواعظات، ومن القرى التي غزاها قرية قِزّان بقاف مضمومة وزاء مشددة آخره نون[6] وبعض أهلها وقتئذ في الحبس لديه، غزاهم بعسكر كثير وهو قليل فاقتتلوا وانهزم العسكر فولّوا مدبرين، وما زالوا يطردونهم إلى أن ألجأوهم إلى قرية تسمّى المرابيع من قرى الواعظات[7] فتحصّنوا بها والحربُ دايره عليهم من كل جانب فَقُتل منهم نحو الخمسين وألقوا السّلاح واستسلموا، وقُتل من الواعظات نحو عشرة أنفار، فبلغ الدّولة ذلك فصدر الأمر من الوالي حسين حلمي باشا إلى يوسف باشا فخرج من القُفْل وحَجُوْر[8] بعسكر كثيف ينيف على خمسة آلاف حتى وصل إلى معلق وعسكر به، وبينما هو يُدَبِّر أمر الحرب إذ جائه الأمر من الوالي بترك الحرب ورجوعه من حيث جاء، أمّر على الجيش محمّد علي بك وهو كثير الحلم والجنوح إلى السّلم فلم يحدث حرباً وجرَى الصلح بينه وبين الواعظات على أن

---

(١) القُمَّة: بضم فتشديد الميم، سلسلة من الهضاب والجبال الصغيرة في غربي مدينة المنيرة.

(٢) الجامعي: هم بنو جامع من قبائل عك في قرية الزاهر بمديرية اللّحية، ووادي «مور» من ذات المديرية.

(٣) القُفْل: جبل شاهق في الشّرفين غربي جبل المحابشة، يشكل في أعماله مديرية من مديريات محافظة حجة، ويُقال له: قُفْل شَمَر لتمييزه عن غيره من الأماكن التي تحمل هذا الاسم.

(٤) الواعظات: بطن من قبائل عك يسكنون في وادي مور.

(٥) عزان ومعلق: منطقتان من مديرية الزهرة فيهما قبائل الواعظات.

(٦) قزان: من قرى مديرية الزهرة ويقال لها: دَيْر قزان.

(٧) المرابيع: إحدى قرى مديرية الزهرة بجوار داير الوجيه.

(٨) حجور: بلد من سراة قُدَم حجه، سُمي نِسبةً إلى قبيلة كبيرة من حاشد الهمدانية.

يسلّموا له ألفي ريال ويُطلِق لهم المراهين، وأمّا السلاح المأخوذ فصدر الأمر من الوالي حسين حلمي إلى السيّد العلاّمة - منصب المنيرة - محمد بن يحيى الأهدل بالتوجه لاستنقاذه، فتوجه واستنقذه منهم وسلّمه إلى الدولة وكان معه في ذلك المسير السيّد الجليل أحمد بن يحيى شراعي باشا رئيس بندر الحديدة بقصد المعاونة.

وفي شهر ذي القعدة منه وقع حرب بين الزّعلية وصليل[1] القبيلتين، ثم أن صليل اجتمعوا وتحزّبوا من الجبل إلى البحر وهَمّوا بالفتك بالزّعلية واستئصالهم، فبادر السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل بالخروج عليهم وفرّق جموعهم ثم طلب وصول القبيلتين إليه ببلدة المُنيِرة ليصلح بينهم على ضريح سيدي الولي عبد الله بن عمر الأهدل كعادة قبائل الجهة إذ هو محل معتقدهم، فمرض في خلال ذلك فرجعَ ولمّا وصل إلى البيت اشتدّ به المرض وكاد يفارق الحياة فوصل المذكورون إليه بالمنيرة - وهو في ذلك المرض - وهم عدد كثير فقام بالنيابة ولده السيّد قاسم بن محمد الأهدل وتم الصّلح على يده فجزاهم الله عن المسلمين، خيراً ثم بعد ذلك أغاث الله سقاية العباد والبلاد والحمد لله.

أحداث عام ١٣٢٠هـ:

وفي شهر محرم الحرام من عام عشرين عادت الفتنة بين القبيلتين المذكورتين وانتشرت وطالت وبلغت القتلى منهما نحو مائة قتيل، فطلبهم السيّد إليه بالمنيرة وأصلح بينهم وانحسمت الفتنة من ذلك الوقت إلى وقت تحرير هذا وهو عام تسعة وعشرين.

وفي يوم السبت من شهر رمضان - وهو الثامن عشر منه - حدثت حادثة عظيمة في مدينة الزّيدية، وذلك أنه قُتل بها قتيل من بني خمجان لم يُعْلَم قاتله، والمقتول من أهل الجانب الغربي من المدينة المذكورة وعشيرته في قبيلة صِلَيل، فادّعى أهل الجانب الغربي أن القاتل له أهل الجانب الشرقي، وقامت حميّة الجاهلية من قبيلة صلَيل وأعانتهم سائر القبائل، فتحزّبوا وتجمّعوا ودخلوا المدينة والضعفاء والفقراء أكثر سكانها، ووضعوا أيديهم في جميع المدينة القتل والنّهب وإحراق المساكن، فَقُتِل من أهلها نحو سبعة أشخاص وأحرقت أكثر دورها وتفرّق أهلها في القرى ولم يبق فيها أحد، وبينما هم فيما هم فيه وصل عبد الله بوني باشا، وكان قبل ذلك قد

---

(١) الزعليّة: قبيلة من علك تسكن في شرقي اللُحيّة ما بين وادي مور شمالاً ووادي سردد جنوباً. كما أن قبيلة (صلَيل) هي الأخرى تنحدر في أصولها من علك وسكناها في مديرية الزيدية

توجه إلى الزبعة(1) فعند وصوله خرج منها القبائل هاربين خوفاً منه لما في قلوبهم من الرعب منه، فسلّم الله بعض بيوت المدينة بوصوله من الإحراق.

ثم ان القوة الدولية تحركت من بندر الحديدة فوصل قومندان العساكر الشاهانية هادي باشا في عسكر كثيف إلى الزبدية، فوقع بوصولهم ووصول البوني باشا الأمن لأهل البلد وسكن روعهم مما حلّ بهم ورجع بعضهم في ذلك الوقت إليها ولكن بعد بلوغ أحوالهم إلى آخر درجة من الضعف، ولحق القوي منهم بالضعيف بأسباب ما حل بهم من النهب والتحريق والتطريد وتتابُع القحط وقِلة الأمطار وغلاء الأسعار، ثم ان السيّد العلامة محمد بن يحيى الأهدل أصلح بينهم فحصل لهم كمال الأمن إلى وقت تاريخ هذا، وما زالوا يتراجعون ويثوبون من البلدان والقرى إلى بلدهم الزبدية حتى رجعوا كلهم والحمد لله. وهادي باشا ـ هذا ـ رجل عاقل مستقيم الحال محب للصلاح وذكَر أن نسبه يتصل بأمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد قلت هذه القصيدة على لسان سيّدي العلاّمة السيّد محمد بن يحيى الأهدل مادحاً له:

طلع السعد في ربى كلّ نادٍ ... فهدينا إلى سبيل الرشاد
وحمدنا الإله إذ مَنَّ فضلاً ... بقدوم الفريق هادي العباد
قمة نالها باسم شريف ... قد أشرنا لها فكن خير هاد
من تحلّى بالعلم والحلم والعزم ... كذا الحزم في جميع المراد
رأيه صائبٌ إذا عَنّ أمرٌ ... يصدر الرأي عن تُقَى وسداد
همة قد علت بِحُسن المساعي ... ما لها قط من ونا ونفاد
قد تسامى نِسْبةً رفعت ... مفخراً في الدّنا ويوم المعاد
عُمَري زكا أصولاً وفرعاً ... قُرشي بذا غدا في العداد
فبه قطرنا قد إزدان فخراً ... وكسى الأمن حاضراً والبوادي
بطلٌ فلّ جيش بغى فأضحى ... في انهزامٍ ومشى في بداد
مذ أتى في كتيبة النصر حقاً ... يَقدُم الجيش عزمه في ازدياد
بعدما حلّ بالبلاد من القتل ... وإحراق الدّور في كلّ ناد
فغدا ساحباً ذيول أمان ... والأهالي داعين رب العباد
بدوام الثبات والنصر فضلاً ... وداوم التوفيق والإسعاد
للذي قام بالخلافة فينا ... ولأعداء الدين بالمرصاد
فأعِنْهُ ربي على حمل أعباء ... الخلافة في الأغوار والأنجاد

---

(1) الزبْعَة: بفتح فسكون ففتح، من قُرى سراة زهران بمنطقة الباحة.

وأدِم نصـره بـأعـوان صـدق وجنـود مُـتـوصلـة الأمـداد
واحفـظ الـديـن ربِّ مـن بغـي بـاغٍ بليـوث الـوغـاء بـوفـق الـسداد
وصـلاة الـسـلام تغشـى نبيـاً خُصَّ بـالحوض واللوا في المعاد
مـع سـلام يعـم آلاً وصَحْبـاً مـا دعـى للإلـه داعـي الـرشـاد

انتهت.

وفي هذا العام سرق دحدح - بوزن جعفر - ورجلان معه ذَهباً لأحد رعيّة الطليان بعد أن نزلوا من ساعية في جزيرةٍ بها صاحب الذهب ولم يكن له بها عشيرة تمنعه. فتحكّموا عليه يحضر المفاتيح ففتحوا وأخذوا ما شائوا ثم رجعوا إلى بلدهم الجامعي[1] وذلك من بلد تُسمّى دبعلوا، فوصلت طائفة من الطليان في بابور إلى مرسى مِيْدِي ونصبوا عليهم الحرب وأخربوا أكثر بيوته، وما كَفُّوا الحرب إلاّ بعد أن غرِمَت لهم الدولة العثمانية جميع ما أخذه دحدح وصاحباه، ثم ان الدولة أمسكت صاحبيه وسلمتهما إلى الطليان وإلى الآن لم يوقف لهما على خبر.

أحداث عام ١٣٢١هـ:

وفي شهر شوال من عام إحدى وعشرين ولد الولد المبارك محمد بن قاسم بن محمّد بن يحيـى الأهدل، أنبته الله نباتاً حسناً.

وفي عام إحدى وعشرين خرجت قبيلة بني عويدان[2] عن طاعة الدّولة ووافقهم على ذلك جماعة، ففروا على العسكر بالقناوص ووقع قتل من الجانبين، فجهّز عليهم رئيس الترك «بيك باشي علي رضا» وبرفقة عبد الله بوني باشا وعسكروا بجبل يُقال له قرنبوه[3] وثار الحرب بينهم ولم يقع قتل، ثم شرد بنو عويدان فقامت القبائل فنهبت قراهم وأخرجت مدافن الطعام، وعقب ذلك أصلح بينهم وبين الدولة السيّد العلاّمة محمد بن يحيـى الأهدل فجزاه الله خيراً.

أحداث عام ١٣٢٢هـ:

وفي عام اثنين وعشرين وقعت حروب بين الدولة وبين الإمام السيّد يحيـى بن محمد حميد الدين صاحب شهاره، وطال ذلك، وما زال الإمام يتتبع المعاقل والحصون ويستولي عليها حتى أخذ كثيراً منها، وحاصر صنعاء أشد الحصار نحو

---

(١) الجامعي: من أعمال مديرية اللُحيّة.

(٢) بني عويدان: فرع من بني كشارب إحدى قبائل صليل من علك، يسكنون مديرية القناوص من أعمال محافظة الحديدة، لهم قرية: دير عويدان جولر مدينة القناوص.

(٣) قرن بوه: جبل وبلدة بجوار مدينة القناوص.

ستة أشهر حتى أكلت خزائن الدّولة ونفدت فأكلت المَيْتات والكلاب حتى نفد ذلك فأكل بنو آدم بعضهم بعضاً كما قيل، وبلغ ما قيمة فلس بريالين وأكثر، ومات أكثر من بها من الجوع[1] وتفرقت العساكر في سائر البلدان والحرب في خلال ذلك ثاير بينهم وبين الإمام فتارة يغلبهم وأخرى يغلبونه إلى أن دخل صنعاء وأخرجَ من بقي بها من عسكر الدولة، واستقر بها وقعد ببيت الدّولة يدير المُلك، ولكنه في خلال ذلك كان ينقل المدافع منه ويرسلها إلى «شهاره» حتى أخذ نحو ثلاثة وتسعين مدفعاً خوفاً من إغارة الدّولة عليه وتجهيزها لقتاله. وفي خلال ذلك وصل نحو خمسمائة نَفَر من قبائل يام لنصرة الدولة العثمانية على الأمام، فجائت طريقهم مدينة الزيّدية وبَاجِل ثم طلعوا إلى عتّاره[2] محل الدّاعي عبد الله بن علي وهو رئيسهم[3] فَجَرت الحرب بينهم وبين قوم الإمام فقُتل من «يام» كثير ولم يبْق منهم إلا نحو خمسين نفراً، وأُسِر الدّاعي وحُمِلَ أسيراً إلى الإمام بصنعاء ورجع من بقي من يام إلى بلادهم، ولمّا بلغ ذلك إلى مسامع السلطان الأعظم عبد الحميد خان ثارت حفيظته فجهّز الجيوش المتكاثرة والأسلحة النّارية والذخائر العظيمة كالمدافع العجيبة التي لم ير مثلها في الكبر والقوّة، والبنادق الغريبة الشكل المُسَمَّاة بالموازر التي يسع جوف كلّ واحد منها عشر فشكات يُرْمَى بها واحدة بعد واحدة في أسرع وقت، وملأبذلك البوابير العظام ثم وجهها إلى بندر الحديدة وتفرّقت من هناك إلى صنعاء وحَجّه وغيرهما، ونزلت معهم البغال والخيول العظيمة بكفايتها من الحشيش والشعير وكذلك كفاية العساكر من الدقيق والأرز والسّمن والإلبِسَة والصابون وجميع محتاجاتهم، ورئيس العساكر الوالي أحمد فيضي باشا[4] واختاروه على غيره من الولاة لأنه ذو شهامة وحلم وشجاعة وحُسن تدبير وعزم وحزم وله اختبار باليمن وأهله لتردده والياً بصنعاء ثلاث مَرّار، فجاء والإمام بصنعاء وقومه قد ملأوا الحصون والبلدان والطرق ووصلوا إلى الحَجَيْلة بالقرب من تهامه[5]، فما زال الوالي يطردهم من الحصون ويقتل فيهم ويأسر ويخرجهم من المعاقل ويرتبها الجُنْد والذخائر حتى كانت المسافة بين كل رتبة والثانية قدر ما يسمع البوق المُسَمَّى عندهم بالنّفير. وما زال على ذلك حتى دخل

---

(١) انظر المقتطف من تاريخ اليمن، ص (٢٩٠)، وكتاب تكوين اليمن الحديث.

(٢) عتّارة: بفتح فتشديد، حصن في جبل مَسَار الواقع غربي حراز.

(٣) من دعاة الباطنية الإسماعيلية.

(٤) هذه هي المرة الثالثة التي يتولّى فيها الولاية، وقد استمر من سنة (١٣٢٣) إلى (١٣٢٦هـ).

(٥) الحَجَيْلَة: بفتح الحاء وتشديد الجيم، منطقة بالشرق الجنوبي من مدينة بَاجِل بمسافة (٤٥) كيلاً، كانت تمر منها الطريق القديمة بين صنعاء والحديدة وذلك صعوداً من تهامة إلى جبل مناخة بمسافة (٣٠) كيلاً، أي مسافة ست ساعات على ظهور الدواب.

صنعاء والإمام في القصر محل الدّولة[1] وقومه قد ملأوها، فخرج الإمام منها محتفياً بالليل وتفرّق عسكره فملأها الوالي من عساكر الدّولة وملأ معاقلها بالأسلحة العظيمة كالمدافع والبنادق السابق ذكرها إذ هي قاعدة مملكتهم باليمن، ثم أن الوالي أحمد فيضي بعد أن أسس قواعدها ومهّد مملكتها، خرج في قوة عظيمة من العدة والعدد إلى الحصون والمعاقل التي استولى عليها الإمام كالرّوضة وكوكبان والمحويت وحجّه والظّفير وما والاها، وما زال يستنقذها منهم بالحرب ويطردهم عنها حتى خرجوا منها جميعاً، وكلما استنقذ معقلاً رتّبه بالعساكر والعدة مع المباشرة للحرب بنفسه في كل موطن على خلاف عادة الولاة في القوانين العثمانية، وما ذاك إلا لشجاعته المشهورة وقوة جنانه وهو معروف بذلك عند الدّولة بحيث أنهم يجعلونه في الثغور المستصعبة فيفتحها.

عام ١٣٢٣هـ:

ولمّا وصل الوالي إلى الظَّفِير[2] في عام ثلاثة وعشرين بعد ثلاثمائة في شهر شعبان منها، وصل إليه السيّد العلاّمة الأجل محمّد بن يحيى الأهدل - صاحب المنيرة - برفقة صاحب السّعادة عبد الله بَوْني باشا وذلك في أثناء المحاربة، وكان وصول السيّد إليه متأسّياً منه رفع ما أحدث في بلدة المنيرة مما لم يعتادوه من المظالم كالدّمغة، فتلقّاه بالإكرام وأسعفه بمطلوبه ورفعَ عنه ما وصل إليه لأجله، وكان هذا - أيضاً - بعناية البوني باشا المذكور إذ له كلمة نافذة عند الوالي، وظهرت للسيّد كرامة في تلك الحال هي أنّ الوالي طلب منه التشفُّع إلى الله تعالى في فتح الظَّفِير في أقرب مدة، إذ هو في العادة لا يُفتح علي يدِ الملوك الأولين إلا بعد حروب عظيمة ومدة طويلة، فتوجّه السيّد بالدعاء إلى الله وفُتح في ذلك اليوم، فحرّر له الأوامر برفع تلك المظالم ورجعَ إلى بلده المنيرة مسرور الخاطر، قرير الناظر فقلت عند ذلك هذه القصيدة مُهنياً له بها ومادحاً:

الصّبر أفضل ما يُقضى به الوَطر	والنّصر في طيّه والعزّ والظّفر
فاغضض عليه تجد ما أنت تطلبه	وبالنّجاة به تحظى وتنتصر
والصّبر يا صاح محمودٌ عواقبه	في مُحْكَم الذِّكر والتنزيل مُنْتَظر
قد قال شافعنا المختار من مضر	هو الضياء بذا قد جاءنا الخبر
وكما له من صفاتٍ جلّ ناقلها	عن الثقات ونعم السّادة الخِيَر
به تجلّى رجالٌ للعلا سلكوا	كأنهم في جبين الأعصر الغُرَر

(١) مفهوم الدولة عند المؤلف يشير إلى الوجود التركي باليمن.
(٢) الظفير: بلدة في قمة جبل شمال مدينة حجّه بمسافة نحو (١٥) كيلاً.

قد اقتفى أثرهم بالجدّ مجتهداً بدر العُلَى قطب أهل الله والوزر
سليل أهل التقى بدر العلوم ومن به أضاء جميع البدو والحضر
أعني ابن يحيى عماد الدين أفضل من دارت عليه رحى العرفان تفتخر
أكرم به من هُمام عالم وَرِع بالحِلم والعلم والعرفان معتجر
مؤئل المجد ذو الجاه العريض إذا خَطْبٌ ألمّ له في حَلِّه نظر
هُنيت بالمجد يا قطب الوجود فقد أعطاك ربك ما ترجو وتنتظر
من رتبة رفعت فوق الورى رُتباً أو هِمّة طاولتها الشمس والقمر
وبالظفير ظفرتم بالمراد وذا من فيضي أحمد فليهنكم الظّفر
وقلما أبصرت عيناك ذا لقب معناه في لفظه يبدو وينتشر
والسّعد قد رُفِعت راياته صُعُداً والمجد في حلل يزهو ويزدهر
والنّحس قد ذهبت آثاره وَغَدت رسومه شاغرات غالها القدر
وليهن شنيىء أهل البيت قاطبة صديق صدق له من نحوكم نظر
أعني بذا الباشة البوني شمس ضُحى من قام في نصركم والحرب تستعر
فاحمد لمن طفحت فضلاً مواهبهُ واشكر له شكر من لم يبق أو يذر
والله موليك فضلاً فاحمدنّ به فما لذي غيره نفعٌ ولا ضرر
واسلم ودُم لابساً ثوب الهنا جذلا فخراً وإن زَعم الأعداء أو بطروا
ثم الصلاة مع التسليم تتبعها على النبي مع الأصحاب ما ذُكروا
وآله الغُر ثم التابعين لهم في كل آنٍ كذا الآصال والبُكَرُ

انتهت.

ولمّا استقر الوالي أحمد فيضي بصنعاء صدر إليه الأمر بواسطة التلغراف من السّلطان عبد الحميد بالخروج إلى أخذ شَهارة من يد الإمام التي هي قاعدة ملكه ومحل قوته[1] وأخذ الإمام أو أسْرِه، وهي بلدة عسرة المُرْتَقَى لم يكن لها غير طريق واحدة، فخرج في شهر رمضان في عسكرٍ كثيف ولمّا وصل إليها ناوش الحرب فحصر دونها وقُتل أكثر عسكره وتفرّق من سَلِم من القتل وبعضهم هرب إلى الإمام، ونجى الوالي إلى صنعاء برأسه بعد اللّتيا والتي

فيومٌ عَلَيْنا ويومٌ لَنا وَيَومٌ نُسَاءُ ويَومٌ نُسَر

وفي شهر شوّال منه قُتل أحمد بن عبيد حرازي وهو قاعد على كرسيّ في باب داره، ضربه شخص ضربة واحدة بفأس في بطنه كان بها أجله، ولم يُعرف قاتله،

---

(١) انظر المقتطف ص (٢٩١)، وغيره.

وأصل بلدة حَرَاز وصل منها إلى بندر الحديدة فقيراً لا يأكل إلاّ من عمل يده، فشكى على السيّد الأجل الولي المكاشف يحيى بن أبي القاسم الأهدل صاحب المنيرة ـ بعد أن وصل إليه زائراً ـ قِلّة ذات اليد، فدعا الله له ففتح عليه من الدنيا بما لا يمكن حصره، ولهذا كان له محبّة في ولده القائم مقامه الآن السيّد العلاّمة محمّد بن يحيى الأهدل وإلاّ فهو ضعيف المحبّة للآل غفر الله له.

وفي هذا العام أحدثت الدّولة الزّكاة في الحمر الأهلية، فلم يتفق لهم ذلك فتركوا.

أحداث عام ١٣٢٤هـ:

وفي عام أربع وعشرين جرت حروب عظيمة بين الأشراف أهل الزّهرة وبين السّادة النعامية[١] منشاؤها أن الشريف علي بن محمّد بن يحيى من الإشراف الطّوالية خرج بعد صلاة المغرب من الزّهرة ـ بعد مضي خمس ليال من رمضان من السنة المذكورة ـ ليصلح بين أناس من أهل قرية مور والغرزة[٢] ولمّا وصل قرب الغرزة ثار عليه جماعة قد كَمنوا له في ذلك الموضع فقتلوه، فحُمل إلى الزهرة ودُفن بعد صلاة الفجر فخرجَ عشيرته من الأشراف ـ بعد دفنه ـ إلى النعاميّة[٣] وكانوا قد أتهموا بقتله وعَضِدَهُم جماعةٌ من أهل الزُهرة وغيرهم، فاقتتلوا ذلك اليوم واليوم الذي بعده فبلغت القتَلى من الجانبين نحو ستين قتيلاً فيهم رؤساء القبيلتين، فسَرى الفساد إلى سائر القبائل الكائنين بجهة الوادي مُور وكثُر القتل وسالت الدماء، وتأخر سيل الوادي في هذا العام بشؤم هذه الفتن فخرجَ إليهم السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل وهُمْ في غاية من الحَنَق والغيظ لأنه ذهب في تلك الفتن رؤساء الطرفين فأصلح بينهم وذهبت تلك الأحقاد والإحن فجزاه الله خيراً.

عام ١٣٢٥هـ:

وفي عام خمسة وعشرين والعام الّذي بعده وقعت فتنة بين السّادة بني القبع وبين الحشابرة نشأ منها قتل من الجانبين، واتسع الخرق بينهم فتوجّه إليهم السيد المشار إليه وبرفقه صاحب السّعادة عبد الله بوني باشا مصحوباً بطائفة من عسكر الدّولة

---

(١) آل النُّعمي: من أعيان المخلاف السليماني، ينحدرون من ولد: نعمة الله بن علي بن داود بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن أبي طالب. راجع عنهم الجزء الثاني.

(٢) الغرزة: من قرى وادي مور وأعمال مديرية الزهرة.

(٣) النعامية: قرية جوار بلدة المعترض بوادي مور من أعمال مديرية الزهرة، وهي باسم بلدة من أعمال صبيا بمنطقة جازان جاء منها آل النعمي.

وأصبح بيهم السيد وقلو الصحح

وفيه توفي القاضي العلامة الشيخ محمد بن محمد المرحاحي، من علماء الحنفية بزبيد وقد كان متولياً القضاء في مدينة الزبيدية فانفصل من القضاء قبيل موته وسار إلى زبيد فمرض أياماً ثم مات، وكان أعلم أهل وقته في اليمن بمذهب أبي حنيفة رحمه الله.

وفي شهر رمضان منه توفي السيد الأجل الصالح عبد الباري بن محمد بن يحيى الأهدل بالمنيرة، وحصل بموته الأسف العظيم بكونه نشأ نشأة عظيمة مع سلامة الصدر، وحفظ القرآن العظيم وكان قد قرأ على يدي ما لا بد له منه من الفقه والنحو وغير ذلك، وكانت وفاته في عنفوان الشباب وله من العمر ثلاثة وعشرون سنة، وقد رثيته بهذه القصيدة يوم موته وموسياً لوالده وأخوانه:

خطبٌ أتى مسرعاً من حدثٍ عَظُما … فعمّ كل الورى من عظمه وطمَا
وعاد القلب لا ينفك ذا وَلَهٍ … وصيّر الجسم مضنى قد سعى السقما
وأظلم الكون لمّا انقضّ كوكبه … ليلاً كذا كوكب الأسحار إن هجما
وذاك أنّ وجيه الدّين سيدنا … وابن سيدنا نودي فجاد بما
وما تحققت أن البدر يأفل في … أصل الثرى إن هَوَى من فوق كل سما
حتى تغيب بدر الأفق في حدث … وابتزّ منا قلوباً معه وآندَما
أوّاه آه، وآوّاه كآبتنا … لفقد من قد علا فوق العُلاَ وسما
وجيه دين الهدى بحرٌ يموج ذكا … لَهفي عليه لقد أوَدى فيا أسَفا
سرٌ تقي نقيّ الردن مند نَشا … فأهدليُ القطب حقاً قد سَمَا ونما
قد كان سر سراه في الحقيقة إذ … سرى إلى خازن الفردوس مغتنما
نودي فلبّى سريعاً نحو مسكنه … الحقّ الجدير بأن يأوى له كرما
وما هذه الدّار للسّكنى صالحة … بل هي ممر فدعها واترك الوخَما
وقد علمت بمن فيها قضى فمضى … وصار اعفا دياراً لليلا رُسَما
فاغفر له سيّدي واجعل له بدلا … مبوءاً جنة الفردوس والنعما
واحفظ بفضلك يا ذا الفضل والد … شمس الوجود وقطب الوقت والعلما
كذاك أولاده أسد السرَى كرماً … واملأ بهم غابة وامنعهم النقما
عليك يا سيّدي بالصّبر تحظ بما … حضى به الأوّلون السّادة القدما
هذي طريقتكم ما تجهلون لها … وأنتم أولى بها ممّن مضى كرما
يا سيّدي البدر يا قطب الوجود أما … في الصّبر نصر كتاب الله فاغتنما
إنّي معزيك لا إنّي على ثقة … من الخلود فمن ذا قد رجى سلما

كذاك السادة والإخوان جمعهم … كبيرهم وصغيرهم ما أنى الخلما
والأهل والصحب والأحباب قاطبة … وكل من في العزا حق له عظما
تصبر يا سادتي فالصبر مَحْمَدةٌ … فمن تصبر نال الفوز واغتنما
وصل رب مع التسليم تتبعها … على الذي للعُلا فوق السماء سما
والآل والصحب ثم التابعين لهم … السادة القادة الأخيار والحكما

انتهت.

وفي شهر رمضان أيضاً منه، وُلِدَ الولد المبارك إن شاء الله تعالى: يحيى بن إسماعيل بن محمد الوشلي، وَلَدُ جامع هذا الكتاب أنبته الله نباتاً حسناً وجعله من عباده الصالحين.

وفي آخر شهر الحجّة منه وُلِدَ الولد المبارك إن شاء الله تعالى محمد بن عبد الله بن محمّد بن يحيى الأهدل، جعله الله من حَمَلَة القرآن العظيم ومن عباده الصالحين.

وفيه نَزَلت أمطارٌ عظيمة وسيول نافعة إن شاء الله تعالى عميمة عَمّت البلاد، وأخصب الحاضرون منها والباد، وخُرِبت من شدة الأمطار كثير من المساكن، وسَقطت منها منارة جامع المنيرة، وهي في غاية الطول والعمارة، وكان قد بناها السيّد الأجل القطب الأكمل يحيى بن أبي قاسم الأهدل في عام أربعة وسبعين، فعلى هذا يكوْن بين عمارتها وسقوطها أحد وخمسون سنة ثم أعادها ولده السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل في التاريخ الآتي، وسالت الأودية حتى بلغت البحار بعد ريّ الأرض التي تعتاد السّقي منها، وأخرَجت الأرض بَرَكَاتها فَحملت بمزارع عظيمة على اختلاف أنواعها وجائت بثمرةٍ جسيمةٍ بعد الجدب الشديد، ونزل ببعض البلاد جراد عظيم لا سيّما بلاد المهادلة من بلاد صليل ودام فيها بحيث أنه جاء بنتاج وجاء النتاج بنتاج آخر وأكَلَ بعض المزارع وقد يأس أهلها منها، ثم رفع الله الجراد ووضع البركة فيما بقي من الزراعة فحصّل منها ثمرة كثيرة فسبحانه من لطيفٍ خبير.

وفيه توجه صاحب السّعادة عبد الله بوني باشا إلى حج بيت الله الحرام متطوعاً، وأنفق في وجوه الخير من الأموال في هذه الحجّة شيئاً كثيراً فمن ذلك أنه أكترى بابوراً بستمائة ريال وصاح في الحجيج أنّ مَنْ أرادَ أنْ يركب مجّاناً فليركب، فركب معه كثير من الناس حتى وصلوا إلى محلاّتهم، وأنفق غير ذلك فجازه الله خيراً.

وفي ذي الحجّة، يوم السبت منه، قُتل السيّد العلاّمة عبد الله بن محمّد بطّاح الأهدل بمدينة زَبيد، قتله أهلها ظلماً وهو يمشي في بعض أزقتها، وذلك أنه وقع بين

أهلها فِتَن وضغائن وافترقوا أربع فرق وكانت كل فرقة منهم تَعْدُوا على الأخرى حتى وقع بينهم قتل كثير، فَظُلِمَ السيّد المذكور بجرُم غيره، ووقعَ لقتله الأسف الكثير من الخاص والعام لكونه أعْلَم تلك الجهة في وقته فلا حول ولا قوّة إلا بالله، وخُربت مدينة زبيد بعد قتله وتفرّق أكثر أهلها في البلدان بعد أن قُتِل منهم نحو ثمانين رجلاً، ثم لمّا وصلت عساكر الدّولة إليها أمِنَت فرجع أهلها بعد نحو سنة.

عـام ١٣٢٦هـ:

وفي عام ستة وعشرين توفي القاضي العلاّمة أديب وقته أحمد بن أحمد العواجي ـ المُلقّب حباجر ـ ببندر اللحية بموت الفُجأة من غير سبق مرض، وقد سَبَق مُتَرْجَماً له رحمه الله.

وفيه توفي السيّد العلاّمة آدم بن فارس الجبرتي ببندر اللّحيّة وقد سبق ـ أيضاً ـ مترجماً رحمه الله.

وفي سلخ شهر صفر منه، توفي السيّد العلاّمة المحقق الفهامه محمّد باري بن عبد القادر الأهدل ببندر الحديدة بموت الفجأة بعد أن صلّى العِشاء في المسجد ثم دخل إلى بيته وتوفي بعد ساعة رحمه الله ونفع به، وقد سبق مُتَرْجَماً.

وفي شهر ربيع الآخر منه خرج السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل للإصلاح بين قبيلة القحرَى والخضارية[(١)] وبين قبيلة الجرابح[(٢)] بعد أن وقعت بينهم حروب وقتل ونهب كثير من الجانبين ولم تبق قرية من قراهم إلاّ دخلها النّقص بالقتل والنهب، فما زال يتبعها قرية قرية ويطلب رضاهم فيما فات عليهم كما هي عادته في سعيه بين القبائل وفي طي ذلك الصّلاح العام، وقد جعل الله له في قلوب العباد من الرهبة والخوف والإجلال وقبول الشفاعة ومن نفوذ الكلمة ما يكون سبباً في تسارعهم إلى قبول ما يطلبه منهم، فانقادوا له جميعاً ورضوا بذلك ثم وصل بهم إلى ضريح سيّدي الولي مُوَقِف الشمس إسماعيل بن محمد الحَضْرَمي بقرية الضّحِي، وأقام بها ثلاثة أيّام يسعَى بينهم بالصّلح حتى أتم الله ذلك على يده بعونه وقوته، فسكنت البلاد وأمنت العباد ببركته فجزاه الله خيراً ونفعنا به آمين.

وفي هذا الشهر توفي السيّد الجليل الصّالح مهدي بن أحمد جَيْلان الحسنى صاحب دَيْر شُوَيْل[(٣)] وكان مُعْتقداً في أهل جهته، كثير السّعي بينهم بالإصلاح، وقد

---

(١) الخضارية: فخيلة من قبيلة القُحرى أحد بطون عك، منازلهم بنواحي باجل.

(٢) الجرابح: بطن من عك، ديارهم في مديرية الضحي بوادي سردد.

(٣) دَيْر شويل: قرية لقبيلة الجرابح السفلى من مديرية الضّحِي.

سبق مترجماً رحمه الله تعالى.

وفي شهر جمادى الأولى، منه، وقعت فتنة بين أهل قرية مور[1] وبين الحجاجة، قُتل فيها من الجانبين ستة نفر.

وفي شهر جمادى الثانية منه وقعت مقتلة عظيمة بين السادة المحامدة[2] وبين قبيلة العطاوية[3] وكانت الغلبة للعطاوية فقُتل منهم واحد ومن المحامدة نحو عشرين نفراً، نسأل الله تعالى السلامة.

وفي هذا الشهر سلّط الله النيران على القرى فذهبت بها بيوت وأموال جسيمة. نسأل الله السلامة منها في الدارين.

وفي شهر رجب منه توفي السيّد الجليل الصالح إبراهيم بن سليمان الأهدل بقريتهم المسمّاة بمحل السيّد سليمان[4] وقد سبق مترجماً.

وفي يوم الأحد الثاني عشر من هذا الشهر وُلِدَ الولد الصالح - إن شاء الله تعالى - قاسم بن إسماعيل بن محمد الوشلي، ولَدَ جامع هذا الكاتب، أنبته الله نباتاً حسناً وجعله من حَمَلة القرآن العظيم والعلم النافع آمين.

وفي شهر شعبان منه خرج السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل للإصلاح بين المحامدة والعطاوية - المار ذكرهم آنفاً - فأصلح بينهم على ضريح سيّدي الولي أحمد المجذّر، فتلقّفوا ذلك بالقبول وانقادوا له، وجَرت في خلال ذلك مصالحات بين قبائل آخرين في مواد بينهم فجزاه الله خيراً وأحسن إليه.

وفي هذا الشهر توفي الفقيه الصّالح يوسف بن أبو حربة بقرية الجبيرية[5] وقد مرّ مترجماً رحمه الله تعالى.

وفي رمضان، منه، توفي الفقيه العلاّمة فرج بن محمد الحوكي ببندر الحديدة، وقد مضى مترجماً رحمه الله.

وفي سلخ ذي القعدة منه ولد الولد المبارك - إن شاء الله تعالى - عبد الباري بن أبي القاسم بن محمد بن يحيى الأهدل، أنبته الله نباتاً حسناً وجعله من حملة القرآن

---

(١) قرية مور: من مديرية اللحيّة، سُمّيت باسم الوادي، وتقع بجوار بلدة الحماسيّة.
(٢) المحامدة: عشيرة من الحسنيين منازلهم بمديرية المغلاف.
(٣) العطاوية: فخيذة من قبائل صليل، يسكنون مديرية الزيدية، ومن قراها المعروفة: دير الوني، دير البلح، بيت عطا، دير الخطيب، دير مفتاح.
(٤) محل السيد سليمان: قرية عدادها من مديرية الضحى.
(٥) الجبيرية: من قرى الزعلية في جنوب وادي مور بمسافة (١٢) كيلاً.

العظيم والعلم النافع آمين.

وفي ذي الحجة منه توفي السيد الأجل الولي الأكمل حسن بن أحمد بن محمد بن عبد الباري الأهدل، يوم الجمعة بقرية المراوعة رحمه الله ونفع به، وقد مضى مترجماً.

وفي شهر شوال منه قُتل الشيخ الكامل أحمد بن أحمد عبسِي المقرني[1] على يد الواعظات، في حرب جرى بينهم ودُفن بقرية الحتيريّة من بلاد الزعليّة، رحمه الله.

وفي ذي الحجة منه توفي السيّد الجليل الصّالح حسن بن محسن النُعمي بقريته المُسمّاة بالرافعي بجهة الوادي مَوْر ويقال إن وفاته بالسم رحمه الله.

وفي هذا العام وَقَعت ربشة عظيمة في القسطنطنية وتغيرت الأحوال بسبب خيانة ظَهَرت من بعض المقربين عن السلطان عبد الحميد، فَتنبّه لهم السلطان وَقَتل بعضهم ونفَى بعضهم إلى البلدان الشاسعة بعد أن صَادَرَ الجميع بأخذ أموالهم فَوجَد عندهم أموالاً عظيمة يمج السّمع ذكرها، ولكن لقربهم من حضرة السّلطان وإجراء المرتبات الجسيمة لهم من قِبَله ما يبعد ذلك. ثم انه تغيرت الهيئة والترتيب الّذي كان عليه أمر الدّولة قبل ذلك، فَعَقدوا مجلساً في بلد تُسمّى سلانيك مشتملاً على طوائف كُفريّة ومسلمين وجعلوا الأمر بينهم شورَى وسُمِّي هذا المجلس مجلس المبعوثان وجاؤوا بالقانون الأساسي الّذي كان في المِدد السابقة مع آل عثمان، وفيه أشياء أظهروها من جملتها الحرية والمساواة والأخوّة والعدالة.

أحداث عـام ١٣٢٧هـ:

وفي شهر محرّم الحرام عام سبع وعشرين بعد ثلاثمائة وألْف وقع حربٌ بين قبيلة الجامعي وبين أهل الزهرة وبني السِيْد - بكسر السين - الساكنين بقرية غربي الزهرة[2] فَقُتل من قبيلة الجامعي نحو سبعة نفر ومن أهل الزّهرة عَبْد[3] مملوك فقط.

وفي هذا الشهر حدثت دعوة السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي بجهة صَبْيَا وظَهرت له أمور عجيبة وأشياء غريبة، وانجذبت إلى دعوته الخلق من كل جانب من القُرب والبُعد، وقد سَبَق طرف من ترجمته.

وفي شهر محرم - أيضاً - منه، عاثت قبيلة الزّرانيق[4] بقطع الطّرق والقتل

(١) بنو المقرني: من قبائل الزعلية في وادي مَوْر.
(٢) دير السِيـد: بلدة تقع جوار مدينة الزهرة.
(٣) كان نظام العبودية ما زال قائماً وشائعاً في تلك الفترة وبخاصة في تهامة.
(٤) الزّرانيق: قبيلة كبيرة تسكن سهل تهامة، ومركز بلادهم مدينة بيت الفقيه، ويقال لمن في =

والنّهب للمارّين، فجهّزت الدّولة عليهم الجيش الكثير والعدة العظيمة ورئيسهم رضا بك، ولمّا وصل إلى بلادهم عسكر ببيت الفقيه ابن عجيل، فبذلت - حينئذٍ - الزرانيق الطاعة وتسليم الأموال الدّولية المتراكمة عندهم والتي نهبوها الناس من الطرق، وبَذلوا لهم المراهين[1] فلم تَقبل منهم الدّولة إلاّ المُناجزة بالحرب لكونهم ما جهّزوا عليهم إلا لأعدامهم بالكليّة، فانفتح الحرب بينهم وطال وتتابعت الوقائع واستدام نحو شهرين ونصف فَقُتل من الفريقين جمع عظيم، ثم توسط بينهم صاحب المراوعة السيّد عبد الباري بن أحمد الأهدل وصاحب المنصورية السيّد أحمد بن يحيى بَحر، وجرَى الصلح على أيديهم وانفك الحرب.

وفي شهر صفر منه وقعت مقتلة بين المقاعشة وبني الكلفود[2] منشاؤها أن المقاعشة وصلوا إلى عَبِيْد بني الكلفود وهم يعملون بالثيرة في مَجرى الماء التي تُسقَى منه أرضهم، فغدروا بهم وقتلوا منهم سبعة أنفار، فأرسل السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل إلى المقاعشة يطلب منهم محابيس تسكيناً للفتنة على أنه سيسعى بينهم بالصّلح بعد ذلك، فلم يمتثلوا وصمّموا وأصرّوا على الخلاف، فحينئذٍ قامت عليهم قبيلة صلَيل وأتوهم من كل حدب ينسلُون، فأخذ منهم بنو الكلفود بالثأر وقُتِل منهم خمسة نفر، ووقع ذلك الجَمْع في النّهب فأخذوا جميع ما معهم من دواب وطعام وأثاث حتى استأصلوا أموالهم ونجوا بالأرواح فقط، فلجأوا حينئذٍ إلى السيّد ببلدة المنيرة مُستجيرين وطالبين المصالحة لبني الكلفود بعد أن ندموا وودّوا لو أطاعوه يوم كَتب إليهم، وكان أمر الله قَدراً مقدوراً، ثم أنّ السيّد طلب وصول بني الكلفود إليه فوصلوا ووصل معهم جمع كثير من صلَيل والعطاوية وغيرهم يبلغ عددهم نحو المائتين، ومكثوا لديه أسبوعاً والسيّد يُضَيِّفهم بالضيافات العظيمة ويسعى بينهم في خلال ذلك باصلاح ذات البين حتّى اصطلحوا ببركته وصبره عليهم كعادته في السعي بين القبائل والصبر على جفاهم، وقد جَرَت عادة الله له أنّه ما يسعَى

= جنوبها أهل الطرف اليماني، ولمن في شمالها أهل الطرف الشامي. ومن ديارهم: الطائف، وغليفقة، والخُوخة، والدريهمي، والكيمنية. ومن قبائلهم: بني مقبول، وبني مشهور، والهبالية، والبهادرة، وآل العقبي، وبني عطا، وبني الفتيني، والمعاريف، والمرابية، والعوامر، وغيرهم. ويمتاز قبائل الزرانيق بالشجاعة والشهامة، وقد خاضوا العديد من المعارك ضد الأتراك وكذا ضد الحُكم الإمامي قبل الثورة.

(١) الرهائن: وهو وضع أبناء المشائخ بمثابة رهينة لدى الدولة لردعهم من القيام بأي أعمال ضد الدولة.

(٢) المقاعشة وبني الكلفود: قبيلتان من صليل، تقطن الأولى مديرية القناوص، وتسكن الثانية مديرية الزيدية.

في أمر إلاّ يتمه الله ولو كان في غاية من الصعوبة لِحُسن نيته وقصده بذلك وجه الله فجزاه الله عن المسلمين خيراً وأطال عمره وبارك في أوقاته آمين.

وفي هذا الشهر وصل السيّد العلاّمة عبد الله بن إبراهيم[1] وزير إمام شهارة السيّد العلاّمة يحيى بن محمّد بن حميد الدين وبرفقة شخصان من خواص الإمام إلى مدينة الزبيدية[2] ونزلوا على الباشا عبد الله بن محمد بوني فأكرمهم غاية الإكرام ثم توجهوا إلى القسطنطينيّة من طرف الإمام، واختار إرسال السيّد عبد الله بن إبراهيم هذا لِمَا جمع فيه من خصال الكمال وصلاحيته لخطاب الملوك، وذلك لمخاطبات بين الإمام وبين السلطان عبد الحميد اقتضت إرساله فركب البابور البحري من بندر الحُديدة إلى الأستانة فصادف وصوله خلع السلطان عبد الحميد[3] وتغيّر الأمر عمّا كان عليه قبل ذلك وحدوث أمور نشأ عنها تخلّل المملكة، فتخلّص بالخروج منها على بصيرة ولم يتم شيء من الأمور التي وصل من أجلها، فرجع إلى بلده ومات أحد الرجلين الذي معه في مدينة باجل.

وفي الإثنين العشرين من شهر ربيع الثاني وقعت نار بالمنيرة وصادفتها ريح شديدة فأحرَقت في لحظة خفيفة نحو أربعين بيتاً، نسأل الله السّلامة والعافية منها في الدّنيا والآخرة.

وفي يوم الأربعاء التاسع والعشرين منه وقعت بها نار أيضاً أحرقت نحو عشرين بيتاً، وأكثر طلوعها في هذه الأيام من مواضع مختلفة نسأل الله السّلامة.

وفي يوم الجمعة الثاني من شهر جمادي الأولى توفي السيّد الصّالح أحمد بن حسين حلبيْ ببندر الحُديدة ودُفن بها، وقد سبق مُتَرجَماً.

وفي شهر ربيع الأوّل منه حدثت في القسطنطينية حوادث عظيمة وتغيرات منشأها ما سبَق آنفاً من حدوث مجلس المبعوثان والقانون الأساسي المشتمل على أمور قبيحة من جملتها الحريّة والمساواة، وكان صدور المجلس والقانون

---

(١) عبد الله بن إبراهيم: عالم كبير، كان من أعوان الإمام يحي ورجال دولته، وقد أرسله الإمام سنة (١٣٢٧هـ) إلى استنبول للمفاوضة بشأن إنهاء الحرب كما استعان به في أمور كثيرة. وكانت وفاته سنة (١٣٤٧هـ). وهو من آل إبراهيم المنحدرين من سلالة المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم.

(٢) أحدهما السيد محمد بن أحمد الشّامي عامل شهارة والمتوفي بالمسقاة من وادي بنا سنة (١٣٣٧هـ).

(٣) كان ذلك عقب وقوع الانقلاب العثماني ضد السلطان عبد الحميد الثاني في ربيع الآخر سنة (١٣٢٧هـ). وبعد ذلك عاد الوفد إلى اليمن.

المذكورين عن غير رأي السلطان الأعظم عبد الحميد ولا رضاه لكون ذلك يؤدي إلى عدم استقلاله بالمملكة، ولم يوقف ذلك أيضاً رأي كثيرين من رؤساء الدولة ورجالها الذين يحبون الصّلاح، فحينئذ افترقوا فرقتين وتحزبوا حزبين حزب في جانب السلطان وآخر في جانب الآخرين، واستعرت نار الحرب بينهم وحمي الوطيس فقتل من الجانبين جمع عظيم حتى سالت الدماء في أمور يطول شرحها لم أتحققها بعد الشقة، ثم إنه اقتضى رأي مجلس المبعوثان ومجلس الأعيان مع فتوى شيخ الإسلام محمد ضياء الدّين خَلْع السلطان عبد الحميد لمّا لم يوافقهم على ما أحدثوه، فخلع يوم الثلوث السابع من ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ الموافق أربعة عشر من نيسان سنة ١٩٠٩ وسُيِّر إلى سلانيك ورُتِّب له ولدائرته من بيت المال ما يقوم بكفايته، ثم عُقِدَت البيعتان الخاصة والعامة لأخيه السلطان الأعظم محمد رشاد خان الخامس بن عبد المجيد خان، وكان جلوسه على تَخْت المُلك الساعة التاسعة وقت أذان العصر من يوم الثلاثاء السّابع من شهر ربيع الثاني عام سبعة وعشرين بعد ثلاثمائة وألف، في اليوم الذي خُلِع فيه أخوه عبد الحميد، ورُمي عند جلوسه على التخت مائة مدفع وواحد، فالله المسؤول أن يؤيّده بالنصر والتمكين والظّفَر والفتح المبين ويعينه على القيام بأعباء الخلافة ويقمع بسيف عدله من يريد شقاقه وخلافه، ويَعزّ به دين الإسلام، ويعلي به كلمة المسلمين، ويخذل به البغاة والمعاندين، ويذلّ له رقاب الكفرة المفسدين، ويوفقه لنصر الشريعة المحمديّة، ويقود بناصيته إلى الرّحمة والشفقة والعدل في الرعية آمين آمين. وكانت مدة خلافة أخيه السّلطان عبد الحميد بن عبد المجيد أربعاً وثلاثين سنة لأن جلوسه على تخت المُلْك كان في عام ثلاثة وتسعين بعد المائتين، وخَلْعِه في عام سبعة وعشرين بعد ثلاثمائة، وقد سَبَقت الإشارة إلى ذلك ودخل الخلل عليه في المملكة في آخر المدّة من حيث لا يشعر بسبب خيانة بعض المقرّبين لديه ومداخلتهم للطوائف الكفريّة، وما زالوا يسوسون في ذلك حتى أفضى الحال إلى خلعه فسبحان من لا انقضاء لمُلكه.

وفي شهر جمادي الأولى منه، ظهر أشخاص ثلاثة في بعض القرى، واحد في قرية تُسمّى القشري - بضم القاف وفتح الشين وكسر الرّاء - غربي المنيرة بنحو نصف ساعة، وآخر في دَيْرِ الزيح - بزاي مكسورة وحاء مهملة بينهما مثناة تحتيّة - قرية قبلي مدينة الزيدية، والآخر بالحازة ببلاد العطاوية، يَدّعون الصّلاح والولاية ولبسوا من ذلك في شيء بل قصدهم جَمْع الحِطَام فقط، لأن من شَرْط الولاية الاستقامة وهم خليّون عن الاستقامة وعن المعرفة، فظهروا بالتّنسك والعبادة وانجذبت إليهم الخلق من كل جهة، وما انجذب إليهم إلا هُمل رعَاع أتْبَاع كل نَاعِق فاغتروا بهم وافتتنوا، ومعاذ الله أن تقع الولاية فيمن كان خالياً عن شروطها وقد نَقَل الشيخ الإمام أحمد بن

في «تحفته» عن الإمام القُشَيري أنّ من شَرط الولي: الحفظ، كما أنّ شرط النبي: العِصْمة. فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مخادع مغرور. انتهى، نسأل الله السّلامة والعافية من الجرأة والدعاوي الباطلة ويرحم الله الإمام البُوصيري القائل:

والــدّعـاوي مــا لــم تُقيمـوا عليهـا بَيّنـــات أبنـــاؤهـــا أدعيــــاء

فَمن ادّعى فليبرهن وهؤلاء لم يجيئوا ببرهان يصدّق دعواهم، بل قد افتضح بعضهم وانكشف حاله فإذا هو من أراذل الناس، وصل إلى أناسٍ متستّراً وهم لا يعرفونه قبل ذلك فَرَاج أمره عندهم ولمّا ظهر لهم حاله وانكشف لهم سوء سيرته رفضوه فَشَردَ من عندهم كي لا يفتكوا به، وبعضهم كان في أولّ الأمر كان يمتنع من قبض الدّراهم والصِّلات التي يصل بها إليه الوافدون وما ذاك إلاّ لأنه كما قيل: لأمرٍ مّا جدع قصير أنفه، ولمّا كثر انجذاب النّاس إليه وتمكّن حبه في قلوبهم أخذ في جمع الحطام، تارةً بالطلب بغيره، ولم يكن همهم إلاّ ذلك وقد أَخْبَرَ الثقات ممن وصل إليهم أنهم لا يحسنون قراءة الفاتحة فضلاً عن غيرها.

وفي يوم الأربعاء الثامن والعشرون منه وُلِدَ الولد المبارك إن شاء الله تعالى أحمد بن يحيى بن محمد الأهدل، أنبته الله تعالى نباتاً حسناً وجعله من عباده الصالحين.

وفي مساء يوم الإثنين الثالث من شهر جمادي الثانية ظَهَرت بعد صلاة العِشاء نيران عظيمة في البريّة متفرقةً في جهات شتّى، فكانت تُرَى حول القُرى بالقرب والبعد منها ومَنْ وصل من جهة من الجهات أُخْبَر برؤيتها في جهته وإذا قصدها أحد ليعرف حقيقتها لم يصل إليها لأنها تُرَى قريبة في رأي العين وهي بعيدة في نفس الأمر، ولم يُوْجَد لها أثر في الأرض حيثما ترى أصلاً، ولم تزل تَظْهَر تارةً وتختفي أخرى إلى أن مضَى ثلث الليل الأوّل والله أعلم بحقيقة الحال، ثم كان بعد ذلك في سائر الليالي تطلع كل ليلة بعد أن يمضي ثلث الليل الأوّل أنوار عظيمة تملأ الآفاق من كل جهة وتَبْقى إلى آخر الليل.

وفي يوم الخميس الثّامن والعشرين منه، وقَعَت نار في مدينة الزّبيدية يماني سوقها، فأحرَقت نحو ثلاثين بيتاً في لحظة خفيفة لأنها صادفها ريح شديد في وقت الفصل المُسَمَّى سُهَيْل.

وفي يوم الأحد بعد صلاة العصر غرة شهر رجب الحرام هبّت ريح شديدة ظلمت منها الآفاق ثم أحمَرت ثم اصفرّت ثم انْجَلت، وحصَل بالناس خوف شديد منها لأنه لم يعهد مثلها.

وفي اليوم الأحد الثاني والعشرين منه، تجمعت قبائل بني قيس والواعظات والزعلية وصليل وغيرهم وحاصروا بيت صاحب السعادة عبد الله بوني باشا ببلدة الريغة من بلاد بني قَيْس[(١)]، وكان ولده محمد بك قد خرج إلى أبيه بالزيدية فاغتنموا الفرصة وحاصروا البيت وفيه النساء والأطفال ونحو مائة نفر من الترك وأخوه أحمد بوني وعشيرته، وكان مدة الحصار خمسة أيام من يوم الأحد إلى يوم الخميس، وقطعوا الماء عنهم حتى كادوا يهلكون ظماً، ولمّا أشرفوا على الهلاك من شدة الظمأ خرجوا من البيت فدخلته القبائل المذكورة وفيه من الأموال نقود الذهب والفضة والأثاث والمحاسن والذخائر والأسلحة ما لا يُحصَى ولا يُحصر وأخذوا جميع ما فيه، لولا الظمأ لما دخلوا عليهم ولو حوصروا سنةً كاملة لأن البيت في غاية الإحكام وعندهم من السلاح شيء كثير، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وقُتل من الجانبين جَمْع، والذي تولّى كِبَر ذلك عبده بن حسين هَفَج وصالح مسعود[(٢)]. وفي أثناء المحاصرة توجّه السيّد العلاّمة محمّد بن يحيى الأهدل لمناصحتهم في الرجوع عن هذه الأفعال القبيحة ومعه عبد الله بوني باشا وولده محمد بك وتَبِعهم من عسكر الدّولة، ولمّا وصلوا إلى دوغان قرية بني الكلفود وَقَف البوني والعسكر هناك، وتوجّه السيّد وبِرفقة الفقير جامع هذا إلى الرّيغة، ولمّا وصل إلى قرية الهزاهز[(٣)] وهي الجرف على دون ساعة من الرّيغة فإذا حصار شديد والفتنة ثايرة، فوقف هناك وأرسل إلى صالح مَسْعُود، وهَفَج لِيَصِلوا إليه لقصد مناصحتهم، فامتنعوا وأصّروا ومضوا إلى ما هم فيه وكان الأمر كما قيل:

لقـد أسمعـت لـو ناديـت حيًّـا ولكـن لا حيـاة لمـن تنـادي

وكان ما كان، فبدرت كلمة من السيّد بأن دَعَا عليهم بأن الله يسلّط عليهم الدّولة تأخذهم فما كان إلاّ مدة يسيرة حتى جاءت الدّولة فأخذت نحو ثلاثة عشر من أعيان بني مسعود وأُرسلوا إلى الحديدة، فهم إلى وقت تأريخ هذا في حبس الحديدة. وعندما أيس منهم السيّد وتحقق له دخول البيت واستيلاؤهم عليه رجع إلى دوغان، ولمّا وصل إليه بلغه أن قبائل صليل وغيرهم متحزّبون متجمعون لقتل البوني والعسكر فارتحلوا بوقتهم إلى الزّيدية محاذرين ذلك، وكان ذلك في ليلة سبع وعشرين من رجب وقعت تلك السّفرة مع الخطر العظيم ولكن ببركة السيّد سلّم الله

---

(١) الريغة: بلدة من مديرية بني قَيْس الطور وأعمال محافظة حجّة، تشرف على وادي مور المنازل إلى بلاد الزهرة في تهامة، وبها مركز المديرية.

(٢) من مشائخ قبيلة بني قَيْس الطَور.

(٣) الهزاهر: من قرى بني قيس الطور وأعمال محافظة حجة.

حتى وصلوا إلى الزَّبيدية قبيل صلاة الصبح سالمين بعد أن أُخذت جميع تلك الأموال والذخائر:

إذا سلمت رؤوس الرجال من الرَّدى فمـا المـال إلا مثـل جـز الأظـافـر

وقد وقعت قضية مثل هذه بين البَوْني وهفج في عام تسعة وثمانين[1] وخرج إليهم السيِّد وبرفقة سيدي الخال العلاَّمة محمَّد بن عبد الله الزَوَّاك ليصلح بينهم فلم يقبلوا، وقد مضىٰ ذكرها في هذا التاريخ. ثم أنَّ الأخْلاَط المذكورين ـ بعد أن نهبوا الريغة ـ قصدوا إلى القَنَاوِص وبها الملح حق الدَّولة فنهبوه، ثم قصدوا مدينة الزَّبيدية لنهبها ومحاربة الدَّولة والبوني باشا وذلك يوم الأحد التاسع والعشرين من شهر رجب، فناوشوا السماء وقصدوا من بغيهم وعبثهم أمراً عظيماً وظنوا أن دخولها سَهْل كما دخلوا الريغة، وما كل بيضاء شَحْمَة وَلا كل سوداء فَحْمَة، فلاقَاهُم من الأسلحة النارية كالمدافع والشاشخان والمَاوْزَر ما ذاقوا منه مرارات الموت وشتّت جمعهم وفرّقهم شَذَر مذر، وكانت العساكر في الحصن، والبوني باشا وأولاده وخاصته في بيته، فمنعوا الدَّاخل إلى المدينة والخارج منه وحموها من كل جانب إلاّ من خاطر بنفسه وخرج نهاراً والرصاص عليه منهمر كالمطر. وممن خاطر بالخروج جامع هذا الكتاب فأن لمّا ضاق بنا الحال من كثرة رمي المدافع والبنادق ـ ولنا عائلة ما قد عرفوا هذا الحال ـ خرجنا بالنساء والأطفال فقط، ولمّا رأونا خارجين فَكّوا علينا الحرب بالبندق فرأيت الرصاص يقع بيننا وعن أيماننا وعن شمائلنا وخَلْف وقُدّام، وكانت سلامتنا مِنْهُ كَرَامةً مِنْ الله سبحانه وتعالى، وحيث لو قَدّر الله وقوع ذلك الرصاص فينا لما نجى منا أحد فالحمد الله على ذلك وله الشكر على ما هنالك. وأكثر الناس خرجوا بالليل وتفرّقوا في القُرى بعد كشف المستور وظهور العورات، وفيهم الأشرَاف والمخدّرات اللاّتي لا يعرفنِ الخروج ولا يألَفن البروز إلى خارج بيوتهن فضلاً عن البوادي فلا حول ولا قوة إلاّ بالله.

لقـد هتكـوا سِتـراً لِعبَـادِ وروّعـوا نِسَـاءً وأطفـالاً لأبنـاء فـاطـمِ

بـأي كتـاب أم بـأي سُنّـةٍ أتـوا مـا أتـوا مـن ارتكـاب المـآثـمِ

ولم يبق في المدينة إلاّ عسكر الدّولة والباشا وأولاده والنزر اليسير من أهل المدينة، وأحرقت أكثر بيوتها وهُدِّمت منارة مسجد صائم الدهر بالمدفع لكونهم توهّموا أنّ بها أناساً من القبائل ترميهم منها، وأخطأ وَهْمَهم فضربوها بسبع قلل هدّموا بعضها وهي في غاية من إحكام البناء وقوة العمارة. ثم بعد وقوع هذا كَثُر

---

(١) (١٢٨٩هـ).

التّشكّي إلى الدولة من أهل قضاء الزّيدية بالبوني باشا بأنه هو السبب في خراب الزّيدية وأنه لولا وجوده فيها لَما قُصِدت بالأذيّة، فصدر الأمر من الدّولة بخروجه إلى الحديدة، فركب من بحر ابن عبّاس[1] إليها في غرة شعبان، ومكث بها في بيته مدة أشهر إلى شهر محرم الحرام من عام ثمانية وعشرين كما سيأتي.

ثم في شهر شعبان، منه، تحزّبت قبائل الواعظات ومَنْ والاهم وهجموا على مدينة الزّهراء من الوادي مَوْر، فقابلتهم العسكر الّذين في الحصن بالمدفع والبندق وقتلوا منهم خمسين قتيلاً تقريباً، ولمّا فتكَت فيهم العسكر بالقتل عادوا إلى المدينة بالنّهب فتوهّمت العسكر كمونَ القبائل لهم في البيوت فأحرقوا المدينة عن آخرها، وتفرّق أهلها في البوادي شذَر مذر وفيهم الأشراف والنساء والأطفال والضعفاء والعميان، فأُخرِجوا مروّعين وَهُتِكت ستورهم وعوراتهم نظير ما وقع لأهل مدينة الزّيدية والله المستعان.

وفي يوم الأربعاء الثاني من شهر شعبان، منه، أرسلت السماء عزَاليها[2] فأنزل الله أمطاراً عظيمة وجَرَت سيول عميمة فبلغت البحار ودامت الأمطار والسيول ثلاثة أيام، وعمّت السّهل والوعر، وسال الوادي الجعيفري الكائن قبلي المُنيرة فملأ جميع أراضيه وتعدّت إلى غيرها، وحَمَلت الأرض بمزارع عظيمة شملت جميع أرجائها وصلحت الزراعة والحمد لله.

ثم أنّ الوقايع المارّ ذكرها في الريغة والقناوص والزيدية والزهرة من النّهب والقتل والإحراق منشاؤها ظهور الدّعوة من السيّد العلاّمة محمّد بن علي الإدريسي المارّ ذكرها، وشاع بين القبائل بأنه أمر بالقيام على عسكر الدّولة الموجودين في المدن والمعاقل ومحاصرتهم، ولِجهَل القبائل وبغيهم اعتمدوا ذلك بمجرد التوّهم وقاموا على العساكر، وسَرَى إلى أهل المدن الّذين هم بها ووقع ما وقع، فالحمد لله على ما شاء وسر، وحَلاَ ومُرّ.

ولمّا بلغت هذه الحركات مسامع الدّولة وهم يغارون على المُلْك ولا يقصّرون في الدّفع عنه بكل ممكن ولو تَلِفَت فيه نفوسٌ كثيرة وذهبَت به أموالٌ عظيمة، قامت غيرتهم وتحركت همتهم فجهّزوا العساكر والجنود التي ملأت الفضاء ومعه من آلات الحرب كالمدافع والبنادق والمكينات الشّيء العجيب والأمر الغريب الّذي ما قد جله قبل هذا الوقت مثله، فأنزلتهم البوابير في الحديدة وتفرّقوا منها إلى الزيديّة واللحية

---

(1) ابن عباس: ميناء صغير يبعد (٢٥) كيلاً غرباً من مدينة الزيدية، ويقع في مواجهة بوغاز الصليف وجزيرة كمران.

(2) العزَال: السحاب.

والزهرة لقصد محاربة الإدريسي، وقدّموا إليه ـ أمام ذلك ـ من يناصحه وهم محمّد توفيق أفندي وعبد الرحمن بن إلياس باشا ليرجع عمّا هو فيه كما هي عادة الدّولة في تقديم المناصحة قبل الإقدام على الحرب، فرجعوا من عنده قائلين بأن السيّد لم يكن قصده الاستقلال بالمُلك بل قصده المعاونة للدّولة فقط، فقبلوا ذلك وأعرضوا عنه صفحاً وسارت الجنود إلى حجّة كما سيأتي، وكان قبل وصول هذه القوّة الدوليّة قد أرسل السيّد الإدريسي في شهر رمضان من طرفه جماعة رئيسهم: الشيخ محمّد بن يحيى بَاصِهي والسيّد يحيى بن عرار النُعمي، لتحقيق السّبب في قيام القبائل على مدينة الزهرة، ولمّا وصلوا إلى بلد الجامعي قاموا بالمحاصرة على الترك الّذين بالزهرة وقطعوا عنهم الأرزاق التي ترد إليهم من بندر اللحيّة، ولمّا ضاق الحال بالترك من الحصار سعَى الشريف حمود بن علي صاحب المعترِض بينهم وبين الشيخ محمّد بن يحيى ـ المذكُورَيْن ـ ومن معه، على أن الترك يُسَلّمون إليهم ألف ريال ويفتحوا لهم الطريق إلى اللحية يخرجون إليها بسلاحهم سالمين ويتركون لهم الزهرة، فسلموا الألف إلى الشريف وبينما هو في أثناء السّعي إذ وصلت الجنود التركية ومعهم من العدة شيء عظيم، فحينئذ رجع محمّد بن يحيى بمن معه إلى صَبْيَا مسرعاً خوفاً من أن ينالهم مكروه وذلك بعد أن سلّم الشريف إليهم النقود المشروطة، فلحقهم الشريف إلى أثناء الطريق ليستردها منهم لكون الشرط لم يتم، والتُرك قائمون عليه في ردها إليهم، فأخذها منهم وردّها. ولمّا وصلوا إلى صَبْيَا بَلَغ أنّ السيّد الإدريسي غضب عليهم لكونهم فعلوا شيئاً لم يأمرهم به. ثم أنّ العسكر الّذين بالزبدية توجّهوا إلى قرية ابن عباس ورئيسهم شوقي بك وركبوا في البحر إلى اللحيّة ثم منها إلى الزّهرة، ولمّا قربوا من الزهرة ثارت عليهم القبائل فاقتتلوا فَقُتل من الفريقين جمع كثير ثم دخلوا إلى الزهرة. وما زالت جنود الدولة تنزل من البحر مع العدة العظيمة وتتفرّق إلى المعاقل، ووصل إلى اللحيّة رئيس العساكر الفريق رفعت باشا وفيه من الحلم واللطافة وحسن الخُلق والشفقة بالرعيّة ما لا يوصف، وفي خلال مكثه باللحيّة أرسل إلى السيّد العلاّمة محمّد بن يحيى الأهدل طَلَب وصوله إليه وذلك في شهر رمضان لقصد إرساله إلى القبائل لمناصحتهم للرجوع إلى طاعة الدّولة لخروجهم عنها بسبب قيام دعوة السيّد العلاّمة محمّد بن عليّ الإدريسي، فوصل إلى اللحيّة وقد وصل بعضهم وهم بنو جامع والواعظات وبنو نَشر[1] فكان السيّد واسطة بينهم وبين الدولة في المناصحة وأخذ العَهد عليهم ببقائهم

---

(١) بنو نشر: من قبائل تهامة في منطقة عَبْس بني ثواب، إليهم تنسب قرية بني نشر الواقعة بالشمال الغربي من كُعيدنة بمسافة (٢٠) كيلاً، ومنهم العلماء بنو الناشري.

على بيعة السلطان محمد رشاد الخامس وبذل الطاعة

ثم إنّ الفريق رفعت باشا انتقل في شهر شوال من اللحيّة إلى الزهرة بذلك الجيش الجرار والعدّة العظيمة فلم يتعرّضه أحد حتى دخل الزهرة وعسكر بها مدة. وفي خلال هذه المدّة - في شهر شوّال - توجه نحو ألفين من العسكر الّذين بالزيدية لتربية أهل قرية الهارونية والقرَى حولها الّذين نهبوا المملحة ودفاتر العسكر المرتّبين بها، والّذي فتح مسألة النّهب رجل يُسمَّى الشعلي فانتشر من بعده الفساد، وكان مقصود العسكر تقديم النصايح لهم أولاً للرجوع عمّا هم فيه وردّ ما قد أخذوه، فبادرتهم القبائل بالحرب في أثناء الطريق فوجّهوا عليهم المدفع وقتلوا منهم جماعة فتفرّقوا شاردين في كل جهة، فرجعت العسكر إلى إحراق قُرى الجعليّة والهارونية والباردة والقُشَرِي[1] بما فيها من متاع أهلها ورجعوا إلى الزيديّة بعد ذلك. ثم أنّ رفعت باشا تحرك بعسكره من الزّهرة إلى الزّيدية لأجل التَوثُّق من قبيلة صليل بأخذ المراهين منهم كيلا ينكثوا إذا انفتح الحرب بينهم وبين غيرهم. ولمّا وصلوا إلى قرية الرافعي من الوادي مور وهي قرية السّادة النعامية تعرّضوا له فانفتح الحرب بينهم وقُتل جملة من أهل قرية الرافعي وأُحرقت القرية، ثم سار بعسكره إلى أن وصل دير الحتير من بلاد الزّعليّة[2] فإذا القبائل قد اجتمعوا هناك من الزّعلية والواعظات وأهل الخُشْم[3] وبني قيس لقتالهم، فقامت الحرب على ساق وقُتِل من القبائل نحو ثمانية عشر رجلاً ومن العسكر نحو خمسة نفر ثم انهزمت القبائل، وأُحرِقت الدّولة بعض قرى الزعلية ثم ارتحلوا إلى الزيدية، ولمّا وصلوا اجتمعت مشائخ صليل وأعيانهم عند السيّد العلاّمة محمّد بن يحيـى الأهدل بالمنيرة مستجيرين خائفين من سطوة الدّولة، فدخل بهم السيّد إلى الدولة وشَفَع لهم عندهم فقبلوا وخرجوا آمنين باذلين الطّاعة وأداء الحقوق. وبلغ عدد العسكر بالزّيدية نحو خمسة عشر ألفاً أو يزيدون ومعهم ألف بغل وعشرة مدافع وأربع مكينات، فملؤوا أرجاء الزّيدية، ونَصبوا الخيام حولها من كل جانب، ونزّحوا الأبيار التي فيها وهي تزيد على خمسين بيراً، وكاد أهل المدينة ودوابهم أن يَهْلكوا من شدة العطش لكون العسكر تغلبوا على الأبيار ليلاً ونهاراً وطردوهم عنها ولا يمكن أحداً أن يستقي معهم إلاّ بتلطف. وفي خلال مكثهم بالزّيدية وصل الذين ذهبوا إلى السيّد العلاّمة محمّد بن علي الإدريسي بأمر السّلطان

---

(١) جميعها قُرى من مديرية المُنيرة، بالقرب من جبل القُمّة وميناء ابن عبّاس.

(٢) عدادها من مديرية اللُحيّة.

(٣) الخُشْم: بضم فسكون، منطقة في الغرب الجنوبي من مدينة حجّة، تربطها بالمدينة طريق اسفلتية حديثة بطول (٥٠) كيلاً، تمر عبر سلسلة جبلية حتى تنزل إلى سهل تهامة في مدينة القناوص.

محمد رشاد حان وهم الفقيه الفاضل الشيخ عبد الرحمن بن إلياس باشا من سكان المدينة المنورة والفقيه الفاضل محمد توفيق أفندي من أهل اصطنبول، واختاروا محمد توفيق على غير لكونه مكث مدة طويلة نحو ثمان سنوات في مصر مصاحباً للإدريسي في مدة طلبه العلم، وذلك لأجل مناصحته عن الرجوع عمّا هو فيه واستخباره عن مقصده، فرجعا قائلين بأنه قال لهم: إني من أول دعوتي قائم مع الدّولة ومعاون للسلطان وأمرت رعيّتهم بأداء الحقوق إليهم وما أمرت بقتال أحد ولكن المأمورين يحرمون الكلم عن مواضعه. هذه حاصل ما أجاب به عليهم، ولرُسل إلى جميع القبائل بأنهم يطيعون الدّولة ويسوقون إليهم كلّ ما احتاجوه من جمال وغيرها، ومن جُملة ما سألاه عنه ما أجراه من القِصاص بغير أمر من السلطان، فقال: أجريناه بمقتضى التراضي عليه من الجاني وأولياء المجني عليه وللمصلحة العامة في ذلك، فرفع المذكوران بهذا إلى السلطان.

ثم بعد ذلك، في غرة ذي القعدة، تحرك الفريق رفعت باشا بعسكره كالسيّل الجرّار من الزيدية إلى القناوص وعَسْكَرَ بها نحو شهر ونصف ووقع فيهم موت ذريع. وفي خلال ذلك وصل أهل الغرزة والزعليّة ومَوْر إلى السيّد العلامة محمد بن يحيى الأهدل مستشفعين به إلى الفريق رفعت باشا في العفو عنهم ممّا صدر منهم، فارتحل معهم إلى القَنَاوص وقدّم إليه الشفاعة، وقَبِلَ شفاعته وعَفى عنهم وخرجوا آمنين مسرورين.

ثم ارتحل الفريق من القَنَاوص ووصل إلى الخُشْم وعسكرَ به، فدخل إليه غالب أهل تلك البلاد وانتظموا في سلك الطاعة، وتخلّف بنو مسعود وهَفَج ومَنْ والاهم، فقاتلهم الفريق وأحرق ديارهم وقتَل منهم كثير. ثم ارتحل الفريق إلى الطّوْر وعسكرَ به وطلبَ وصول السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل إليه لقصد مناصحته لقبائل تلك البلاد في حُسْن السلوك والطاعة، فارتحل السيّد وبرفقة الفقير جامع هذا الكتاب، وما وصلنا إلى الطّوْر إلاّ وقد توفى الفريق وتولّىٰ غيره، وعقب وصولنا إلى الطّوْر مرض السيّد فطلب الإذن من الفريق في الرجوع إلى بلده خوفاً من تزايد المرض فأذن له قبل قضاء الغرض الّذي أرسل له من أجله وذلك في شهر الحجة. وكان في خلال ذلك قد تلطّف بهم حتى دخلوا عليه وبذلوا الطّاعة والمراهين، وبأسباب لطافته ورفقه بالرعيّة انقادوا له ودخلوا في سلك الطّاعة وإلاّ فهم قد تعاطفوا ما استحقوا به العقوبة وغَضَب الدّولة عليهم. وبعد ذلك توفي رفعت باشا بالطّوْر رحمه الله.

وفي شهر شوال من هذا العام، بل في العام الّذي قبله، مرض الفقير جامع هذا

الكتاب مرضاً شديداً أشرفت منه على الموت، وذلك من الإسهال الذريع المتتابع نحو ثلاثة أشهر، ثم منّ الله بالعافية وله الحمد والمنّة.

عـافـانـي الله وشكـراً لـه ... مـن علّـة كـادت تعفيني

وفي هذا العام توفي الرّجل الصّالح المجذوب سعدان ببندر الحديدة وقد كان له مدّة طويلة تزيد على ثلاثين سنة مأخوذاً عن حسه في موضع من يماني الحديدة، عاري الجسد ليلاً ونهاراً، بارزاً للشمس والريح والحر والبرد، ولم يتأثر جسده بذلك وكان يتكلم بكثير من الغيبات كما شهد به الثقات، رحمه الله ونفع به.

وفي الجمعة الخامس من شهر ذي الحجّة الحرام، منه توفي السيّد العلاّمة الصّالح أحمد بن يحيى عبيد بالضّحي وبها دُفن رحمه الله.

أحداث عام ١٣٢٨هـ:

وفي شهر محرم الحرام عام ثمانية وعشرين بعد ثلاثمائة وألف، خرج عبد الله بوني باشا من بندر الحديدة وذلك بعد أن كرر الشكايات إلى الدّولة بما وقع عليه من القضايا السابق ذكرها وطَلَب منهم الإنصاف، فلم يرفعوا لذلك رأساً، فخرَج إلى المراوعة على سبيل الزّيارة ثم منها إلى بلاد الجرابح إلى أن وصل إلى المُسلّم - بميم مضمومة وسين مفتوحة ولام مفتوحة مشددة وآخره ميم - وهو محل سكنى أخيه أحمد بوني، ولمّا وصل هناك جرت منه حركات تضر بجانب الدّولة اقتضت تحوّله إلى حارّة الواعظات بمن معه من عشيرته وأولاده، فمكث نحو شهر ومات بها أخوه أحمد بوني وكأنه فعل هذا والله أعلم لتتنبّه له الدّولة وينصفوه، ففي أثناء ذلك دخل على الدّولة بالطّوّر ففرحوا بدخوله وضربوا البنادق سروراً بذلك لكونهم يحبون إجتماع الكلمة وخافوا من مخالفته افتراقها، وعقب ذلك تفرق ذلك الجمع الكثير الّذي كان رئيسه رفعت باشا بالطّوّر إلى المعاقل والحصون، ثم تحرك رضا باشا من صنعاء ومعه ثلاثة طوابير إلى الطّوْر، فأخذ عبد الله بوني باشا والمراهين من بني قيس وأهل تلك الجهة وسار بهم إلى الزّيدية وذلك في شهر صفر من هذا العام، ولمّا وصلوا إلى الزّيدية ورجعَ البوني إلى بيته عاد أهلها إلى التّشكي به وطلبوا تحوّله منها، فأمر الوالي كامل باشا[1] بتحوّله إلى الحديدة فقال إنه لم يكن له أمان بالحديدة لما قد وقع بينه وبين السيّد أحمد شراعي باشا في النفوس وطلب تحوّله إلى صنعاء، فصدر الأمر بذلك فسار برفق رضا باشا، وعند وصوله إليها أكرَمته الدّولة وواسته بما

---

(١) كامل باشا: أحد الولاة العثمانيين الأتراك في اليمن، ومدة ولايته سنة (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م). وكان قبل ذلك متولياً بلاد تعز أو ما كان يُطلق عليه صفة المتصرّف.

يستعين به على صلاح حاله لكونه قد صار صفر اليدين. وفي مدة إقامته بصنعاء توفي ولده عبد القادر بالمنيرة ودُفن بها.

وفي هذا اليوم بهذا التاريخ ظهر قبيل الفجر من جهة الشرق نجم من ذوات الأذناب، وابتدأ أوله صغيراً كهيئة الكوكب الثريا مايلاً ذيلة إلى جهة اليِمْن[1] وما زال يتأخر طلوعه وذيله ينتشر ويرتفع إلى أعلا كل يوم انتشاراً زائداً حتى وصل إلى نصف السماء مع العرض الواسع حتى غاب بضوء النهار. وهذه آية باهرة لم ير مثلها فيما مضى من الأزمان.

وفي شهر ربيع الثاني أيضاً، منه، وقع والعياذ بالله طاعون ببندر اللُحيّة مات به خَلْق ثم ارتفع عن قرب، وبسبب ذلك ضُربت الكرنتينة على الزيدية والحديدة.

وفي يوم الخميس الثالث من شهر جمادي الأولى منه وصل محمّد علي باشا من الأستانة إلى الحديدة والياً بصنعاء[2] وعُزل الوالي كامل باشا.

وفي ليلة الجمعة الرّابع منه اعتدى اثنان من أناس يُقال لهم بني السَبَاريت[3] على السيّد العلاّمة مفتي قضاء الزَيدية محمّد بن حسين الزوّاك صايم الدّهر في منزله، فكتب الله له الشهادة على أيديهم، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، أسأل الله ذا البطش الشديد أن ينتقم منهم ويعاجلهم بالعقوبة ويأخذ بثأر آل محمّد منهم، فقد عَظُم بذلك المصاب ودهشت منه أَلْبَاب ذوي الألباب.

وفي يوم الجمعة الحادي عشر من جمادي الأولى منه، ظهر بعد صلاة المغرب نجم من ذوات الأذناب من جهة الغرب وذلك على رأس شهر من طلوع النجم السابق ذكره قريباً، وبطلوع هذا غاب. وما زال نور هذا يتزايد ويرتفع كل ليلة بقدر منزلة إلى أن غاب ليلة الأربعاء غرة جمادي الأولى منه، بل قال بعض حذاق الحساب أن هذا النجم هو عين ذاك والله أعلم بذلك، وبيان ما قاله أنّه لمّا كان يطلع قبل طلوع الشمس شخَص ظلّه إلى جهة الغرب ثم لمّا صار يطلع بعد شروقها صارت تغرب قبله فينعكس ظلّه فيصير إلى جهة الشرق، فحاصله أنّ ذاك الذّنب والشُعَاع هو ظل لهذا النجم شخص من مقابل الشمس له فلذا تحوّل شرقاً بعد أن امتد غرباً وذلك بسبب طلوعه قبل طلوع الشمس وبعدها. أفاد ذلك الشيخ العلاّمة الحُجّة محمّد بن

---

(١) اليِمْن: الجنوب.

(٢) استمرت ولايته من عام (١٣٢٨) إلى (١٣٢٩هـ). وكان معروفاً عنه خشونة الطبع وسوء التصرف.

(٣) بني السباريت: عشيرة تسكن مركز بني مهدي من مديرية القناوص، ولهم هناك قرية تحمل اسمهم: محل السبارت.

إسماعيل الهتاري، من علماء زَبيد والمقيم بالزبدية، نفع الله به[1].

وفي يوم الثلاثاء الثامن من شهر جمادي الأولى توفي السيّد العلاّمة إبراهيم بن محمد المنوّر ببندر الحديدة بعد أن توجه إليه من قريته المُسمّاة زهب أبو حجر شرقي مدينة حرض للتداوي من علةٍ كانت في ظهره فتوفي منها.

وفي يوم الأربعاء من شهر ربيع الآخر منه أخبر التلغراف بأن مدينتين من مدن الهند ـ أهلهما كُفّار ـ هَلَكتا بوقوع نجم عليهما، يقال أن النجم أبو ذيل الشرقي المار ذكره قريباً صك في كرة الأرض فدك ما حولها فهلكت المدينتان بسبب ذلك. والله أعلم بما هنالك.

وفي هذا العام ظهر معدن في بَر عُجم، فيه أنواع الأحجار المثمنة فأخذ الناس منه شيئاً كثيراً، ولمّا شعرت به الإفرنج حموه من الناس وأحاطوا عليه بالبوابير من كل جانب. وفيه ـ أيضاً ـ ظهرَت معادن في جزيرة فَرَسان، ذَكَر لي الثقة أن منها معدن الحسن ومعدن القار ـ بالمهملة والمعجمة ـ والله أعلم بذلك.

وفي يوم الإثنين الحادي والعشرين من شهر جمادي الأولى، منه، توفي السيّد الصالح الولي الكامل محمّد بن حسين بن عبد الوهاب بن الطاهر صائم الدّهر ببندر الحديدة وقد أناف على الثمانين سنة.

وفي هذا الشهر، منه، توفي السيد الصالح الفاضل الأديب حسن بن أحمد الشجر القُديمي ببندر الحديدة.

وفي يوم الأربعاء، غرة شهر ربيع الثاني، هبّت ريح شديدة بعد صلاة العصر عقب مطر، ثم أعقبها ريح حارّة شديدة الحرارة، نسألة الله السلامة

وفي جمادي الأولى منه، أصبح شخص قتيلاً بجانب دير السّيف[2] وهو من أهل الواعظات، وكان هو وصاحبان له من قبيلة الواعظات أيضاً قد وصلوا بالليل وأخذوا بَقَراً بالسرقة من قرية دير الشرفين[3] فدارت بهم رؤوسهم فأصبحوا بجانب القَنَاوِص، فاستسلم منهم اثنان وقاتل الثالث فَقُتِل وكان قد كَمَنَ ـ في المدة السابقة ـ لشيخ مشايخ صليل السيّد عبد الله بن إبراهيم قوزي باشا بين القَنَاوِص والحَزَر

---

(1) محمد بن إسماعيل الهتاري: عالم كبير كان له دراية بعلوم الفقه والنحو والصرف والمعني والبيان وعلوم الحديث. وقد توفى عام (١٣٤٩هـ).

(2) دير السّيف: بلدة من مركز القوزي، بمديرية القناوص

(3) دير الشرفين: من قرى المهادلة، بمديرية القناوص

بالليل (١) فرماه، فوقعت الرمية في المُهْرَة، فتلها وسلّم الله الشيخ مظفر به الآن فقتل
وأخذ الذين استسلموا إلى مرتبه فأكرمهم وكساهم ووصلهم بدراهم ثم سيّرهم مُرْفَقين
إلى بلدهم آمين

وفي هذا الشهر عَدَت قبيلة بني البُرّة على قبيلة الجَرابح فقتلوا منهم أربعة أشخاص وساقوا مائة وستين رأساً من الإبل.

وفيه ـ أيضاً ـ عَدَت قبيلة القحرا على الجرابح، فأخذوا منهم غَنَماً وقتلوا منهم ثم راحوا سالمين.

وفيه ـ أيضاً ـ عَدَت قبيلة بني أمحمّد على شيخ الجرابح السيد حسن أصلع، فساقوا نحو خمسة عشر من الإبل.

وفيه ـ أيضاً ـ خَنق شخص في بيت الفقيه ابن عجيل شخص كان قد قتله، فخالفت قبيلة الزّرانيق على الدّولة بسبب ذلك ومزّقت السلك(٢) وقطعت الطرق.

وفي يوم الجمعة الثالث من شهر جمادي الثانية توفي السيّد الأجل الفاضل حسن بن علوي الحفري، من الأشراف آل باعلوي، ببندر الحديدة وكان ماهراً بالحساب.

وفي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين ـ منه ـ توفي السيّد الجليل الصالح علي بن إبراهيم ماس بقرية المعروفيّة، رحمه الله.

وفي يوم الجمعة الثامن من شهر رجب الحرام توفي السيّد الصالح عثمان بن محمّد المهدلي بقريته، ودُفن في تربة الشيخ أبـي الغيث بن جميل بالوصية منه رحمه الله آمين.

وفي اليوم الخامس منه غَزَت الجرابح على بني البرّة وقتلوا منهم أربعة أشخاص، فكانت هذه بتلك وردّت إليهم الإبل.

وفيه ـ أيضاً ـ أُعيدت منارة مسجد الشيخ صائم الدّهر وعُمِّرت عمارة أقوى من الأولى، وذلك على يد السيّد الصالح الموفّق هادي بن أحمد هَيْج رئيس قبيلة الواعظات، فجزاه الله خيراً وأحسن إليه.

وفي هذا الشهر ـ أيضاً ـ ورد الأمر من السلطان برفع الدمغة ـ وتُسمى الرّسوم ـ المتفرقة من جميع الخطّة اليمنيّة، ولم تكن في غير اليمن من سائر ممالك الدّولة،

---

(١) الحزو: إحدى قرى مديرية القناوص، تقع جوار جبل عتين.

(٢) خطوط التلغراف.

ومن وقت حدوثها وَقَع بسببها النقص العظيم على الناس في أموالهم، وكان حدوثها في ملة أحمد باشا السليماني في عام تسعة وسبعين بعد المائتين والألف تقريباً.

وفي الخامس عشر - منه - غزا أربعة نفر من الجرابح، ويقال أنّ أحدهم من قبيلة الحشابرة، على السّادة المشارقة في محل يُسمّى الأصله بماني معدن الملح[1]، وساقوا إبلهم وقدره ثمانية وستون رأساً، ولمّا مروا به في بلد الحشابرة[2] قام لهم أهل دير محمّد من الحشابرة فاستنقذوه منهم ورُدَّ إلى أهله.

وفي يوم الإثنين السابع عشر من شهر شعبان، وفي أول الفصل المُسمّى بالخامس في جهتنا، أنزل الله أمطاراً عظيمة نافعة - إن شاء الله - عميمة، وكان ذلك بعد وقوع الشدة والغلاء.

وفي يوم الأحد السّادس عشر منه توفي السيّد الصّالح علي بن محمد بن عبد الله الأهدل بالزيدية ودُفن بها رحمه الله.

وفي يوم الإثنين الرابع والعشرين منه جرى الصلح بين الحشابرة وصلّيل على يد سيدي العلامة محمّد بن يحيى الأهدل في منزله بالمنيرة فيما شجر بينهم من القتل والنّهب.

وفي يوم الثلاثاء التاسع من شهر رمضان الكريم توفي السيّد الصّالح إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الزوّاك مبطوناً شهيداً، موفقاً حميداً، وذلك بمدينة الزّيدية رحمه الله.

وفي يوم الأحد الرابع عشر منه توفي السيّد حسن زين من السّادة الحسنيين بني الهادي، أحد رؤساء قبيلة الواعظات وتجّارها رحمه الله تعالى.

وفي يوم التاسع عشر - منه - وقع مطر وفيه بَرق أصاب شخصين من سكان قرية بني أبي الخل[3] مات منها واحد لوقته والآخر باقٍ في قيد الحياة، وأصاب أيضاً شخصاً من صلّيل مات لوقته نسأل الله السلامة.

وفيه توفي السيّد الفاضل الصّالح حاتم بن علي الأهدل بمدينة باجل وبها دُفن رحمه الله.

وفي شهر شوّال منه جرَت مقتلة بين السّادة بني القبع والجرابح، قُتل فيها من بني القبع أربعة أشخاص وجُرح أربعة، وقُتل من الجرابح اثنان وجُرح اثنان.

---

(١) مواضع من أعمال مديرية اللُحيّة.

(٢) الحشابرة: قبيلة ومركز إداري من مديرية الزبيدية.

(٣) بني أبي الخل: قرية في شمال مديرية اللُحيّة ومن أعمالها.

وفي يوم الثلاثاء سادس ذي القعدة الحرام قُتل أمحمّد بن حسين مينة من سكان المبرة، قتله الزرانيق بعد خروجه من محل شخص منهم يُسمّى أحمد فتيني[1]، وكان بينهم معاملة طويلة في أموال جريلة وكانت أكثر أمواله بيد أحمد فتيني هذا فأقرّ نورثه بخمسمائة ريال، ولم يوقف نقدته ولا لباقي أمواله على خبر.

وفيه خرج الشريف محمّد بن علي بن الحسن والسيّد يحيى بن عرار النُّعْمِي بجيش عظيم من طرف السيّد العلامة محمّد بن علي الإدريسي إلى الجهة اليمنيّة الجبلية لقصد اختبارهم هل هم باقون على العهد الذي عهده إليهم أم قد نكثوا، فوصلوا إلى قبائل أَسْلم[2] والخمس[3] ومَسْرُوح[4] وعَاهِم[5] وبني نَشْر[6]، فوجدوهم باقين على العهد. ولمّا وصلوا إلى قبيلة الواعظات وَقع بينهم وبين شيخ مشايخها السيّد هادي بن أحمد هَيْج قتال لكونه من طرد الدّولة فاقتتلوا ثلاثة أيام وهو متحصن في بيته في محل يُسمّى دير الشمة[7] فَقُتل من قوم الشريف وابن عَرّار عشرة أنفار ومن قوم هادي ثلاثة أنفار. وفي اليوم الرابع جرى الصالح بينهم وأعطاهم أخاه رهينة فانكشفوا عنه.

وفيه جهز السيّد العلامة محمّد بن علي الإدريسي جيشاً عظيماً إلى بلاد عسير لمحاصرة الترك الّذين في أبْهَا فحاصروهم محاصرة شديدة، ثم دخلوها بعد طول الحصار وزحزحوا الترك عنها. ثم في أثناء ذلك وَقَع بين مُقَدَّم جيش الإدريسي وبين بعض رؤساء عسير وهو غرم بن عايض[8] خلاف أوجب نفرة رؤساء عسير عن طاعته فرجعوا عن ذلك ودخلوا في طاعة شريف مكّة وهو من طرف الدّولة، وكان لشريف

---

(1) أحمد فتيني: من مشائخ قبيلة الزّرانيق.

(2) أسلم: بطن من حاشد، بهم سُمّي جبل أسلم في شمال غرب حَجّة.

(3) الخمس: هو ما يُطلَق عليه خميس الواعظات، نسبةً إلى القبيلة، ويقع في وادي مَوْر من أعمال مديرية الزهرة.

(4) مسروح: جبل في حجور من أعمال محافظة حَجّة، يحده من الشرق جبل كحلان الشّرف ومن الجنوب أفلح وقفل شمر ومن الغرب عبس ومن الشمال جبل أسلم.

(5) عاهِم: بفتح العين وكسر الهاء، وادٍ شمال جبل كُشَر من بلاد حَجّة، تصب إليه السيول النازلة من جبل قارة وجبل وشحه ومن جبل كشر، ثم يسير غرباً إلى حيران فالبحر الأحمر جنوب مدينة ميدي.

(6) بنو نشر: من قبائل تهامة في منطقة عَبس بني ثواب.

(7) دير الشمة: قرية من مديرية الزهرة.

(8) آل عايض: بطن يقال انهم من سلالة معاوية بن أبي سفيان، وانهم نزحوا إلى عسير بعد سقوط الدولة الأموية في الشام.

مكّة في عسير قرابة خؤلة فانخرطوا كلهم في سلك طاعته ولم يبق في طاعة الإدريسي إلاّ قبيلة زهران فقط، فحينئذٍ دخل شريف مكّة أبها مع الترك، ثم لمّا كان يوم عرفة من العام القابل - وقد شهد الموسم أكثر من عسير - ما شعروا إلاّ وقد أحاطت بهم جنود الترك من كل جانب وأخذت منهم نحو مائتين وأدخلوهم إلى الشريف، وكان ذلك بمواطاة بين رؤسائهم وبين الشريف بمقتضى ما قد صدر منهم من الدخول في طاعته، وأغاضه إقدام جيش الإدريسي الذي صار بينه وبينهم ما صار. هكذا بلغ من الثقات.

وفي شهر ذي الحجّة توفي الرّجل الصّالح إبراهيم بن مهدي، من السادة الحسنين أهل قرية الداوودية[1] عن مائة وثلاثين سنة أو أزيد، مُمَتَّعاً بسمعه وبصره وسائر حواسه، وكان قبيل موته يباشر أعمال الزراعة الشاقة بيده كالحرث وغيره.

وفيه توفي الرّجل الصّالح محمّد بن علي بن أحمد الحشيبري بمحلهم بيت الفقيه الأيمن وهو المُسَمَّى الآن بالقرية رحمه الله.

وفيه قَدِمَ الحُجّاج من بيت الله الحرام وأخبروا بأنه وقع طوفان من المطر بجهة مَكّة واللّيث[2] وصَبْيَا[3] وما بينهما، وجاءت السيول وأخذت نحو الخمسين من الحجاج وانهدم مسجد اللّيث على جماعة منهم، وسال الوادي بجماعة مقيمين في مجراه وغرق به نحو خمسمائة نفس وأخرب مساكن كثيرة.

وفي هذا العام تفضل السلطان محمد رشاد خان بإرسال كتب حديثية كصحيحي البخاري ومسلم، وفقهية على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة كابن عابدين، وغير ذلك من التواريخ والسير، ولكن السير والتّواريخ جاءت تركية العبارة فلم يحصل الانتفاع بها، وجاء طبع كتب الحديث على شكل عجيب فصيح مضبوطة بالقلم في غاية الصحّة، ووصَلت إلى الحديدة ثم فُرّقت إلى سائر البلدان وذلك شيء كثير، والّذي فُرّق من صحيح البخاري على مستحقيه في أهل بندر الحديدة نحو مائتين نسخة وثمانين نسخة، وأما صحيح مسلم فأرسل إلى صنعاء.

أحداث عام ١٣٢٩هـ:

---

(١) الداودية: قرية من مديرية القناوص.

(٢) اللّيث: بكسر اللام وإسكان الياء، بلدة ذات قرى كثيرة من إمارة منطقة مكة المكرمة - انظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية.

(٣) صَبْيَا: من قرى المظليف، بمنطقة القنفذة، في إمارة مكة. وهي غير مدينة صبيا بمنطقة جازان.

وفي شهر محرم الحرام عام تسعة وعشرين بعد ثلاثمائة وألف وقع وباء بمدينة باجل من إسهال البطن، مات به خلق كثير ثم رُفع، نسأل الله السّلامة واللطف فيما قدّر.

وفي يوم الأحد الثاني والعشرين منه توفي الرّجل الصالح أبكر بن المطري بن عرس، وكان قد أناف على مائة سنة، وارتبش ذهنه قبل موته بسنتين.

وفيه وصل الحجاج من بلد الله الحرام إلى كَمَران[1] فَضُربت عليهم الكرنتينة، وأحرق جميع ما معهم من الأثاث، ثم أطلقوا بعد نحو نصف شهر. وهكذا يفعلون بهم في كل عام لكن إذا وقع بهم وباء في مكة أو جدة.

وفيه حوصرت صنعاء وسائر المعاقل حولها على يد الإمام يحيى بن محمّد بن حميد الدّين.

وفي السبت الثامن والعشرين منه توفي الرّجل الصّالح الفالح حسن بن أحمد هنيش، من سكان المنيرة، وقد قارب التسعين سنة.

وفي يوم الأحد السادس من شهر صفر غزا الشيخ عبد الله بن إبراهيم قوزي جماعة من قبيلة بني محمّد في قرية الدّاوودية فَقُتل شخص من كشارب كان موجوداً هناك وجُرح آخر.

وفيه توجّه كبير الضّابطية بالزّبيدية آدم آغا إلى بندر الحديدة، ولمّا وصل إلى قرب محل الهلالي ثار عَليه جماعة فقتلوه والحصان الّذي تحته وأخذوا ما معه من المال.

وفي ليلة الخميس التاسع من شهر صفر توجّهت نحو مائتين من عسكر الدّولة من الزهرة إلى القُفْل[2] بخمسين جملاً حاملة من الدقيق والجبْخانة ومعهم مدفع وبنادق، فلمّا وصلوا إلى أثناء بلاد الواعظات ثارت عليهم قبيلة الواعظات بالحرب، فما زال ثايراً بينهم وبين العسكر والمدفع يعمل بقيّة تلك الليلة ويوم الخميس إلى بعد الظهر، فوصل شيخ الواعظات السيّد هادي بن أحمد هَيَج بنحو مائة نفر فاستنقذ

---

(١) كَمَران: جزيرة مشهورة في البحر الأحمر قُبالة مرفأ الصليف، لا تبعد عن اليابسة إلاّ بنحو ميل واحد.

(٢) القُفْل: المقصود هنا قُفْل شمر، وهو جبل شاهق في الشّرفين غربي جبل المحابشة من أعمال محافظة حَجّة، والطريق منه إلى الزهرة تمر عبر «سوق الخميس» حيث مركز قبيلة الواعظات من تهامة. وما يحمل اسم (القفل) من مناطق في اليمن أشرنا إليها في كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

العسكر من أيديهم وقد اجتمع عليهم جمع كثير، فانكشف الحرب وقد قتل من العسكر نحو ستة نفر ومن الواعظات نحو خمسة عشر نفر، ونهبت من العسكر اربع بنادق والجمال بما عليها.

وفيه وصل الزواجر من المدينة المنوّرة وأخبروا بأنهم رأوا في بندر جدة صناديق جاءت بها البوابير، طول الصندوق خمسة أذرع وعرضه كذلك، فيوضع واحد من تلك الصناديق على بناء من خشب مسقوف قد هيء، طوله اثنا عشر ذراعاً وعرضه كذلك، وسُمكه في الهواء نحو ذراع، ثم يُضرَب الصندوق وهو على وسط ذلك البناء بفأس فينفلق، وعقب إنفلاقه ينفتح شيء من بطنه بسرعة فإذا هو بيت سوى مسقوف مشتمل على كوّات ومیازیب، مُزيّن بأنواع الألوان ظاهراً وباطناً، طوله وعرضه مساوٍ لذلك البناء الّذي تحته، وسُمكه في الهواء نحو عشرة أذراع. ولم يَعرف المُخبر البيت ما هو، وبلَغ أيضاً أنه سيوضع منها عدّة أبيات في طريق جدة إلى مكّة لوضع آلات البابور البرّي فيها الّذي يريدون إحداثه من مكّة إلى جدّه. وهذا البابور من عجائب الزّمان لأن سيره أسرع من البابور البحري لأنه كما يُقال يقطع مسافة يوم في ساعة فلكيّة، وقد أُجري من دمشق الشام إلى المدينة المنوّرة فكثرت أثمار تلك البلاد بالمدينة بعد حدوثه ورخصت. وقد أخبَر الثّقات ممن رأى هذا البابور أنّ طريقه مصفّحة بالحديد وهو صغير الحجم مشتمل على آلات فيه نحو خمسة أشخاص يحركونها تجر أربعين جارياً كقطر الجِمال كلّ واحد من تلك الجواري يسع ستين راكباً، وتحمل الكثير من البضايع، وبعض الجواري مسقوفة تقي الراكب من الشمس والمطر وغير ذلك، وإذا رأى منِ يحرك إليه أحداً من البعد في طريقه حرّك آلات تصيح صيحة هائلة فإن شعر بها وتنحّى عن طريقه سَلِمَ وإلاّ خطفته بسرعة فيهلك ولو مع البعد لسرعة سيره(١).

وفي هذا العام جاءت الدّولة بالتلغراف الهوائي، وهو غير الّذي مرّ ذِكره فإن ذاك بواسطة خَيْط والأعواد وهذا بدون ذلك، بل توضع مرآة في بلد وآخر في بلد آخر فتُحرّك آلة بجانب أحدهما فينجذب شيء منها بجواذب برقية إلى الأخرىِ فتَحرّك بحركةّ ولوامع يفهمها صاحب التلغراف باصطلاح بينهم، ولكنّه لا يعمل إلا بواسطة الضوء إما بالنهار أو بالليل مع كثرة الأضواء، ولا يعمل أيضاً إلاّ في مسافة قريبة مع عدم الحائل كجبل أو بيت ونحوها من الأشياء المرتفعة(٢).

وفي صفر منه خرج عبد الله بوني باشا شارداً من صنعاء من يد الدّولة إلى الإمام

---

(١) هنا تاريخ ظهور خط القطار بالمنطقة.

(٢) الاشارة باستخدام المرآة العاكسة لشعاع الشمس.

السيد يحيى بن محمد لكونهم لم ينصفوه ممّا جرى عليه، فأكرمه الإمام وأعانه بألف ريال ثم توجه إلى بنده المُسَلّم فطلبته الدّولة للمصالحة بينهم وبينه فاعتذر منهم بعجزه وضعف قوته، فدخل عليهم ابنه محمّد بك فنصّبوه شيخ مشايخٍ على قبيلته بني قيس وتعهد لهم بإيصال الأرزاق إلى حجّة، واستقر والده الباشا بالمُسَلَّم.

وفيه حوصرت سائر البلدان الكبار التابعة لصنعاء التي حولها والنازحة عنها كمَنَاخَة[1] والحَجَيْلة[2] وعُبَال[3] بأمر السيّد يحيى بن محمّد حميد الدّين ومقدمهم علي المِقْدَاد[4] فقام السيّد حسين بن علي الأهدل صاحب المقفا بأمر الدّولة بمن لديه من القبائل وعضده إلياس بك قائمقام باجل بنحو ثمانمائة نفر من قبيد القحرىٰ، وبَذَلَت لهم الدولة الكفاية التّامة فأخرجوا المحاصرين فارتفعوا إلى مَنَاخَة وأقاموا عليها بالحصار كصنعاء ومزّقوا كل التلغراف الممدود من صنعاء إلى مناخة وانقطعت البسطة[5] فرتّبوا البلدان التي أخرجوهم منها بقبائل القحرا وغيرهم، ثم رفعوا الأخبار إلى الأستانة وطلبوا النصرة من الدّولة فأرسلوا خمسين طابوراً بكفايتهم اللازمة مع آلات الحرب العجيبة. وكانت الدّولة قبل هذا قد خاطبت عبد الله باشا[6] الملقب بالجزّار بأن يعود إلى اليمن والياً لإصلاحه لاختباره به فإنه قد مكث والياً في صنعاء نحو خمسة أعوام، ووقت مخاطبته بذلك كان قد انفصل وتولّى في مكة المكرمة فلم تطب نفسه بذلك واختار البقاء في مكة فاشترط عليهم شروطاً لم يوافقهم بعضها، وهي أنه طلب منهم مائتي طابور ومائتين ألف حبّة من الذهب وأن لا يراجعوه في شيء فعله مدة ثمانية أعوام، وفيهِ فَتْك وشِدّة وهُمْ يجنحون في هذا الوقت إلى السِلم والسُكون، فلم يوافقوه على ذلك فأبقوه على حاله بمكة وأرسلوا

---

(١) مناخة: مدينة في أعلا جبل حراز، في غربي صنعاء بمسافة (١٢٠) كيلاً.

(٢) الحجَيْلة: منطقة بالشرق الجنوبي من مدينة باجل بمسافة (٤٥) كيلاً، على خط الطريق القديمة من الحديدة إلى صنعاء.

(٣) عُبال: قرية من بلاد القحراء في أعلا وادي سهام وشرقي مدينة باجل بمسافة(٣٥) كيلاً.

(٤) علي المقداد: من كبار مشائخ بلاد آنس، وهو الشيخ علي بن المقداد بن أحمد بن عبد الله راجح الكينعي الآنسي، من ذرّية الوزير علي بن أحمد راجح وزير المنصور حسين وجدّ المشائخ بنو راجح. وقد نشأ الشيخ علي المقداد بوطنه في جبل الشرق آنس، وكان من كبار مشائخ بلاده، كما كانت له مع الأتراك مواقف مشهودة ومعارك طاحنة، وقد توفي سنة (١٣٤١هـ).

(٥) لعله يقصد واسطة الاتصال.

(٦) هو المشير عبد الله باشا الذي سبق له أن كان والياً على اليمن من عام (١٣١٨) إلى عام (١٣٢٠هـ).

عزت باشا[١] مشيراً على جميع العساكر العثمانية باليمن، وفيه رفق ولطافة وحسن أخلاق فتوجّه من الأستانة ووصل إلى بندر الحديدة يوم الخميس غرة شهر ربيع الأول عام تسع وعشرين بعد ثلاثمائة وأقام به عشرة أيام. وفي يوم السبت عاشر ربيع سار من الحديدة إلى صنعاء وكانت طريقه إلى المراوعة والقطيع لقصد زيارة السادة بني الأهدل، وقبل وصوله إلى الحديدة وصل كثير من العسكر والعدّة حتى إذا اجتمع منهم جَمْع كثير في الحَجَيْلة قصدوا ـ بما معهم من العدّة ـ مناخة فدخلوا بعد قتال شديد وقُتِل كثير من الجانبين وكان رئيسهم رِضا بك، واستلب منهم قوم الإمام مدفعاً ثم ارتحلوا إلى صنعاء فدخلوها في شهر ربيع الثاني وانفك الحصار، ثم خرج رضا بك بجملة من العسكر إلى جهة الطّويلة[٢] يستنقذ المعاقل من الحصار ويخرب ما يرى تخريبه منها إلى أن استنقذ جميع ما استولوا عليه، ثم عاد إلى صنعاء واستقر بها.

وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من صفر وصل شيخ بني نَشْر الحافظي وشيخ عَبْس يحيى بن علي ثَوَاب إلى الشيخ علي بنِ يحيى قَحْم واخوانه وهم من قبيلة بني نشر ومحل رياستهم، يطلبون منهم رهينةً للسيِّد محمّد بن علي الإدريسي فلم يسعفوهم بذلك لكونهم من طرف الدّولة ففتحوا عليهم الحرب واقتتلوا فَقُتِل من الطرفين جماعة، واستمروا محاصرين لهم مدّة طويلة لم يظفروا منهم بطائل، ثم أنّ جانباً من العسكر ساروا من الحديدة إلى حَجة وكانت طريقهم إلى الزيديّة فاجتمع فيها نحو سبعة آلاف ثم ساروا إلى القَنَاوِص، رئيسهم سعيد باشا وذلك في ربيع الثاني، ووقع فيهم بالقناوص موت ذريع بالإسهال مات منهم عالم كثير. وفيه اشتد هبوب الرياح الشمال فحدثت من ذلك النزلات والزكام والسعال الشديد وعمّ أكثر الخلق، وفيه سرى الإسهال الّذي نزل بالعسكر في القَناوِص إلى أهل دَيْر السيف وما والاه.

وفي يوم الأحد الرابع والعشرين منه توفي الفقيه العلاّمة أحمد بن محمّد الشحاري ببندر الحديدة، وقد مرّ مترجماً رحمه الله.

ثم ارتحلت العسكر فيه من القَنَاوِص إلى الخُشْم ثم إلى الطّور والموت في أثناء ذلك واقع فيهم، ولمّا وصلوا إلى الطّور قَطَعت عنهم قبيلة بني قَيْس الطالع إليهم من

(١) اللواء أحمد عزّت باشا، وقد كان رئيساً لأركان الجيش العثماني، واستمرت ولايته على اليمن من (١٣٢٩) إلى (١٣٣١هـ) وهو الذي وقّع مع الإمام يحيى اتفاق دعّان سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م).

(٢) الطويلة: مدينة في سفح جبل القرانع، من جبال المحويت.

تهامة من الأرزاق كالدقيق ونحوه التي بها قوامهم، فتجهز شيخ مشايخ صليل السيّد عبد الله بن إبراهيم فوزي باشا في جملة من قبيلة صلّيل وغيرهم وسار بالقافلة إليهم حتى أوصلها إلى الطّور سالمة، فعَظُم قدره لديهم وسارَ معهم إلى حَجّه حتى وصلوا لم يتعرضهم أحد، ثم ما شعر الشيخ القوزي المذكور إلاّ وقد وصله النذيرُ من صديق له بأن القوم يأتمرون في خيانة له، فأخبرَ رفقته وخرج كأنه يقضي حاجةً قبيل صلاة المغرب، فسَرَوْا تلك الليلة مُجِدّين وما أصبحوا إلا في بلدهم وبينهم وبينها مسير ثلاثة أيام.

وفيه نزل جماعة إلى الحديدة من طرف مجلس المبعوثان يُسَمَّون الهيئة المشروطية يَحْكُمون بالقانون وقصرُوا يد نائب الشرع بالحديدة وغيرها على النظر في أمر الأوقاف والمواريث وعقود الأنكحة والطلاق فقط، ولكنه لم يتم ذلك لهم.

وفيه توفي السيد الصّالح يحيى بن عمر الأهدل بالمراوعة.

وفيه وفي الشهر الّذي قبله سَرَى المرض الواقع بالترك إلى سائر القرى والبلدان الجبانيّة والتهامية، وهو إسهال وقيءُ ذريع يأخذ الإنسان في يوم وليلة فيموت، وقد مات به عالم لا يحصون نسأل الله العافية.

وفي شهر ربيع سقط أربعة أشخاص من قرية الصّليف في بئر بها، فهلك اثنان منهم وتخبل اثنان.

وفي شهر جمادي الأولى جرى الصلح بين بني قيس وبين الدّولة وجعلوا عليهم شيخاً محمد بن عبد الله بوني باشا والتزم لهم بتأمين الطريق وسَوْق الأرزاق إلى حَجّه.

وفيه خرج السيد أحمد بن يحيى شراعي باشا من الحديدة بأمر الدّولة إلى الجهة الشامية لإصلاح طريق حَجّه والقُفْل لنفوذ الأرزاق إلى العساكر، فوصل إلى الزيدية وأقام بها نحو خمسة عشر يوماً يسعى في إصلاح طريق حَجّه حتى تم ذلك بواسطة الشيخ محمد عبد الله بوني المذكور، ثم ارتحل إلى المعترض وأرسل لمشايخ الواعظات وتم الأمر بينهم على فتح الطريق والتزموا له بإيصال الأرزاق إلى القُفْل، ولكن ما مشَى ذلك إلا ببذل النقود من الذّهب كما هي عادتهم في هذا الوقت ما يمشّون جميع أمورهم إلا بالذّهب، ثم رجع السيد الشراعي إلى بندر الحديدة.

وفي شهر جمادي الآخرة اشتد الطاعون ـ والعياذ بالله ـ بأهلِ الخَبْت الأسفل كالهارونية والجعلية وابن عبّاس ومعدن الملح وسائر القرى فأخْلَى أكثر أهلها بالموت نسأل الله اللطف فيما قَدّر.

وفيه خرج الوالي محمّد علي باشا من صنعاء مُجَهِّزاً على السيّد محمّد بن علي الإدريسي بعسكرٍ كثيفٍ، فَدخَل الحديدة في اليوم السّادس من شهر جمادى الآخرة وتوجّه منها إلى بندر جازان في مركب عظيم. وقد كان في أثناء ذلك خرج شريف مكة مُجهزاً بأمر الدّولة - في الشهر الّذي قبل هذا - على الإدريسي في جيش عظيم ولمّا بلغ إلى أطراف القنفذة تعرّض له أهل تلك الجهة وكانوا ممن دخل في طاعة الإدريسي فاقتتلوا وقُتِل من الطرفين جم غفير وانهزم الشريف فاتصل بالقنفذة فأقام بها. ثم أن أهل تلك الجهة تابوا إليه ودخلوا في طاعة الدّولة وسَبب هذا التجهيز أن عسكر الإدريسي من أهل تلك الجهات العسيريّة فحاصرت الأتراك الّذين بالسّري وأبهَا فحاصروهم مدة طويلة ولم يظفروا منهم بطائل، ثم أنّ الوالي محمّد علي باشا استقر بجازان بمن معه من العِدّة والعدد، والسيّد الإدريسي كان قبل وصول محمّد علي باشا إلى جازان لمّا بلغه هذا التجهيز جَمَع بعض من قد دخل في طاعته فاجتمع إليه نحو ثلاثين ألفاً وساروا إلى الحفاير وهو موضع الماء الّذي يستقي منه أهل بندر جازان فتلقتهم عسكر الدّولة وانفتح الحرب بينهم، فوقعت ملحمة عظيمة وقُتِل من عسكر الدّولة نحو ألفين وجرح خمسمائة ومن عسكر الإدريسي قُتِل نحو المائتين وكان سبب انفتاح القتال أنَّ رئيس عسكر الدّولة غالب بك استعجل فتح الحرب قبل توفّر القوّة على قوم الإدريسي الّذي نزلوا على الماء فأمَر على العسكر غيره من كبار الترك وتأخر هو بجازان ومعه ثلة من العسكر، فالتحم القتال بينهم ولمّا رأى الغلبة في قومه ركب ساعِيَةً ونزل بمرسى القَوْز[1] فنزل إلى البر ثم سار إلى الإدريسي وصار من قومه، ثم بعد إنفكاك الحرب وقف قوم الإدريسي على الماء وقطعوا عنه عسكر الدّولة فأخذوا جميع الجلاب لنقل الماء إليهم من الحديدة وكَمران والصّليف ومِيْدي، وارتفعت العسكر من جازان إلى البوابير التي وافقه بمرسَى جازان ثم عادوا إليه بعد. وفي هذه المدّة كثر نزول الإفرنج إلى اليمن وملئوا السواحل كبندر الحديدة وكَمران، وكثر بنزولهم الذّهب والمعاملة به بين أهل اليمن، وأخذَتْ الإفرنج أبنيةً في جزيرة تُسمَّى الكَثِيْب قِبْلِي بندر الحديدة[2] واتخذوها دار إقامة خاصة بهم وشرَعوا في عملية الطريق لسلوك بابور البر منه إلى صنعاء[3].

---

(١) القَوْز: بلدة من أعمال صَبْيا بمنطقة جازان.

(٢) الكثيب: لسان برّي يتقدم في البحر، يقع شمال غرب مدينة الحديدة بمسافة (١٤) كيلاً

(٣) كان الفرنسيون قد حَصلوا - في عهد الدولة العثمانية - على امتياز يخوّلهم بناء مرفأ في منطقة الكثيب، وقد بدأوا العمل ومدوا طريقاً ترابية من الميناء وبجوارها خط حديدي لسير القُطُر أوصلوه إلى قريب من مدينة بَاجِل، إلا أن الايطاليين لمّا أعلنوا الحرب عام (١٩١٢م) أرسلوا بعض بوارجهم وضربت المكان المذكور بقنابلها، فأخربت كل ما عمره الفرنسيون.

وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين منه تعرّض شيخ الجرابح عمر محبّش لطريق الحديدة وأخذ اثنين وخمسين جَمَلاً حاملة جَبْخانة للدّولة وبضايع لأهل البيع والشراء من أهل الزيدية، وسبب أخذه لها أنه يطلب إطلاق ولده المرهون بيد الدولة، فاعترضه الشيخ حسن أصلع واستنقذها منه خوفاً من الدّولة ثم ردّها إلى أربابها على يد القاضي السيّد علي بن حسن النُعمي وقائمقام الزّيديّة.

وفيه توفي السيّد الصالح عبد الرحيم بن عبد الله باري من أهل بيت عكاد[1] وذلك في يوم الأربعاء السابع عشر منه.

وفي هذا الشهر وصلت إلى الإمام يحيى بن محمد بن حميد الدّين ـ صاحب شهارة ـ آلة تضرب السكة وتعمل الرصاصِ ويُستخرج بها المعادن[2] أرسلها إليه السلطان عبد الحميد الذي قد خُلِع وصار الآن بسلانيك وكان قد أرسل إليه في العام الذي قبل هذا آلة مثلها فتعرّضت لها الدّولة وأخذتها من الطريق، فوصلت إليه هذه وهو في خَمِر[3] ومعها نحو ثلاثين عبداً يحركون الآلة وقت العمل ونَصارَى يعرفون المواضع التي به المعادن، فأرسلها الإمام إلى شهارة، وقد سمعت الثقة يقولون أن شخصاً أخبره أنه وقف عليها في شهارة لمّا رَكّبوها فكانت كالقصر العظيم، ثم حكى لي أنَّ السيّد العلاّمة عبد الله بن إبراهيم وزير الإمام يحيى لمّا وصل إلى القسطنطنية من طرف الإمام متعيناً في مجلسِ المبعوثان ـ السّابق ذكره في عام ستة وعشرين بعد ثلاثمائة ـ فرأى المجلس مشتملاً على طوائف كُفْرِيّة تخلّص منهم بلطف ثم مارضي يكوْن سفره خالياً عن الفائدة فاشترَى هذه الآلة بمبلغ جسيم، وهذا الذي يقرب والله أعلم.

وفي اليوم الثاني من شهر رجب وصل شيخ مشايخ صلّيل السيد عبد الله بن إبراهيم فوزي ومعه نحو مائة نفر من قبيلة صلّيل إلى الكدراء ـ قرية السّادة المصاعلة ـ لتسليم الأموال الدّولية منهم فثارت فتنة بين أهل القرية وقوم الشيخ فَقُتل من قوم الشيخ واحد وجُرح ثلاثة، وأُحرقت القرية ونُهبت.

وفيه تجهّزت من قوم السيّد الإدريسي أربعة آلاف نفر رئيسهم الشريف منصور بن محمّد بن يحيى وعُضّد بالشريف محمّد بن زين بن الحسين والشريف محمّد بن علي بن الحسن والشيخ يحيى بن علي ثواب، وارتحلوا إلى العَطَن ـ وهو

---

(١) بيت عكاد: إحدى قرى مديرية الزيدية.

(٢) آلة سك النقود.

(٣) خَمِرْ: بفتح فكسر فسكون، بلدة مشهورة في شمال مدينة عَمْران بمسافة (٤٠) كيلاً، فيها مركز قبائل بني صُرَيم من حاشد.

محل الماء الذي يَستقي منه أهل بندر اللُحيّة ـ لقصد محاصرة الترك الذين بالبندر، ولمّا وصلوا إلى المحل المذكور انقطعت الترك وأهل البندر عن الماء فلم يصلوا إليه، فأمّا الترك فجلبوا الماء بالجلاب والمراكب من البلدان الشاسعة بأغلا ثمن وأمّا أهل البندر فكاد أهله يموتون عطشاً بل مات منهم جُملة فركبوا الجلاب وتفرّقوا إلى القرى كالصّليف وكَمَران وقرية بن عبّاس والخَوْبة[1] والمكرم[2] وغيرها ولم يبق فيها إلاّ من قدر على جلب الماء من البعد. وفي خلال ذلك وصلت قبيلة الواعظات والجامعي عَاضِدة في الظاهر لقوم الإدريسي فاتّفق وقوع سَبب بينهم اقتضى افتراق كلمتهم فقامت الحرب بينهم على ساق، فما كان بأسرع من انهزام قوم الإدريسي فتفرّقوا في كل جهة، وتركوا أثاثاً كثيراً استولى عليه الواعظات والجامعي، وقُتل من الطرفين خمسة عشر قتيلاً، فأعطتهم الدّولة جائزةً عظيمة وأطلقوا لهم أولادهم المراهين عندهم، فحينئذٍ رجع أهل اللحيّة إليها من كل قرية وقد مات منهم نحو خمسة وعشرين نفر ما بين رجل ونسوة وطفل. ولمّا وصل قوم الإدريسي إليه غضب عليهم وأعرض عن رؤسائهم المذكورين لكونهم أقدموا على أمر لم يأمرهم به، فرجعوا إلى الدّولة واتفقت كلمتهم معهم كماسيأتي قريباً إن شاء الله.

وفيه وقعت فتنة في بلاد السّادة المحامدة[3] يوم زيارة المجذّر التي يعتادها القبائل، فَقُتِل بها أربعة نفر، وقد عمّ عمل هذه الزّيارات وفَشَى فعلها في أكثر البلدان كالحديدة واللحيّة والزّيدية وبيت الفقيه ابن عُجَيْل والمُنيرة والضّحِي وغيرها، ووقتوا لكلّ بلد منها وقتاً معلوماً يجتمع فيه الناس من كلّ ناحية بالطّبول واللّهو ولعب الخيل. وقد اجتمعوا في هذا الشهر لزيارة المنيرة فَحَزرت الجَمْع فإذا هو يزيد على خمسة عشر ألفاً ونحو الأربعين من الخيل، فضربوا من البُندق على سبيل الفرح ما لا يُحصَى ولا يُحصَر ومَنّ الله بالسلامة والحمد لله.

وفيه وقع بالعسكر في الجبانة وباء مات به أكثرهم، وفَشَى في أهل الحديدة ـ في شعبان ـ فمات منه خَلْق كثير منهم مفتي الشافعية الفقيه العلاّمة عبد الله بن يحيى مكرّم[4] وغيرهم من أفاضل الحديدة كالسيد علي باري الأهدل والسيّد محمد بن

---

(١) الخَوْبة: قرية وميناء قديم جنوب مدينة اللحيّة وفي مواجهة جزيرة كَمَران.

(٢) المكرم: منطقة من جزيرة كَمَران.

(٣) بلاد المحامدة: عِدَادها من مديرية المغلاف.

(٤) عبد الله بن يحيى مكرم: كان من المتصدرين للإفتاء والتدريس بالحديدة إلى أن توفي، ثم قام بدوره ولده العلامة يحيى بن عبد الله الذي تولّى الخطابة بجامع دحمان وتوفي سنة (١٣٦٣هـ).

حسن سلطان المقبولي والسيد أبكر بن الهبة، ومن الغرباء الواردين إليها الفقيه العلامة حسن بن عبد الله فايز من أهل الضحي وكانت وفاته يوم السبت السابع عشر من شهر شعبان، ثم سرى إلى أهل البوادي فمات منه السيّد عبدة بن إبراهيم القبعي من أهل المعروفية، والسيد قاسم بن علي فارس القديمي من مدينة الزّيدية، والسيد قاسم بن أحمد طويل من بلاد المهادلة، وغيرهم فاسأل الله اللّطف في ما جرَت به المقادير.

وفيه جاءت الأخبار بأنه وقع حريق عظيم في الأستانة من بلد الروم هلك به نحو عشرة آلاف بيت وأموال جسيمة فطلبت لهم الإعانة من أهل اليمن وغيرهم.

وفيه جاء الأمر من الدّولة بتعطيل يوم الأحد من مجلس الحكم في شهرين فقط من الأشهر الروميّة هما. . . [1] وأحدثوا في هذا اليوم سروراً سمّوه بالعيد المِلّي، فجرَى ذلك في الشهرين المذكورين ثم عاودوا الحُكم فيه ولم تظهر نتيجة ذلك، ثم ما زالوا ـ بعد ذلك ـ يُحْدِثون في هذا اليوم السرور وضَرْب المدافع كلما دارت به السنة في شهر حزيران.

وفي يوم السبت الثالث منه، لَدَغت إبراهيم بن قاسم علي ـ الفقيه من أهل الزّيدية ـ حيّة تُسمّى (أم الأجل) لأن من لَدَغتهُ كان بها أجله غالباً، وكان ذلك في بيت عكاد فَحُمِل إلى الزّيدية ثم توفي بعد يومين رحمه الله.

وفي ليلة الجمعة الثامنة من شهر رمضان توفى الرّجل الصالح السيّد عبد الرحمن بن عبد الله الأهدل بالمنيرة ودُفن بها.

وفيه انقضّ نجم بجهة جازان وظَهر له شعاع عظيم، وقع في البحر غربي جازان فتحرك البحر واضطرب، وارتفع ماؤه، وكثر موجه، ودكّت جبال هناك في البحر فوقع منه خوف عظيم لعسكر الدولة الذين بجازان ولعسكر السيّد الإدريسي الذين على حفائر الماء شرقي جازان.

وفيه أو في شهر شعبان خرج المشير عزّت باشا من صنعاء إلى الإمام السيّد يحيى بن محمّد لقصد استنقاذ الأسرى الذين لديه من الترك من نحو ست سنين وعددهم ثلاثمائة نفر، فوصل إلى الإمام في خَمِرْ فسلّمهم إليه ثم رجع بهم إلى صنعاء.

وفيه كاتب الدّولة الشريف محمد بن زين بن الحسين والشريف محمد بن علي بن الحسين والشريف منصور بن محمد بن يحيى في الوصول إليهم لقصد

---

(١) بياض بالأصل.

إكرامهم، وقد كانوا رؤساء جيش السيّد الإدريسي، فوقع الحرب منه عليهم بسبب ...
أقدموا على أمر لم يأمرهم به كما سبقت الإشارة إلى ذلك قريباً، فصادف ما قد وقع
في نفس السيّد عليهم فأجابوا داعي الدّولة، وسار إليهم الشريف محمد بن علي في
شهر رمضان فوصل إلى الحديدة عند الفريق حمدي باشا فأكرمه غاية الإكرام و...
بضرب الموسيقى قدامه وأعطاه مائتي حبة من الذّهب عبارة عن ألفي ريال، وأرسل
معه خمسين حبّة من الذهب للشريف محمّد بن زيد والشريف منصور بن محمد ...
لهم على الطّريق في الوصول إليه لضعف أحوالهم، وأعطى الشريف محمد بن علي
كسوة فاخرة وساعة من الذّهب ووعده بمزيد من الإكرام. ثم في شهر شوّال توجه
الشريف محمّد بن زيد والشريف منصور بن محمّد إلى الفريق حمدي باشا فأكرمهم
وأعطى كلّ واحد منهم تمام مائة حُبّة من الذهب إلى الخمسين التي أرسلها إليهم،
وأعطاهم كسوة وساعة من الذهب وجعل لكل واحد منهم وظيفة أحدهما في جزيرة
فَرَسان[1] والآخر في جزيرة كَمَران.

وفي ليلة عيد الفطر غزا شيخ مشايخ صلْيل السيّد عبد الله بن إبراهيم قوزي محل أبكر حرمان من بلد الزّعلية ومعه جانب من الترك لِسَابق إساءة منه في جانب الدّولة، فقُتل من الزعلية ستة نفر وامرأة ومن قوم الشيخ أربعة نفر ومن الترك واحد، ونهبوا قُرى وأحرقوها، ونَجَا حرمان وجماعته، فحينئذ وقعت الوحشة بين قبيلة صليل وقبيلة الزّعلية، وأضرّ بهم ذلك فخرج إليهم السيد العلامة محمّد بن يحيى الأهدل في شهر القعدة وأصلح بينهم فزالت الوحشة، ووقع في خروجه ذلك من المصالح العامة والخاصّة وإصلاح ذات البين شيء كثير فجزاه الله خيراً.

وفي شهر شوّال جاءت الأخبار بأن طائفة من الكفّار تُسمى إيطاليا نقضت العهد والميثاق الذي بينهم وبين الدّولة العثمانية وهجمت على المسلمين بطرابلس الغرب، وأحاطوا عليهم بالبوابير الحربيّة وأخربوا بالمدافع بعض بيوتها وحصونها واستولوا عليها بعد أن خرج منها المسلمون، فوقعت حينئذ الغورة الإسلامية عليهم من كل جانب وقام شخص يُقال له السنوسي بقوّة عظيمة فنصرهم الله على الكفّار فأخرجوهم من البلاد التي قد استولوا عليها وهزموهم هزيمة فاضحة، وغنموا منهم من الأموال والأسلحة ما أغنى المسلمين. ولكن الكفّار ما زالوا يشاغلون بلاد الإسلام من سائر الممالك العثمانية؛ ففي يوم الإثنين العاشر من شهر شوال هجمت طائفة في بابور من الايطاليا في البحر على بابور للدّولة بمرسَى بندر الحديدة ورموه بالمدافع حتى انكسر فرسب في البحر بمن فيه، فأغارت البوابير حق الدّولة ورمت المدافع على بابور

(١) فَرَسان: أرخبيل في البحر الأحمر تجاه رأس جيزان.

الأيطاليا فانكسر ورسب.

وفي يوم الأحد السادس عشر منه، وقعت فتنة بين أهل جبل مِلْحَان في سوق الوَلَجه[1] فقتل من الجانبين ستة نفر.

وفيه، لمّا وقع هجوم الأيطاليا على الغرب جاء الأمر من الدّولة إلى الوالي محمّد علي باشا بأن يتوجه بالعسكر إلى جزيرة فَرَسان وهو بجازان، فوصَلت إليه سبعة بوابير فملأوها وقدرهم أربعة وعشرون ألفاً، وحملوا معهم ما أمكن حمله من السلاح والجبْخانة والدقيق والخيل والبغال، تركوا من ذلك شيئاً كثيراً فاستولى على الأشياء المتروكة السيّد محمّد بن علي الإدريسي ومَنَع قومه من التصرف فيها، وحسبما بلغ أنها باقية إلى وقت رَقْم هذا لم يأذن في التّصرف فيها - تورّعاً عنها - لكونهم مسلمين. ثم بعد مدّة انتقل الوالي مع العسكر إلى بندر القنفذة.

وفيه وقع مطر، وفيه بَرَق أصاب عبداً للشيخ عبد الله بن إبراهيم فوزي في قرية الزّابة من بلد العطاوية[2] فقتله، وفي اليوم الثاني وقعت برقة في قرية الجيلانية[3] فقتلت رجلاً، وفي اليوم الثالث وقعت - أيضاً - برقة في دَيْر الزَّيْن من بلاد صلّيل فقتلت رجلاً وحماراً.

وفيه قُتل شخص وجُرح آخر بِسُوق المِطْرَاق من بندر الحديدة[4] على يد قوالجة التنباك من عَبِيد بني حميدة أهل باجل.

وفيه خرج شخصان من دولة الأيطالية يمشيان في أزقة بندر الحديدة وفي أيديهما شيء شبه المرآة إذا قوبل به الشيء اشتعلت فيه النار، فرآهما بعض أهل الحديدة وهما يقابلان به للبيوت فتشتعل ناراً فَحَرق منها نحو ثلاثة آلاف بيت[5] ورجلان وامرأتان وصَبيّان، فَوشَى بهما إلى رئيس بلَد الحديدة السيّد أحمد شراعي باشا، فأمر بهما فَضُرِبا حتى كادا أن يهلكا، ثم أُطلقا خوفاً من انتشار الفتنة.

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين منه وُلِد الولد المبارك إن شاء الله تعالى عبد الله بن إسماعيل بن محمد الوشلي، أنبته الله نباتاً حسناً وجعله من حَملة القرآن العظيم والعلم النّافع آمين.

---

(١) الوَلَجه: بفتحات، قرية في السفح الغربي لجبل مِلْحان من بلاد المحويت، وهي في مواجهة مدينة الزيدية من جهة الشرق، وتسكنها قبائل من المعازبة.

(٢) الزّابة: قرية للعطاوية من مديرية الزيدية.

(٣) الجيلانية: إحدى قرى الزيدية، إليها يُنْسَب آل الجيلاني وهم حسنيون.

(٤) المِطْرَاق: بكسر فسكون ففتح، أحد أسواق مدينة الحديدة وأكثرها شهرة.

(٥) كانت البيوت مبنية من القش ولهذا كان يسهل انتشار النار فيها.

وفيه ظهر نجم من ذوات الأذناب من جهة الشرق وقت صلاة الصبح، صغير الذيل، ثم خفي سريعاً.

وفيه كتب الإمام السيّد يحيى بن محمد صاحب شهارة إلى السلطان محمد رشاد خان بأنه سيمده بمائة ألف مقاتل على الأيطاليا الذين نقضوا العهد، فجاء إليه جواب السلطان بأنه مشكور على ذلك والكفاية حاصلة.

وفي غرّة شهر القعدة، منه، وصل شخص إلى المنيرة من جبل راس، وهو جبل شرقي زبيد، اسمه عبد العزيز بن عبد الرحمٰن وأصله شريف مغربي من تونس حسب ما أخبرَ به هو عن نفسه، له خبرة تامة بالطب لا سيما عِلّة البواسير فإنه بها عارف ماهر يقلعها بعروقها من باطن الإنسان بدون ألم ولاكيّ، بالأطلية والأدهان فما يشعر إلا بها قد نزلت، ولم يكن له نظر في كتب الطب أصلاً وذلك أنه ورث ذلك من أسلافه. وقد كثر ظهور رياح البواسير في هذا الزمان ولعل ذلك سر الحديث الوارد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه: أن من اقتراب السّاعة ظهور البواسير وموت الفجأة. اهـ.

وفي ليلة الأحد الرابع عشر منه أصبح شخص من بني الجبلي قتيلاً في قريتهم، وآخر من المُزَيِّنين(١) اسمه العداش قتيلاً بين الضّحي والمعروفة.

وفي هذا العام انقطع الحاج البحري من جهة اليمن إلا من سَلَك طريق البَرّ وهم قليل، وذلك بسبب ما وقع من القتال بين الدّولة وبين الطّليان، فكانت مراكب الطليان الحربية البحريّة تدور في البحر لأخذ من وجدوه من المسلمين. وانقطعت أيضاً الجلاب التي تسافر للتجارة والغياصة في البحر لاستخراج الدُر.

وفيه رأى الرّجل الصّالح عبد القادر أبو سرّين السّاكن بغوز رؤيا منامية كأن السلطان عبد الحميد ـ الذي خُلِع ـ وأخاه السلطان محمد رشاد ـ الذي تولّى السلطنة بعده ـ قاعدان يتحاكمان عند السيّد العلاّمة محمّد بن يحيى الأهدل صاحب المُنيرة، فبينما هما في أثناء المحاكمة إذ أقبل النبي ﷺ فأخذ بيد السلطان محمد رشاد وقال للسيّد: سَلِّم هذا يعني محمد رشاد إلى هذا يعني عبد الحميد، ثم انتبه.

وفي هذا العام قلّ نزول الوادي والأمطار في فصل الخريف، وضعفت الزراعة إلاّ في مواضع قليلة.

وفي فصل الشتاء على رأس ستين يوماً منه، في شهر الحجّة، أنزل الله أمطاراً عظيمة عمّت جميع الأقطار ودامت ثلاثة أيّام، فصلحت الزّراعة بعد ذلك وخصبت

---

(١) المُزَيِّن: الحلاّق.

بركة في ثمرة الدخن وبعض الذرة وبعضها وقع به شَرَاف، وامتلأت أرض الوادي - التي تعتاد السقي منه - من هذا المطر فجاءت بثمرة تامّة في الفصل المُسَمَّى بالوسمي في هذه الجهة. أمّا الوادي سُرْدُد[1] فلم ينزل إلا في ليلة واحدة أكرم الله بها السيّد العلامة محمد بن يحيى الأهدل، استوعبت جميع أرضه ولم تجاوزها إلى غيرها إلاّ قليلاً.

وفيه - أي شهر الحجّة - جاءت الأخبار بأن بابوراً من بوابير الطليان وقفَ على ساحل المَخَا وأطلق المدافع على المدينة فأخرب بعض دورها.

وفي ليلة ثاني عيد النحر، منه، غزا شيخ مشائخ صليل السيّد عبد الله بن إبراهيم قوزي باشا بنحو مائة نفر من قبيلة صليل والعطاوية إلى قبيلة الهزاهز من قبيلة بني قَيس، فصبّحوهم صلاة الصبح، فخرجت الهزاهز من القرية شاردين ووقع جماعة الشيخ في النّهب ثم كرّوا راجعين بما نهبوه، فتقدم الهزاهز قبلهم وَلَزِمَت عوارض الطريق - وهي ضَيِّقَة بين أشجار وجبال مُلْتَفَّة - وما شعر جماعة الشيخ إلاّ والرمي فيهم يميناً وشمالاً فَقُتِل من أعيانهم جماعة فيهم شيخ العطاوية وإبراهيم بُكيرة وأحمد بن حسن جلحوف، وجُمْلَةَ المقاتيل والمجاريح ثمانية عشر.

وفيه وقعت فتنة بين حسن بن يحيى الكُحلاني[2] من قوم الإمام يحيى بن محمّد صاحب شهاره وبين محمّد بن يحيى المِخَنْجَف[3] فَقُتِل من قوم الكحلاني نحو خمسة وعشرين نفراً ومن قوم المخنجف نحو خمسة عشر نفراً، وذلك أنه قد سبق قبل سنتين بينهما قتال وقُتِل من قوم الكحلاني خمسة نفر ومن قوم المخنجف ثلاثة ثم اصطلحوا وأدّىَ المخنجف دية الرّجلين الزّايدَيْن على الثلاثة[4]. ولمّا كان هذا التّاريخ خرج المخنجف عن طاعة الكحلاني فجهّز عليه المدافع وأخرب البيوت ونهبوا الأموال وصاروا فقراء يتكففون النّاس في القرى، ووقع ما وقع من القتل، فأمّا رئيسهم محمد بن يحيى فخرج شارداً إلى السيّد حسن بن يحيى الضحياني[5] وأمّا

---

(١) ولدي سُرْدُد: وادٍ مشهور في شمال مدينة الحديدة، يسقي أراضي الضحي والزيدية، ومنابعه من جبال كوكبان والحَيْمة وحَراز والمحويت.

(٢) حسن بن يحيى الكحلاني: أحد قادة جيش الإمام يحيى.

(٣) محمد يحيى المخنجَف: من مشائخ قبيلة المخلاف من حَجُور، ديارهم في جبل قُفْل شَمَر من بلاد حَجّة.

(٤) أي عن الثلاثة المقتولين من جماعته مقابل ثلاثة من أولئك.

(٥) حسن بن يحيى الضحياني: عالم، محقق، دعى إلى نفسه بالإمامة سنة (١٣٢٢هـ) وتكنى بالهادي وسيطر على كثير من بلاد صعدة ودخل في حروب مع الإمام يحيى، ثم انكفأ في جبل بالقم متفرغاً للتدريس والتوجيه إلى أن توفي سنة (١٣٤٣هـ) وله مؤلفات - انظر كتاب: =

قبيلته فعادوا إلى بلدهم ودخلوا في طاعة الكحلاني بالعقاير المعروفة بينهم وأعطاهم الأمان.

وفي يوم الثلوث الثالث منه التقى المشير عزّت باشا[1] مع الإمام السيد يحيى بن محمّد بن حميد الدّين صاحب شهاره في موضع يسمّى دعّان[2] وهو موضع بينه وبين صنعاء دون يوم، فخرج المشير بنحو خمسة عشر نفراً والإمام بخمسة عشر ألفاً وجرى الصلح بينهما على شروط منها أن أمر تولية القضاء في الجبال إلى الإمام ممّن يراه يصلح لذلك، ومنها أن الميري يُرفع منها وتُسلَّم الزكوات الشرعيّة إلى الدولة على يد الإمام. وقد كانت زكاة الإبل والبقر متروكة قبل ذلك فشملها شرط التسليم، ومنها غير ذلك وهو عشرون شرطاً، وجعلوا للإمام مرتباً شهرياً قدره ثلاثة آلاف ريال[3].

احداث عام ١٣٣٠هـ:

وفي شهر محرّم الحرام عام ثلاثين بعد ثلاثمائة وألف صار محمود نديم باشا والياً بصنعاء وتوليته من جملة الشروط التي جرت بين الإمام وبين عزّت باشا لِمَا فيه من السياسة والرّفق بالرعية، وعقب وقوع الصّلح صارت كلمة الإمام والدولة واحدة، وانتشر الأمن في الجباليّة، وقامت الأحكام الشرعيّة، وسكنت الفتن بعد أن تفاقم الأمر بينهم وكذلك بين والده محمّد بن يحيى وبين الدولة مِدَداً متطاولة وجرت بينهم حروب يشيب منها الوليد، ومَدّت الدولة خيط التلغراف من صنعاء إلى الإمام، فوضعوا المكينة في السُّوْدَه[4] لأجل اتصال المخابرة بينهم وبينه.

وفي يوم الأحد الحادي عشر من شهر محرم الحرام أشرف بأبور من بوابير

---

* نزهة النظر.

(١) هو آخر والي عثماني، وأصله من سوريا، ولمّا انسحبت القوات التركية من اليمن اختار البقاء للعمل في إدارة الإمام يحيى.

(٢) دَعّان: بفتح فتشديد، قرية من ثلث جبل عيال يزيد، شمال مدينة عَمْران ومن أعمالها.

(٣) انظر نص الصلح بين الإمام يحيى والدولة العثمانية في كتاب «تاريخ اليمن» للواسعي، كما يمكن الإطلاع على تفاصيل أوفر عن المرحلة وظروف توقيع الصلح في كتاب «سيرة الإمام يحيى» تأليف: القاضي عبد الكريم مطهر وتحقيق: الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحية.

(٤) السُّوْدة: بضم فسكون، بلدة واقعة بذورة جبل يطل على وادي أُخْرُف ووادي عُقمان من بلد حاشد، جِدَادها من محافظة عَمْران. وكان الإمام يحيى قد اتخذها مركزاً له قبل أن ينتقل إلى صنعاء بعد التوقيع على المعاهدة.

الطليان على العسكر العثمانية الذين بالجبانة[1] ورمى عليهم بنحو ثلاثين ضربة بالمدفع فلم يصب أحداً منهم.

وفي يوم الخميس الخامس عشر منه وصلوا إلى بندر اللُحيّة وأطلقوا المدافع الحربيّة على البندر، جميع النهار، ويوم الجمعة كذلك فرموه بنحو مائة وسبعين رمية بالقلل العظيمة، فخيّبهم الله، وسَلِم البندر وأهله سوى قلّة واحدة وقعت في قلعة الدّولة فلم تؤثر فيها شيئاً والحمد لله، وقد وزنت واحدة من القلل فبلغت خمس فراسل[2] وهي كالجرّة العظيمة.

ثم سافر آخر يوم الجمعة إلى مَرْسَى مِيْدِي فرمَى المدينة - وقت صلاة المغرب - بأحد عشر قلّة، وأصبح يوم السبت رَمَى عليها باحدى وعشرين قلّة، ووجّهوا الرمي على قلعة الدّولة، وقُتِل من الترك من الرُتْبَة الذين فيه ستة نفر وخرج سائرهم شاردين إلى بندر اللحيّة بعد أن تركوا سلاحهم وأثاثهم، فدخلوا الطليان إلى مدينة ميدي واستولوا عليه ثم خرجوا منه.

وفي يوم الاثنين التاسع عشر منه خرج السيّد العلاّمة محمّد بن يحيى الأهدل للإصلاح بين قبيلة الجرابح وبين قبائل المخلاف وقد تفاقم الأمر بينهم وطالت العداوة فأصلح بينهم.

وفي هذا العام نزلت بزراعة الوسمي عِلّة تُسمّى العُسيل تصغير عَسَل - وكثرت بجهة بني البرّة من الوادي سُرْدُد واستوعبت جميع مزارعهم، وهو طير أبيض صغير جداً يقع على الزرع وبوقوعه عليه يسيل منه مثل العسل فيسوّد الزرع ثم ييبس وتفسَد ثمرته بالكلية بسرعة، وكان هذا - والله أعلم - هو المقصود بقوله تعالى: ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝ ﴾[3] وهو يصيب الأصل والفرع فلا يخلّف الزّرع بعد ذلك شيئاً، ولا تأكل الدّواب العجور الحاصل منه، بل تَسْوَدّ أرضه وتصيبها قوة شديدة، وإذا مشى أحد بين الزرع الذي أصابه ذلك فما يخرج إلاّ وقد إسْوَدّت ثيابه وجسده. وكان قد نزل قبل ذلك بجهة بني نشر فأفسد زراعتهم، وما زال يسري وينزل إلى الجبال اليمانية والوادي مَوْر حتى اتصلَ بالوادي سُرْدُد، وهذه عاهة ما قد عهد مثلها في هذه الجهات نسأل الله رفعها عن كافة الخلق، ولا تؤثر فيما وقعت عليه إلاّ إذا كان قبل اشتداد الحَبّ، وأمّا بعد ذلك فلا، بل تنقصها نقصاً يظهر فيها. نسأل الله اللّطف فيما جرَت به المقادير.

---

(١) الجبّانة: من قرى العارضة، بمنطقة جازان.

(٢) الفَرَاسِلَة: مقياس من الوزن تساوى عشرين رطلاً.

(٣) سورة الواقعة، الآيات: (٦٥ ـ ٦٧).

وفي شهر صفر منه، خرج صالح مسعود وجماعته شاردين من حبس الحديدة، وهُمْ الّذين مضى ذكرهم بأنّهم أخِذوا يوم نهب الزّيغة في عام سبع وعشرين، فلحقوا ببلادهم.

وفيه توفي السيّد العلاّمة مفتي الدريهمي علي بن إبراهيم المقبولي رحمه الله.

وفيه توفي الرّجلان الصّالحان أحمد وصالح ابنا يوسف رجب ببندر الحديدة رحمهما الله.

وفيه توفي السيّد الصّالح علاّن بن علي ولي، من السادة بني الولي الساكنين بأعلا الواعظات، بسبب الجدري ببندر الحديدة وبعد أن توجه إليه من بلده لحاجة وبه دُفن.

وفي يوم الجمعة الحادي والعشرين منه قَتَل دُهَل بن عبد الله ملاّح[1] - من بني نميص - عُمر بن عبد الله حسين من بني المهند في زهبه، وكان وقتئذٍ بجنبه ابن عمّ القتيل حسين بن إبراهيم حسين فأخذ بثأر ابن عمه وقَتَل القاتل المذكور، فَدُفِنا معاً في قبرين متقاربين.

وفيه ضربت الطليان الحصار من رأس عيسى مرسى غليفقه[2] واشتد الحصار على بندر الحديدة ونزل جماعة من الطليان إلى البندر ودخلوا إلى الدّولة وطلبوا منهم قطع الطّالع والنازل من البحر من أحوال التجارة، فلم يساعدوهم على ذلك فرجعوا إلى البابور ومنعوا السّفن الّتي للدّولة وغيرهم من السّفر وأخذوا السكاكين والأشرعة لديهم خشية أن ينالهم أحد بسوء في البحر وأنّهم ما ينزلون إلى البر. ولمّا وقع هذا الحصار خاف أهل البندر من وصول ضَرر من الطليان إليهم فخرجوا بأموالهم وأهليهم إلى سائر البلدان كالمراوعة والمنصوريّة وباجل والزّيديّة والمنيرة، ثم لمّا ظهر لهم أنّ قصد الطليان محاصرة البندر فقط رجعوا إليه، والحصار باقٍ إلى وقت تحرير هذا.

وفي يوم الأربعاء السادس والعشرين منه خرج شخصان بسنبوق صغير لاصطياد الحوت بجهة غليفقة فرماهم الطليان من البابور بالمدفع فكسر السنبوق وقُتِل أحد الشخصين وجُرح الآخر، فخرج شخصان من مشايخ قبيلة الزّرانيق هما الكشوبع

---

(١) بني الملاح: عشيرة تسكن مدينة الزيدية ونواحيها، وهم كما أشار المؤلف من بني نميص ثم من قبائل صلّيل من عك.

(٢) رأس عيسى: هو الطرف الجنوبي من جزيرة الصّليف في شمال الحديدة. أما مرسى غليفقة ففي جنوب الحديدة بمواجهة الدريهمي.

ويحيى معوضة بخبران الدولة بالحديدة بذلك ولمّا رجعا إلى بلدهما تلقاهما جماعة من الزرانيق فقتلوهما يوم الجمعة الثامن والعشرين منه.

وفيه جهزت الدولة العثمانية على السيد محمد بن علي الإدريسي جيشاً عظيماً ومعهم من المدافع والآلات الحربية شيء عظيم، وجاءوا بالآلات التي تخرج الماء من أسفل الأرض بسرعة وبالتلغرافات الهوائية المار ذكرها[1]. وما زالوا يجتمعون من المعاقل الجديدة ويسيرون منها إلى الزهرة حتى اجتمعوا فيها نحو عشرين ألفاً، رئيسهم الفريق أحمد حمدي باشا، ونزل الوالي محمود نديم من صنعاء إلى الحديدة ثم سار منها إلى الزهرة ورتبوا العساكر من الزهرة إلى حَجْور، وأكثر العسكر في دير الشمة - قرية شيخ الواعظات السيّد هادي أحمد هَيْج - ورتبوا في كل قرية من قرى الواعظات جملة من العسكر، وكانت الأخبار متّصلة بهم في التّلغرافات الهوائية.

وفي خلال ذلك عَدَت ثلّة من قبيلة بني نشر على العسكر باللّيل ورموهم، فجهّز عليهم الوالي أربعة طوابير بالمدافع فهدموا سبع قرى من قراهم وقتلوا ثمانية أنفار وجرحوا عشرة، ثم شرّد بنو نَشْر هاربين ورتّبوا ست قرى بالعساكر، وهذا السبب لم يكن هو المُقتضى لهذا الفعل بهم بل لسابق إساءة منهم في جانب الدولة وهي موالاتهم للإدريسي وهم شيخ بني نشر الحافظي وجماعته، وأمّا بنو أبو قحم ومَنْ إليهم فهم موافقون للدولة ولم يخرجوا عن طاعتهم ولهذا سَلِموا وسَلِمت قراهم ممّا فعلوا بغيرهم.

وفي ليلة الجمعة الثامن عشر من شهر ربيع الأوّل توفي السيّد أحمد بن يحيى شراعي وكان رئيساً في بندر الحديدة، ثم بعد وفاته أقيم ولده يحيى مقامه.

وفيه وقع قتال بين قبيلة عَبْس وقبيلة الواعظات، فَقُتل من القبيلتين إثنا عشر رجلاً.

وفيه جاء الأمر من حضرة السّلطان محمد رشاد بالعفو عن طلب (الويركو) من الرّعية وهو شيء معلوم يؤخذ منهم على أرباب العقارات كالأرض والمساكن، وذلك من جملة الشروط التي جرت بين الإمام وبين الدّولة.

وفي يوم الجمعة الثامن عشر منه أطلقت الطليان على بندر اللُّحيّة المدافع فأخربت الحصن الّذي فوق الجبل.

وفي يوم الثلاثاء منه وصل عبد الله بوني باشا إلى المنيرة هو وجماعته بنو قَيْس، راكبين لقبيلة صلَيل وطالبين العفو منهم، فأرسل إليهم السيّد العلاّمة محمد بن

---

(١) هذا أول ظهور آلات شفط الماء من الآبار في اليمن.

يحيى الأهدل ولشيخهم السيّد عبد الله بن إبراهيم فوزي باشا فوصلوا وعفوا عنهم

وفيه صدر الأمر من الدّولة بإرجاع مماليك عبد الله بوني باشا إليه من البيوت والأرض الكائنة بالزّيدية.

وفي يوم الثامن والعشرين منه خرج السيّد بلغيث بن يحيى ماس القبعي لحاجته، فتلقّاه أهل دَيْر عسله من الحشابرة وقتلوه، فقام عليهم عشيرته بنو القبع وعلى غيرهم من سائر قرى الحشابرة بالقتال فَقُتل من الحشابرة أربعة عشر قتيلاً ولم يُقتَل أحد من بني القبع. ثم وصل إليهم السيّد الأجل الصالح جيلان بن أحمد عابد والسيّد الأجل الصّالح محمّد بغدادي بن علي بحر الأهدل بعد ذلك فأصلحوا بينهم.

وفيه قَتَل شخص من بني الجَبَلي شخصاً منهم مُقَيَّد بالمنيرة وكان المُقيَّد هذا قد قَتَل أخا القاتل، فأُخِذ القاتل وقُتِل بالقَنَاوِص يوم السُّوق قصاصاً به.

وفيه توفي السيّد الصالح عبد الواحد بن علي بن عبد الواحد بالضّحي رحمه الله.

وفي ربيع الثاني توفي السيّد الصالح أحمد بن علي الأهدل بمدينة باجل رحمه الله.

وفيه ضَربت الطليان الحصار على بندر اللحيّة وكَمَران والصّليف من جهة البحر وأرست البوابير حولها، وانقطع النازل البحري منها ومن الحديدة فحصل بسبب ذلك غلاء عظيم وارتفعت الأسعار بأضعاف ما كانت عليه قبل ذلك، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله.

وفي يوم الإثنين الثامن والعشرين منه توفي الرّجل الصّالح عمر بن علي عامو، رحمه الله.

وفيه في فصل الصيف أنزل الله أمطاراً عظيمة في الحازّة والجبال فسال الوادي سُرْدُد والوادي مَوْر سيلاً لم يعهد مثله، وسُمِع صوت سيل الوادي مَوْر من دَيْر عبد الله من بلد صليل، وبلغ السيل إلى البحر وسقيت كثير من أراضيه. وسال الوادي تَبَاب[1] بجهة بلاد صلّيل وسقَى من أرض الضواحي كثير.

وفيه حاصرت الطليان بندر القنفذة فأطلقت عليه المدافع من البحر، فأخربت الجانب الشامي من البندر.

---

(١) تَبَاب: بفتحات، وادٍ في شمال مدينة القناوص مساقطة من جبال المحويت ويسقي أرض القَنَاوِص الواقعة في شمال الزيدية.

وفيه وقع حرب عظيم بين عسكر الدولة العثمانية المُرَتَّبين بِأَبْهَا - من بِلاد عسير - وبين عسكر السيد الإدريسي، فكانت الطائلة لعسكر الدولة وقُتِل من الآخرين جمع كثير، وقُتِل مقدّمهم البطل المشهور السيّد يحيى بن عرار النُعمي.

وفي شهر جمادي الأولى رجع الوالي محمود نديم إلى بندر الحديدة بعد أن رتب الأمور بجهة الواعظات ودخلوا كلهم في طاعته، وقَصَد في طريقه إلى الحديدة زيارة السيّد العلامة الأجل محمد بن يحيى الأهدل بالمنيرة، ومنها سار إلى الحديدة مسرعاً فَجهّز منها ستة مدافع كبار تبلغ مسافة بعيدة في الرّمي علاوة على ما عند الجُنْد الذين بالواعظات من العدة القوية، وحَمل النقود والذّهب والفضة وِقْرَ ثلاثين جَملاً كما أخبرني من شاهد ذلك من الثقات، ومن الدقيق وغيره شيئاً كثيراً.

وفيه تَجهّز السيّد العلاّمة محمّد بن علي الإدريسي من صَبْيَا في جيش كثيف إلى الجهة اليمانية وعسكر بمدينة حَرَض، وأنفذ من هناك من يأخذ المراهين من قبيلة عَبْس، وأرسل فيه من قومه لِقِتَال السيّد هادي بن أحمد هَيْج ومن عنده من الترك، وفئة أخرى لقتال على بن يحيى أبو قحم، وخرج من صَبْيَا معه بِعدّة قويّة من المدافع العظام والبنادق الكثيرة والجبْخانة التي وصلت إليه من طريق البحر من الدّقيق والأرز والصابون والنقود وكل ما يحتاجه الجُنْد ما لا يُحْصَر، وما زالت البوابير ترد بذلك إليه إلى وقت تاريخ هذا، وقد اضطربت أخبار النّاس الكثيرة في تعيين من يرسل ذلك إليه ولم تظهر حقيقة ذلك.

وفي يوم الأحد الخامس والعشرين منه توفي السيّد الصّالح أمحمّد بن أحمد أبو ريش.

وفيه توفي السيّد الصّالح محمّد بن أحمد مرقعي من السادة الحسنين بني مهدي بقرية الداودية.

وفي يوم الخميس السادس من شهر جمادي الثانية قُطِعت يد سارق حَدّاً في سوق القناوص بأمر شيخ مشايخ صليل السيّد عبد الله بن إبراهيم قوزي باشا.

وفيه كسرت الطليان خمس سفن لضعفاء أهل الصّليف وكَمَران، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفيه سلّمت العسكر العثمانية جزيرة فَرَسان والأسلحة والذخائر التي فيها إلى قوم الإدريسي طَوْعاً.

وفيه غزا شيخ قبيلة الواعظات السيّد هادي بن أحمد هَيْج بجيش كثيف من الترك

والعرب ليلاً على قبيلة البتارية(١) فكانت له الطائلة، واستولى على بيت شيخهم حسين شايع ورتّبه بالعسكر، وقُتل من الطرفين جماعة، ثم أن حسين شايع عزاهم بقبيلته وجانب من قوم الإدريسي المُرتّبين بعَبْس فطردوهم واستنقذوا البيت منهم.

وفي شهر رجب توجه الوالي محمود نديم من الحديدة إلى صنعاء.

وفيه اشتد الحرب بين علي بن يحيى أبو قحم وبين جيش الإدريسي وكان قد عضد علي بن يحيى جانب من الترك ومعهم مدفع فعملت الترك حول حصنه أكياساً مملوءة من التراب فلم يعمل جيش الإدريسي شيئاً في الحصن بل كانت القلل تقع في أكياس التراب وتسقط إلى الأرض، ووَقَعت قلّة من مدفع الترك في الأخشاب التي مُرَكّب عليها مدفع جيش الإدريسي كسرته فانهزموا وقُتِل منهم جماعة. وكان من جملة السّلاح الواصل من البحر إلى الإدريسي مدفع عظيم عَجَزت عن جزه كثير من الثيران وما أوصلوه من مِيْدِي إلى حرض إلا بسبعين ثوراً، فَجَرّوه إلى حصن علي بن يحيى قحم لهدم بيته، ونَصَبُوه على جبل طَلّان غربي الحصن فأطلقوه إلى الحصن فخرق أكياس التراب ونَفَذ إليه، وقد كان الترك قبل ذلك وصل إليهم إلزام من رئيسهم القومندان أن يرجعوا إليه ويأخذوا معهم علي بن يحيى قحم صاحب الحصن طوعاً أو كرهاً وذلك حين رأوا الحصن مأخوذاً لا محالة، على أنهم سيغرمون له ما فات عليه في الحصن من الأموال فامتنع من الخروج ولمّا أرادوا إكراهه على الخروج ورأى الجِدّ منهم أذِنَ لمن معه من عشيرته وأهل قريته والقُرَى حوله ممن ثَبَتوا معه في القتال أن يأخذوا الأموال والبضائع والذخائر والطعام التي له في الحصن، فنقلوها ليلاً عن آخرها إلى حَجُوْر فما بقي غير الطعام شَبُّوا فيه النار وفي البيت، ثم خرجوا صباحاً يوم الربوع العشرين من رجب إلى بيت عبد الله شعيب شيخ حَجُور بمن معهم من الترك، فتبعهم جيش الإدريسي بعد أن خربوا الحصن بالقلل فثار الحرب بينهم وقتِل شخصان من الطرفين وانهزم جيش الإدريسي. ثم أن علي بن يحيى قحم رد الترك الّذين معه إلى رئيسهم بيت الشيخ هادي بن أحمد هَيَج سالمين.

وفيه ارتحل الإدريسي من حَرَض إلى مِيْدِي فأرسل الجنود لمحاربة الترك من هناك.

وفيه استولت الطليان على أربعة عشر ساعية في البحر من سواعي أهل بندر الحديدة وغيرهم كانت واصلةً من بندر عدن مشحونة بالبضائع، وساقوها إلى بندر

---

(١) **البتارية**: قبيلة وبلدة من مديرية عبْس بني ثواب.

وغيرهم.
مُضوَّع وفيها جماعة من أهل بندر الحديدة
وفي يوم الجمعة منه استولت الطّليان على خمسة سنابيق لأهل قرية ابن عبّاس، شاحنة من البضائع، فنهبوا ما فيها وكسروا واحداً منها، وأطلقوا سائرها واشترطوا على أربابها عدم الوصول إلى قرية الصّليف وكَمَران بشيء من البضايع ومنعوهم من السفر في البحر رأساً لِتجارة وغياصة واصطياد سمك وغيرها، فضعفت بذلك أحوال الناس الدنيوية وكادت الفقراء الذين يتعيشون من اصطياد السّمك أن يهلكون جوعاً، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

وفي يوم الأحد الثاني من شهر شعبان قُتِل الرجل الصالح عبده بن أحمد شومري ـ من أهل بندر الحديدة ـ ظُلماً على يد الجرابح بعد خروجه من مدينة الزّبيدية قاصداً بندر الحديدة رحمه الله تعالى، وكان ذلك بالقرب من محل الهلالي.

وفي يوم الخميس الثاني عشر منه أطلقت الطّليان المدافع من البحر على محل يُسَمَّى (مَنْظَر) يماني الحديدة إلى جهة الشرق، فهدمت جانباً من حصنه.

وفي يوم الجمعة الثالث عشر، منه، أطْلَقَتها على محلاّت للدّولة العثمانية من بندر الحديدة كالقلعة الشاميّة، وهي محل قِبْلِي الحديدة فيه جبْخانةً للدّولة قديمة، ولِقِدَمِها لم يؤثِّر فيها شيئاً قد فسد أكثرها، وكذا الجسته خانه ـ أي محل المَرْضَى ـ فهدموا بعضها، واضطرب البندر وضاق بأهله فسيح الأرض، وخرج أكثرهم بل كلهم شاردين بأرواحهم إلى البلدان وتركوا أموالهم وأثاثهم. ومن تمام البلاء أن القبائل رَصَدوا لِمَن خَرَج منهم بالطرقات فمن خَرَج نَهَبُوه وقتلوا من دافعهم، فَكَثُر الخوف وانقطع الساير من جهة الزبيدية والمُنيرة إلى بندر الحديدة. وكان هذا الواقع بالبندر على رأس ستة أشهر من ضرب الحصار عليه من طرف الطليان، فضعف البندر من ذلك وافتقر أكثر أهله، وكان قد ارتفع قبل ذلك وعَظُمت تجارات أهله، وجَلَبت المراكب البضايع إليه على اختلاف أنواعها من كل ناحية بعيدة كالهند والروم ودمشق وبيروت وما والاها. وكان القطر اليماني عالةً عليه في استمداد البضائع منه فصار الآن وقت رَقْم هذا ـ وهو عام ثلاثين بعد ثلاثمائة ـ تجلب بضايع أهله من مَرْسَى ميدي، وكذلك سائر البلدان التي كانت تُستمد من الحديدة. وهذا سرّ الحديث أنّه: «ما ارتفع شيء من الدّنيا إلا وضعه الله». وكان قبل هذا الواقع بالبندر بمدة يسيرة قد قَبض الله إليه علماء البندر بالموت فكان خيراً لهم.

وفي يوم السبت العشرين، منه، عادت الطليان بضرب المدافع على بيوت أهل الحديدة أخربت بعضها، وسَبَب صدور هذه الحركات من الطليان وضرب المدافع ما أخبر به التلغراف أن الطليان أرسلت بوابير حربية لحرب الاستانة فوصل منها بابور

إلى محل يُسمّى شنق قلعة[1] وهو محل بين جبلين فيه قوه عظيمة من العدة والعدد للدولة العثمانية، فأرسلت من ذلك المحل عليهم القلل العظام على البابورين اغرقتهما بما فيهما، فكان هذا هو السبب في ذلك، ولم يبق ببندر الحديدة الآن ـ وهو عام ثلاثين بعد ثلاثمائة ـ إلا عسكر الدّولة وعمّالها وأصناف من الكمار[2] او من يحرس أمواله من أهل البندر بعد إخراج النساء والأطفال.

وفيه عاد السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي من ميدي إلى حرض بعد أن جهّز جيشاً وعدّة عظيمة لقتال الترك الّذين بالواعظات، فانفتح الحرب بينهم يوم الخميس الثامن عشر منه، فحينئذٍ تحرّك القومندان سعيد باشا من الحديدة إلى العسكر لقتال جيش الإدريسي واختاروه لذلك لِمَا فيه من البأس والشجاعة والإقدام وحُسن التدبير في الحرب، وعاد فريق حمدي بَكْ من الزهراء إلى الحديدة وهو كثير الجنوح إلى السِلْم ولهذا جاء بَدَلهُ سعيد باشا. وما زالت الحرب قائمة بينهم على ساق ينال منهم وينالون منه.

وفي غرة شهر رمضان عاد السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي إلى ميدي بعد أن جهّز من حرض جيشاً ومعهم مدفع، علاوة على الجيش الّذين بِعَبس المُحَارِبين للترك الّذين بالواعظات.

وفيه وصل إلى الزّيدية من صنعاء مدفع عظيم لم ير مثله قبل ذلك، تجرّه تسع من الخيل بجهدٍ، ثم سارت به إلى العساكر المرصدين لقتال جيش الإدريسي بالواعظات.

وفي يوم الخميس السادس عشر منه وقعت ملحمة عظيمة بين الترك وقوم الإدريسي، انكشفت عن قتلَى كثيرة من الجانبين.

وفيه توفي الشيخ العلاّمة عباس بن داود السالمي المُدَرِّس بمدينة زَبيد وأحد كبار علمائها[3] ودُفن بها.

وفيه استولى جيش الإدريسي على بعض بلاد حجور وهدموا بيت رئيسهم عبد الله شعيب ونهبوا أثاثه، وذلك بالمدفع الّذي هُدِّم به بيت شيخ بني نَشْر علي بن

---

(١) شنق قلعة: المقصود مضيق البوسفور الواقع بين البحرِ الأسود وبحر مرمرة عند خليج القرن الذهبي أمام استانبول، حيث يفصل بين قسمي تركيا الآسيوي والأوروبي.

(٢) أغلبهم من الهنود.

(٣) انظر عنه: كتاب زَبيد للأستاذ عبد الرحمن الحضرمي، صادر عن مركز الدراسات الفرنسي بصنعاء.

يحيى قحم السابق ذكره.

وفيه عاد أكثر أهل الحديدة إلى أوطانهم بعد أن ضاق بهم الحال في البلدان بسبب الشدة وارتفاع الأسعار.

وفي هذا العام وَقع القحط العظيم في الأسعار وعَمّ البادين والحُضّار من جميع الأقطار اليمنية، فارتفعت أثمان المأكولات والمشروبات والملبوسات بأضعاف أثمانها المعهودة المعتادة، وبلغت الذرة - رُبع وثُمن حَكَم - بريال، وحبوب البر - ثمن ونصف حكم - بريال. ولكن وقع مع ذلك ألطاف ربّانية بحيث أنه لم يقع في قلوب الخلق ما يعهد وقوع مثله عند حصول الشدة والغلاء من الهلع والجَزَع بل ما وقع للشخص اكتفى به وإن قَلّ، فسبحانه من لطيف خبير، وقد قال ابن عطاء الله السكندري في حِكَمه: من ظَنّ إنفكاك لطفه عن قَدَره فذلك لقصور نَظَره. اهـ.

وفي غرة شهر شوال استولت الطليان على سفن في البحر لأهل اللّحية وكَمَران، فيها أموال ورجال، فأخذوا الأموال وأرسلوا الرجال إلى مصوع محل دولتهم وأحرقوا السفن.

وفي ليلة الثلاثاء الثالث عشر من شهر شوال تِوفي شيخنا السيّد العلاّمة خاتمة المحققين شيخ الإسلام عبد الرحمن بن عبد الله القُديمي رحمه الله ونفعنا به آمين.

وفيه أو في أواخر شهر رمضان تحركت العساكر العثمانية من حَجّة ومعهم جانب من عسكر الإمام السيّد يحيى بن حميد الدّين إلى قتال عسكر السيّد محمد بن علي الإدريسي، فالتقى الجَمْعان في حَجُور وجَرت بينهم ملحمة عظيمة كانت الطائلة فيها للترك وقوم الإمام، وقُتِل من جيش الإدريسي كثير وانهزموا.

وفي شهر شوال قامت الطليان على أحمد فتيني من قبيلة الزرانيق بأن يَردّ إليهم ما سلّموه إليه من النقود وذلك خمسون ألف ريال، على أنه سيهجم بعشيرته على بندر الحديدة في أيام محاصرتهم للبندر فلم يفعل ولم يساعدهم على ذلك، فوجّهت الطليان الخطاب إلى قائمقام بيت الفقيه ابن عُجَيْل وذلك لكونه آمرهم، فخاطبه قائمقام بعد أن استدعاه إليه ببيت الفقيه في جماعة من عشيرته فأجاب عليه أحمد فتيني بأن النقود المذكورة عندي ولكن لنا عندهم سواعي وأموال أخذوها من البحر، فغضب عند ذلك قائمقام ولَطَم وجه أحمد فتيني، فأطلق أحمد فتيني وجماعته البنادق في قائمقام فقتلوه، ثم خرجوا سالمين إلى محلهم المُسمّى بالطائف وانتقلوا منه إلى محل آخر تحصّنوا فيه كي لا ينالوا سوءاً من الدّولة.

وفي شهر ذي القعدة انفكّ الحصار المضروب على مراسي اليمن من طرف الطليان وذلك بعد تسعة أشهر من يوم ضربوه، بعد أن ضعفت أحوال أهل اليمن

وبلغت نهاية الضعف، فَفَرّج الله عنهم، وجاءت البوابير بالبضائع من كل ناحية وسافرت الجلاب المُعدّة للغياصة والتجارة التي كانت ممنوعة من ذلك في مدة الحصار. وقد بَلَغ من الأخبار أنّ سبب هذا الحصار الذي ضربته الطليان على السواحل اليمنية أنّه وقعت الخيانة من بعضِ أمراء الدّولة العثمانية ببيع طرابلس الغرب على الطليان؛ مُوْهِمين أن البيع وقع بإطّلاع السلطان محمد رشاد خالد، ولمّا عَلِمت رعايا جهات طرابلس بالبيع المذكور حَملتهم الغيرة الإسلامية على الدفع عن بلدهم فقاموا بالحرب ورئيسهم السيّد محمّد السنوسي، فوقعت بينهم وبين الطليان حروب عظيمة ووقعات عديدة وقتلى كثيرة من الجانبين، وامتد ذلك نحو سنة. ولمّا علم السلطان بذلك أراد مُضَارّة الطليان بأشياء منها منع دخول جميع المأكولات والبضائع التي تَرِد من الممالك العثمانية إلى بلادهم. فكان هذا هو السبب في ضربهم الحصار على سواحل اليمن ومنع جميع الواردات البحرية إلى اليمن من المأكولات وغيرها، مُقَابلةً لمنع السلطان ذلك إلى بلادهم وذلك مع بقاء الحرب في طرابلس الغرب. ولمّا طال الحرب والحصار تعرّضت دولة الانجليز بين السلطان الأعظم محمد رشاد وبين الطليان بالصلح وحكم بأن السلطان يترك للطليان طرابلس بسبب أنه علم بالبيع ثم سكت، وأنّه يرفع جميع عساكره وأمرائه منه وأن لا يعترض بينهم وبين السنوسي في محاربته لهم، وحُكِم على الطليان بأنهم يرفعون الحصار عن جميع السواحل اليمنية فَقَبِلوا ذلك ورُفِعت العساكر عن طرابلس ورُفِع الحصار عن اليمن. ومن الأخبار التي جاءت بها الجرائد من الشروط التي وقعت في هذا الصّلح أن السلطان يعطي الطليان ست ولايات من مملكته وهي: أدرنه وسلانيك وقوصوه ويانيه واسقودره ومناستر على أن يكون لكل ولاية سفير من الطليان بينهم وبين السّلطان، وأن الطّليان يعطون السلطان في كل عام مليونين من الذّهب الطليان مقابله في الست الولايات المذكورة، وعلى أنّ الوالي بها إذا كان مسلماً فيكون مستشاره مسلماً، وكذلك المُتصرّف إذا كان مسلماً يكون معاونه نصرانياً. وإن كان نصرانياً فيكون معاونه مسلماً. هذا ما جاءت به الجرائد من الأخبار بالشروط التي وَقَعت بينهم مع امتداد الحرب بين السيّد السّنوسي والطّليان بطرابلس الغرب إلى الآن. ثم أنّ أصناف من الكفرية وهم... [1] قامت بالحرب على من حوّل اصطنبول من المسلمين من الدّول العثمانية وعضدهم غيرهم من طوائف الكفر كالإفرنج في الباطن دون الظاهر لكونهم مصطلحين مع الدّولة ظاهراً. ومن المعلوم ضرورة أنّ يد الكفر واحدة، فَقُتِل من الفرقين خلائق لا يحصون، وكثر امتداد اطماع أصناف أهل الكفر

(١) بياض بالأصل.

إلى الاستيلاء على بلا الإسلام من ممالك الدولة العثمانية، واستبيحت الحُرُم وقُتلت النساء والأطفال، وانتشرت الفتن في هذا الزمن، وأذنت دولة الإسلام بالذهاب، وصار الدين في غربة كما كان في أول الإسلام: وكثُر الجهل وقلّ العلم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وقد ذكر السيّد العلاّمة المجتهد إمام بهوبال من بلد الهند صدّيق بن حسن القنوجي البُخاري في مؤلف «الإذاعة لِمَا كان وما يكوْن بين يد الساعة» وقوع مثل هذا في زمنه، أيضاً وقع في مدة السلطان سليكان بن يزيد أعظم من هذا وفيه صنّف القُرطبي قصيدته المشهورة التي نَعَى بها الإسلام وأهله، وقد ذكرها صاحب الإذاعة في آخر كلامه المذكور فأحببت ذكرها مع كلامه، ولفظه: وقد أحاطت هذا الزّمان وأهله فتن كثيرة لا تحصي خصوصاً ذهاب دولة الإسلام وحكومة الإيمان وغربة الدّين، ونشوء البدع والمُضلين، وقلّة العلم، وكثرة الجهل، وإيثار الخلق على الحق، والعاجلة على الآجلة، وترك الغزو والقنوع بما في أيدي النّاس، والإنهماك في أمر المعاش والإعراض عن المعاد، وكثرة التّحاسد والمفاسد التي أسَرت أفراح القلوب وشَقّت قلوب المؤمنين قبل الجيوب، فأصبحوا في حال يُعِدُّون المنايا أمَانياً، ويرون ـ لِضُعف الدّين وَوَهن اليقين ـ الموت طبيباً شافياً إذا عثرت خيول الفِتَن والنِقَم وَوَلّت جنود الدَّعَة والنِّعَم، وصارت الدّنيا كلّها آفات وبلايا، وكم في الزّوايا من رزايا. وللسيد يحيى القرطبي رحمه الله تعالى قصيدةً نَعَى بها الإسلام ونادىَ ملوك الروم وعلمائها الأعلام وذلك في عهد السلطان سليمان الذي دخل في خبر كان، فلم يجد بها صفياً يقول له: لقد أسمعت لو ناديت حيا. فاستحسَنت خَتْم هذا الكاتب بإنشاد ذلك الخطاب، ففيه عبره لمن اعتبر، وخبرة بالمبتدأ والخبر. وهي هذه:

لكلّ شيء إذا ما تم نُقصان ... فلا يُغَّر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول ... من سَرّهُ زمنٌ ساءته أزمان
وعالم الكون لا تَبقى محاسنه ... ولا يدوم على حال لها شان
يمزّق الدّهر منها كل سابغة ... إذا أنْبَتت مشرفياتٌ وخرصان
وينتفي كل سيف للفناء ولو ... كان بن ذي يزنٍ والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يَمَنٍ ... وأين منهم أكاليلٌ وتيجان
وأين ما شاده شِدَادٌ من إرَمٍ ... وأين ما سَاسَهُ في الفُرْس سَاسَان
وأين ما حازه قارون من ذهبٍ ... وأين عادٍ وشدادٍ وقحطانُ
أتى على الكل أمرٌ لا مردّ له ... حتى قضو فكأن الكل ما كانوا
وصار ما كان من مُلكٍ ومِنْ مَلِكٍ ... كما حكى عن خيال الطّيف وَسْنان
دار الزّمان على دار وقاتله ... وأم كَسْرى فما آواه أيوان

كأنما الصّعب لم يسهل له سبب ... يوماً ولم يملك الدّنيا سليمان
فجائع الدّهر أنواع منوّعة ... وللزمان مسرّات وأحزان
وللمصائب سلوان يهوّنها ... وما لما حلّ بالإسلام سلوان
دهَى الجزيرة خطب لا عزاء له ... هوى له أحد وانهدّ ثهلان
أصابها العين في الإسلام فامتحنت ... حتى خلت منه أقطار وبلدن
فَسَل بلنسية ما شأن مرسية ... وأين قرطبة أم أين جيّان
وأين حمص وما تحويه من نُزَهٍ ... ونهرها العذب فيّاض وملآن
كذا طليطلة دار العلوم فكم ... من فاضل قد سَما فيها له شان
وأين غرناطة دار الجهاد وكم ... أسدٍ بها وهُم في الحرب عُقبان
وأين حَمراؤها العليا وزُخرُفها ... كأنها من جنان الخُلد عدنان
قواعد كُنّ أركان البلاد فما ... عسَى البكاء إذا لم تبق أركان
والماء يجري بساحات القصور بها ... قد حفّ جدولها زهرٌ وريحان
ونهرها العذب يحكى في تسلسله ... سيوف هند لها في الجو لمعان
وأين جامعها المشهور كم تليت ... في كل وقتٍ به آيٌ وفرقان
وعالمٌ كان فيه للجهولِ هُدىً ... مدرّس وله في العلم تبيان
وعابدٌ خاضع لله مبتهل ... والدّمع منه على الخدين طوفان
وأين مالقه[1] مَرسَى المراكب كم ... أرست بساحتها فُلك وغربان
وكم بداخلها من شاعرٍ فطن ... وذي فنون له حذق وتبيان
وكم بخارجها من منزه فرج ... وجنةٍ حولها نهر وبستان
وأين جارتها الزّهراء وقبتها ... وأين يا قوم أبطالٌ وفُرسان
وأين بسطه دار الزّغفران فهل ... رأىَ شبيهاً لها في الحسن إنسان
وكم شجاع زعيم في الوغى بطل ... بدا له في العدا فتك وامعان
كم جندلت يده من كافرٍ فَغَدا ... تبكيه من أرضه أهلٌ وولدان
ووادياً من غَدَت بالكفر عامرةً ... وردّ توحيدها شِركٌ وطغيان
كذا المرية دار الصالحين فكم ... قطب بها عِلم غوثٍ له شان
تبكي الحنيفية البيضاء من أسفٍ ... كما بكَى لفراق الألف هيمان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر تبكي وهي عيدان
على ديارٍ من الإسلام خالية ... قد أقفرت ولها بالكفر عُمران
حيث المساجد قد أمسَت كناس مَا ... بِهن إلا نواقيس وصُلبان

---

(١) مالقة: مرفأ في جنوب اسبانيا بالأندلس.

يا غافلاً وله في الدّهر موعظة … إن كنت في سِنَةٍ فالدّهر يقظان
وماشياً مرحاً يلهيه موطنه … أبعد حمصٍ تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها … وما لها مع طويل الدّهر نسيان
يا راكبين أعناق الخيل ضامرة … كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة … كأنها في ظلام الليل نيران
وراتعين وراء النّهر من دِعةٍ … لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أمر أندلسٍ … فقد سَرَى بحديث القوم رُكبان
كم يستغيث صناديد الرجال وهم … أسرى وقتلى فلا يهتز إنسان
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم … وأنتم يا عباد الله إخوان
إلا نفوس أبيات لها همم … اما على الخير أنصارٌ وأعوان
يا من لنصرة قوم قسّموا فرقاً … سطا عليهم بها كفر وطغيان
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم … واليوم هم في قيود الكفر عبدان
فلو تراهم حيارَى لا دليل لهم … عليهم من ثياب الذل ألوان
فلو رأيت بكاهم عند بيعهم … لَهالَكَ الأمْر واستهوتك أحزان
يا رب طفل وأمّ حِيل بينهما … كما تفرّق أرواحٌ وأبدان
وغادةٍ ما رأتها الشمس بارزة … كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج عند السّبي صاغرة … والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كَمَدٍ … إن كان في القلب إسلام وإيمان
هل للجهاد بها من طالبٍ فلقد … تزخرفت جنّة المأوَى لها شان
وأشرف الحُور والوِلدَان من غرقٍ … فازت لعمري بهذا الخبر شجعان
ثم الصلاة على المُختار من مضر … ماهب ريح الصّبا واهتزّ اغصان

هذا آخر القصيدة المبكيّة على ذهاب شوكة الإسلام المُبيّنة عن تغير أحوال الشهور والأعوام. انتهى كلام صاحب الإذاعة.

وفي شهر ذي القعدة الحرام نزل عزت باشا ـ مُشِيْر القوّة العمومية العثمانية باليمن ـ من صنعاء إلى بندر الحديدة ثم طلع في البابور البحري متوجهاً لحرب حَدَث من بعض الكفار في جهة اصطنبول على المسلمين.

وفي عشرين منه وصلت قبيلة الجرابح إلى السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل بالمنيرة لقصد المصالحة بينهم وبين قبائل المخلاف وهم صليل وبنو البزة وبنو أمحمد وبنو أحمد العطاوية وبنو القبع والمصاعلة وبنو أبي الخَلْ والحشابرة، وذلك فيما قد جرى بينهم من التظالم بالأمور الطوال كالقتل والنّهب وغير ذلك، فعمّ

الخوف بأسباب ذلك وانقطعت السبل وتعطّلت المزارع. وقد كان السيّد في العام الماضي وصل إلى الجرابح وأصلح بينهم وبين أهل المخلاف، ثم أن الجرابح تعدّوا بنقض الصّلح فعوقبوا بتعذيبهم، فوصلوا الآن طالبين العفو من السيّد في نقضهم لصُلحه وطالبين تجديد الصلح، فطلب السيّد قبائل المخلاف المذكورين فوصل إليه منهم الجمّ الغفير فأصلَح بينهم، وتآلفت قلوبهم، واتفقت كلمتهم، وزالت الضغائن وذلك بعد أن مكثوا لديه أياماً، فأكرمهم بأنواع الإكرام في مدة المصالحة وأضافهم بأحسن الضيافة التي تليق به وتدل على واسع كرمه المشهور وما أحقه بقول القائل:

بني الحَسَب الرفيع يحق فيكم ... مقال الواصفين وليس يوفي

فأرباب المكارم والعطايا ... يكفون الألوف من الضيوفِ

وببركته وبركة اتفاق قلوبهم وائتلافهم أنزَل الله أمطاراً عظيمة في سائر البلاد، وسالت الأودية في محالها، وجاءت بزراعة عظيمة حصلت منها ثمرة كثيرة وذلك بعد أن عَمّهم الجدب فاستغنوا بحمد الله.

وفي شهر ذي الحجّة الحرام وقع الخلاف من قبائل حاشد وبكيل على الإمام السيّد العلاّمة يحيى بن محمد بن حميد الدِّين، فوصل منهم جماعة من رؤسائهم منهم ناصر بن مبخوت[1] ومعهم نحو ثلاثمائة نفر من قومهم إلى السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي بمدينة ميدي، مُوَالين له، فأخذ عليهم العهود والمواثيق لعادته على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وأمدّهم بسلاح وذخائر وأموال جزيلة ثم رجعوا إلى بلادهم فانفصلوا من ميدي قبل النحر بثلاثة أيام، وعَضدوا قوم الإدريسي القائمين بالحرب على قوم الإمام بنواحي صعدة، ووقت رَقْم هذا والحرب ثائر بينهم وقد استولوا على بعض ممالك الإمام ثم رجعوا عن ذلك بعد قضية عجيبة كما سيأتي ذلك قريباً.

وفي يوم النحر، منه، وقع بالحجيج في منى ومكة موت ذريع يُقال له - حسبما أخبر به الثقات وشاهده - أنّ بعض النّصارى المتزينين بزي المسلمين رَمَوا شيئاً في الهواء شِبْه الطّبق فوق رؤوس الحُجّاج، وما زال ذلك الشيء ينتشر حتى عَظم وصار مثل الخيمة العظيمة، واصفرّ ثم نزل منه شيء أصفر كالخيوط في خلال الناس، عَقِبَهُ وَقَع الموت فيهم، فأدركه شريف مكة وأودعه دار الحبس.

---

(١) هو الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر شيخ مشائخ قبائل حَاشِد، وكان صاحب مواقف بطولية في محاربة الوجود التركي باليمن، وتوفي سنة (١٣٤٠هـ). وهو جد الشيخ عبد الله بن حسين بن ناصر الأحمر الشيخ الحالي لقبائل حاشد.

وفيه عاد سنبر الحديدة كعادته بل أحسن بسبب فك الحصار عنه وعن غيره من سائر مراسي البحر فالحمد لله.

وفيه علا السيد العلامة محمد بن علي الإدريسي من ميدي إلى بندر حازان وضنيا بعد سكون الحرب بينه وبين الدولة العثمانية، ولعل ذلك - والله أعلم - لصلح جرى بينهم

أحداث عام ١٣٣١هـ:

وفي شهر محرم الحرام من عام إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف حدث موت في الحيوانات، وكثر في الجمال والخيل، بمرض باطني بانسداد أحد المَخْرَجين فيحصل به الموت وذلك في الخيل وبشيء يشبه السّعال في الجمال.

وفيه قُطِع رأس شخص قصاصاً ببندر الحديدة بشخص كان قد قتله المقصوص.

وفي يوم الجمعة من شهر صفر توفي الفقيه الفاضل الصّالح عمر بن يحيى هجن الحشيري بقرية المحال[1] وكان فاضلا يحب الخمول، له قرائه على السيّد العلاّمة محمد بن عبد الله الزوّاك والفقيه العلاّمة محمد إبراهيم الحشيبري رحمه الله.

وفي يوم الإثنين السادس منه، توفي السيّد الصالح حسين بن إبراهيم قوزي بقري دَيْر الفحم[2]، غربي . . [3] بنحو نصف ساعة، رحمه الله.

وفيه جاءت الأخبار بأنه وقعت النصرة لقوم السيّد محمّد بن علي الإدريسي على قوم الإمام السيّد يحيى بن محمد بن حميد الدّين وقُتل منهم جمع كثير، وقد كان قبل ذلك وقعت النصرة لقوم الإمام فقُتل من الاخرين جمع كبير، فالحرب سجال، وذلك بالقرب من صعدة.

وفيه توفي السيّد العلاّمة محمد بن عبد الرحمن بن علي بحر الأهدل خطيب جامع المراوعة، وبها توفي ودُفن، رحمه الله تعالى.

وفيه قُتِل شخصان باللغم الكائن بالصّليف، واللّغم هو البارود الذي يوضع في معدن الملح ليُستعان به على إخراج الملح منه بدلاً عن ضربه بالفؤس والمعاول، فثار فيهما رهما بالقرب منه، أحدهما من السادة أهل القشري والآخر من أهل قرية الصّليف.

---

(١) المحال. قرية من مديرية الزيدية، جولر محل الأشحر

(٢) دير الفحم. بلدة من مديرية القناوص.

(٣) بياض بالأصل.

وفيه، في ليلة السبت الثامن عشر منه، عَدَا شخص من السادة بني المؤذن على آخر من السادة بني القوزي، فطعنه بشفرة في يده طَعْنةً كان بها أجله فأحرق عشيرة المقتول قرية عشيرة القاتل، فَحرقت بها أموال جسيمة وقتلوا منهم شخصاً.

وفيه أو في الشهر الذي قبله، قُتِل السيّد الصالح سليمان المقبولي من السادة أهل الدّريهمي، بقرية من قُرى الجامعي تُسمّى دير مضيّع[1] ونُهبت دراهم كثيرة له. وهو الذي سَبَق ذكره قريباً أنه ادّعى في قرية القشري في شهر جمادى الأولى من عام سبعة وعشرين.

وفيه توفي السيّد الصالح إبراهيم بن . . . .[2] صائم الدّهر ويُسمّى إبراهيم بن عمر بأسم من سُمِّي به، وذلك في يوم الإثنين العشرين منه، بقرية دَيْر عبد ربه[3].

وفي يوم الإثنين، السابع والعشرين منه، توفي السيّد الصالح محمد بن أحمد المُلقّب حاج صائم الدّهر بقرية دير عبد ربه وبها دفن.

وفي اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول توفي السيّد العلاّمة محمد بن ابكر القديمي بجزيرة فَرَسان وكان قد وصل إليها من بلدة الزَّبيدية لِحَاجةٍ.

وفيه جاءت الأخبار بأنه وقعت في بندر مُصَوّع زلزلة عظيمة، وخرج أهلها منها إلى البلد من شدة الزلزلة، نسأل الله اللطف فيما قَدّر.

وفي شهر ربيع الثاني جاءت الأخبار بأنّ الإفرنج حاصرت بلد سلانيك، فخرج منها السلطان عبد الحميد الذي قد كان مُوَقَّفاً بها بعد خلعه عن المُلك. ثم سكنت الحرب بينهم وبين المسلمين عقب ذلك بأمرٍ سماوي هو أنه أنزل الله ثلجاً عظيماً - حسبما يُحكى - أنه بلغ في الهواء أكثر من قَامة الإنسان، فكان ذلك حاجزاً بينهم ومَنَعهم من القتال، والله أعلم بما هنالك، ثم تجدّدت الأخبار بعد ذلك بأنه أُعيد الحصار عليهم من قِبَل الإفرنج وأن حسين تحسين رئيس الجُند العثماني لمّا اشتد عليهم الحصار جَرَى الصلح بينه وبين الإفرنج على أنه يخرج بجنده من سلانيك سالمين مع السلاح والذخائر ويُخلَى بينهم وبينهما، ولمّا تم ذلك ودَخَلت الإفرنج سلانيك وتمكنوا من المسلمين: سلبوهم السلاح، وقتلوا الرجال، وأَسَروا بعضهم، وسَبَوْا النساء والذُّرية، واستولوا على المدينة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ويُقَال أن سبب محاصرتها وأخذها هو أنه لمّا وَقَعت الحروب باليمن - بين الدّولة

---

(١) دير مضيّع: من قرى وادي مور بمديرية اللحيّة جوار قرية: المزف القديم

(٢) بياض بالأصل.

(٣) دير عبد ربه: إحدى قرى مديرية الزيدية جولو محل البُن.

العثمانية والإدريسي - جهزت العساكر الكثيرة لحربه فضَعُفت القوّة في الجهات المذكورة، فطمعت حينئذٍ الإفرنج فيها، فحاصروها حتى أخذوها وأخذوا أيضاً - غير أدرنه وسلانيك - أربع مُدن كبار بطريق التغلب، وهذا مخالف لما سبق أن الدولة تعطيها لهم بطريق الصلح.

وفي يوم الرّبوع، الخامس والعشرين منه، قَتَل شخص من الحشابرة آخر من بني العيْه بالمُنيرة، وكلاهما من أهلها.

وفيه وَقَف شخص على أثر ماء بموضع شرقي دَيْر جلاله[1]، ولم يكن هناك ماء فَنَبشهُ بيده فانبثقت منه ثلاث عيون من الماء حُلوة، فاجتمع عليها أناسٌ وازدحموا فبعضهم ملأ منها جرّه وبعضهم أبريقاً، ثم غارت. وهذه آية باهرة لم يعهد مثلها في تهامة إلاّ نادراً فسبحان القادر على كل شيء. وقد بلغ أنّه - في هذا العام - كَثرت المياه وزاد نَبع العيون في الجبال على خلاف العادة وذلك فضل الله.

وفيه أرسل الإنكليز - صاحب عدن - رجلاً ساحراً إلى بلاد مارب من بلاد المشرق لقصد الفتنة، فصار ذاك الرّجل يجمع بين الغنم والذئاب ويُوْهِم إليه الذين لا يعقلون أنّ ذلك بفضله، ومعه دراهم وأسلحة يعطيها بعض الناس، وقَصْد النّصارَى بذلك وقوع القتال بين أهل اليمن حتى إذا تم لهم مقصدهم استولوا على اليمنِ الذي هو حجرة الحرمين الشريفين، وراح خبره عن الناسِ لأنهم ليس لهم هَمّ إلاّ جمع الأموال ولا يخافون على الأديان فلا حول ولا قوة إلاّ بالله.

وفي شهر ربيع الثاني - أيضاً - وَفَد الشيخ العلاّمة المُتَفنن محمّد بن إسماعيل المَخنَبي الهَتّارِي من بَلْدة التُرَيْبَة - وهي قرية من قرى الوادي زَبيد - إلى المُنيرة ونَزَل على السّيِّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل فأكرمه وأنزله منزلة رفيعة، ثم سارٍ إلى السيّد العلاّمة محمّد بن علي الإدريسي ولمّا وصل إليه أكرمه الإكرام الكلي وعَظمَت منزلته لديه فأقام عنده خمسين ليلة، وفي مدة الإقامة أحضره السيّد الإدريسي متون «صحيح البخاري» وشروحه كفتح الباري والعيني والقسطلاني، فقرأ نحو الثلث من الصحيح قراءة بَحْث وتحقيق بالشرط المُعْتَبر عند أهل الأثر من تبيين المعاني وتصحيح المباني، مَتْناً وإسناداً، وبيان وجوه الإعراب وغيرِ ذلك، ثم طلب الهَتّاري الرّجوع إلى بلده فلم يأذن له السيّد إلاّ بشرط الرّجوع وتَوَقُّف القراءة إلى رجوعه، فسار من عنده ومرّ في آخر شعبان بالمنيرة متوجهاً إلى بلده.

وفيه نزل والي صنعاء محمود نديم وبرفقة: مُفتِّش تدقيق الأحكام الشرعيّة

---

(١) دير جلاله: بلدة لقبيلة العطاوية من مديرية الزيدية قريب من دَيْر الولي.

والسيّد العلاّمة محمّد بن أحمد بن أبي طالب بن القاسم ناظر الأوقاف الداخلية بصنعاء والسيّد العلاّمة مَنصِب المراوعة عبد الباري بن أحمد الأهدل والسيّد العلاّمة مُفتي المراوعة محمّد بن عبد الرحمٰن الأهدل، فوصلوا إلى بندر الحديدة ثم ركبوا البحر إلى بندر اللحيّة. ونَزَل السيّد العلاّمة الحُجّة أحمد بن يحيى عامر رئيس خند إمام شهارة السيّد العلاّمة يحيى بن محمد بن حميد الدّين، وابن عمّه نائب عنه. وكان نزوله من طريق القُفْل فاجتمعوا في بندر اللحيّة ومكثوا بها ثم بمرسى مِيدي مدة تزيد على شهرين يكاتبون السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي القائم بصبيا لقصد اجتماعهم به في بندر جازان بعد مراجعة طويلة، فأكرمهم غاية الإكرام ولم يتحدث مع أحد منهم في مادة الصّلح سوى الوالي محمود. وقد كان السلطان محمّد رِشاد خان ابن عبد المجيد خان أرْسَل بابوراً عظيماً مشتملاً على المدافع العظام والآلات الناريّة وفيه من المحاسن والزّينة والبهجة ما لا يوصف قَلّ أن يوجد له نظير في أمثاله، وذلك للمحافظة للوالي خوفاً من وصول مكروه إليه. فكان محاذياً له في البحر مدّة إقامته باللحيّة وميدي وجازان، وكان الوالي يأوي إليه ليلاً وينزل منه نهاراً إلى المراسي المذكورة. ولم يَعْلَم أحد من النّاس بما جرى بين الوالي وبين السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي من خطاب الصّلح بل كتب الإدريسي كتاباً على الجملة إلى حضرة السلطان محمد رشاد خان مشتملاً على جملة من الشروط اشترطها عليهم، ثَقّل عليهم بعضها بل كلها فلم يتم منها شيء. ثم بَعْد انقضاء الخطاب بين الوالي وبين السيّد الإدريسي ركب الوالي في البابور المذكور وسار بمن معه من السّادات إلى بندر الحديدة، فأمّا الذّين نزلوا من طرف الإمام يحيى بن محمد بن حميد الدّين فرجعوا إليه بخواطر متكدّرة لكون الخطاب لم يتم بينهم وبينه طِبْق مرغوبهم، ولهذا استمر الخطاب بين الإمام وبينه بل اشتد بعد رجوعهم. وأمّا الوالي فرجع إلى صنعاء وأقام بها مدّة يسيرة ثم سار إلى الإمام يحيى لتتميم مخاطبات بين الإمام وبين السّلطان محمّد رشاد خان قد جَرَت على يد الوالي فيما سبق، ووقت رَقْم هذا - في شهر شوال - وهو باقٍ لديه.

وفي يوم الثلاثاء، الثّاني من جمادي الأولى، توفي السيّد الصّالح الفقير فوزي بقرية المَغْلاف[1] وكان رجلاً صالحاً مُعْتَقَداً فيهم قائماً بالمصالحة بينهم.

وفي يوم الأربعاء السابع عشر وَقَع حريق بمدينة الضّحِي هَلَك به نحو خمسمائة بيت وحَرَق به رجل وأطفال وأموال جسيمة نسأل الله السّلامة.

---

(١) المِغْلاف: بكسر فسكون ففتح، بلدة في شرقي مدينة الزيدية بمسافة (٢٢) كيلاً.

وفيه وصل سلطان لَحج أحمد فضل[1] إلى بندر الحديدة ووصل إلى جميع المراسي كفَرَسان ومُصوّع وجازان ومِيدِي وكَمَران وبرفقه نحو ثلاثمائة نفر من الإنجليز[2] لأن ولايته على جهته في بلده مستملَّةٌ من قِبَلهم. ولم تظهر نتيجة وصوله إلى المراسي المذكورة.

وفي شهر جمادي الآخر توفي السيّد الصّالح علي بن عمر عُبيد بمدينة الضّحِي وبها دُفن، وكان موته شهيداً بالحرق.

وفيه توفي السيّد الصّالح حسن بن المساوَى جتيم المُلقَّب بليقس ببندر اللحيّة وبه دُفن.

وفي يوم الإثنين، الثالث عشر منه، قُتل الرّجل الصالح أحمد بن محمد الزيلعي، على يد الجرابح ظلماً في مدينة الضّحي، وكان قد وصل إليها لحاجةٍ من بلده مدينة الزّيدية، رحمه الله آمين.

وفي يوم الإثنين السّابع والعشرين منه، أصْبَح رجل من بني الجندوب مقتولاً في فراشه على يد شخص من المعازبة أهل مَوْر، ليلاً.

وفي هذا اليوم وقعت مقتلة بين بني السليماني وبين بني عبد الواحد وكلهم من قبيلة الزّعلية، فَقُتل إثنان من الطرفين وجُرح واحد.

وفيه قتل شخص من بني عرة من قبيلة الزعلية.

وفي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين منه توفي السيّد الصّالح أحمد بن علي بن عمر عبيد، بمدينة الضّحى وبها دفن، وذلك بعد وفاة والده بالحريق ـ المار ذكره قريباً ـ بنحو أسبوعين.

وفي شهر جمادي الثانية، قوّضت العساكر العثمانية ـ المُعَسْكِرين بالواعظات والزّهرة وغيرها لحرب السيّد الإدريسي ـ الخِيَامَ للرجوع إلى الشام[3] فركبت

---

(١) أحمد فضل: هو أحمد بن فضل بن محسن بن فضل العَبْدَلي، السلطان السادس من سلاطين لحج العبادلة، وقد تولّى من سنة (١٣١٥) إلى سنة (١٣٣٢هـ) ومما يُذْكَر له أنه كان محباً للعلم والعلماء، وعمل على سن القوانين المنظمة للسلطنة، كما شهدت لحج في عهده نهضة زراعية ملموسة. وهو غير الأديب والمؤرخ أحمد فضل بن علي بن محسن العبدلي صاحب كتاب «هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن» الذي هو شقيق السلطان الثامن عبد الكريم بن فضل العبدلي.

(٢) كانت مكتوبة: الأنجريز، وقد تكررت بتلك الكيفية في جميع المخطوطة.

(٣) الشام: الشمال.

البوابير، وعقب ذلك طلبت الدولة عساكر من العرب من أهل الوادي مور، فطلبوا ألف نفر وأعطوهم سلاحاً وجعلوا لهم مرتباً شهرياً.

وفي شهر رجب، عَدَت قبيلة الحشابرة على مدينة الضحي فقتلت شخصاً من أهل الضحي.

وفيه وصل شخص إلى المنيرة عجيب الخَلْقة، صورته تامة في وجهه فقط وأما يداه ورجلاه وسائر جسده ففي غاية من الدقة والضعف، غير تامة، يقرأ القرآن، فصيح اللسان وذهنه حاضر وفيه ذكاء، وربك يخلق ما يشاء ويختار.

وفي غرة شهر شعبان، طَلعت نار من بعض بيوت مدينة الزيدية من جانبها الشرقي فأحرقت نحو خمسين بيتاً نسأل الله السلامة منها دُنيا وأخرى.

وفيه، قَتل شخص نفسه من السادة بني مهدي.

وفيه، قَتَلت امرأة نفسها من قبيلة الزعلية.

وفيه، قَتَل شخصٌ آخر وكلاهما من قبيلة الزعلية.

وفيه، طلعت نار من المُنيرة أحرقت نحو خمسة عشر بيتاً.

وفي ليلة السابع والعشرين منه، أنقضّ كوكب من جهة الشرق إلى جهة الغرب فأضاء ضوءاً عظيماً.

وفي هذه الليلة توفي الرجل الصالح حسين بن بخيت مينة في المنيرة وبها دُفن.

وفيه، قُتل شخصٌ بطريق القناوص.

وفيه، جاءت الأخبار أنه قُتِل شخصانِ من رؤساء الدولة العثمانية بالأستانة من بلد الروم، هما محمود شوكت ونيازي، اللذين تسببا في نزول البلاء بالدولة العثمانية وَخَلْع السلطان عبد الحميد ووقوع الحرّية والمساواة التي سبق ذكرها في عام سبعة وعشرين بعد ثلاثمائة وألف، بعد أن مكثا يسوسان هذا الأمر خِفْيَة مدّةً طويلة تزيد على ثلاثين سنة. وقد كَثُرت - بعد ذلك - الخيانة في المُلك ودخُول الطوائف الكفرية بين أهل الإسلام ومشاركتهم لهم في الأمر في هيئةٍ سمّوها «مجلس المبعوثان» قد مضى ذِكر كيفيّته، فَضَعُف المُلك بسبب ذلك، نسأل الله أن يحفظ علينا دين الإسلام.

وفيه، جاءت الأخبار بأن الدّولة العثمانية استنقذت ما كان قد استولت عليه الإفرنج من بلاد الإسلام كأدرنة وغيرها.

وفي شهر رمضان جاءت الأخبار بأنه وقع حرب بين قوم الإمام يحيى بن محمد

ـ صاحب شهارة ـ ورنيسهم أبو نَيّبه[1] وبين قوم السيد الإدريسي، وانكشفت الحرب عن قتلى كثيرة وكانت الغلبة فيه لقوم الإدريسي، واستولوا على الحصن الّذي فيه أبو نيبة وقُتل من قومه نحو ثلاثمائة نفر وأسر منهم جماعة فأرسلوا إلى صبيان.

وفي يوم الإثنين السادس عشر منه أنزل الله مطراً بمدينة الزيدية ونواحيها، وفي خلاله أمطر وأبرد كثير، كباراً وصغار، فأصيب منه كثير من النّاس وأدمَى رأس بعضهم وكَسَر أشجاراً وغيرها، وفي ذلك أعظم عِبْرَة نسأل الله السلامة.

وفيه، ضربت الدّولة العثمانية الحصار في البحر على المراسي الشاميّة وذلك من جبل إلى القوز[2] لقطع ما يَرِد إلى السيد العلامة محمد بن علي الإدريسي من الذخائر والأسلحة وغيرها، فمما أخذوا من البحر ثلاث سواعي شاحنة من البضائع لِسُعَيْد تاجر جبل ـ تصغير سعيد ـ وغيره.

وفيه قَتَل شخص من بني أبي الخل آخر من السّادة بني القديمي ظلماً.

وقَتَل شخص من السّادة بني القبع آخر من الحشابرة بني عيّاش، وقَتَل شخص من السّادة بني الطّحبول عمه.

وقَتَل شخص من السّادة بني الشّرفين نفسه وكان في عقله شيء، نسأل الله السلامة.

وفي يوم الإثنين، ثاني عيد الفطر، توفي السيّد الصّالح محمد بن حسن الخارفي ببندر الحديدة بعد أن وصل إليه من بلده مدينة الزّيدية للتداوي من علة به فكان به أجله، وبها دُفن.

وفي يوم الإثنين السابع من شهر شوّال، توفي السيد الصّالح الذاكر الله كثيراً أبكر بن عبد الله دوم الأهدل ببلدة المُنيرة وبها دُفن، وقد تقدم مُتَرْجَماً.

وفي يوم الجمعة، ثامن شهر شوال، توفي الفقيه العلاّمة الصالح أحمد بن يحيى الهتاري ببلدة المراوعة وبها دُفن، وقد تقدم مُتَرْجماً.

---

(١) أبو نَيّب: لَقَب العلامة محمد بن الإمام الهادي شرف الدين عِشَيْش. كان في بداية أمره قد تولّى لوالده الهادي قيادة أتباعه من القبائل الموالية لمحاربة الدولة العثمانية في خولان العالية ثم أرحب وحاشد، ولمّا رفض أن يتولى الإمامة بعد وفاة والده، تعين نائباً للإمام محمد بن يحيى في بلاد صعدة ثم لولده الإمام يحيى حميد الدين. كما تولى للإمام يحيى قيادة جيشه لمحاربة الادارسة. وفي آخر أيامه لزم بيته في المَدَان متحرراً من المناصب الرسمية، وكان عالماً كبيراً على قدر من الزهد والورع، وتوفي بالمَدَان سنة (١٣٦٢هـ).

(٢) جبل والقوز: منطقتان من بلاد جازان في شمال تهامة.

وفي هذا الشهر وقع إسهالٌ متتابع بالحديدة والمراوعة وبعض بلاد صنْبل، مات به خلق كثير.

وفي يوم السبت، الثاني عشر منه، عدت بعض قبيلة بني التِّرة على قبيلة الحجاج ليأخذوا إبلاً لهم، فالتحم القتال بين القبيلتين وقتل من كل منهما أربعة أشخاص وجُرح من كل منهم شخصان.

وفي عصر يوم الأحد، العشرين من شهر شوال، توفي السيّد العلامة الصالح حسين بن إسماعيل صائم الدّهر بمدينة الزّيدية، ودُفن بمقبرة الولي الكبير أبي بكر، وقد تقدم مُتَرْجَماً.

وفي عِشاء ليلة الثلاثاء، الثاني والعشرين منه، توفي الرّجل الصّالح قاسم بن أحمد بخاري بالمنيرة ودُفن بها.

وفي يوم السبت الخامس والعشرين منه، توفي السيّد الصّالح يحيى بن موسى الرّفاعي بِمَرْسَى ميدي، وبه دُفن.

وفي شهر ذي القعدة الحرام، وصل الشيخ محمّد بن يحيى باصهي[1] إلى صَبْيَا، وهو من خواصّ السيّد العلامة الإمام محمد بن علي الإدريسي، وذلك بعد أن توجه إلى عدن لِحَاجةٍ، فَحُوصر بها من طرف الدولة العثمانية فتخلص خِفْيَةً وخرج من طريق البحر، وبوابير آل عثمان محيطة بالمراسي اليمنية محاصرة لها، فسلّمه الله منهم حتى وصل إلى صَبْيَا سالماً غير أن الأموال التي معه أخذتها البوابير المحاصرة ظَفَروا بها في البحر في ساعية غير التي هو فيها.

وفيه، وفي الشهر الذّي قبله، سلّط الله أمراض الجدري على أهل مدينة بيت الفقيه ابن عُجَيْل فمات به منهم خَلْق كثير، وقد حَزَر ذلك فوُجِدَ نحو الألف نسأل الله السلامة.

وفيه وَقَعت فتنة في نفس هذه المدينة بين قبيلة الزرانيق وبين الدّولة، فقُتِل جماعة من الجانبين.

وفي يوم الأحد الرّابع من شهر ذي الحجّة الحرام، وَقَع ببندر الحديدة حريق عظيم من الجهة اليمانية منه، خارج الدّرب، هَلَك به حسبما قيل سبعة آلاف بيت وأموال جسيمة ونحو ستة أنفر من بني آدم نسأل الله السلامة.

وفيه وصل بابور من الهند فيه نحو ألف نَفَر قاصدين حج بيت الله الحرام، ولمّا

---

(١) محمد بن يحيى باصِهي: من أهل شبام حضرموت وقد سَبَق مُتَرْجماً.

وصل البابور إلى كمران قرب من البر قريب، ووقت الحج ضيق، فكان ذلك سبباً لفوات الحج عليهم وما جزء إلى اللجة إلا بابوران عظيمان وعشر سواعي عظام.

وفي أثناء هذا العام كَثُر موت الجمال من مرض يأخذها في بطونها، يُسمى النجزة، فتهلك سريعاً.

وفيه تزايدت الأسعار في كل شيء يُباع، واشتد الغلاء في الحيوانات وسائر المأكولات والمشروبات، وطال ذلك حتى ضعفت أحوال النّاس الدّنيوية وقت تأريخ هذا وهو سلخ ذي الحجّة ختام عام إحدى وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف، وقد دام هذا الأمر قبله نحو سنتين، وقد وقعت أمطار في أثناء هذا العام الماضي فَزَرعت النّاس ولم يتم الزّرع لقلة الأمطار فيه. وهذا الغلاء قد عمّ سائر الجبال والتهايم من هذه الخطة اليمنيّة، نسأل الله دوام الألطاف لكافة الخلق بكرة وعشيّة.

وفي يوم الأربعاء، العشرين منه، توفي السيد الصالح محمد بن عبد الله الأهدل بمدينة الزّيدية ودُفن بها.

وفيه عَدَتْ قبيلة القُحرىٰ على القافلة في طريق الحديدة فَقَتلت شخصاً من أهل القافلة وجَرَحت شخصين، ثم عَدَتْ ثانياً عليها ـ وقد جَعَلت الدّولة معها عسكراً يحافظونها منهم ـ فَقَتلت العسكر من القحرىٰ نفرين.

وفيه غَزت قبيلة الواعظات على القافلة الوصالة من ميدي، فَقَتلت شخصاً من القافلة من السّادة المهادلة أهل دَيْر عبد الله وجَرَحت آخر وأَخَذت الجمال، فغزت قبيلة صليل على بعض الواعظات وهي قرية الحمر[1] فَقَتلت من قبيلة المعاوضة أربعة نفر ونهبوهم مائة وخمسين رأساً من الغنم.

وفيه قُتِل من أهل اللحيّة بها، وقُتل آخر خارجها في السّبَخَة.

أحداث عام ١٣٣٢هـ:

وفي شهر محرّم الحرام، دخول سنة اثنين وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف عَدَتْ قبيلة القحرَى على قافلة أهل الزّيدية وغيرهم، فأخذوا منها خمسة وخمسين جملاً محملة من أنواع البضائع بأموال جزيلة ووصلوا بها إلى بلدهم، ثم أُطلقت الجمال وحمْلَها سالمة والحمد لله.

وفيه وَقَعت مقتله بين شيخ مشايخ الزّيدية السّيد عبد الله بن إبراهيم قوزي وبين قبيلة بني أمحمد، وقُتل من بني أمحمد أربعة نفر وجُرِح أربعة نفر ومن قَوْم الشيخ

(١) الحمر: قرية من مديرية الزهرة، في الشرق منها جوار بلدة مختارة.

قتيلان وجريحان، ثم خرج إليهم الشيخ كرّة أخرى بجموع كثيرة، فبادر إليهم السيد العلاّمة محمّد بن يحيى الأهدل بنفسه ليمنعهم عن القتال فلقيهم في أثناء الطريق قبل التقاء الفريقين، ففَرّق جَمْعهم جزاه الله خيراً، وأخذ الشيخ مراهين خمسة من قبيلة بني أمحمّد فسكنت الفتنة والحمد لله. ثم إن السيّد المشار إليه جمع الفريقين في القبة المنيرة على تربة سيدي الولي عبد الله بن عمر الأهدل، على عدة أهل الجهة، وجرى العفو بينهم من الطرفين وصَفيت قلوب الفريقين من الضغائن، ببركته، فجزاه الله خيراً.

وفي شهر صفر انفصل السيّد العلاّمة الإمام محمد بن علي الإدريسي من صبيا في جيش كثيف وقوة عظيمة، وخيّم بالواصلي ـ قرية على نحو ساعة ونصف من صَبْيَا إلى جهة الغرب ـ والسبب الباعث له على حركته أنّه وَقَع الخلاف عنه من قبائل بني مروان وأشراف حَرَضْ فطردوا عماله منها وأخذوا بعضاً من المحابيس، فوصل إلى الواصلي وفرّق الجيش الذي معه إلى جهة النّضير[1] وحَرَضْ ومِيْدِي. وأصحبهم مدافع كباراً، وقَبَض على أشراف حَرَضْ وشدّد عليهم، وطلب منهم زكوات زراعتهم ولم يكونوا يدفعونها إلى أحد قبل ذلك إكراماً لهم من قِبَل الدّولة العثمانية فيتولون صرفها إلى مستحقيها، فَعَظُم عليهم ولم تسمح نفوسهم ببذلها فاشتدّ الخلاف بينه وبينهم، وبعض الأشراف فرّ إلى الإمام محمد بن يحيى حميد الدّين بشهارة ثم توجّهوا إلى صنعاء واتفق رأيهم مع واليها محمود نديم على الخروج إلى السيّد الإدريسي في أمور وقَعَت المشاورة بينهم فيها لم تظهر، وسيأتي ذِكر خروج الوالي إلى بندر اللحيّة بهذا القصد، والأشرَاف رجعوا من صنعاء إلى شهارة وهم الآن بها يقيمون عند الإمام، ومازال الإدريسي مقيماً بالواصل متردداً بينها وبين جَازان وصَبْيَا يطلب من قبائل الجهة رهاين ويتحصّل منهم الأموال العشرية إلى وقت رَقْم هذا.

وفي يوم الخميس الثالث عشر منه، توفي الرّجل الصّالح محمد بن المهدي من بني أبـي الخَلْ، بقريتهم ودُفن بها، وكان موته بسبب شوكة أصيب بها في يده فكان بها أجله.

وفي يوم السبت الخامس عشر منه، توفي الرّجل الصالح يوسف بن محمد مهدي من بني أبـي الخَلّ أيضاً، ودُفن بقريتهم.

وفي يوم الأحد السّادس عشر منه، توفي الرّجل الصّالح عبد الله بن محمد بوني باشا بقريته مُسَلَّم[2] وبها دُفن، وقد سبق مُتَرْجَماً.

---

(١) النّضير: جبل ومدينة في رَازِح بالغرب من مدينة صعده.
(٢) مُسَلَّم: قرية من مديرية بني قَيْس الطّوْر وأعمال محافظة حجة.

وفيه وقعت مقتلة بين قبيلة بني البرة وقبيلة الجرابح فَقُتل بها جماعة من الطرفين.

وفي يوم الجمعة السادس والعشرين منه عَدَتْ قبيلة الحشابرة على البراخلة[1]، فاقتتلوا وقُتِل من البراخلة اثنان.

وفي يوم السبت السابع والعشرين منه، قَتَل شخص آخر من بين السيف فقام شخص من عشيرة المقتول فقتل قاتله ودُفِنا معاً.

وفيه قتل شخصان من بني جامع وآخر من أهل مَوْر على يد شخص من أهل الزعلية، ثم بعد ذلك قُتل قاتلهم.

وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول، عَدَا شخص من السادة بني البتيم على آخر من المشارقة، فقتله وجَرَح آخر، ثم جُرِح القاتل وطالت به الجراحة إلى أن مات منها.

وفي يوم الربوع، سلخ ربيع الأول، وُلِدَ محمد بن أبي الغيث بن محمد بن يحيى الأهدل أنبته الله نباتاً حسناً.

وفي يوم الخميس غرة ربيع الثاني عَدَتْ قبيلة هبّاط[2] على قبيلة العطاوية، فَقُتل من العطاوية خمسة أنفار وجُرِح جماعة، وقُتِل من هبّاط واحد.

وفي يوم الإثنين الخامس منه، توفي السيّد الصّالح أحمد بن عبده مقيزل بقرية عُبَال[3] والرّجل الصّالح طاهر بن محمود فقيره الهندي ببندر اللُحيّة.

وفي يوم الجمعة التاسع منه عَدَتْ الجرابح على بني البرّة، فَقُتل من الجرابح أربعة أنفار ومن بني البرّة ثلاثة ومجاريح من الطرفين.

وفيه قَطَع السيد الإمام محمد بن علي الإدريسي رؤوس ثلاثة أشخاص قصاصاً، أحدهم في سوق المسارحة والثاني في سوق بني مروان والثالث في سوق الواصلي[4]، وقَطَع أيدي شخصين حدًّا بالسرقة.

---

(١) **البراخلة**: عشيرة تسكن جوار بلدة الكدراء من مديرية الزيدية، في قرية يقال لها: برخل وبينهم بدو رُحّل.

(٢) **هبّاط**: قبيلة في الطرف الغربي من جبال مِلْحان بالمحويت، تُطّل ديارهم على بلاد تهامة.

(٣) **عُبَال**: بضم ففتح، بلدة شرقي مدينة باجل بمسافة (٣٥) كيلاً. تمر منها طريق السيارات بين باجل ومَعْبَر الصاعدة إلى صنعاء.

(٤) **المسارحة وبني مروان والواصلي**: قرى من وادي جازان.

وفيه وقع حرب بين الشيخ هادي بن احمد هيج - وهو من طرف الدولة العثمانية - وبين الشيخ يحيى بن علي ثوّاب - وهو من طرف السيّد الإدريسي - ووقع رمي بالمدافع العظام من الجانبين، فقُتِل من الطرفين نحو عشرين قتيلاً، وهُدمت ثلاثة حصون لشيخ قُطْبَة[١] مقبول زايد دمار بالمدافع.

وفي ليلة السبت، غرة جمادى الأولى، رُمِيَ السيّد محمد جيلان - من أهل الضّحِي - في وجهه على يد شخص من الحشابرة ظُلماً وقت صلاة العشاء بمدينة الزّيدية، وكان قد وصل إليها لحاجةٍ فَحُمِل إلى الضّحي ومات بعد أربعة أيّام، يوم الثلاثاء، بسبب الرّمية فَعَدَتْ جماعةٌ من الجرابح - ممن ينتسب إلى السيد محمد جيلان - على قاتله مساء اليوم الّذي مات فيه فقتلوه نائماً وجرحوا أخاه واستاقوا أغنامهم.

وفيه توفي القاضي العلاّمة محمد بن إسماعيل بن حسن عاكش الضّمدي[٢] بمدينة أبي عريش.

وفي هذه المدّة كثرت أمراض الجدري والحصبة وغيرها بهذه الجهة كالزّيدية وسائر القرى الخارجة عنها، ولم يَسْلَم من ذلك إلاّ القليل من النّاس ومات به خَلْق كثير نسأل الله السّلامة والعافية.

وفيه نزل الوالي محمود نديم من صنعاء إلى الحديدة قاصداً بندر اللُحيّة واستصحب معه السيّد العلاّمة مَنْصِب المراوعة عبد الباري بن أحمد الأهدل، فوصل إلى اللحيّة وأقام بها نحو شهر، ثم سار السيد عبد الباري لقصد الإصلاح بين الشيخ يحيى بن علي ثواب[٣] وبين الشيخ هادي بن أحمد هَيْج[٤] ثم تبعه الوالي، وقَصْدهم بذلك صَرْف الشيخ يحيى بن علي ثواب عن موالاة السيد الإمام الإدريسي لكونه نائباً عنه في جهة عَبْس وما والاها، وبَذلوا له من النّقود شيئاً كثيراً فلم يساعدهم، وكان اجتماعهم به بجهة القُفْل فرجعا إلى اللُحيّة ولم يتم لهما ما قصداه، فوقف السيد عبد الباري باللُحيّة وتوجّه الوالي إلى فَرَسان بحراً في البابور، ولمّا مَرّ بمِيدي وجازان رَمَى المدافع على المدينتين وهما مما استولى عليهما السيّد الإدريسي، ثم رجع من فَرَسان إلى اللحيّة واستصحب معه السيّد عبد الباري إلى الحديدة ثم طلع الوالي إلى صنعاء. وقد كان عند رجوعه من القُفْل أعلَن بفتح

---

(١) قُطْبَة: بضم ففتح، منطقة وقبيلة في بلاد بني مالك، بمنطقة جازان.
(٢) عالم مشارك، ونسبته - كعشيرته - إلى بلدة ضَمَد في شمال شرق جيزان وقد سبق مُتَرجَماً
(٣) شيخ قبائل عَبْس بني ثواب.
(٤) شيخ قبائل الزُهرة.

الحرب على الشيخ يحيى بن علي ثواب، ومَنَع التجّار من السّير إلى الجهة الشامية كمبس وميدي نقصد قَطْع البضائع عنهم، وأمَر بأخذ كل ما وُجِد من بضايع أهل الشّام مُصَادرةً، فاتّفق أن وُجِدت جَلْبَة[1] في بحر اللحيّة مشحونة من أنواع البزّ الحرير وغيره ما يقوَم بنحو ثلاثين ألف ريال واصلةً من بندر الحديدة، والبزّ لقبيلة الواعظات وأهل الجبال الكائنة شرقها، فَصادَرَها قائمقام اللحيّة ظناً منه أنّها لأهل عَبْس وميْدِي، وعَجّل بيع البضايع فبيعت بأبخس ثَمَن، ثم إنّ أصحاب البضايع رفعوا الشكايات إلى الوالي محمود نديم بصنعاء فَصَدر الأمر منه بخروج قائمقام الزّيدية لتحقيق المادة فَخَرج وظَهَر أن البضايع لغير من تَوَهّم قائمقام اللحيّة فظمّنه بقيمتها.

وفيه، قُتلت امرأة في قرية الزّباط[2]، وأخرى في المِغْلاَف قَتَلها زوجها وجَرَح أخرى.

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين منه، أنزل الله أمطاراً عظيمة عامة في هذه الجهات، فَكَثُرت السّيول منها لا سيما بجهة المغلاف فإنها كَثُرت حتى وصلت المعروفية، ثم تكاثرت ودخلت البحر. ونزلت الأودية كوادي سُرْدُد ومَوْر وسقت كثيراً من الأراضي والحمد لله.

وفيه، توفي سلطان لحج أحمد بن فضل، وتولّى علي بن أحمد من أقاربه[3].

وفي شهر جمادي الثّانية غَزت قبيلة بني نشر على عساكر الدولة العثمانية ومع العسكر جماعة من مشايخ الواعظات، فَقَتلوا رئيساً من رؤساء العسكر وثلاثة من المشايخ.

وفيه، وقعت مقتلة بين الجرابح وبين بني الحلّوس والمصاعلة فَقُتل شخص من بني الحلوس وآخر من المصاعلة.

وفي غرة شهر رجب طَلَعت نار من بعض بيوت المنيرة، فأَحْرَقت ستة أبيات.

وفيه، أنزل الله أمطاراً عظيمة في الحازّة من بلاد صليل وعَمّت الحازّة إلى القمرية[4].

وفي يوم الأربعاء، الثالث منه، توفي الرجل الصّالح ـ شيخ الزعليّة ـ حسن بن

---

(١) ما تجلُبُه من بلد إلى بلد، أي سفينة.

(٢) الزّباط: قرية شرقي الزيدية.

(٣) هذا هو السطان السابع من سلاطين لحج العبادلة، واسمه الكامل: علي بن أحمد بن علي بن محسن فضل العبدلي، ومدة حكمه من عام (١٣٣٢) إلى (١٣٣٣هـ).

(٤) من أعمال مديرية الزيدية.

أحمد المقرني، ودُفن بقرية الحتيرية[1].

وفي ليلة الجمعة، الخامس منه، قُتِل شخص من الحشابرة ليلاً وهو نائم على يدي الجرابح.

وفي ليلة السبت، السادس منه، توفي القاضي العلامة إبراهيم بن إسماعيل بمدينة الزّيدية، ودُفن بمقبرة الشيخ صائم الدّهر، وكان قد تولّى القضاء بها من طرف الدّولة العثمانية بعد أن خرج من بلده قُونيا[2] إلى الأستانة لطلب العلم، وهي بلدة بينها وبين الأستانة شهرين من جهة الغرب، ومكث نحو أحد عشر سنة في مكتب القضاء، فقرأ كثيراً من الفنون لا سيما فنون الآلة، ثم وُلّي القضاء بالزّيدية فوصل إليها في شهر صفر من هذا العام ومكث بها نحو خمسة أشهر متولياً للقضاء مع التنزه والعفّة والحُكم بالشريعة المطهرة، وكان كثيراً ما يجنح إلى الصّلح في الأحكام تورعاً عن القضاء خوفاً عن الوقوع في الإثم، رحمه الله.

وفي يوم السبت، الثالث عشر منه، توفي الرّجل الصّالح الفاضل أحمد بن أحمد مطري الملقب عرس.

وفي ليلة الأربعاء، السابع عشرة منه، توفي السيّد الصّالح عبده بن علي مقيرل.

وفي يوم الأربعاء، الخامس والعشرين منه، نزل حجر من السماء وقت صلاة الظهر، وشُوهِدَ وقت نزوله كَشُعلة النّار ساقطة، وسُمِعَ لها صوت كالمدفع العظيم وقت نزوله، وعند وقوعه في الأرض افترق فرقتين: فرقة وقعت بجهة القمرية ببلاد قوم يُسمّون بني الكعلول غربي طريق الحديدة، والآخر يماني دَيْر شويل. وسُمِعَ عند وقوعه في الأرض كصوت البنادق المتابعة، يُسْمَع ذلك من بُعْد كمن قرب حتى بعض القبائل المجاورين محل نزوله ظَنّو أن ذلك حرباً، وقد أخبرني من رأى الحجر أن لونه أسود بَرّاق. وهذه الآية قد وقع مثلها في الزّمن السّابق فقد ذَكَر البَدْر الأهدل في تاريخه «تحفة الزّمن» أنه في أيام الفقيه حسين بن عمر الهيشي[3] في حدود السبعين من المائة السابعة، نَزّل حجر من السّماء وسُمِعَ له دوي وكان يَقْرُب بِقرب حتى وَقَع عند قريتهم ـ أي من نواحي بيت عطاء ـ وغاص في الأرض أكثر من ذراع، فأُخرِجَ وحُمِل إلى الأمير ثم إلى السلطان. وقد ذَكَر ابن الجَوْزي وغيره في التواريخ

---

(١) الحتيرية: من قُرى الزعليّة بمديرية اللحيّة.

(٢) قونية: مدينة تركية في الأناضول.

(٣) حسن بن عمر الهيشي: ترجمه الشرجي في «طبقات الخواص» فقال: كان فقيهاً عالماً عابداً زاهداً تُحكى له كرامات، وله ذرية مسكنهم قريب من بيت عطا، وسببهم في الجرابح. وكانت وفاته سنة (٧٨١هـ).

نزول أحجار من السّماء كذلك عِبْرَةً وتخويفاً للنّاس وبالله التوفيق. انتهى ما ذكره البدر.

وفي يوم الإثنين، سادس شهر شعبان، توفي السيّد الصّالح أحمد بن علي طحبول، من السّادة بني المقبول الساكنين بمدينة الزّيدية وبها دُفن.

وفيه صادرت الدّولة شخصاً من أهل قرية المكعبية - من الجامعي بأسفل وادي مَوْر - بأخذ أموال جزيلة من النّقود نحو ستة آلاف ريال ومن حُلَيّ الفضّة والثياب الحرير والطّعام والدّواب شيء كثير، وذلك أنّه وَقَع منه ظُلم لبعض النّاس فوَقعت منه الشّكيات على الدّولة، فأرسلوا له مرّات عديدة يطلبون وصوله إليهم لقصد إنصاف المشتكين منه، فلم يصل، حينئذٍ هجمو عليه ونهبوه الأموال المذكورة.

وفيه جهّزت الدّولة عساكر ومدافع على قبيلة الحشابرة وكانوا قد عاثُوا وقَطَعوا الطُرقات ونَهبوا أموالاً جزيلة لأهل مدينة الزّيدية وغيرهم؛ بتعرضهم للقوافل التي تصل بالبضائع من بندر الحُديدة حتى تركوا بعض النّاس فقراء، فقدّمت الدولة النصائح قبل ذلك بواسطة السّادات كالسيّد العلاّمة - مَنْصِب المنيرة - محمد بن يحيى الأهدل وغيره، فلم يلتفتوا إلى ذلك بل تمادوا على فسادهم وأصرّوا وتناولوا معدن الملح بالأخذ منه خفيه، فاشتدّ غضب الدّولة عليهم بتعرضهم للمعدن فجهّزت عليهم العساكر والمدافع والمكينات الحربية وبرفقهم شيخ مشايخ الزيدية السيد عبد الله بن إبراهيم فوزي باشا ومعه شرذمة من قبيلة صليل، ولمّا وصلوا إلى الحشابرة لم يثبت أحد منهم للحرب بل فرّوا وتفرّقوا، فأحرقت الدّولة والقبائل ديارهم ووَقعت القبائل في نهب أموالهم حتى تركوهم فقراء مُفَرَّقين في البلدان، وكان ذلك في منسلخ شهر شعبان يوم الخميس الموافق عاشر شهر تموز من الشهر الرّومية، في يوم العيد المِلّي نِسْبَةً إلى المِلّة وذلك أن الدّولة تُعَظّمه وتجتمع فيه للدعاء للسلطان محمّد رشاد بن عبد المجيد خان في جميع مملكته، وكان حدوثه في عام سبعة وعشرين وثلاثمائة وألف، يوم تولّىٰ وخَلَع أخيه عبد الحميد بن عبد المجيد خان، وقد سَبَق ذِكر ذلك في العام المذكور ومعنَى تسميتهم له بذلك أنه: بتولّي السلطان محمد رشاد للسلطنة تَجدُّد الدِّين وتَقوّى فصاروا يسمونه بذلك ويُعَظِّمونه كلما دار عليهم في كل سنة.

وقد كان قبل التجهيز على الحشابرة دَخَل على الدّولة جماعة من رؤسائهم فقبضوا عليهم - وهم الذين عاضدوا متولي كِبَر هذا الفساد الموجب لغضب الدولة عليهم - وهو إسماعيل بن علي الحُشَيْبري. وأمّا إسماعيل هذا فَشَرَدَ إلى قبيلة الجرابح مستجيراً بهم فأجاروه.

وفي يوم الثلاثاء، الخامس من شهر رمضان، توفي الرّجل الصّالح عبد الله بن صالح العماري صاحب القات المحراسي بجبل ملْحان[1].

وفي يوم الإثنين، العاشر من شهر رمضان، توفي السيّد الصّالح بلغيث بن علي الأهدل بمدينة باجل وبها دُفن.

وفيه قُتِل شخصان من السّادة المهادلة ظُلْماً على يد قبيلة بني أمحمّد.

وفيه، وقعت فتنة بين الدّولة وبين قبيلة الزّرانيق ببندر الحديدة، قُتِل فيها من الزرانيق ستة نفر ومن عسكر الترك واحد.

وفي يوم الخميس الرابع عشر منه، أنْزَل الله مطراً عظيماً بجهة المنيرة انْهدَمت منه منازل ومنها مَرْبَعتان للسيّد العلامة محمد بن يحيى الأهدل، انهدمت على أربعة أشخاص فسلّمهم الله سَدّت عنهم أخشاب السّقف فأصيب ثلاثة منهم بالأحجار من غير ضرر والرّابع انكبس عليه التراب إلى صدره فأُخرج سالماً.

وفي ليلة الأربعاء، العشرين منه، أصبح شخص قتيلاً في قرية المحال من الحشابرة، قتله بعض أقاربه.

وفي ليلة الأحد، الرابع والعشرين منه، قُتِل الرّجل الصّالح شيخ مشايخ صلّيل السيد عبد الله بن إبراهيم قوزي باشا وهو في الركعة التاسعة من صلاة التراويح في مسجد قرية دَيْر القحم، قتله رجل من بني عمّه لضغائن سابقه بينهم، ثم شَرَد قاتله إلى السّادة النّعامية بقرية الغرزة من أعمال الوادي مَوْر، مستجيراً بهم فأجاروه، وكان الشيخ المذكور قد دانت له رقاب القبائل ونَفَذت كلمته فيهم، فَنَهى وأمَرَ وقَتَل وأسَر ودَخَل الخوف منه كل جوف، فسبحان الدّائم في ملكه. ثم بعد قتله أُقيم ولده إبراهيم مقامه، أسأل الله أن يصلحه ويُصلح به ويوفقه ويسدد أقواله وأفعاله، ثم أن بعض قبيلة صلّيل حسده على التراس عليهم فوصلوا يوم الخميس الثامن والعشرين منه إلى سوق القناوص قاصدين تغيير الأمر عَمّا هو عليه، فقَبَض على بعضهم وقتَل منهم شخصاً امتنع عن الدّخول في طاعته، فسكنت الفتنة.

وفي مساء هذا اليوم قَتَلت قبيلة الحشابرة شخصاً من السّادة بني القبع وجَرَحت آخر بين مدينة الزّيدية ودَيْر عكاد وهو خارج من الزّيدية إلى قرية المعروفيّة.

وفيه جاءت الأخبار بأن طوائف كُفريّة كالإفرنج والعُلمان والفرنيس والرّوس - جعل الله بأسهم بينهم - فقامت بينهم الحرب على ساق فأشغل الله بعضهم ببعض

---

(١) يُجْلَب من قرية المحراس الواقعة في مركز القبلة من مديرية مِلْحان بالمحويت.

عن محاربة أهل الإسلام، وقد كانوا للسيّد العلاّمة - قبل ذلك - قائمين بالعداوة الشديدة والحرب لهم متفقين على كلمة واحدة، فعجّل الله النّصرة للإسلام وكَبت كيد الكافرين.

وفي هذا العام كَثُرت الرّياح واشتدت وطال هبوبها، وكَثُر الوباء في هذه الجهة كالجدري والحصبة والإسهال ويُقال أنّ سبب ذلك فَتح الترعة التي هي الخليج[1] الذي فتحته الطوائف الكُفرية إلى اليمن بأن شقو جبلاً عظيماً طويلاً عريضاً بِحِكَمِهِم العجيبة حتى التقى البحر الأسود وهو ما وراء الجبل المذكور من جهة الغرب بالبحر الأحمر وهو ما ورائه من جهة الشرق، فاختلط البحران واتصل الوباء الواقع في تلك الجهات باليمن، وقصدهم بفتحه الوصول إلى تلك البلاد الشاسعة بسرعة بجري السفن الكبار فيه مقبلةً ومدبرة وقد كان - قبل ذلك يعسر الوصول إليها إلاّ بعد العسير الطّويل، وكان اليمن قبل فتحها في عافية مما ذُكِر نسأل الله دوام السّلامة.

وفي شهر شوّال جاء الأمر من الدّولة بكسر نوع من السكة المعدنية يُسمّى الهَلَل الأسود، فذهبت بذلك أموال عظيمة للتجارة وغيرهم حيث لم يكن في رضاضها منفعة.

وفيه قَتَل شخص من قبيلة بني أمحمّد شخصاً آخر من السّادة المقاوزة، فجاء آخر من بني أمحمّد وقَتَل قاتل القوزي. ثم إنّ بني أمحمد دخلوا إلى المنيرة فاشتروا طعاماً وفر تسع جمال فَعَدَتْ عليهم قبيلة القوزي وهم خارجون من المُنيرة في أثناء الطّريق، فتراموا وقُتل جملان وأُخِذت سبع جمال بحملها وفرّ أصحاب الجمال.

وفي يوم الأحد، السادس عشر منه، قَتَل شخص من بني الأدبع شخصاً آخر من الشحارية القاطنين بمدينة الزّيدية شرقي سوقها.

وفيه، ارتفع سعر الطعام الهندي حتى وصول ربع حَكَم بريال، ولم يكن وقتئذٍ غيره موجوداً لفناء الطّعام البلدي بالكلّية من نحو سنتين لِقلّة الأمطار وعدم صلاح الزّراعة. وفي أثناء ذلك نزل سعره إلى ثُمن: حَكَم ونصف، ثَمَنُه بريال.

وفيه عانت جماعة من بني حمزة وهم من قبيلة صلَيل وأفسدوا في البلاد بنهب المسافرين في الطرق، فغزاهم الشيخ إبراهيم بن عبد الله قوزي يوم الإثنين السابع عشر منه، فَقتل من بني حمزة رجلان ومن قوم الشيخ رجل وجُرح آخر.

وفي يوم الأحد، الثالث والعشرين منه، عَدَتْ بني القبع على شخص من بدو الحشابرة فقتلوه وأخذوا ثيرانه وحميره.

---

(١) خليج السويس.

وفيه، جاءت الأخبار بأن مهندساً طليانياً من الطوائف الكفرية اخترع آلة بجهة أوروبا من بلاد الإفرنج قَصّرت صولة اللصوص، وهي آلة صغيرة تركب نحاه باب المنزل الذي يريد أصحابه حمايته فإذا فتح اللص الباب يهتز سلك يشعل قرطاساً فتنطبع صورة اللص في تلك الآلة بتمامها يعرفها كل من رآها، وهذا قريب من الصندوق الذي مرّ ذكره من أن من يتكلم بكلام وهو حاضراً انطبع ذلك الكلام في بصفته ثم يحكيه الصندوق كما تكلم به صاحبه من غير زيادة ولا نقصان، ولكن عمل الصندوق في المعاني وهذا في الأجسام. ومما أحدثوه وتفننوا فيه من العجائب أنهم اخترعوا آلة توضع مثلاً محل من بَلَد - وإن كَبُرَت - وتمتد في تلك الآلة خيوط متصلة بكل بيت من بيوت تلك البلد، فإذا جاء الليل أغلقت[1] تلك الآلة فتعلق جميع تلك البيوت من الخيوط المتصلة بها، وضوئها أشد من ضوء الشمس حسبما حُكي لنا، وذلك بحسب حاجة صاحب البيت بحيث إذا أراد إطفائها بآلة عنده أطفأها وإن أراد يَغلِقها أغلَقَها، وعلى كل واحد منهم لصاحب الآلة شيء معلوم في كل شهر.

وفيه، جاءت الأخبار بأن طائفة من الكفّار تُسمّى الجرمل اخترعت بابوراً يطير في الهواء تُسمّى الطيّارة، ثم تبعتهم الدّولة العثمانية وسائر الطوائف الكفريّة، وتفننوا في ذلك فإنهم اخترعوا أولا طيّارة صغيرة تحمل مدفعاً أو مدفعين ونحو عشرة أنفار، ثم زادوا في ذلك حتى عملوا طيّارات كباراً تحمل جملة من المدافع ونحو ستين نفراً من العسكر لقصد الحرب، فإذا أرادوا حرباً حرّكوا الآلة فتطير في الهواء حتى تحاذي العدوّ فترميهم بالقلل من المدافع ولا يقدر العدو على نيلهم بشيء لأنه بالأرض وهم بالهواء. ثم أخبرني بعض أرباب الدّولة أنهم الآن يعملون طيّارات في الهواء للأسفار البعيدة تحمل العساكر والبضايع وغيرها إلى البلدان الشاسعة، وهذا من غرائب هذا الزّمان وتفنن أهله فسبحان من علّم الإنسان ما لم يعلم.

وفي يوم الأربعاء، ثالث ذي القعدة الحرام، أنزل الله أمطاراً نافعة إن شاء الله بجهات مدينة الزّيدية والمُنيرة وغيرهما فَزُرِع ما حواليها من الزّون مع قلة بذر الدّخن، فبلغت قيمة الثُمن إلا رُبُع: ريالاً، واختبر العقد على هذا فبلغت قيمته مائتا ريال واثنا عشر ريالاً، وهذا أمر لم يعهد مثله قط فيما مضى، ثم جعل الله مع ذلك بركة عظيمة فيما بذر منه الأرض، نَبَت نباتاً تاماً فحملت الأرض بزراعة عظيمة.

وفيه، جاءت الأخبار بأن الجرمل استولت على جزيرة قَرَسان وأنزلوا بها آلات

---

(١) أغلقت: أضاءت.

نهم ثم ارتفعوا منها، وأنهم يهمّون بتملك سائر الجزائر اليمنية والسواحل والاستيلاء عليه، أسأل الله الكريم أن يحمي الإسلام وأهله من هذه المصيبة الكبرى والفاقرة في الدين العظمى، وهذا أمر لم يخطر لهم على بال في الأزمنة المتقدمة لمعرفتهم بأن اليمن دهليز بيت الله الحرام لم يتسهّل لهم الاستيلاء عليه لحمايته من جانب الدّولة العثمانية أشد من حماية سائر ممالكهم، ولكن لمّا حصل الوَهَن ـ الآن ـ والضعف فيهم امتدت أطماع الطوائف الكفرية إلى أخذه والاستيلاء عليه، وللبيت ربّ يحميه إذا خذله حُمَاته. ثم إنه ظهر بعد إستيلائهم على جزيرة فَرَسان إنما كان عن رضى الدّولة العثمانية مكافأة على إعانتهم لهم على بعض الطوائف الكفرية وموالاتهم بالنصرة، وعند دخولهم الجزيرة فَزعتها لهم الدولة بإخراج عساكرها منها والمدافع والسلاح وغير ذلك، وركَزت لهم الدّولة رايةً ببندر الحديدة وجَلَت سائر رايات الأحرب التي كانت مركوزة بها قبل ذلك، لظهور خيانة من الإنجليز للدولة العثمانية، هي أنهم كانوا ـ قبل ذلك ـ مُوَالِين للدّولة فاتفق أن الإنجليز قبضت منهم أموالاً جزيلة ـ حسبما قيل أنها خمسمائة ألف مليون من الذهب ـ ليأخذوا لهم بذلك بابورين حربية، فطمعوا في الأموال المذكورة ولم يشتروا شيئاً، فصادف ذلك وقد أيّد الله هذا الدّين بنصرة بعض أهل الكفر وهم العلمان[1] فقاموا على الإنجليز وغيرهم كالمسقوف[2] والفرنسيس بالحرب وغزوهم بالطيّارات التي اخترعوها ـ التي مرّ ذكرها قريباً ـ فأفنوهم قتلاً ونهباً، واستولت على ممالكهم، فكلما استولوا على بلد سبوها إلى الدّولة ومكّنوهم منها فصارت من جملة ممالكهم، فأخَذت الغيرة الإنجليز من ذلك وصارت كلمتهم وكلمة المسقوف والفرنسيس واحدة وأعلَنت بالحرب على الدّولة العثمانية وأحرقت ساعيةً مشحونةً بالأموال في مَرسى الحديدة ـ يأتي ذكرها قريباً ـ ورَمَت بالمدافع على باب المندب والشيخ سعيد ـ وهما موضعان بالقرب من عدن ـ وحاولت الاستيلاء عليهما، فحينئذٍ صدرت الأوامر من الدولة على جميع الأقطار اليمنية بأن يستعدّوا لحرب الإنجليز والمُدَافَعة عن بلاد الإسلام، وجهّز إمام شهارة السّيد العلاّمة يحيى بن محمّد لحرب الإنجليز ـ من الجبال العِلويّة كصنعاء وما والاها إلى الجهة المذكورة إعانةً للدّولة ـ جمعاً كثيراً بأهبة السّلاح والذّخيرة والكفايات.

وفيه جاءت الأخبار التلغرافية بأن الجرمل وَقَعت لهم النّصرة على الفرنسيس واستولوا على مملكتهم، وأسَروا منهم جَمْعاً كثيراً، وأخذوا منهم اثني عشر بابوراً حربية.

---

(١) الألمان.

(٢) الروس.

وفي يوم الثلوث، الخامس عشر منه، توفي السيّد الصّالح زين بن يحيى النُّعمي، من النعامية الساكنين بمدينة الزبيدية وبها دُفن، وقد قارب التسعين سنة ممتعاً بحواسه.

وفيه عَدَتْ قبيلة الجرابح على قبيلة بني البَرة، فقتلوا منهم شخصين، واستاقوا لهم أغناماً وبقراً وإبلاً كثيراً، ونَجوا سالمين.

وفيه توفي الرّجل الصّالح أحمد بن ابكر عويدان، وكان يحب الصّلاح والتسديد والتقريب رحمه الله.

وفي يوم الثلاثاء، غرة ذي الحجّة الحرام، توفي السيد الصّالح عمر بن قاسم فحم الأهدل بالدّمن - من بلد الخضرية - بمرض الجدري وبها دُفن. وفي مساء يوم السّبت، السّادس منه، أنزل الله أمطاراً عظيمة عَمّت هذه الأقطار القريبة والبعيدة من التهائم والجبال، وفيه رَعْد وبَرْق، ووقعت صاعقة في محل حنينه أُصيب بها رجلان وامرأتان فماتوا إلاّ امرأة. ووقعت صاعقة أخرى في المغيدفية هَلك بها ثلاثون رأساً من الغنم وحرق بيت. وكَثُرت منه سيول الأودية.

وفي يوم السبت، ثاني أيام التشريق، توفي السيّد العلاّمة الحُجّة محمد بن عبد الرحمٰن القُديمي، وقت طلوع الفجر، وذلك من مرض طال به نحو سنتين، ودُفن بمقبرة الشيخ صائم الدّهر بجانب قبر والده بالمرتفع من مدينة الزبيدية. ووقع لموته الأسف العظيم لكونه لم يُخْلَق بَعْدُ مثله، وقد مَضى مُتَرْجماً في الجزء الأول من هذا التأريخ، ورثيته يوم موته بقولي:

خطوبٌ تـوالـت مـا أجـلّ وأكبـرا ... ورزءٌ رمـانـا بـالمُصـاب فكـدّرا
وجهـل فشـا كـاللّيـل أسود حـالـك ... فعـم الـورى طـراً وأردَى وحيّـرا
ونـافـع علـم غـاب بعـد ظهـوره ... فـأضحَى خفيًّا بعد أن كـان مظهرا
ومـا ذاك إلاّ مـن أفـول شمـوسه ... تـوارت سـريعـاً بـالجنـادل والثّرَى
هم القوى لا يَشقى الجليس بهم ولا ... يخاف الرّدى أن خاف ذو الجهل وامترى
فمنهم شريف الذّات بدر أُولي التُقَى ... محمّد من قد فاق قدراً على الورى
سليـل القـديمي من لـه العلـم تحفة ... ومنهجـه فـي النّـاس أضحَـى محررا
إمامٌ سَمَـى فـي النّـاس قبـل فطـامـه ... وفـاق علـى الأقـران حتـى تصـدّرا
ومـا عُـرِفَـت فـي عمـره منـه صبـوةٌ ... وذا عجـب فيـه الحـديـث تقـررا
تقـيٌ نقـيٌ ذو خصـالٍ حميـدةٍ ... حليـمٌ إذا مـا اورد الأمـر أصـدرا
إذا أعضلـت دهـم العـويصـات حلّهـا ... بـوقـاد فكـر بـالعلـوم تفجّـرا

وإن كرّ في جيش من الجهل مثله ... وما زال في دَفْع الضلال مشمّرا

وما زال يقصر سيداً بتر سيدٍ ... إلى أن دَعى للخلد لبّى وبادرا

سريعاً لإبطال البنية تاركاً ... ومتوجعاً من هذه الدّار ما ترى

ـه لتبهت زهرة الكواكب سحرة ... بقرب تقضّيها إذا النّيل أسجرا

فأوّاه من دهرٍ سطا متعقباً ... وغادر حتى القلب صوغرا

فيا قلب إن لم تصبرن فاتك الرضى ... وإن كنت عنه لا تطيق تصبرا

فلولا قضاء الله فينا محتّم ... بكيناه حتى ينزل الدّمع أحمرَا

قضى وجه الدهر يا رب واحمه ... وكن عونه في النّايبات معمّرا

وجه الهدى صبراً على مرّ القضاء ... فأنت أخي بدر الكمال بِلا مِرَا

ولي حُسن ظنٍّ فيك يا ربّ أن ترى ... لأشرافه بالعلم فينا مصدّرا

ويحيا به علم الشريعة ناصراً ... وأقرانه حتى نرى العلم أوفرا

وتعصمهم من كلّ مكرٍ ونكبة ... وترفعهم فوق المجرّة في الورى

وربّ لـه طفلاً سرّه محمداً ... كاسم أبيه خاض في العلم أبحرا

وصلّ على طه الشفيع مسلماً ... مع الآل والأصحاب ما كوكب سرا

وفي يوم الخميس، السّابع عشر منه، رُميت ساعية مشحونة بالبضائع لمحمّد يس ـ وغيره من تجّار اللّحية ـ من بابور للإنجليز بنار أحرقتها بما فيها من البضايع، وذلك بمرسى بندر الحديدة فارتاع سكانها لذلك وخرجوا منها فارّين إلى سائر البلدان. وذلك بسبب ما قد خامر قلوبهم من الخوف ـ قبل ذلك ـ بنقل الدّولة آلات الحرب كالمدافع والذّخائر وغيرها من الحديدة إلى بَاجِل وعُبَال والزّيدية، وحسبما أشيع أنهم فعلوا ذلك خوفاً من وصول الإنجليز على غرة ورميهم البندر. ولمّا أحرقت السّاعية المذكورة لم يبق معهم شكّ أنهم وصلوا لذلك، فخرجوا فارّين وتفرقوا إلى البلدان ولم يبق منهم بالبندر إلاّ النّزر اليسير، ولحقهم التعب من ذلك فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم.

وفيه، انتهت زراعة الذرة والدخن وغيرهما في جميع البلدان وصلحت، ولمّا قام الزّرع على سُوقه واستوى بخضرة عظيمة وثمرة تامة جاء الجراد الطيّار فأكل بعضه ثمّ وضع ذريته بالأرض وبَعْد اثنا عشر يوماً من ذلك انبعث من ذريته ما غطا وجه الأرض وعمّ أرجائه حتى لم تترك موضعاً إلاّ أتت عليه فأكلت جميع المزارع أكلاً ذريعاً واستأصلت الشجر والثمر. ولقد صَدّق عليها المثل الذي ضربه الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز لزوال الدنيا بأسرها بقوله: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ

بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١). وقد روى لنا الثقات ممن وصل من الجهتين الشامية واليمانية من حدود المدينة المنورة إلى حدود عدن أنهم ما نزلوا منزلاً في طريقهم إلا وجدوه مجللاً للأرض قد أكل مزارعها. ثم لما وفد الحجاج من بلاد الشام كبيت المقدس وما والاها إلى مكة المكرمة، لقيهم بعض الثقات ممن حج من أهل اليمن فأخبره أن الجراد ملأ بلاد الشام وأكل الثمار والأشجار، وهذه آية عظيمة لم يعهد مثلها نسأل الله السلامة. ثم بعد أن أكلها طار فوضع الله بركة في شجر الدّخن وقد كاد يذهب بالكلية فاخضرّ وعاد بثمرة استغاث بها النّاس فالحمد لله على كل حال.

وفي يوم الخميس الخامس والعشرين منه، من ذي الحجّة الحرام، توفي السيّد الصّالح محمّد الأهدل وقد سبق مترجماً في الجزء الأول، ورثيته يوم موته بهذه القصيدة:

ضني الجسم من فقدِ الأحبة ذاويا وفاضت دموع المقلتين جواريا
جفى مقلتي طيب المنام لفقدهم فلا العيش صاف بل ولا القلب ساليا
لقد جدّ ركب الصالحين مسارعاً فما لكَ عن تلك الطريق وانيا
تنبّه لأمرٍ قد تعاظم موقعاً فَعمّا قريب تنزل القبر خاليا
وسابق لج السّابقين إلى العلا لتسكن في الأخرى جناناً عواليا
فمنهم عماد الدين يحيى أخو التُقى من قام بالقرآن في اللّيل تاليا
أتاه النّدا من باري الخلق سرعة إلى جنّة الفردوس لبّى المناديا
حميد المساعي ذو صفات عليّة اذاقا بالطّاعات لله ساعيا
إذا جنّه الليل البهيم ترى له أتينا بمحراب التهجّد باكيا
كريم السّجايا دائم الذكر لم يزل منيباً إلى المولى إذا اللّيل ساجيا
له همةٌ ما نالها غير نفسه إلى طاعة الرّحمن بادٍ وخافيا
سليل أولي العرفان من خير معشرٍ سَمَوا في سماء المجد أسنَى المراقيا
مقدمهم قطب الوجود محمد رفيع الذّرى فوق السّماكين عاليا
إذا رمت اعراباً لنعت كماله فليس له والله في الخلق ثانيا
فصبراً بني الزّهراء على أعظم حادثٍ تنالوا له أجراً من الله وافيا
وصبراً على مُرّ القضاء وحلوه فعمّا قريب يبق ما مرّ حاليا
ولا تجزعوا ممّا جرى ففقيدكم إلى جنّة الفردوس قد بات ساريا
فأنتم سرات النّاس من خير معشرٍ وفضلكم في الكون قد صار ساريا

---

(١) سورة يونس، الآية: (٢٤).

فيا أيها الأشراف من سادة الملاء
لأنتم حقيقٌ بالذي قيل ماضيا

نجوم سماء كلما انقض كوكب
بدا كوكبٌ في الأرض يحكي السّماويا

وصلّى على طه المشفع في الورَى
وسلّم سلاماً دائماً متواليا

مع الآل والصّحب الكرام وتابع
ومن قام للدّين الحنفيّ داعيا

وفيه جاءت البشائر بأنه وقعت النّصرة للدّولة العثمانية ومَنْ عاضدهم من أهل البلاد التعزيّة في الحُجرية وغيرهم[1] على الإنجليز بعد أن نزلوا إلى البرّ من البوابير بعِدّة وعَدَدَ من المدافع وغيره، وقد كادوا يستولون على باب المندب والشيخ سعيد فهزموهم وقتلوا منهم الجمّ الغفير، فركب من بقي منهم إلى البوابير وتركوا أموالاً وأسلحة صارت غنيمة للمسلمين. ثم لمّا انهزموا جاء بابوراً من بوابيرهم فأرسَى بجانب بندر الحديدة وطلبوا من كان منهم مقيماً بالبندر لِيَطلَع إلى البابور لقصدهم فك الحرب على البندر بعد طلوع رعيتهم إلى البابور، فمنعهم الوالي به عن الطلوع لقصد الفتك بهم إذا وقع الحرب من البابور، وحينئذ استعدّت الدّولة لحربهم ونَصَبت المدافع على البابور وأرسلوا من كان بالحديدة من الإنجليز إلى بَاجِل، ثم لم يقع حرب بعد.

أحداث عام ١٣٣٣هـ:

وفي غرة شهر محرّم الحرام عام ثلاثة وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف جاءت الأخبار المُبشِّرة بأن الدّولة العثمانية استولت على جانب من قرى مصر الخارجة وهو تحت إستيلاء الإنجليز، فحينئذ توجهت جميع بوابيرهم التي باليمن إلى الدِّيار المصرية للنصر فكفى الله أهل اليمن شرّهم، ولكنهم ضربوا الحصار على اليمن ومنعوا البوابير التي تجلب البضائع إليه من الغرب والبُعْد، وقَطَعوا التلغراف الّذي للدّولة في البحر المتّصل بممالكهم، فبذلك استدام الغلاء في اليمن وارتفعت أسعار جميع المأكولات والملبوسات وغيرها.

وفي ليلة الثلاثاء، الرابع عشر منه، توفى السيّد الصّالح إسماعيل بن عبد الله الوشلي بمدينة الزّبدية وبها دُفن.

وفيه، توفي الشيخ محمّد بن عبد الله قوزي.

وفيه، جاءت الأخبار على ألْسِنة الثقات من حجاج بيت الله الحرام بأن بابوراً من بوابير الإنجليز وصلَ إلى مَرْسَى جِدّه ونشر راية سلطانية، يريد بذلك خدع المسلمين

(١) الحِجَرِيّة: بخفض الحاء وفتح الجيم. وطن كبير جنوب مدنية تعز، كان يعرف قديماً باسم المَعَافِر.

فرآه صاحب سنبوق من أهل جدة فوصل إليه - ظاناً أنه من بوابير الدولة العثمانية - فربطه في البابور، فقبضوا عليه وكلّفوه أن يُعرِّفهم الطرق الموصلة إلى جدة في البحر لأنها عَسِرة لا يمشيها إلاّ الخبير بها لأنها محفوفة بالجبال، فلم يساعدهم صاحب السّنبوق فنزلوا في سنبوق صغير لهم ليلاً إلى جُدة فدخلوا عند أناس منهم قاطنين بها، فعلمت بهم الدّولة فوصل جانب من العسكر إلى المحل الذي فيه الإنجليز وأحاطوا بهم من كل جانب ثم دخلوا عليهم وأوجعوهم ضرباً وكلفوهم تخلية سبيل السنبوق وصاحبه الموثوق عندهم، فأرسلوا أحدهم إلى البابور فأطلقه، ولمّا رجع إلى جده أطلقتهم الدّولة وحبسوا القاطنين بها بعد أن أوجعوهم ضرباً. ولمّا وصل الذّين أُطلقوا إلى البابور كان هناك بابور من بوابير العلمان فوجّه الرّمي على بابور الإنجليز بالمدافع حتى أغرقتهم بما فيه من الأموال والرجال.

وفي سَحَر ليلة الإثنين، الحادي والعشرين منه، توفي السيّد الصّالح محمّد بن أبـي القاسم بن محمد الأهدل بالمنيرة وبها دُفن، وكان موته بمرض الجدري. وقد كَثُرت الأمراض وتنوّعت كمرض الصّفراء والجدري وغير ذلك وكَثُر فيه الموت.

وفي ليلة الأربعاء، الثاني والعشرين، توفي السيّد الصّالح يعقوب بن قاسم طويل من السّادة المهادلة ودفن بدير الطويل.

وفي وقت السحَر من ليلة السبت، الخامس والعشرين منه، توفي السيّد الصّالح أبو الغيث بن محمّد بن يحيـى الأهدل بالمنيرة ودُفن بها، وقد مضَى مُتَرجماً، ورثيته يوم موته بهذه القصيدة:

دمـوع عيـون القلـب جـاءت بهـا دمـاً ... كواكف مزن قد حكى اللون عندما
وشـرخ شبـاب قـد تـولّـى تحـزّنـاً ... وهـدت لـه الأركـان مـزجـات طمـا
حوادث لو صبّت على السّم دكدكة ... وذابـت لمـا تلقـى ضنـاً وتـألّمـا
فكيـف بـأجسـام ضعـاف تنظـرت ... لهـنّ قلـوب حسـرةً وتنـدّمـا
على فقد أركان البسيطة في الورى ... ضياء البراهين إن دجى الجهل أظلما
أجـلّ بنـي الـزّهـراء قـدراً ورفعـة ... كـواكـف فضـل فـاخـرت أنجـم السّمـا
فمنهم ضياء الدّين بدر أولي الهدى ... أبو الغيث نجل القطب من للعُلا سَمَا
نشـأ نَشْـأةً فـي عنفـوان شبـابـه ... تقيـاً نقيـاً طـاهـر الـرّدن مـذ نَمـا
صنوف المعالي قد حواها وحازها ... وبـالمجـد والفضـل ارتـدَى وتعمّمـا
عكوفاً على الطاعات في كل حالة ... وفيمـا بـه يـرضـى الإلـه تيمّمـا
وفـاز مـن العلـم المصـور بجـانـبٍ ... عظيـم فـأضحَـى فـي الأنـام مكـرّمـا
تحلّـى بـأخـلاق كـرام لطيفـة ... طليـق المحيّـا إن لقيـك تبسّمـا

دعـاه إلـى دار الكـرامـة ربـه ... فلبّى سـريعـاً نحـوهـا متقـدّمـا
حكى كوكب الأسحار في قرب سيره ... مضيئـاً ولكـن لـلأفـول تقـدّمـا
تلقـاه خـزان الجنـان مبشـراً ... بمثـواه فـي العليـا فـأمسـى منعّما
فـآواه مـن دهـر رمـانـا بفقـده ... فـذلـك رزءاً للبـريّـة أفحمـا
فلـو كـان فـي الـدّنيـا لحي تخلـد ... لكـان رسـول الله بـالخلـد أكـرمـا
ولكـن لنـا فيـه تسـل وأسـوة ... بنـص كتـاب الله قـد جـاء مُحكمـا
فَصَبِّـر أَبنـاهُ ربٌ واحـرس جنـابـة ... أطـل عمـره حتـى يـرى الغـاب منعمـا
بـأخـوان مـن كـل شهـم غضنفـر ... ليلحـق أحفـاداً بـالأجـداد فـي الحمـى
وأزكـى صـلاة الله فـي كـل لمحـة ... على مـنِ بأعلا العـرش أمسَى مكلّما
فصلِ عليه يمضي بالقرب والرضَى ... مـع الآل والصّحـب الكـرام مُسَلّمـا

وفي ليلة الإثنين السابع والعشرين منه، توفي السيّد الصّالح علي بن عبده بن حسين بمدينة الزّيدية ودُفن بها.

وفي يوم الرّبوع، التاسع والعشرين منه، توفي السيّد الصّالح محمد بن أحمد طعّان الأهدل والسيد الصّالح علي بن قاسم مخنجف بالمنيرة وبها دفنا، والسيد الصّالح حسن بن إبراهيم قبع بالمعروفية وبها دفن.

وفي يوم الجمعة الثاني من صفر توفي السيّد الصّالح محمّد بن عقيل أبو سريّن بِدَير الفحيْل من بلد البعجية، وقَبْلَهُ بيوم توفي ولده عقيل بن محمد.

وفي ليلة الثلاثاء، السادس منه، توفي السيّد الصّالح عبده بن أحمد خارفي بالزّيدية ودُفن بها.

وفي يوم الأحد، الخامس والعشرين منه، توفي السيّد الصّالح علي بن إبراهيم مؤذن بدير المؤذن، ودفن بالمنيرة بوصية منه.

وفيه توفي السيّد العلاّمة حيدر بن هاشم تقي، من عشيرتنا المقيمين بقرية الجِرب من بلد الواعظات، وبها دُفن.

وفي غرة شهر ربيع الأول غزا الشيخ إبراهيم قوزي قرية دوغان وقت صلاة الصّبح، مستعيناً بصليل والمقاعشة والعطاوية، فنهبوا أهلها وأموالهم وقتلوا منهم الشيخ علي بن عيسى كلفود وعبداً من عبيده وشخصاً من بني عويدان، واستاقوا ستين رأساً من البقر وأغناماً كثيرة. ومنشأ الفتنة أنّ بني عويدان ـ وهم بني الكلفود يد واحدة ـ أخذوا خمساً من الجِمال بأحمالها لبني قيس لسابق طلب لبني عويدان عندهم، فأرسل إليهم الشيخ يَردُّون الجمال فَمَنعوا، فغزاهم فعمّت الفتنة بني الكلفود لضغائن متقدمة بينهم وبين المقاعشة والعطاوية.

وفيه، توفي الشريف الصّالح الأديب علي بن صالح الجوفي بمدينة الزّهراء، ودُفن بها، وقد سبق مترجماً في الجزء الثاني من هذا التأريخ.

وفي ليلة الجمعة، الحادي والعشرين منه، توفي السيّد الصّالح محمد بن مقبول مكيتل بمدينة الزّيدية ودُفن بها.

وفيه توفي القاضي إسماعيل بن أحمد البهكلي بمدينة بيت الفقيه بن عُجيل وبها دفن.

وفي يوم السبت، الثاني والعشرين منه، توفي السيّد الصّالح أحمد بن علي مكعدل الملقب حاج بدير القحم من بلد المهادلة، وبها دُفن.

وفي هذا اليوم - بهذا التاريخ عَدَتْ بعض قبيلة صلُيل على السادة المقاوزة أهل قرية المريقي، فقتلوا منهم شخصين ونهبوا أموالهم.

وفي يوم الخميس، العشرين منه، توفي السيّد العلاّمة محمد بن عبد الباري بن أحمد الأهدل بالمراوعة ودُفن بها.

وفي يوم الأربعاء، التاسع عشر، توفي السيّد الصّالح إبراهيم بن علي حرد الأهدل والسيّد الصّالح أمحمد بن محمد حرد بقريتهم[1] وبها دُفنا.

وفي يوم السبت التاسع والعشرين منه، توفي السيّد الصّالح حسن بن محمد بن يحيى الأهدل بالمنيرة ودُفن بها.

وفي يوم السّبت، سادس ربيع الثاني، عَدَتْ جماعة من صلُيل يُسمّون بني الأقعد على بني الشلب فأخذوا أغنامهم وقتلوا شخصاً وجرحوا آخر.

وفيه قَطع السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي رؤوس ثلاثة أشخاص قصاصاً، وأيدي أربعة عشر نفراً آخراً، وذلك ببندر جازان.

وفيه أخذت الدّولة العثمانية سَاعِيَةً لبعض تُجّار عدن المُسلمين الكائنين تحت حماية الإنجليز، فيها نقود وبضائع من البَزّ والجلود بما يبلغ قيمة ثلاثة ألف ريال، مكافأة لما قد سلف من الإنجليز بإحراق السّاعية التي لبعض تجّار أهل اللحيّة في مَرسَى بندر الحديدة وذلك في سادس شهر ذي الحجة الحرام من العام السابق قبل هذا العام.

وفيه جاءت الأخبار بأن الدولة العثمانية استنقذت بعض قرى مصر الخارجة عنها من أيدي الإنجليز بعد وقوع حروب عظيمة بينهم، وكان قد عضد الدولة فرقتان من

---

(١) قريتهم هي: : دَيْر الحرد، من قرى مديرية القناوص.

الفِرَق الكُفرية همـا العلمان واستوربـ، إن الله ليؤيد هذا الدين بالرّجل الفاجر.

وفي يوم الإثنين، الثامن منه، توفي السيّد الصّالح إبراهيم بن محمّد بن يحيى الأهدل بالمنيرة ودُفن بها.

وفي هذه المدّة انخزلت طائفة من قبيلة صلّيل يُسمَّون بني كشارب واجتمعوا في دير الحرازي ـ قرية شرقي مدينة الزّبيدية بنحو ساعة ـ فعاثوا في البلاد بالتهجّم على القُرَى بالنهب والقتل وأخافوا الطريق، والباعث لهم على هذا هو ما وقع بينهم وبين الشيخ إبراهيم بن عبد الله قوزي من الخلاف فأغار على بعض بلادهم وقتلَ ونهب، فكان سبباً لما جرى منهم. ثم إن السيّد العلاّمة الأجل محمّد بن يحيى طلب القبيلتين إلى محلة بالمنيرة ليسعَى بينهم بصلاح شأنهم واتفاق كلمتهم، فاجتمع عنده ـ منهم ـ جَمْع ينيف على ثلاثمائة نفر، فمكثوا لديه ثلاثة أيام يضيفهم بأنواع الضيافات والإكرام ابتغاء وجه الله، وفي خلال ذلك أصلح بينهم فزالت الضغائن التي بينهم وأمِنَت البلاد والعباد فجزاه الله خيراً.

وفي شهر جمادي الأولى المُسَمَّى عذار الربيع تفضل الله ـ وله الحمد ـ بنزول أمطار عظيمة عامة نافعة إن شاء الله تعالى، جادت ثلاثة أيام متوالية بلياليها، تخللت منها أكثر بيوت الحجر، وعَمّت التهائم والجبال من اليمن والشام، وما وصل أحد من جهةٍ إلا حَدّث بالمطر الغزير. وسالت جميع الأودية الكبار كوادي زَبيد وسِهَام وسُرْدُد ومَوْر وغيرها من الشعوب الكبار والصغار وجاءت بسيل عظيم لم يعهد مثله وصل بعضه إلى البحر بعد سقي أكثر أراضيه التي بالوادي والضّاحي من الخبت الأسفل ووادي مَوْر، ومرّ على بعض القرى فأخذ بيوتها وبعض أهلها فغرق بذلك نحو ثمانية عشر رجلاً من تهامة والجبل، ونزل السّيل بأنواع الفواكه الجبالية ودَوَاب لا تحصى وأسلحة ومصاغ فضة وغير ذلك.

وفي شهر ربيع الثاني، توفي الشريفان الصّالحان يحيى بن الحسن بن علي بن حيدر ويحيى بن علي بن محمّد بن علي بن حيدر بقرية المعترض ودُفنا بها.

وفي شهر جمادي الأولى، توفي السيّد الصّالح محمد بن محمد هميس والسيد قاسم بن أحمد جبال والسيّد العلاّمة حسن بن عبد القادر القُديمي بجبل بُرَع، والفقيه العلاّمة علي مكّي بالمراوعة، والسيّد الصّالح حسين بن محمد الرفاعي بمدينة حرض.

وفي يوم الإثنين، الخامس منه، توفي السيّد الصّالح محمّد بن المسَاوَى حرد بقريتهم، وبها دُفن.

وفيه خرج عبدة بن أحمد هَيْج خفية من حَبْس السيّد محمد بن علي الإدريسي

بصَبْيَا بعد مواطأة بينه وبين السَجّانين وبذل لهم مالاً جزيلاً على تخليصه، وذلك بعد أن أُودع في السجن نحو خمس سنين فخرج منه مختفياً مقيداً إلى مرسَى القوز، ثم ركب مقيداً في رجليه إلى بندر اللّحية ولمّا وصل إليه فك القيد من رجله ومنه سار إلى بيته والسّجان معه. ثم ان السيد الإدريسي عاقب من له يد في ذلك.

وفي ليلة الخميس، التاسع منه، أصبح شخص من المَزاينة قتيلاً في مرقده في دَيْر المهدلي، قتله أحد أهل القرية خطأ.

وفي يوم الجمعة، العاشر منه، وقعت فتنة بين قبيلة الزّعلية وصلّيل فقُتِل من كل قبيلة شخص.

وفي ليلة الإثنين، الثالث عشر منه، وصل إبراهيم بن محمّد قوزي وأخويه إلى دير أبو ريش وذلك بعد أن عفى وَرَثَة عبد الله بن إبراهيم قوزي عن إبراهيم بن محمّد لكونه قاتل أبيه في شهر رمضان، وقد سبق ذِكر ذلك، فوصلوا آمنين إلى القرية المذكورة اعتماداً على العفو الصادر منهم، فقام لهم أهل القرية وورثة القتيل المذكور وحوَّزوهم، فخرجوا من القرية فتبعوهم فاقتتلوا فقُتِل واحد من أخويه المذكورين.

وفيه وقعت فتنة بين شخصين أحدهما من بني الشعلي والآخر من القشاشة، فَقَتل كلٌ منهما صاحبه.

وفي ليلة الثلاثاء، الثالث عشر من جمادى الثانية، توفي الرّجلان الصّالحان أحمد بن محمد الصايغ ومحمد بن يحيى الصايغ بمدينة الزّيدية وبها دُفنا.

وفي يوم الثلاثاء، الخامس من شهر رجب الحرام، توفي السيّد العلاّمة عبد الرحمٰن بن محمد طاهر الأهدل بالمراوعة ودُفن بها.

وفي يوم السبت، السادس عشر منه، عَدَتْ قبيلة الجرابح على قبيلة الحشابرة فَقَتلت منهم أحمد دحيب.

وفيه عَدَتْ قبيلة المحامدة على قبيلة العطاوية، فنهبوا منهم بقراً وغنماً، وقُتل من المحامدة رجلان.

وفي يوم الأحد، الخامس عشر منه، هجمت بعض قبيلة صليل بالفتنة على المنيرة، والحال أنها محل معتقدهم وسكنَى هجرتهم، ومَنْشأ الفتنة أنّه وقعت مخالفة بين محمّد بن محمّد وَلَد ـ بفتح الواو وسكون اللام آخره دال مهملة ـ من السّادة الساكنين بالمنيرة وبين بني عمه، فخرج بني عمه إلى مدينة الزّيدية مغاضبين له، فكان يعدو عليهم بالزّيدية ويعدون عليه بالمنيرة بالنهب والرمي من الطرفين فأصيبت

مهرة لمحمد بن محمد وَلَد برميه فتنتهم. فحاول السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل الإصلاح بينهم فلم يرضى محمد وَلَد لأمور في نفسه وضغائن للسيّد ظهرت بعد، فلم يزل يثير أسباب الفتنة بنهب أهل السوق والتغلب والإهانة لهم بالقول والفعل والترصّد بجانب بيته لمن مرّ في الطريق من أهل الزّيدية إغاضةً لهم لكون بني عمه المذكورين عندهم، فاستعمل السيّد الصّبر الكثير معه، وأكثَرت أهل الزّيدية الشكاية منه على الدّولة وعلى السيّد، وكلما وقع منه أمر مخالف خاطبه مناصحاً له ليترك الفساد ويكفّ أذيته عن النّاس فما التَفَت إلى ذلك وأرعوَى بل زاد عتوًا وفساداً وعناداً، والسيد - عافاه الله - صابراً لا عجزاً في أخذه إذ لم يكن له قوّة ولا عشيرة تمنعه ولكنه يحاول دفع أذيته بالتي هي أحسن على جميل عادته التي عَامَل بها الناس من حُسن الصّبر التي عاقبته محمودة، ولله درّ القائل:

بمكـارم الأخــلاق كــن متخلقـــاً ... ليفـوح عـرف ثنـائـك العطـر الشّـذى
وانفــع صــديقــك إن أردت وداده ... وادفــع عــدوك بــالّتــي فــإذا الــذي

ثم إنّ الدولة ما زالت تخاطب محمد وَلَد بالوصول إليهم لإجراء الحق بينه وبين بني عمّه وبين المنهوبين الّذين قد نَهبهم، فلم يرضَى الوصول، فَطَلبت شيخ صليل السيّد علي بن أبكر مكعدل وأمروه بإمساك محمد وَلَد وإيصاله إليهم مجبوراً، فوصل إليه وأمسكه بعد وقوع الرّمي من الطرفين بالبنادق فسلّم الله. ثم لمّا أراد الشيخ التّوجه به إلى الدّولة خلصه منه بعض النّاس بحيلةٍ، فانقلب وخرج إلى بعض قبائل صليل وهم بنو حمزة وبنو المطري وبنو الحرازي فتقوّى بهم وعضدوه على الباطل والفساد، فكان يغزو بهم ليلاً إلى المنيرة فيتهجّمون على بعض أهلها بنهب البضايع قهراً. ثم إنّ بعض القبائل المذكورين وصل في أثناء ذلك في صورة يظهر منها السّعي بالصّلاح ومناصحة محمد وَلَد ليرجع عمّا هو عليه، والأمر بخلاف ذلك بدليل أنّهم وصلوا بجماعة مستعدين للقتال فاختفوا في بعض بيوت المنيرة ولم يشعر السيّد أن وصولهم لهذا، فجال معهم بالمشاورة وفيما يكون سبباً للإصلاح بين محمد وَلَد وبني عمّه المخالفين بالزيدية، فأجابوه بكلام خشن يُشَمّ منه تواطؤهم على إثارة الفتنة في نفس المنيرة وقَتْل من قاتل منهم. ولمّا فهم السيّد منهم ذلك غضب فَبَدرت منه كلمة بأن مَنْ قَصَدَ الفتنة والأذيّة للمسلمين إن الله يُشَتِّت شمله، فأظهروا له رضاهم بذلك وخرجوا من عنده على هذا قاصدين إلى سوق المنيرة يطلبون من أهله ما يكفيهم للغداء في ذلك اليوم بطريق التغلب، فَصَادَف ذلك وأهل السّوق في غاية من الغيظ والغضب من سوء سيرتهم معهم فلم يساعدوهم على ذلك، فحينئذٍ أَمَر محمد وَلَد من عنده منهم بإثارة الحرب على السيد وأهل المنيرة وذلك وقت ارتفاع النّهار من يوم الأحد السّابع عشر من هذا الشّهر، فوجّهوا الرّمي أولاً إلى منازل

السيد، فكانت سلامة من بالمنازل كَرامةً ظاهرةً، وكان وقتئذٍ بالمنيرة جَمْع كثير من الغرباء من كل بلد لقصد التَّعَيُّش، فقام لهم أهل المنيرة بالمدافعة وعضدهم الغرباء المذكورون وقابلوهم بالحرب، فلم يثبتوا لذلك بل خرجوا هاربين وما كان ظنهم أن سيقاتلوهم بالحرب، وما زال البندق ثايراً من الجانبين حتى أوصلوهم إلى بلد الحشابرة، وحَقَّق الله دعوة السيّد فيهم بوقتها من دون مهلة فتشتت شملهم وتفرّقوا هاربين في كل جهة.

إنّ الهَــوى لهـــم الهـــوان بعينـــه وصـريـع كـلّ هـوى صـريـع هـوان

فَقُتِل محمد وَلَد ـ الّذي تولّى كِبَر الفتنة ـ وثلاثة أشخاص غيره وجُرح إثنان، وقُتِل من أهل المنيرة شخص واحد وهو غريب جبلي جارٌ لهم وجُرح آخر. فحينئذ قام الشيخ علي بن أبكر مكعدل ـ وساير قبيلة صليل على المذكورين الذين قاموا بالفتنة على المنيرة ـ فأحرقوا ديارهم ونهبوا أموالهم، غيرةً علىٰ المُنيرة لكونها محلّ معتقدهم ومَنْصِبهم ولم تُقصَد بمثل هذا مِنْ قديم الزّمان بل مَا يَصِلُون إليها إلاّ لقصد إصلاح ذات البين أو طلب لِشَفَاعةٍ والدّعوات الخيرية، فمن وصل إليها منهم وإن كان مُسيئاً نَجَا، ومن التجأ إليها خائفاً أَمِنَ ممن حضر أو بَدَا، فهي حَرَمٌ يأمن به الخائف وينجو بِحَرَمه اللائذ به والطائف. وما زال ذلك صفةً لازمة لها من قديم الزّمان، آمنةً من الخوف وطروق الحدثان إلى أن قصدها هؤلاء الطغام بالسوء فدارت عليهم ـ بحمد الله ـ دائرة السّوء. وبسبب ذلك أوحشت منها الأرجاء وأخذ أهلها حذرهم ممن راحِ أو جاء، ولكنها ازدادت بذلك حُسناً وفخراً وارتفعت على السّماكين ذِكراً وَقَدراً، وما يزداد جوهر النضار إلاّ حسناً ورونقاً إذا ادخل النّار.

لـو يَمَسُّنِـي النّضـا هـون مـن النّـار لمـــا اختيـــر للنضّـــار الصـــلاء

وللمتنبي أبـي الطّيب في مثل هذا قوله، ولله دره:

قصـــدوا هَـــدْم ســـورهِ فبنـــوهُ وأتـــوا كـــي يقصّـــروه فَطَـــالاَ
واستجـرّوا مكـايـد الحـرب حتـى تـركـوهـا لهـم عليهـم وبَـالاَ

وعقب ذلك قام السيّد الصّالح جيلان بن أحمد عابد مُجِداً في إصلاح ذات البين، جزاه الله خيراً، فَجَمع بني حمزة والحرازي والمعطَري ومعهم السّادة بنو الوَلَد ووصل بهم إلى السيّد العلامة محمد بن يحيـى الأهدل بالمنيرة لقصد العفو عنهم، فَقَبِل السيّد منهم وعَفَى عنهم وجَرَى العفو من الطرفين، فطابت الأنفس وَصَفت من الضغائن ورَجَعت المنيرة ـ بحمد الله ـ على عادتها القديمة آمنةً مطمئنة. ومما قلته في هذه القضية حاكياً لِمَا جرى هذه القصيدة على لسان سيدي المالك السيّد العلاّمة محمد بن يحيـى الأهدل:

تمالا قومٌ ينتمون إلى العرب … بما يُغضب الرّحمن من أعظم الخطب
تسمّوا باسم العرب لكن فعلهم … يخالف هذا الاسم بالقتل والنهب
بمحفل سادات الورَى وإمامهم … ومنصبهم بدر الهُدى أوحد النّجب
إذا صار هذا الوصف فيهم فإنّهم … خليون عمّا تقتضي مسمة العرب
وحينئذٍ فالعُجم أفضل منهم … ولا سيما من صاحب القوم بالجنب
فمنهم ذوو الطُغيان والمكر والرّدى … بنو حمزة ثم الحَرازي أولوا النكب
كذا المَطَري من خان للعهد نابذاً … وراء ظهره بل لا يخاف من الرّب
فمن بغيهم قد جاوزوا الحد بل رموا … لآل رسول الله بالحقد والنّصب
فَقُلْ لهم خوفاً مقالة مشفقٍ … عليهم ولا تخشَى من اللّوم والعتبِ
عَلامَ هتككم حُرمَة البلد الذي … شواهده بالأمن عن حالة تُنبي
عَلامَ تواطأتم على هتك محفل … امان بأمن الله في السِّلم والحرب
عَلامَ تجارأتم على نهب بلدة … على بطرٍ يَا مَنْ أصرّوا على الخطب
وسفك الدّماء فيها فيا ويل مَنْ بَغَى … ويا ويل من ناوي على البُعد والقرب
أمَا عَلِموا أن المُنيرة أُسّست … قواعدها بالأمن من سالف الحُقبِ
أمَا عَلِموا أنّ المُسيء إذا جَنَى … وجاءَ مُستجيراً، يُعْفَ عنه من الذّنبِ
أمَا عَلِموا أنّ الجريء إذا أتَى … إليها بسوء، باء بالخِزي والعَطَبِ
أليس إذا ما جانها الزّور زائراً … يُلاقي من الإكرام في المَنزل الرّحب
بَلى إنما الأعراب غُلفٌ قلوبهم … لِئامٌ طِغَامٌ في الطِباع كما الذئبِ
فذا الصخرة السّوداء هل أنت حاضر … ترى الثعلب الرّواغ يركض كالضّب
فَعارٌ وما قولي بعارٍ عن الخنا … ولكنني أُغضِبت مِنْ شدة الخطبِ
فقوموا سريعاً بالإغارة وادركوا … غريقاً ببحر النائبات على القرب
فمالي على حمل النوائب قدرة … ونصرتي العُظمى بكم في الورى حسبي
فإن لكم والله قرباً وَرِفعةً … وجَاهاً عظيماً لا يكيّف في اللّب
فما شئتموا شاء المُهيمن وارتضَى … بنصّ كتاب الله في أفضل الكُتُبِ
ولست بأهلى أن أقول تأسّياً … إلى مدحك الأسمى توجّه بي ركبي
وصلي على طه المشفع في الورى … محمد المرسول للعجم والعربِ
مع الآل والأصحاب ما ذر كوكب … وجاء بغيث للورى عارٍ من السُحُبِ

انتهى القصيدة.

وفي يوم الجمعة، الثاني والعشرين منه، توفي الفقيه الفاضل عبد القادر بن أحمد بن عمر يعني، بالضّحي وبها دُفن.

وفي يوم الثلاثاء، السادس والعشرين منه، هجم بابُور للانجليز على بندر اللُحية فأطلق الرّمى بالمدفع على البندر أحرقوا بعض بيوته من جانب اليمن، فقابلتهم الدّولة العثمانية بالرّمي بالمدفع أيضاً من الجبل فأصيب البابور وكُسرت بعض آلاته وقُتِل بعض من فيه، فخرج بسبب ذلك أكثر أهل البندر فارّين إلى البوادي.

وفي يوم الأربعاء، السّابع والعشرين منه، وصل الإنجليز إلى جزيرة كمران فدخلوها بسلام من غير حرب واستولوا عليها وأنزلوا بها نحو ألف من عسكرهم، ونصبوا مدفعين على الجبل الشامي ومدفعين على الجبل اليماني، وأخذوا أرباب الدّولة الّذين بِكَمَران، وبعض أهلها نحو سبعة عشر نفراً وأركبوهم البابور بحُكم الأسْر إلى عدن، فأمّا أرباب الدّولة فَسَفّروهم إلى ميدي وأمّا أهلِ كَمَران فسيأتي إن شاء الله تعالى أنهم أُطلقوا في شهر ذي الحجّة من هذا العام، ثم رَتّبوا الجزيرة من كل جانب بالعِدّة والعدد، واستولوا على أموال جزيلة للدولة العثمانية في جزيرة كَمران، وأخذوا المدافع الموجودة بها وشيئاً كثيراً من آلات المدافع، فاسأل الله الكريم أن ينصر الإسلام وأهله ويُبيد الكُفر وأهله.

وفي شهر شعبان بَلَغت الأخبار بأن الدّولة العثمانية استولت على مَيون[1]، وهي بلدة بقرب عدن تحت حكم الإنجليز.

وفيه وصل بابور من بوابير الطليان إلى مرسى بندر الحديدة فأَخَذ القنصل من البندر وأركبه البابور، والقنصل اسم لرئيسهم، ثم توجّه به إلى محل مملكتهم. وقد كان الطليان ـ قبل هذا ـ مُتّفق الكلمة مع الدّولة العثمانية بمعارضته لهم ثم ترك ذلك لضغائنٍ بينهم لم تَظْهَر وصارت كلمته مع الإنجليز واحدة، وقصده بذلك إثارة الحربُ على الدّولة العثمانية. ولمّا وصل القنصل إلى بلده وتهيأ للحرب قامت له طائفة كُفرية تُسمّى النّمسا معاضدة للدولة العثمانية بالحرب، فتحاربوا وكانت الغَلَبة للنمسا فأهلكت جبخانة الطليان وهي بأموال جسيمة حسبما بلغ أن طولها ثلاثون ميلاً، فيقال إنه ارتفعت طيّارة في الهواء للنمسا ولمّا حاذت الجبْخانة ألْقَت إليها قلة تشتعل ناراً فَهَلكت وأهلكت كثيراً من قوم الطليان.

وفيه وصل السيّد محمد بن علي الإدريسي إلى مَرسَى ميدي وذلك ليلة الخميس ـ الخامس منه ـ من طريق البحر من جازان، ووقت وصوله ضُربت له المدافع من

(١) مَيون: جزيرة تفصل باب المندب إلى قسمين: شرقي وعرضه نحو ثلاثة كيلومترات، وغربي عرضه (٢١) كيلومتراً. والسفن تستعمل المضيق الشرقي لأن الغربي تقع فيه مجموعة صخور بركانية تُسمّى الأخوات السبع. وقد يُطلق على الجزيرة اسم: بريم.

المركب الّذي وصل فيه، وضربت أيضاً من ميْدي فاستقرّ به ثم جهّز جيوشه لقتال عسكر الدّولة العثمانية الذين ببندر اللُّحية والواعظات فأحضر جيشه بمحل يُسمّى بحيص بقية شهر شعبان، ثم في غرة شهر رمضان تحركت جيوشه لقتال الترك الذين بالواعظات كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وفيه تهيأت جيوش متكاثرة من عسكر الدّولة العثمانية وعضدهم جمع كثير من قبائل الجهات التعِزية ومن قوم الإمام السيّد يحيى بن محمد بن حميد الدّين - إمام شهارة - وذلك لقصد إثارة الحرب على من بِعَدَن من الإنجليز واستنقاذها من أيديهم لكونهم قد استولوا عليها من أزمان متقادمة، ووقت رَقْم هذا وقد زحفت الجيوش ووصلت إلى لَحج وقُتل سلطانها وجماعة من أولاده وعشيرته ونُهِبت لهم أموال جزيلة ثم أخرجوا منها مَنْ بقي منهم إلى عدن، وزحف الجيش إلى إنْ دَخَلَ إلى الشيخ عثمان - مدينة بالقرب من عَدَنْ ومن أعْمَاله - ثم قهقروا منه إلى لَحج.

وفي يوم السبت، الرابع عشر منه، طلعت نار بالجانب الشرقي من بندر الحديدة أحرَقت ألف بيت وخمسمائة بيت.

وفي مساء هذا اليوم بعد صلاة العِشاء الآخرة، توفي الرّجل الصّالح ناصر بن النقيب محسن بالزبَيْدية ودُفن بها.

وفيه، توفي السيّد العلاّمة أحمد بن غالب القُديمي المُقيم ببيت الفقيه ابن عُجَيْل وبه دُفن، وقد مضى مُتَرجماً عند ذِكر عشيرته القُديميين.

وفي يوم السبت، الخامس من شهر رمضان، توفي الرّجل الصّالح يحيى بن عمر الحُشَيْبري.

وفيه قُتل الدّاشن محمد بن يوسف عبد، وجُرح ابنه، وذلك على يد بني الزّيلعي من قبيلة البَعجي[1]، وقُتِل قاتل الداشن وجُرِح آخر منهم، وكان ذلك بقرب قرية مَوْر وبها دُفن الداشن.

وفيه، ساقت الدّولة أربعة مدافع كبار إلى قرية الصّليف من الزيدية بعد وصولها من مَنَاخة، وذلك لتحصين الصليف خوفاً من هجوم الإنجليز الّذين قد استولوا على كَمَران.

وفي يوم الخميس، العاشر منه، انفتح الحرب بين جيش الإدريسي وبين قبائل الجامعي بمحل يُسمّى وادي عين، وجيش الإدريسي فيه كَثْرة عظيمةَ، وكلا الجانبين فيه من الأسلحة النارية كالمدافع والبنادق المختلفة الجنس شيء كثير، فاقتتلوا يوم

(١) البَعْجي: قبيلة تسكن وادي مَوْر من مديرية اللُّحيَة.

الخميس ويوم الجمعة فَقُتِل من قبائل الجامعي نحو اثني عشر قتيلاً وانهزموا، وبينما هم كذلك إذ أقبل الشيخ هادي بن أحمد هَيج - شيخ الواعظات - ومعه عدد كثير من قبيلته فتراجع المنهزمون واقتتلوا فانكشف الحرب عن قتلى من الجانبين ومجاريح، ثم إنَّ بعض من كان في جانب الشيخ هادي أخلف عليه كقبائل بني نَشر وحجور وأسلم والبَتَارية وقُطْبة وأعطوا الرهائن للسيّد الإدريسي، فقتحوا الحرب عليه وانحازوا إلى جبل طلاّن، وانحاز ولد الشيخ هادي وأخوه عبده هَيج بمن معهم من قبائل الواعظات والعساكر العثمانية إلى جبل الصَّوب وجرت بينهم حروب وقتلى. وقد كان السيّد الإدريسي - قبل هذا - قَدّم إلى الشيخ هادي وإلى جميع مشائخ الواعظات ووادي مَوْر مكاتبات تتضمّن النصائح في انتظامهم في سلك طاعته فلم يرضوا بذلك، فأنفَذ حينئذٍ إليهم جيوشاً متكاثرة مُلِئَت من حدود بني نَشر إلى الجامعي الأسفل، وأمَر قائد الجيش - وهو الشريف المقدام عبده بن حسين من أشراف الحسيني - أن لا يُحْدِث حرباً إلاّ أن يُحْدِثَهُ الآخرون فما شعر جيش السيّد الإدريسي إلاّ وقد غزاهم جيش السيّد هادي وقت صلاة الصبح يوم الجمعة العاشر من شهر رمضان وهم نيام، فما أيقظهم من النوم إلاّ وقوع الرّصاص منهم فقابلوهم بالحرب ووقعت قتلى من الجانبين.

وفي يوم الجمعة، الحادي عشر منه، أحْرَقت الإنجليز قرية الصّليف وأخربت بيوتها ومساجدها بالمدافع، وسبب ذلك أن بابوراً من بوابير الإنجليز يُسمّى القهوجي وصل إلى كَمَران ولمّا قرب منه رمته عسكر الدّولة العثمانية بالمدفع من الصّليف بقلة وقعت في البابور ولم تؤثر فيه شيئاً، فجاء بابور كبير للإنجليز غاية في القوة والسّعة فوجّه الرّمي على الصّليف فأحرق نحو النصف من بيوته. وجميع هذا وقع في يوم واحد، فخرج أهل الصليف هاربين بالأرواح فقط أسأل الله أن يدمر الكفر وأهله ويقطع دابرهم، وكان وصول بوابير الإنجليز متظافرة مع تباعدها لأن معهم السلك الهوائي، فعند انفتاح الحرب جرت المخابرة بأسرع من طرفة عين في البوابير.

وفي يوم الأحد، الثالث عشر منه، قُتل الرّجل الصّالح أحمد بن عبده بن أحمد باطويحنة - من سكان الزيدية - ظُلماً على يد العناقرة من قبيلة البعجي ودفن بقرية من قراهم تُسمّى . . .[1].

وفي يوم الثلاثاء، الخامس عشر منه، غزا شيخ الجامعي أحمد باشة بن محمد

---

(١) بياض بالأصل. وتشكل قرى البعجى مركزاً إدلوياً من مديرية اللحية، تضم من القرى: الزيلعية، دير يس، الرديني، دير الفحل، القصية، المرمة، بيت جحلة، الغيل.

هبّاش قريتين من قرى الجامعي[1] هما الرّصاص ومحل الباغي بطائفة من الأتراك وبعض العرب من قبيلته، فأحرقها بالمدفع بما فيها من الأموال الجسيمة كالحيوانات وغيرها، وقَتَل سبعة من الرجال واثني عشر امرأة، وذلك لأنه طلب منهم دفع الزكاة إلى الترك لكونه في جانبهم فامتنعوا من أدائها وطلبوا الإمهال إلى بعد عيد الفطر لينظروا من كانت له الغلبة على الآخر السيّد الإدريسي أو الترك: دفعوها إليه، فبادرهم بالحرب وكان ما كان.

وفيه استولى جيش الإدريسي على بيت الشيخ حسين دمّار شيخ قطبة[2] وفيه رُتْبَة من الترك نحو خمسة وعشرين نفراً فأسروهم واستولوا على المدفع والسلاح الذي معهم وعلى البيت بما فيه.

وفيه أخلفت قبائل حجور وبعض قبائل بني قَيْس المحاددين لهم كبني مسعود على الدّولة العثمانية بموالاة السيّد الإدريسي، فجهّز عليهم الإمام ـ صاحب شهارة ـ لكون يده ويد الدولة واحدة، فَجَرت بينهم حروب كانت فيها الغلبة للإمام.

وفي يوم الخميس الثالث والعشرين منه، توفي السيّد الصّالح حسين بن علي الأهدل صاحب المقفا، وقد مضى مُتَرجماً في آخر الجزء الأول.

وفي شهر شوال ارتفع سعر الذرة حتى بلغ ثُمْن حَكَم ونصف بريال، نسأل الله دوام اللّطف فيما قَدّر.

وفيه غزت طائفة من عسكر الدّولة العثمانية ورئيسهم شيخ الواعظات السيّد هادي بن أمحمّد هيج على بعض جيش الإدريسي في بيت الشيخ حسين شايع من قبيلة قطبة، وهو البيت الذي سبق ذكره قريباً أن الجيش استولى عليه وأسر الترك منه، فَجَرى الحرب بين الطائفتين فوَقَع قتل من الجانبين ومجاريح، وأصابت الشيخ هادي رصاصتان في بطنه وصدره وخرجتا من ظهره ثم مَنّ الله عليه بالعافية، وقُتِل من الجيش عشرة نفر وجُرح أربعة.

وفي يوم الأحد، الخامس والعشرين منه، اجتمع جماعةٌ من العرب قد كانت الدّولة العثمانية سلّمت إليهم بنادق ليكونوا لهم عسكر، فأرادوا الهجوم على الإنجليز الّذين قد استولوا على جزيرة كَمَران، فجَمَعُوا السّواعي والسّنابيق بمحل يُسمّى القرية ـ بالقرب من كَمَران ـ ليركبوا فيها فيهجموا عليهم، فَشَعُرت بهم الإنجليز فأرسلوا بوابيرهم إليهم فأطلقت الرّمي بالمدفع على السّواعي المجموعة هناك فتركتها كأن لم

---

(١) الجامعي: قبيلة ومركز إداري من مديرية اللحيّة.

(٢) قطبة: من قبائل عبس بني ثواب.

بكن، وفيها سفينتان عظيمتان وأحد عشر سنبوقاً وسلّم الله أهلها من القتل. ثم في يوم الجمعة - غرّة ذي القعدة الحرام - هجمت الإنجليز على الجزيرة قرية الشيخ عيسى بن أحمد العقيلي[1] فأطلقت عليها الرمي بالمدفع فلم تصيب شيئاً، واستولت على سبع من السّواعي شاحنة من الطّعام والبزّ لبعض تجار الحديدة وأخذتها إلى كَمَران.

وفي هذه المدة كثر بيع الأحرار في جميع البلدان، نسأل الله العافية من غضبه وعقابه، وسَبَب ذلك شدة الجوع وارتفاع الأسعار حتى أنّ بعض النّاس باع بعض أولاده، ورَجُل باع أمّه التي ولدته!! وبعض النّاس يُمَكّن غيره من نفسه ليبيعه فيكفي مؤنة نفسه. وأكثر بيعهم يقع بالجهة الشامية كَمِيْدي وصَبْيَا وأبي عريش وغيرها!!

وفي هذه المدة جاءت الأخبار بأن الطوائف الكفرية سَلّط الله بعضهم على بعض بالحروب الكثيرة المتابعة في محال ممالكهم، بآلات حربية عجيبة اخترعوها وتفنّنوا في أشكالها، فبعضها مَرَاكب تطير في الهواء بتحريك آلات ترفعها فتسير في الجّو، وبعضها مدافع عظيمة حسبما بَلَغ من أرباب الدّولة الموثوقين أن المدفع منها يقعد في بطنه ثلاثة نفر على السواء وأن القلّة التي تُرْمَى منه وقت الحرب كقامة الإنسان طولاً وحجم تدوير ثلاثة أشخاص عرضاً، وأنه لا يوصلها إلى بطن المدفع إلاّ آلة قوية. هكذا أخْبَروا والعُهدة على المُخْبِر، ولا مانع من ذلك فقد تفنّنوا فيما هو أعجب من ذلك كالسِلْك والطيّارات المارّ ذكرها، ويدل على عِظَمِها المذكور إنكشاف المعارك عن الوف من القتلى والجرحى. ومما حَدّثوا به أن القُلّة إذا رُميت تبلغ إلى مرحلتين وأكثر.

وفيه بلغت الإخبار أن بعض الفِرق الكفرية كالفرنسيس والمسقوف سلّط الله عليهم العلْمان والنمسا وهو فرقتان من فِرَق الكفر نصر الله بهم الإسلام تصديقاً للحديث: «إنّ الله ليؤيِّد هذا الدّين بالرّجل الفاجر». فأهلكوا دولة الفرنسيس حتى ضعفوا كادت تَفنى بالكليّة، ثم إنّ الإنجليز والمسقوف أعلنت بالحرب لدولة الإسلام العثمانية، فاتفقت سائر الملك الكفرية مع ملة الإسلام على حربهم وإبادتهم نصرةً للإسلام. وقوّة الإنجليز الحربيّة: بحريّة وأمّا في البرّ فهي ضعيفة فقد قيل إن لهم في البحر ثمانمائة بابور مشتملةً على العِدّة القوية والعدد الكثير فيقال إنّه من شدة الحرب عليهم قد هلكت سبعمائة بابور منها ولم يبق لهم غير مائة بابور، ومما بَلَغ أن العلمان قد دخل مِن قومه نحو مليون إلى محل للدولة يسمّى «اشنق قلعة» لمحافظته من سائر الملل الكُفرية، لأن هذا المحل يتوصل بالدخول منه إلى الأستانة العليّة،

---

(١) تقع قرية الشيخ عيسى في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة الصليف المحاذية لجزيرة كَمَران.

فهو بابها تكتنفه جبال من الجانبين، وفي الوسط بحر تجري فيه السفن العظام كانوابير يومين وليلتين وفي الجبال المذكورة قوة عظيمة للدّولة العثمانية بل جل قوتهم في هذا المحل من العِدّة والعدد لمحاماة الأستانة خشية التطرق منه إليها من العدوّ.

وفي شهر ذي الحجّة الحرام، وَصَل المأسورون بِعَدَن الّذين أَسَرهم الإنجليز يوم دخولهم واستيلائهم على كَمَران، بعد أن مكثوا مأسورين ستة أشهر، فوصلوا إلى المُنيرة وأخبروا أن الإنجليز طلبوا المصالحة من الدّولة العثمانية ومن العلماء المعاضدين للدّولة، فأجابوهم إلى الصّلح لكن بشرط سقوط رايتهم التي كانت تُرْكَز في كل بلدة من بلاد الإسلام وأن يَخْلو عَدَنْ ومبنى للدّولة العثمانية، فرضيوا بسقوط الرّاية ومَنَعوا من تخلية عدن والمبنى، فلم يتم الصّلح بسبب ذلك.

وفي هذا العام تأخر مطر فصل الخريف بجهاتنا هذه إلى أن دخل فصل الشتاء، فنزلت وزُرِعَت الأرض بالدُّخن وغيره، ولكن سلّط الله الفأر على بذر الدخن فأكله فلم يَتْرك منه إلاّ القليل، وبلغ سعر ذَرْي الدّخن ثمنهُ بريال، وكذلك الدجرة.

وفي انسلاخ شهر الحجّة أنزل الله مطراً بجهات الزيّدية، فأصابت صاعقة بقرةً لبعض أهلها فتلتها نسأل الله السّلامة.

وفيه، صادرت الدولة العثمانئة من بندر الحديدة من الإنجليز المقيمين بها للتجارة بأخذ أموالهم، ثم حبسوا، فكان ذلك سبباً لهجوم بابور من بوابير الإنجليز على الحديدة المسمّاة بجزيرة عيسى بن أحمد العقيلي، فأخذ منها سنابيق لأهل الجزيرة وَهَمّ بأحراق بيوتها، ثم حَرَفهم الله عن ذلك.

أحداث عام ١٣٣٤هـ:

وفي غرّة شهر محرم الحرام، افتتاح عام أربعة وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف، توفي السّيد العلاّمة مفتى زَبيد محمّد عبد الباقي بن محمد بن عبد الرحمٰن بن سليمان الأهدل بزبيد، وبها دُفن.

وفي يوم الثلاثاء، السّادس عشر منه، توفي الرّجل النّاسك محمد بن حسن قندي الحسني بمدينة الزيّدية ودُفن بها، وقد مرّ ذكره عند ذِكر عشيرته بني القندي في الحسنيين.

وفي يوم الرّبوع، الرابع والعشرين منه، تحرك السّيد العلاّمة الإمام محمّد بن علي الإدريسي من مِيدي إلى جازان في بابور برّي حسبما يقال إنه يقطع في سيره مسافة يوم في ساعة.

وفي يوم الأربعاء، الثالث عشر من شهر صفر، أشرف بابور من بوابير الإنجليز على قرية الصّليف وفيه جَمْع كثير من عسكرهم، وقَصَد إنزال العسكر الصّليف ورمى بالمدفع على من به من عسكر الدّولة العثمانية فقابلوهم بالمدفع من الصّليف، فَفرّ المركب هارباً إلى كمران بمن فيه، فتحرّك قائمقام الزّيدية ومعه نحو مائة نفر من القبائل إلى الصّليف لِنَصرة من بها من العسكر لِقِلّتهم، فرجعوا سالمين ولم يلقوا حرباً.

وفيه اجتمعت قبائل صلّيل والبعجي إلى سيدي المالك العلاّمة الأجل السيّد محمد بن يحيى الأهدل ببلدة المُنيرة لقصد الإصلاح بينهم، وذلك في مناهبة قد سبقت بينهم، فصبر عليهم نحو عشرة أيام حتى حقق المطالب من الجانبين، فرَدّ كل طائفة ما أخذته على الأخرى، فصاروا أخواناً بعد أن كان بينهم العداوة والتناحر الكُلّي.

وفي سَحَر يوم الخميس، التاسع من شهر صفر، توفي الرجل الصّالح أبكر بن إبراهيم دَوْم بالمُنيرة ودُفن بها.

وفيه عَدَتْ قبيلة بني البرّة على قبيلة الجرابح، فأخَذت بقراً لهم كثيراً، وقَتَلت رجلاً من رؤسائهم وَجَرحت آخر، ونجوا سالمين.

وفي يوم الاثنين، العشرين منه، هجم بابوراً للإنجليز على أربع سفن بقرب بندر اللحيّة شاحنة بضايع البنّ والجلود وغيرها لأهل بندر الحديدة والقُطَيْع والمُنيرة، فاستولوا على ثلاث منها بما فيها من البضائع، والرابعة أحرقوها بعد نقل البضائع منها إلى البابور، ونجا من كان بالسفن من الادميين السالمين.

إذا سلمت رؤوس الرّجال من الرّدَى فمـا المـال إلاّ مثـل جـزّ الأظـافـر

ومن حوادث الوقت الغريبة ـ مما أخبرنا به الثقات من رؤساء الترك ـ أنّه وصلت إلى الحديدة آلةً تشبه آلة التلغراف غير أنه يُسْمَع منها صوت المتكلم وإن بَعُدَت المسافة، بأن يكوْن منها في بلد وآلة أخرى في بلد آخر، فمن كانت له حاجة إلى أحد فيجِيء إلى صاحب تلك الآلة فيطلب إحضار صاحبه عند تلك الآلة التي في البلد الآخر، فإذا حضر تكلم بحاجته فيسمعه الآخِر بصوته الذي لا ينكره، ويفهم خطابه، فيرد عليه الجواب فيسمع صوته كما سمعه الآخر.

ومُمّا ذكروه أيضاً أنه وصلت آلةً أخرى بشكل آخر، هو أنه توضع تلك الآلة مثلاً بالقرب من ساحل البحر محل تنزيل البضائع وتطليعها، فتجذب تلك الآلة جميع حركات الموجودين هناك وصورهم وصور البضائع على اختلاف أنواعها، ثم ترسل

تنث الآلة إلى محل آخر كصنعاء فتوضع في محل وينشر في ذلك المحل ثوب أبيض واسع ثم تحرّك آلة أخرى فتطلق بما قد جذبته على الساحل من الحركات والصور وجميع ما كان موجوداً بالساحل وقت الجذب، فإذا هو منطبع في ذلك الثوب لا ينقص ولا يتغير منه شيء.

وفي شهر صفر، منه، توفي السيّد الصّالح إسماعيل بن عبده من السادة الحسنيين المقيمين ببيت عكاد، والرّجل الصّالح عبده حجر المقيم ببندر اللحية، والسيّد الصّالح معيض بن قاسم من السّادة بني القديمي بمدينة باجل.

وفي يوم الإثنين، الخامس من شهر ربيع الأول، توفي السيّد الصّالح يحيى بن سليمان الأهدل المقيم بقرية شرقي قرية دَيْر حريش من بلد الجرابح.

وفي يوم الخميس، الثامن منه، توفي الرّجل الصّالح النقيب أحمد بن عمر عامر الشحري بالزيْدية، وبها دفن.

وفيه هجم بابور للإنجليز على سفينتين بين اللّحية والخوبة[1] مشحونتين من أموال البن الصّافي، وفيها شيء كثير من نقود الذّهب لأهل الحديدة، فأخذوا البن والنقود وحَبَس البحّارين عنده في البابور وأحرق إحدى السفينتين.

وفي يوم السبت، السادس عشر منه، توفي السيّد الصّالح يحيى بن إبراهيم بن سليمان الأهدل ابن أخي يحيى بن سليمان المارّ ذكره قريباً.

وفي يوم الأحد، الثالث من شهر ربيع الثاني، أنزل الله أمطاراً عظيمة نافعة إن شاء الله تعالى، وذلك في منتصف فصل الرّبيع فَسَالت الأودية العظام والشعوب الصّغار وجاء بسيل عظيم، سَقيت منه أرض الجعيفري كلها الكائنة قبلى المنيرة والحمد لله، فَحملت أرضه بِزرع عظيم ولكنه لم يأتي بثمرة بل أصابه شراً.

وفيه قَتَل رجل من السادة المباكرة رجلاً من العرب بني الساحلي، وقَتَل رجل من السادة بني القحم رجلاً من العرب بني الزّيح، وكلاهما من قرية المغيدفية.

وفيه جاء الأمر من الدّولة بالعفو عن أخذ العشور على أموال التجارة، وهو عبارة عن خَرَاج تأخذه الدّولة من كل مائة ريال ثلاثون ريالاً، وبهذا ضَعُفت أحوال التُّجار، فجاء العفو عن ذلك من الدّولة وكان فيه راحة لهم من التعب.

وفي هذا العام، والعامين قبله، كَسَدت قيمة العقارات من الأرض وغيرها بسبب الشدائد الواقعة، ورخص سعر الأرض حتى بلغ قيمة المَعَاد فيها نصف ريال بعد أن

---

(١) الخوبة: قرية وميناء قديم على شاطىء البحر الأحمر، جنوب مدينة اللحيّة ومن أعمالها.

بلغ إلى خمسة وأربعين ريالاً.

وفي يوم الأربعاء، الرابع من شهر جمادي الأولى، طلعت نارٌ في سوق ميدي فَحَرق منها أكثر حَوَانيت السُوق، وهلك به أموال جسيمة وأربعة أو خمسة أشخاص، نسأل الله السلامة منها دنيا وأخرى

وفي يوم الأحد، التاسع منه، توفي السيّد الصّالح قاسم بن علي لأهدل بمدينة باجل ودُفن بها، رحمه الله.

وفيه توفي السيّد الصّالح فتح الدّين بن مهدي زاهر ودُفن بقريتهم المسمّاة بمنزل الزّاهر[1]، رحمه الله.

وفيه، توفي الفقيه الصّالح الوالي الكامل أمحمد بن هادي جبلي بقرية النّجام[2] من أعمال الوادي مَوْر ودُفن بها، والسيّد عمر المُلقّب يس.

وفي هذا العام، انقطع الإمداد للعساكر العثمانية من الطريق البحريّة بأسباب الحروب الواقعة بينهم وبين الإنجليز، فضربوا الحصار على هذا البحر اليمنيّ. ومنعوا بوابير الدّولة العثمانية من الوصول إلى اليمن، وقطعوا التلغراف الممدود من القسطنطينية إلى اليمن فانقطعت بذلك الأخبار الدّولية وغيرها والبضائع التي كانت تصل إلى السواحل اليمنية من الهند والشام ومصر وغيرها، ومن البضايع التي انقطع وصولها إلى اليمن الطعام الهندي وقد كان أهل اليمن يتغوّثون[3] به لانقطاع الزراعة وضعفها من نحو أربع سنين. ثمّ في هذه المدة كانت البضائع تجيء من ميدي كالطعام وغيره وإن كانت بأغلا ثمن، لانفتاح طريق ميدي إلى عدن فلم يقع عليها الحصار كغيرها بسبب أنها تحت يد السيّد الإمام محمد بن علي الإدريسي، فاتفق أنه أمَرَ بنقل البضايع من عدن إلى جازان ومنع وصولها إلى ميدي، فَعَظُم الأمر على أهل البيع والشراء لبعد المسافة، فزاد بالناس البلاء وارتفعت أسعار البضايع بالغلاء أضعاف ما كانت عليه، فبَلَغ السيّد ذلك فأمر بنقل البضائع إلى ميدي.

وفي يوم الجمعة، الثاني عشر من شهر جمادي الثانية، قُتِل قاسم بن أحمد من أهل الزّيدية وهو خارج من القناوص على أيدي جماعة من الصنَيل ظلماً.

وفي ليلة الأربعاء، السابع عشر منه، قُتل شخص من بني العتين ـ الساكنين

(١) محل الزّاهر: من قُرى الجرابح السفلي، بمديرية الضحي، تقع جوار منطقة الساحي

(٢) النّجام: إحدى قرى وادي مور وأعمال مديرية الزهرة.

(٣) يتغوثون: يأكلون.

بالمنيرة - ظُلْماً على أيدي جماعة من صُنْبل يُسَمَّون بني الزّبيح بمحل قبلي المنيرة بنحو ساعة.

وفي الليلة المذكورة، قَتَلت امرأة زوجها في مرقده، يُقال إنّ سَبب ذلك انّها أرادت التّزوج بغيره أخزها الله، فأدّاها ذلك إلى ازهاق روحه، وكلاهما من أصل القناوص.

وفي يوم السّبت، السابع والعشرين منه، غزا إبراهيم بن أمحمّد قوزي قاتل الشيخ عبد الله بن إبراهيم قوزي في شهر رمضان سنة ١٣٣٣ وصحبه أخوه علي بن أمحمّد وجماعة من الزّعلية الّذين أجاروه هو وأخوه على أولاد الشيخ المذكور للفتك بهم كما فتكوا بأبيهم فصادف ذلك وقد نذر بهم أولاد الشيخ فكمَنوا لهم، ولمّا وصلوا ثاروا عليهم بالبندق فَقُتل علي وجُرح إبراهيم، ففرّ قليلاً ثم لمّا لحقوه عَلِم أنه مقتول لا محالة فَقَتل نفسه ببندقه.

وفي غرة شهر رجب، أرْسَلت الدّولة من يُخمّن أخشاب الدّوْم وشجر السّلام والسّدر[1] ليأخذوا منها زكاة الأخشاب.

وفي هذا العام، هلكت طيور النّحل من هذه الجهة فكادت تَفْنَى بالكليّة، وقد كان قبل ذلك فيه كثرة عظيمة، فَقَلّ العسل ولعل هذا مِصْدَاق الحديث الشريف: «أنّه يُرفع عند اقتراب السّاعة».

وفيه - أيضاً - فَسَد ما بين السيّد هادي بن أحمد هَيْج - شيخ مشايخ الواعظات - وبيت الترك المُقيمين بقرية الجِرَب[2] من بلد الواعظات المتاخمين لحدود ما طَالَت عليه يد السيّد الإمام الإدريسي من البلاد. وكلمة الشيخ هادي وكلمة الترك واحدة على مخالفة السيّد الإدريسي، فَكَثُرت بينهم المخالفة، فرُفعت الشكايات من الشيخ هادي ومن كبير الترك غالب بك إلى الوالي محمود نديم بصنعاء، فأرسل من يتحقق المادة ممّا جرى بينهم وهو السيّد العلاّمة أحمد بن يحيى عامر[3] من عشيرة السيّد العلاّمة يحيى بن محمد بن حميد الدّين إمام شهاره، فوصل إليهم وحقّق بعض ما وقع ورَفَع بها إلى الوالي بإخباره في التلغراف، فجاء الأمر من الوالي بوصولهم جميعاً إلى صنعاء، فتوجه السيّد هادي برفق السيّد أحمد بن يحيى عامر فجاءت

---

(١) يستخدم أهل تهامة من شجرها مادةً لصنع السِلاَل والحُصُر المفارش.

(٢) الجِرَب: من قرى مديرية المُنيرة، قريب من رأس ابن عباس.

(٣) أحمد بن يحيى عامر: عالم محقق في الفقه وأصوله، تولّى القيام مع الإمام المنصور في كثير من الأمور ثم كان من أعظم أركان دولة الإمام المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين ومن أعوانه. توفي بالأهنوم سنة (١٣٥٦هـ) بعد أن عانى طويلاً من مرض الفالج.

طريقه على الإمام السيّد يحيى بن محمد لكونه ظَهراً له عند الدّولة، وتوجه غالب بك برفق الشيخ علي بن يحيى قحم شيخ بني نشر، ثم لمّا وصلوا إلى حضرة الوالي رأى الاصلاح بينهم واجتماع كلمتهم أولى من الافتراق عملاً بمقتضى الحال الرّاهنة فإنّهم يميلون إلى السكون مهما أمكن للضعف الواقع بهم من قلة العِدّة والعدد وانقطاع الإمداد عنهم بسبب الحصار المضروب من جهة الإنجليز، فرجعوا من عنده بعد الصّلح والاتفاق.

وفي ليلة الخميس، الثاني من شهر رجب، انفلت من كان من المحابيس بحبس الدولة في مدينة الزّيدية وعددهم خمسة وستون شخصاً، فَنجى منهم إثنان وأربعون وأدرك إثنان وعشرون فأعيدوا إلى الحبس فأوجعوهم ضرباً. وفي خلال ذلك قرح البندق من عند العسكر الّذين يحرسون المحابيس فقُتل واحد من المحابيس وخرج آخر من أهل الزّيدية ممن حضر وقعت تلك الوقعة.

وفيه، عَدا بابور من بوابير الإنجليز على ثلاث سواعي شاحنة بضايع طعام وغيره لأهل الخَوبة[1] وغيرهم، فرَمى عليها المدفع كَسَر منها اثنتين واستولى على الثالثة، ثم توجه البابور إلى اللحّية ورماها بثلاث ضربات المدفع فلم تؤثّر شيئاً، فقابله من بها من عسكر الدّولة العثمانية بالمدفع من جبل الزّيلعي[2] ففرّ هارباً لكنه ما زال يتراجع ويرمي اللُحيّة حتى أحرق بعض بيوتها وهدم بعضها.

وفيه قَتل بنو القَبع شخصين أحدهما من الحشابرة والآخر من أهل دَيْر شويل، وكانا قد سَرَيا ليلاً يسرقان فصادفوهما فَقُتلا.

ثم في صباح تلك الليلة، وهو الخامس عشر منه، عَدَتْ القباعية على غنم للحشابرة فقَتلوا الرّاعي واستاقوا الغنم، فأغارت الحشابرة واستنقذوا الغنم وقامت الحرب بينهم على ساق، فَقُتل من كل قبيلة شخصان.

وفي مسار ذلك اليوم، وَقَع اختلاف بين السّادة بني القحم وبني الزّبيع وبين بني مفلح وبني الجندوب في الدراهم التي تؤخذ من أهل البضائع التي تجيء من مِيلِي، على كل جَمَل رِيال وريالان، وكلّ من الطّائفتين يريد الاستبداد بأخذها، فانفتح الحرب بينهم فَقُتل من بني الزّبيع شخص وجُرح آخران، وقُتل من بني مفلح شخصان.

ثم في ليلة الثامني عشر، منه، وقع الاختلاف أيضاً على ذلك بين السّادة بني

---

(١) الخَوبة: قرية وميناء قديم على شاطىء البحر الأحمر، جنوب مدينة اللحيّة ومن أعمالها.

(٢) الزّيلعي: بلدة وجبل من مديرية اللحيّة.

القحم وبني الزبح وتحزب معهم غيرهم، وبين المفالحة والسادة المهادلة، فثارت الحرب بينهم فقتل شخصان من أهل المغيدفية وجُرح ثلاثة من المهادلة.

وفيه قُتِل شخص من السادة المحامدة يوم زيارة جدهم أحمد المجذّر، المتعارفة بين أهل الجهة من الإجتماع لها في كل سنة.

وفي هذا لعام أكلت أبزار الأشجار البزية بسبب الشدايد المتابعة وقِلّة الزّراعة ومحاصرة دولة الإنجليز من الكفار للدّيار اليمنية حتى انقطع النازل البحري من الأقوات والبز. وغيرها، إلا من طريق ميدي فإن ذلك يأتي إليها من طريق عدن فيخرج منها إلى اليمن شيء بسير بطريق الخِفية لشمول الحصار لها ولغيرها من المراسي اليمنيّة، فلما اشتدت المضايقة وكان الطعام يفنَى بالكلية عدلوا إلى أبزار الأشجاء كالقرط ـ وهو ثمر شجر السلام ـ والقرزح ـ وهو ثمر الدرس ـ وثمر البكار ـ وهو يشبه طعام الدّخن لوناً غير أنّ الحبّة منه صغيرة الجرم جداً ـ والجدل ـ وهو أصل شجرة تنبت غالباً في خلال شجر القَضب تشبه أصوله أصول سكر قنده، وكذلك ثمر الصورج والخلص والصبر وغير ذلك مما يؤكل أيام المجاعة، نسأل الله دوام الألطاف ورفع الشدة ويُعجّل الفرج العام على كافة بلاد الإسلام.

وفي غرة شهر شعبان وصلت الأخبار بأن الإنكليز الذّين بِعَدَن أرسلوا طيّارات على معسكر الدّولة العثمانية الكائن بجهة لَحج لترميهم بالقلل من فوقهم فتهلكهم، فرمت طيّارة منها بالمدفع من معسكر لَحج ورمت أخرى بالمدفع من معسكر تَعَز، فأصيبت الطائرتان وسقطت الأولى بقرب التّواهي والثانية بقرب الشيخ عثمان وهَلَك من بها ممن يُحرّك آلتها التي تطير بها.

ثم جاءت الأخبار أيضاً بأن العلمان[1] الّذين يدهم مُتّفقة مع الدّولة العثمانية أرسلوا بابوراً غوّاصاً في البحر فيه عسكر منهم فنبخ بقرب عدن وخَرَج العسكر منه إلى لَحج، فوصلوا إلى عسكر الدولة العثمانية فأرسلوا إلى الإنجليز المقيمين بعدن يطلبون منهم البَراز للحرب، فأجابوهم الإنجليز بإرسال طيّارات عليهم فجذبتها العلمان بجاذب لعله المغناطيس فأنزلتها إلى الأرض واستولوا عليها.

وفي يوم الخميس، السابع منه، جرى في المَرَاوعة أمر هائل عظيم، وخَطْب قاصم للظهور، مُقْعِد مُقيم هو أنه في العام الماضي كان للدّولة العثمانية جَبْخانة في بندر الحديد مستعدة لحرب الدّولة الكفريّة إذا قصدوا البندر ـ والعياذ بالله - بالحرب، وهي عِدّة عظيمة للمَدَافع والبنادق على اختلاف أنواعها، ناريّة، وفيها

---

(١) الألمان.

خمسمائة برميل مملوءة بالبارود. ثم أنه لمّا انتقض الصّلح بين الدولة العثمانية وبين الإنجليز ما زالت الإنجليز تهجم بالبوابير الحربيّة البحريّة على البندر لقصد إثارة الحرب على من فيه من العساكر العثمانيين، فتخوّفوا من وقوع رميّة في الجبخانة المذكورة تذر البندر كإن لم يكن، فنقلوها إلى المراوعة ووضعوها في الجامع الذي بناه السّلطان عبد الحميد بجانب جامع الأهدل الكبير، ثم في هذا التاريخ ما شعروا إلاّ وقد صعد منها دخان أسود عمّ جميع البلد وجاوزها من كل جانب. وصعد في الجوّ فأظلمت البلد حتى كان الشخص لا يرى شيئاً من شدة ظلمته، ثم التهبت ناراً فقرحت آلة المَدافع والبنادق فأهلكَت من حولها وقلَعت الجامعين من أصلهما، ومات فيها نحو مائة وعشرين شخصاً من طلبة العلم والترك الذين يحرسون الجبْخانة، ودكّت البيوت الحَجر وأحرقت القُشاش، فَهَلك من المدينة نحو الثلاثين، وقد حصر من مات من بني آدم بالهدم والحرق نحو أربع مائة نفر من أهل المراوعة ما عدا الغرباء، ومنهم من السّادة الأهدليّين خمسة وعشرين نفراً ما بين رجل وامرأة وصبي، منهم السيّد العلاّمة عبد الله جمالي. ولولا أنّ الله أكرم سائر السّادة وبعض بيوتهم بالسلامة من ذلك ما نَجَى منهم ولا مِنْ غيرهم من أهل البلد أحد من عِظَم وقوع هذا الحادث العظيم الهائل، وقد سمعت حركة ذلك في البلدان البعيدة كالرّعد القاصف، وارتفع الدخان في الجو حتى أظلمت منه الأرجاء، وفي مثل هذا يقول القائل:

لهبت نارها فألبست الجو دخاناً من حلة سوداء

ولقوة البارود كان يَحْمِل بعض الأشياء ويلقيها بالبلدان البعيدة سالمةً على ما هي عليه. وبالجملة فَشَرح هذه القضيّة يطول، وتحقيقها إلى كثرة الأحزان يأول، وقد اضطربت أقوال النّاس في السّبب الّذي أثار الجبْخانة المذكورة ولم نقف على قول صحيح فبعض النّاس يقولون إنّ ذلك أمرٌ سماوي وبعضهم يقول إنها خيانة وقَعَت بوضع نار في البارود فألْهَبته، وبعضهم يقول إنه عمل الطائرة أرسلتها الإنجليز من عدن فألقت من الجوّ شيئاً التهبت به. وأقرب الأقوال الأخير لقرائن قامت على ذلك، وعند الله حقائق الأمور.

وفي يوم الجمعة، الخامس عشر منه، طلعت نار في بعض بيوت دير عبد الله من السّادة المهادلة، فأحرقت أكثر بيوت الدّير وأموالاً جزيلة.

وفي يوم الثلاثاء، التاسع عشر منه، وقع قتال بين فئتين من صلّيل هما أهل دير أبكر والحزر في جانب وأهل الخلعية ودوغان في جانب[1] فَقُتِل من الطرفين خمسة

(١) جميع القرى المذكورة عِدَادَها من مديرية القناوص.

نفر وجُرح ستة، ونُهب دير ابكر.

وفي شهر رمضان وَقعت مقتله بين الزّعلية والواعظات أهل اللّجام والكاشف قُتل من الواعظات أربعة أشخاص ومن الزّعلية إثنان.

وفيه، أنْزل الله أمطاراً عظيمة عامة نافعة إن شاء الله، فعمّت هذه الجهات اليمنيّة والشامية وغيرها، وجاءت جميع الأودية الغيّالة والدّفّاعة سَيْل لم يعهد مثله، فأسقى الأراضي التي تعتاد السقي منها وتجاوز إلى غيرها، وبعض السيل وصل إلى البحر. واستمرّ المطر يجود نحو عشرة أيام ليلاً ونهاراً فالحمد لله.

وفي السبت، الثاني والعشرين منه، عادت المقتلة بين أهل حازّة صلّيل بعضهم بعضاً، فقُتل سبعة نفر وجُرح خمسة نفر.

وفيه، استولت الافرنج على أكثر المرامي اليمنية كجدة والقنفذة ورأس القوز والبرك والموسم والقحمة، فدخلوها وبنوا في بعضها أبنيةً، ويُقال إن استيلائهم عليها كان بمواطأة من بعض المأمورين المرتبين بها من طرف الدّولة العثمانية، بَرْطَلُوهم[1] بالذّهب فمكّنوهم من الدّخول فيها فلا حولا ولا قوّة إلاّ بالله، ثم بعد ملّة ارتفعوا منها.

وفيه وقع الخلاف من شريف مكة حسين بن علي علىٰ الدّولة العثمانية، وولايته في مكة مستفادة من جهتهم بحيث تكوّن ولايته مشتركة بينه وبين آخر من رؤساء الدّولة، وللشريف مرتب شهري من الدّولة أموال جزيلة وإنعامات جليلة. ومَنْشأ الخلاف ـ فيما نُقل إلينا من الأخبار ـ أنّ السّلطان محمد رشاد أراد عزل الشريف حسين وإبداله بالشريف حيدر باشا فأخبره والي الحجاز بالعزل خفية فغاظه ذلك، وفي أثناء ذلك وصل سبعة نفر من العلمان[2] وهم فرقة من الفِرَق الكفريّة كلمتهم متفقة مع الدّولة العثمانية لكونهم نصروا الدّولة العثمانية على عدوّهم من سائر الفرق الكفرية، وقد كان السبعة المذكورون بصنعاء فنزلوا إلى تهامة ومرّوا بمدينة الزّيدية واللُحيّة فركبوا من اللحيّة إلى جدّة، فوصلوا إلى الشريف ليرفقهم بمن يوصلهم إلى رابغ حيث يصل البابور البرّي فيركبوا فيه إلى بلدهم، وكان صاحب دولة العلمان هو الّذي أوصل هذا البابور إلى المدينة المنوّرة ثم إلى رابغ، ونيته إيصاله إلى مكة إعانة للدولة العثمانية فأرسل الشريف معهم من يأمّنهم ظاهراً ثم أرسل خفية إلى قبائل «حرب» بأنهم إذا وصلوا إليهم يقتلونهم ثم يرسلون رؤوسهم إليه، فرصدوهم حتى

---

(١) برطلوهم: أي أعطوهم رشوة. كلمة تركية.

(٢) الألمان.

وصلوا إليهم فقتلوهم وقطعوا رؤوسهم وأرسلوها إلى الشريف، فأرسلها إلى دولة الإنجليز حيث أن بينهم وبين الدولة العثمانية عداوة وحروباً عظيمة، فشكروه على ذلك وعظم أمره عندهم، وفيه دهاء وسياسة فجرت حينئذ المخابرة بينهم وبينه في التلغراف الهوائي فأرسلوا له كثيراً من الذهب ليستعين به على حرب الترك الحفيظين بمكة وجدة. ثم ان الشريف جمع جموعاً كثيرة من القبائل وقال لهم: تعلمون أنكم جماعة البيت الحرام وهؤلاء الأتراك قد خالطوا العلمان حتى ساقوا لهم سكة البابور البرّي إلى المدينة ثم إلى رابغ وقَصْدهم بذلك إيصالها إلى مكة المكرّمة وبالضرورة أنه إذا أوصلوه إلى مكة منعوكم من التَعيّش على ظهور الجمال، فهل لكم في الذب عن دينكم وعن حَرَمكم؟؟ فأجابوه إلى ذلك وأعطاهم من الذهب الذي أرسل إليه من الإنجليز ما يستعينون به على ذلك على أيدي رؤسائهم، فحضر إليهم منهم جمع كثيرة، فَقَسَّمهم أثلاثاً ثُلث منهم يتوجهون إلى مكة وثُلث منهم إلى جدّة وثلث إلى الطائف، ثم جرت المخابرة بينه وبين الإنجليز في التلغراف الهوائي بأنهم يستعدون لحرب جدّة، وصارت المواطأة بينه وبين الفرق الثلاث والإنجليز على أنهم جميعاً يفتحون الحرب في ليلة واحدة وذلك ليلة النّصف من شعبان من هذا العام ـ وهو عام أربعة وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف ـ حتى لا ينظر أحد منهم أحداً. فأحضرت الإنجليز البوابير العظام المشتملة على المدافع الكبار التي لم يرِ مثلها، فأرستها بجانب جدّة فما شعروا في السّاعة الرابعة من الليلة المذكورة إلاّ والحرب قد فك على جدّة من البحر والمدافع تُلقِي عليهم القلل كالجرار العظام، والشريف حسين كان في الحرب التي تعين مكة فانحاز بعسكره إلى جبل جِيَاد وفَتح الحرب على الترك وحاصرهم، فلمّا اشتدّ عليهم الحصار سلّموا له ما بين أيديهم من الأسلحة والذخائر بشرط أنه يوصلهم إلى بلدهم، فوعدهم بذلك بعد أن قتل من الفريقين جمع كثير ثم خرج بعسكره إلى جدة والحرب ثاير عليهم من البحر، والمدافع ترْمِي المعاقل وبيوت الدولة، فكان هؤلاء من البحر والشريف من البر، وَوقَع القبائل في نهب أموال أهل جدّة، فحينئذ اجتمع رؤساء الترك الّذين بجدة واستشار بعضهم بعضاً فقالوا ما لنا طاقة بهذا ولكن نستسلم، وذلك بعد أن دام الحرب عليهم نحو أسبوع. فسلّموا إلى الشريف جميع الذّخائر التي بأيديهم فانكفّ الحرب عنهم من البحر والبرّ، فاستولى الشريف على جدة وأخذ الترك الذين بها وبمكة وعددهم يقرب من ألفي نفر، فأطلعهم إلى البابور على ذلك الشرط من أنّه يسيّروهم إلى بلدهم، فسيّرهم في البحر إلى عدن، فأخذهم الإنجليز بحكم الأسْر إلى أن يفك السلطان الأعظم محمد رشاد ما لهم لديه من الأسرى. ثم ان الإنجليز جمعوا عساكر كثيرة ممن قد دخل تحت طاعتهم من البلدان الشاسعة فأنزلوهم إلى جدة، فحينئذ خرج الشريف بمن معه من

وأمّا الطائفة التي خَرجت إلى الطائف العساكر إلى مكة فاستقل بالمُلك بها، ثم ان الشريف حسين جهّز ولده الشريف فحاصروا من بها وطال حصارهم. ثم ان الشريف حسين جهّز ولده الشريف فيصل بن حسين بِعِدّة عظيمة وأرزاق من أنواع المأكولات جسيمة إلى قبائل حرب، فوضعها فوق جبل هناك فكانت جبلاً فوق جبل، وأعطىٰ حرب من النقود شيئاً كثيراً نيقوم بنصرته، وأقام هناك مستعداً للحرب. ثم انّ الشريف حسين بن علي جهّز ولده علي بن حسين إلى رابغ لقصد هَدْم ما قد بنوه من سِكّة البابور البّري بإعانة الألمان من المدينة إلى رابغ، فقابله شيخ رابغ الشيخ حسين بالحرب، فكانت الطايلة للشريف فأخرب السِكّة من رابغ إلى محل يُسمَّى بيار علي[1] فخرج الشيخ حسين إلى بعض القبائل الّذين قد أطاعوا الشريف حسين بن علي وقال لهم: أترضون أن الإنجليز يملكون مكة ويدخلونها؟ لأن مقصود الشريف ذلك؟ فأجابوا عليه: بأنا ما علمنا حين دخلنا في طاعته أنّ هذا مقصوده، فأعطاهم شيئاً كثيراً من النقود، ودخل بعضهم في طاعته، وسار بهم إلى رابغ لاستنقاذ مكة من يد الشريف حسين. وخرج بهم إلى ذلك فتلقّاهم أولاد الشريف فيصل وأخوه علي فاقتتلوا وقُتِل من الطائفتين جمع كثير وقُتِل الشريف علي، فرجع الشيخ حسين إلى رابغ، هذا ما بلغنا من الأخبار من الواردين من تلك الجهة والعُهدة على من رَوى، ووقت تحرير هذا غرة محرم الحرام سنة ١٣٣٥ وقد انتهى الأمر إلى هذا.

وفي شهر رمضان، أنزل الله أمطاراً عظيمة بجهة بلاد عَبْس فجاء الوادي بسيل عظيم، وكان بالقرب من منزل السيّد يحيى بن القادري سليمان الأهدل في قرية تُسمَّى المطاين[2] وهو من السادة أهل المراوعة انتقل إليها قديماً واتخذها دار إقامة، فعظم جاهه بتلك الجهة عند القبائل وكان له عندهم القبول التام فصلح حاله الدنيوي واكتسب أرضاً وخيلاً وحميراً وبقراً وأغناماً كثيرة وكلّها جيّدة، فهجم السيل عليها على غرّة وذلك ليلة عيد الفطر فأخذه هو وأولاده وأهل بيته الذكور والأناث نحو ثلاثة عشر نفراً، وأخذ ما قد اكتسبه من الدواب المذكورة والطعام والنقود فغرقوا جميعاً، وغرق من أهل قرية المطاين نحو خمسين نفراً وغرقت لهم أموال جسيمة ما عدا الغرباء، وألقاهم السيل بأسفل الوادي مَوْر نسأل الله السّلامة.

وفي هذا التأريخ، غرق بوادي حَرَضْ من أهله نحو خمسة وعشرين نفراً بسيل لم يعهد مثله.

وفيه، وقعت أمطار عظيمة بجهة الجبال، فوقعت صاعقة في بيت حسن بن

---

(١) بير علي: من قرى قبيلة يام في نجران. أما رَابغ: فهي بلدة من إمارة منطقة مكة.

(٢) المطاين: قرية في منطقة الوسط من سهل تهامة، بمديرية وأعمال محافظة حَجّة.

صالح العمّاري مِن أهل جبل مِلْحان، وهو بيت عالٍ شامخ مشتمل في العلو على ثلاث طبقات، فَشَقّت البيت من أعلاه إلى أسفله ثم التأم وقسمت ابن أخيه نصفين ثم التأم وأنزلت امرأة من أعلا البيت إلى أسفله سالمة ما بها بأس. فسلّم الله البيت ومن فيه ممن جَرَى عليهم مما ذكرناه فسبحان اللطيف الخبير عند وقوع المقادير

وفي شهر شوّال، توفي السيّد الصّالح حسين بن محمد بن أبكر، من السادة النعاميّة بِدَيْر الأخرش من بلد الزّعلية[1] وبه دُفن.

وفي يوم السبت، العشرين منه، توفي السيّد الصّالح حسين بن عبد الله خضري القيّم بجامع المنيرة، ودُفن. بها.

وفي يوم الإثنين، سلخ شهر شوّال، أنزل الله مطراً عظيماً بجهة المنيرة خَرّب به كثير من بيوتها الحَجَر والقَشّاش، ومن كثرة الأمطار التي نزلت بهذه الجهات كثر ظهور النامس المُسمّى بالبعوض فَشَقّ على الناس وأحرمهم طيب المنام، ووقعت بهم جراحات بسببه. وجاء الجراد ووضع ذريته بالأرض ثم خرجت فأكلت بعض المزارع.

وفيه، وَفَد إلينا بالمنيرة الفقيه الفاضل الحاج إسماعيل بن محمد النجاشي متوجهاً إلى حج بيت الله الحرام، أصل خروجه من بلاد الحَبَش من بلد تُسمّى «بتوهو» فَقَدِم إلى اليمن في عام إحدى بعد ثلاثمائة وألف، فقرأ على الفقيه العلاّمة مفتي بيت الفقيه ابن عجيل أمحمّد بن حسن فرج والفقيه العلامة علي شندة من سكان الحديدة، ثم سكن في قرية بني حجاج من جبل مِلْحان[2]، وقد حجّ إلى بيت الله الحرام خمسة عشر مرّة وزار النبي ﷺ ثلاثة عشر مرّة.

وفيه، طلب السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل قبيلة صُلَيْل الذين وقعت المقتلة بينهم في شهر شعبان، فوصل إليه منهم الجمّ الغفير، ومكثوا لديه نحو ثلاثة أيام يضيّفهم ويسعى بالصّلح بينهم حتى اصطلحوا وزالت الضغائن الكاينة بينهم.

وفيه، كَثُر موت الجمال والحمير من علّةٍ تَبُوْل منها دماً ثم تموت سريعاً.

وفيه، عَدَتْ قبيلة الزّرانيق المنتمين إلى الإنجليز على بيت السِلْك ببيت الفقيه ابن عُجَيْل، فأخذوا مكينة السلك ـ وهي آلته التي تتلقى منها الأخبار ـ فقتلوا بعض العسكر ثم أهدوها هي وأربعين صندوقاً مملوءة من الجبْخانة التي نُهبت من المراوعة

(1) دَيْر الأخرش: بلدة وقبيلة من الزَّعلية في مديرية اللُّحيَة، تقع جوار بيت الباشق. وهم من قبائل عك.

(2) بني حجّاج: قرية من مركز الروضة بجبل مِلْحان وأعمال محافظة المحويت.

للإنجليز بِعَدن، فكافؤهم بشيءٍ كثير من البضائع.

وفي ليلة السبت، العشرين منه، توفي الرّجل الصّالح القانت الناسك محمد بن امحمد بن صالح الشحري بمدينة الزّبيدية ودُفن بها، وقد مَضى مُتَرجماً عند ذكر عشيرته الشحارية في الجزء الثاني من هذا التاريخ.

وفيه صادرت الدولة العثمانية بعض من كان بالحديدة من رعيّة دولة الإنجليز وهم بنو سجوه من الهنود المُقيمين بها ـ بأخذ أموال جسيمة ونقود كثيرة من الذّهب والفضة. ثم في شهر ذي الحجّة الحرام صادرت أهل سردت من رعية الإنجليز أيضاً المقيمين بالحديدة بأخذ أموالهم، ولكنّهم حصروها وضبطوها ووقفوها لديهم ثم رفعوا إلى والي صنعاء بذلك، فيقال إن الإنجليز قاموا على المسلمين رعيّة الدّولة العثمانية المُقيمين بعدن فأخذوا أموالهم مصادرة.

وفيه، توفي السيّد الصّالح عبد الوهاب بن محمد مرتضى ببلد الجامعي وكان ذلك بالإسهال.

أحداث عام ١٣٣٥هـ:

وفي يوم السبت، الثالث والعشرين من شهر محرم الحرام عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة وألف، توفي السيّد الصّالح جَيْلان بن أحمد عابد فجأةً وهو يمشي ويتكلم مع النّاس بدون سبق مرض، وذلك بمحل عابد ثم انتقل إلى الحدادية[١] على أعناق الرجال ودُفن بها.

وفي يوم السبت، السابع من شهر صفر، توفي السيّد العلاّمة الولي الكامل ـ مَنْصب المراوعة ـ عبد الباري بن أحمد بن محمد الأهدل بالمراوعة ودُفن بها، ثم خَلَفَهُ في المقام أخوه السيّد العلاّمة عبد القادر بن أحمد الأهدل بوصيّةٍ منه.

وفيه، وصل الشريف منصور بن محمد بن يحيى الحسني متولياً رياسة القائمقامية بمدينة الزيدية، وقد هنيته يوم قدومه بقصيدة.

وفي يوم الخميس، الرابع من شهر ربيع الأول، توفي السيّد الصّالح الولي الكامل أحمد بن إبراهيم الملقب بالأحول ويلقب ـ أيضاً ـ بأبي ظلّة بالحداديّة ودُفن بها

وفي شهر صفر طلبت الدّولة من أهل زبيد ستين ألف ريال على سبيل القرضة، فمنعوا من ذلك وأظهروا العصيان، فأرسلت الدّولة ثُلّة من العسكر ومعهم رئيس من

(١) الحدادية: من قرى الحشابرة بمديرية المغلاف.

رؤسائهم إلى بعض بيوت تجار زَبيد ليجلبوهم إليها، فلمّا قربوا من البيت ثار عليهم أهل البيت بالحرب فقُتِل الرئيس وآخر من العسكر، فرجع الباقون إلى الدولة، فنَصَبوا المدفع على زَبيد فقُتِل من أهل زَبيد سبعة عشر نفراً فدخلوا حينئذٍ في الطاعة وسلّموا ستين ألف المطلوبة منهم، ثم بعد ذلك أرسل أهل زبيد إلى الحديدة بضايع من البزّ - بالزاي - تبلغ بنحو خمسة عشر ألف، على سبيل التجارة، فأخذتها الدولة مصادرة.

وفي شهر ربيع الأول، الثالث والعشرين منه، توفي الرّجل الصّالح الشيخ إبراهيم بن أحمد مقرني ودُفن بِدَيْر دخنه من بلد الزّعلية.

وفي يوم الجمعة، العاشر من ربيع الثاني، توفي السيّد الصّالح عبد الرحمٰن بن حسين الزَوّاك بمدينة حرض ودُفن بها بجوار الولي الكامل بن جعدرا، وقد رثيته يوم موته بقصيدة.

وفي هذا العام استمر سيّل الأودية الكبار كوادي مَوْر وسُرْدُد وسِهَام، فلم ينقطع ووصل سيلها إلى البحار، وأسقت أراضي لم تعهد السّقي منها من قديم الزّمان، وتخلفت عن مجاريها الأصلية فأصلَحَت أراضي وأخْرَبت أخرى حتى وادي مور ترك مجراه الأصلي فأخَذَ إلى جهة القبلة حتى قُرْب من مدينة الزّهراء، وأخَذ في جهة الغرب إلى أن وصل بحر اللُحيَة، وأخرب في طريقه هذه نحو ألفي مَعاد، وتعطّلت أكثر العقوم ومجاري الماء التي تُسَقى منها الأراضي بسبب استمرار سيله.

وفي شهر ربيع الثاني، وقع الخلاف من الشيخ يحيى بن علي بن أحمد ثَوَاب - شيخ عَبْس - عن طاعة السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي ومال إلى الدّولة العثمانية، وخالف معه بعض قبيلته وأهل قَرْية تسمّى مَطْوَلَة[١] وبقي البعض الآخر مقيماً على طاعة السيّد، فَجَهّز عليه القبائل الكائنة شرقي عَبْس كالمخلاف وأسْلَم وشَمْر والخميسين وأمدّهم بكثير من الجبْخانة، وأمّا الشيخ يحيى فعضده عساكر الدّولة العثمانية ومعهم من المدافع والأسلحة شيء كثير، وانقسمت العساكر قسمين: قسماً مع يحيى علي ثَواب، والقسم الآخر مع شيخ الواعظات الشيخ هادي بن أحمد هَيج فسار بهم لإهانة الشيخ علي بن يحيى قَحْم شيخ بني نَشْر فإنه مع الدّولة العثمانية. وانقسم أيضاً بعض قبيلة نشر قسمين: قسم مع الشيخ علي بن يحيى قحم، وقسم بقي على طاعة السيّد الإدريسي فقام عليه بالحرب من كان منهم موالياً للإدريسي، فعضد الشيخ هادي بن أحمد بمن معه من العسكر العثمانية وتلم

(١) مَطْوَلَة: مركز إداري من مديرية عَبْس وأعمال محافظة حجّة في سهل تهامة.

الحرب بينهم نحو (1) ووقع قَتْل من الجانبين لم أتحققهم لِبُعد الشقة. وهذا الحرب الّذي فَتَح على الدّولة في هذه الجهة ليس إليه حاجة حيث وأهلها ساكنون لم يتعرّضوا للحرب حتى فُتح عليهم، وليس للدولة بهم اهتمام لوقوع ما هو أهم عندهم الآن من الحروب الكائنة بينهم وبين الطوائف الكفريّة كالإنجليز فِي عدن، وهم وغيرهم في الأستانة العلية، وكان ذلك ـ كما قيل، والله أعلم ـ وَقَع بدسيسة من بعض رؤساء العرب مع موافقة بعض رؤساء الترك لقصد زيادة الوَهَن بالدّولة. وهذه الحروب الواقعة عليهم من الطوائف الكفرية قد أضرت بهم وأضعفت قوتهم حتى حصل بهم الوَهَن والضعف، وحَاصَرت الدّول الكفريّة ـ بسبب ذلك ـ جميع المراسي اليمنية، فانقطع النازل البحري مما كان يجيء قبل ذلك من البضائع والأموال، فضعفت أحوال أهل اليمن الدنيوية، ثم قطعوا التلغراف الممدود من الحديدة إلى الأستانة فانقطعت الأخبار، فلم يُسْمَع عن تلك الحروب الواقعة في الأستانة خَبَر مع طول الحرب والحصار أكثر من أربع سنوات إلى وقت تأرِيخ هذا ـ وهو شهر جمادى الأولى عام خمسة وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف ـ ولم تَبْقَ لهم طريق إلى الأستانة إلاّ من طريق البابور البرّي الّذِي تجيء طريقه على المدينة المنوّرة، ولبعد الشقة مع كثرة الحروب واستدامتها قَلّ ورود الأخبار ولو فرض ورودها بعد مدة طائلة فتقف في المدينة المنورة لانقطاع الطريق إلى مكة أو جدّه بما وقع من الحروب بين شريف مكة حسين بن عبد الله وبين عسكر الدّولة العثمانية.

وفيه، رأى بعض الصّالحِين من أهل الفضل رؤيا منامية تتضمّن بشارةً عظيمة للمرىء له، أعربت على مقامه فرَأى كأنه في ديوان السيّد العلاّمة الأجل الولي الأكمل محمد بن يحيى الأهدل فقال له السيد قاسمي بن محمد ـ ولد صاحب الرؤيا التي رؤيت له ـ: تريد أن ترى السيد ـ يعني والده ـ وهو مُتَجَلٍّ بالتجليّات الربّانية؟ فقال له: نعم، فقام معه إلى غربي المنزلة التي ينزل بها الضِيفَان فقال له: انظر فنظر فإذا هو قد رأى نوراً ممدوداً من السماء إلى الأرض يشبه المنار ورأى حول النور شجرتين ساقطتين فرأى السيّد عبد الله بن محمد ـ ولد صاحب الرؤيا الآخر ـ يقول: الله أكبر الله أكبر أتدري ما هاتان الشجرتان؟ فقال له: لا، فقال: أمّا الشرقية فهي السيد جيلان عابد وأمّا الغربية فهي السيد عبد الباري صاحب المراوعة، وكانا قد ماتا قبل الرؤيا بمدة يسيرة والمرئى له في قيد الحياة، ورآه يقول له: ما بقي فيها إلاّ السيّد ـ يعني والده ـ سيملأها بهذا النور من المشرق إلى المغرب. رأى رجلاً آخر يقول له ما في المراوعة ولا مكة مثل ما في المُنيرة، قاصداً بذلك السيّد المرأي له نفع الله به آمين.

---

(1) بياض بالأصل.

وفيه، اجتمع لَدَى السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل: أهل موْر والزّعلية وصليل والحشابرة وبنو القبع لأجل الإصلاح بينهم في مطالب عظيمة متنوعة. فأصلح بينهم وقد كان بينهم التنافر الكلّي، جزاه الله خيراً.

وفي يوم الأربعاء، غرّة جمادى الأولى، توفي السيّد الصّالح سليمان بن عبدة بن إسماعيل صاحب بيت عكاد، وبه دُفن.

وفيه، توفي السيّد العلاّمة مفتي القُطَيْع محمد بن يحيى هجّام الأهدل، وبه دُفن.

وفيه، هجم بابور من بوابير الإنجليز على الخوبة والقرية وأطْلَق عليهم الرمي بالمدفع، فأخرَب من القرية أربعة بيوت من حَجَر ومن الخوبة سنبوقاً واسعاً وأربعة صغاراً، وسلّم الله بني آدم من ذلك. ثم هجم مرّة أخرى فيه على سفينتين مشحونتين من بضايع البن والجلود وغيرها تبلغ قيمتها مبالغ جسيمة من النقود لجماعة من أهل التجارة، وذلك بالقرب من قرية حبل[1] عن يمينها في البحر فأطلق عليهما الرّمي بالمدافع فأثّرت فيهما، فلجأ أهلها إلى القرب من البرّ لِتَسْلَم بمن فيها من بني آدم والأموال، حتى إذا نجوا منهم قام لهم البدو ومن أهل تلك الجهة وهم بنو مروان فنهبوا تلك الأموال التي في السّفينتين عن آخرها، فانظر كيف سَلِموا من نَهْب الكفار فَنَهبهم أخوانهم المسلمون فلا حول ولا قوة إلاّ بالله، ويرحم الله القائل:

ولـم تـزل قلـة الإنصـاف قـاطعـة بيـن الـرّجـال ولـو كـانـوا ذوي رحـم

وفي جمادى الثانية، هَجَم بابور للإنجليز ـ أيضاً ـ على القرية، وهو علم علي قحل بجانب الصّليف، فأطلق عليها المدافع وكَسّر سفينتين وأحرق سفينة وهدّم من القرية بيوتاً.

وفيه، هَلَكت جبْخانة للدّولة العلية بمحل يُسمّى النصايب، وهو موضع الماء الذي يستقى منه أهل بندر اللُّحيّة.

وفيه، توفي الشريف ناصر بن الحسين الحسني بقريته المُسَمَّاة بجيلة[2] بالقرب من ضريح الشيخ محمد بن يعقوب المشهور بأبـي حربة.

وفيه، توفي الرّجل الصّالح محمد بن يـٰسـن أحد تجار بندر اللُّحية.

---

(١) محل حبال: من قرى ربع القحم بمديرية المُنيرة.

(٢) بجيلة: قرية كبيرة في شرقي مدينة الزهرة ومن أعمالها، وبجوارها ضريح الشيخ المذكور في قرية صارت تحمل اسمه يُقال لها: كدف أبو حربة.

وفي اليوم السابع من شهر رجب، توفي السيّد الصّالح مذكور بن محمد عزبي بندر الحديدة، و نفقيه الصّالح محمد بن أحمد الفروي قاضي بيت عطا.

وفيه وقعت فتنة بين أهل دَيْر القحم وأهل دَيْر عبد الله، وكلا أهل القريتين من السّادة المهادلة، قُتِل بها علي بن أبكر حديدة. ثم عادوا للفتنة بعد أسبوع فَجَرح أهل دير القحم شخص ومن أهل دير عبد الله شخصان، ونَهَب أهل دير عبد الله بقراً وغنماً لأهل دير القحم.

وفيه، أصبح شخص قتيلاً بجانب دَيْر البخور بماني الزيدية، والمقتول من جهة بلد بني قيس والقاتل له من العطاوية.

وفي السابع عشر منه، هجمت ثلاثة بوابير كبار وعشرة صغار للإنجليز على قرية ابن عبّاس، فأنزلوا عساكرهم إلى البرّ نحو خمسمائة نفر فأطلقوا الرّمي بالمدافع من البوابير وبالبندق من العساكر الّذين نزلوا على أهل القرية، فأحرقت بعض القرية وهَلَك بها من الأموال ما لا يكاد يُحْصَر، وحسبما قيل أن قيمتها تبلغ نحو ستين ألف ريال وهي لأهل صنعاء والحديدة والمنيرة وغيرهم، وسَلَّم الله بني آدم من القَتْل سوى شخص جُرِح برصاصة وقعت برجله، وأتلفوا نحو اثني عشر ساعية لأهل القرية وغيرهم. ثم انّ الثلاثة البوابير المذكورة تَوجّهت إلى جهة المَخَا ولمّا قَرُبت منه بمحل يُسمّى ذُباب - بين المَخَا والشيخ سعيد - أنزلوا نحو ألْفين من عساكرهم، فشعر بهم ثمانية أشخاص ويقربهم جبل فتحصّنوا بالجبل وفكّوا الحرب على العساكر المذكورة فَقَتلوا منهم كثيراً، وكانت البوابير ترمي الثمانية الأشخاص بالمدافع فلم تؤثر فيهم لتحصّنهم بالجبل، ولمّا رأوا أنهم لم يؤثّروا فيهم شيئاً ألقَى الله في قلوبهم الرّعب فانحازوا كلهم إلى البوابير فَفَرّت بهم منهزمين ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[1].

وفيه قَدِمَ إلى صنعاء ثلاثة نفر من الأستانة العلية من بلد الرّوم متنكّرين كي لا يشعر بهم ولا يعرفهم أحد، فسافروا منها من طريق البر حتى وصلوا إلى المدينة المنوّرة ومنها طلعوا إلى نَجْد فسلكوا الطريق النجديّة حتى وصلوا إلى صنعاء مشاة على القدم، وأصحبوهم من الأستانة العليّة إلى الوالي صاحب صنعاء أوراقاً بمقام النقود تُسمّى «الأنواط» تُباع بمبالغ جسيمة من الأموال، فبعضها يُباع بألف ريال وبعضها بعشرة آلاف وبأقل وأكثر، كل ورقة منها مكتوب فيها القَدْر الذي تُبَاع به. وهذه الأوراق حَدَث التعامل بها في هذا الزّمان وجَرَت به المعاملات في جميع

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٤٩).

الممالك العثمانية بصدور الأمر السّلطاني بذلك، واختاروا ارسالها مع الثلاثة الأشخاص المذكورين لِخفّتها وسهولة حملها، وإخفائها بحيث لو أرسل معهم من نقود الذّهب والفضة لَنُهبت منهم في الطريق، فسلّموها إلى الوالي - وهو محمود نديم باشا - ليستعين بها في نفقة العساكر ومعاشات أرباب الوظائف لانقطاع الوارد عنهم من الطريق البحريّة بسبب الحصار المضروب على جميع المراسي اليمنيّة من الإنجليز، وانقطاع الأخبار عنهم بقطع التلغراف الممدود من الأستانة إلى جميع الممالك العثمانيّة باليمن وذلك للحرب القائمة بينهم وبين الدّولة العثمانية الإسلاميّة من نحو أربع سنين لا تفتر، وقد فني منها - وقت رَقْم هذا - نفوس وأموال لا تُحصَى كثيرةً، وبأسباب ذلك نَشَرت دولة الإنجليز الأخبار في الجوايب[1] إلى البلدان من ممالك الدولة العثمانية بأنهم قد استولوا على اليمن ودخلوا صنعاء ومثّلوا برؤساء الأتراك بجدع الأنوف وقَطع الآذان والأيدي والأرجل إغاظةً للدولة العثمانيّة وهم فيما ذكروا كاذبون، ولمّا وَصَلت الجوايب بهذه الأخبار إلى مسامع الدّولة العليّة أرسلت الثلاثة الأشخاص المذكورين إلى صنعاء لأخذ الحقيقة عمّا ذكره الإنجليز، ولمّا وصلوا وجدوا الأمر بخلاف ذلك، فأنهَى الوالي محمود نديم ورؤساء الترك بذلك إلى الأستانة العليّة وحقّقوا لهم أنّ ما نشره أعداء الدين الإنجليز بخلاف الواقع، وكَتبوا بذلك كُتباً وسُلِّمت إلى الثلاثة المذكورين فرجعوا إلى الطريق النجديّة التي وصلوا منها.

وفي يوم الإثنين، الحادي والعشرين من شهر شعبان، توفي الرّجل الصّالح عبده صغير هندي بمحل الهليلي من حارة صلَيل، وبه دفن.

وفي يوم الأربعاء، الثاني والعشرين منه، هَجَمت خمسة بوابير للإنجليز ونحو عشرين ساعية على قرية الصّليف مشحونة بالعساكر، والأسلحة النارية من آلة الحرب، فأنزلوا بها جموعاً كثيرةً وأخذوا مآمير الدولة العثمانية وعساكرها الموجودين بها وأطلعوهم إلى البوابير ثم سيّروهم إلى عدن، وفتحوا الحرب على أهل القرية بالمدافع العظام من البوابير فضربوا عليها نحو مائة قلّة، وبفضل الله لم تصِب أحداً ولم تخرب بيتاً غير ثلاثة أشخاص قُتِلوا، فاستولوا على المَعْقَل الكائن بجبل الصّليف، فخرج أهل الصّليف فارّين من ذلك الهول فاستَقبلوا في الطرقات يوماً حاراً وأكثرهم ضعفاء ما بين نساء وأطفال وعاجزين وأقوياء، فهَلك منهم بالظمأ والجوع خَلْق كثير في الطُرق فنسأل الله أن يعزّ الإسلام وأهله ويذل الشرك وأهله ويقطع دابرهم. ثم إنّ الإنجليز ألقَى الله في قلوبهم الرّعب بعد أن مكثوا بالصّليف ثلاثة أيام فطلعوا بأجمعهم إلى البوابير ولم يبق أحد منهم بالصّليف، ولكن كان

---

(١) يقصد المراسلات.

رجوعهم متوقعاً فقامت حميّة أهل الإسلام من الدّولة العثمانية بِسَوْق العساكر والأسلحة النّارية كالمدافع الكبار وغيرها، وما زالوا يجتمعون بالزيدية والمنيرة والقُمّة محلٍ بمعدن الملح، وفي خلال اجتماعهم بالمحال المذكورة جَمَع السيّد العلاّمة - مَنْصِب المنيرة - محمد بن يحيى الأهدل جموعاً كثيرة من القبائل ثم أرسلهم إلى الصّليف وأصحبهم بأولاد قبيلته، وساق من الماء والزّاد ما يكفيهم، فدخلوا إلى الصّليف واستولوا عليه ورتّبوا المعاقل التي به، والدولة في خلال ذلك تجمع العساكر والمدافع العظام حتى اجتمع منهم نحو خمسمائة نفر ومن المدافع خمسة بالمنيرة والقُمّة معدن الملح، وبينما هم على ذلك نَاوِيْن الإقدام على دخول الصّليف بتلك القوّة إذ أحجموا ورجعوا بعساكرهم ومدافعهم إلى الزيديّة ومنها تفرّقوا إلى الحديدة وإلى الجرب - وهي قرية من قرى الواعظات - وتركوا أمر الصّليف وفوّضوه إلى السيّد المُشار إليه، وأمدّوه ببنادق وجبْخانة فأعطاها أهل المنيرة، فكانوا يتناوبون الوصول إلى الصّليف وهو يَكْفِهِم بالماء والأكل وغير ذلك فجزاه الله خيراً. وقد شاع وذاع أن دخول الإنجليز إلى الصّليف كان بعناية بعض أهل البلاد وبعض مأمير الدّولة المُرَتّبين في الصّليف، فكانوا يكاتبونهم خفية فأعطوهم من نقود الذّهب شيئاً كثيراً فباعوا دينهم بدنياهم وأرادوا تمليك الكفار بلد أهل اسلام ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾[1] ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

ومهمـــا تكـــن عنـــد امـــرىءٍ ... وإن خالها تَخفَى على الناس تَعْلَمِ

وفي ليلة الثلاثاء، السادس من شهر رمضان، توفي السيّد الصّالح محمد بن عبد الله بن حسين الزَوّاك بالزيديّة، ودُفن بمقبرة الشيخ سليمان بساكن المخزن، رحمه الله.

وفيه، توفي الرّجل الصّالح أحمد خزيقة من بني السيّف[2] رحمه الله.

وفي يوم الربوع، السابع منه، طلعت نار من غربي مدينة الضّحِي فأحرقت ما قبلها إلى الجانب الشرقي من المدينة نحو ثمانمائة بيت، وحَرَق سوقها بما فيه من الأموال الجسيمة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٤٤).

(٢) بني السّيف: من قبائل مديرية القناوص لهم قرية تحمل اسمهم: دير السّيف.

وفي يوم الخميس، الثامن منه، طلعت نار من دَيْر السَّادة بني الولي[١] فأحرقت أكثر بيوته بما فيها من الأموال.

وفي يوم الجمعة، التاسع منه، طلعت نار من دَيْر الوجيه[٢] فأحرقت أكثر بيوتها، نسأل الله السّلامة منها في الدنيا والآخرة.

وفي يوم الجمعة، التاسع منه أيضاً، نزل رئيس الإنجليز المُسمَّى بالقُنصل إلى الحديدة وطلب من المتصرف تسليم مَنْ كان مِنْ رعيَّته إليه، وهم المقيمون بالحديدة للتجارة، فقال المتصرف: حتى أراجع الوالي بصنعاء، فمُنِع إلاّ أن يسلمهم إليه أو يرجع إلى البابور ويرمي الحديدة بالمدفع، فلم يَرْضَ تسليمهم إليه فرجع إلى البابور. وفي مدة رجوعه أسرع المتصرف بجمع من كان من رعيتهم بالحديدة وسيَّرهم إلى بَاجِل[٣] وأطلق مَنْ كان بحبس الدّولة من المحابيس، فما كان إلاّ مدة يسيرة حتى ثارت المدافع من البابور على المعاقل فأخربوا محل حكومة الدّولة وبيت الحَبْس وبيت التلغراف وبعض بيوت التجار[٤]، وما زالوا يوم الجمعة والسبت والأحد يضرب عليها أول النهار وآخره حتى هدم بعض قصورها وأحرق كثيراً من عِرَشِهَا[٥] فَخَرج أهل الحديدة بنسائهم وأطفالهم فارّين بأرواحهم إلى البلدان، وأغارت القَحْرا والعبسيّة[٦] إلى الحديدة لقصد النهب فكان من خَرج مِن أهل الحديدة فاراً ـ وتكلف على حَمْل شيء من أثاثه ـ نهبوه حتى أخذوا منهم أموالاً جزيلة، فكان الإنجليز في البحر والمسلمون في البرّ.

فلــو كــان رمحــاً واحــداً لثنيتــهُ ولكنــه رمــح وثــانٍ وثــالــث

فما هذا الإنصاف؟ فبينما هم يرجون منهم النّصرة على الأعداء الكافرين فإذا هم قد عانوهم عليهم، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله.

ولــم تــزل قِلّــة الإنصــاف قــاطعــة بيــن الرجــال ولــو كــانـوا ذوي رحــم

وفيه، وفي الشهر الّذي قبله، وَقَعت فِتَن بين قبيلة صلّيل بعضها بعضاً، منشأها البدعة السيئة التي أحدثوها من أخذ المال المُسمَّى عندهم باليسرة من أرباب البضائع

---

(١) دَيْر الولي: إحدى قُرى مديري الزُهرة.

(٢) دَيْر الوجيه: قرية في شمال الزهرة.

(٣) بَاجِل: مدينة في شمال شرق الحديدة بمسافة (٤٥) كيلاً.

(٤) هي بيوت واسعة في الساحل بمواجهة البحر.

(٥) العِرَش: بكسر ففتح، البيوت المبنية من القش، ومفردها: عِرْشَة.

(٦) القحرا والعبسية: قبيلتان من علك تقع ديارهما في شرقي الحديدة.

التي تجيء من مِيْدِي إلى اليمن والتي تذهب من اليمن إليه بعد ضرب الحصار وخراب الحديدة، فهم يترصّدون القوافل في الطُرق ويأخذون منهم أموالاً جزيلة بطريق الإكراه ومَنْ لم يُسَلِّم منهم أمسكوا جمله عندهم حتى يُسَلِّم أو يأخذونه مُصَادَرةً، فَوَقعَ الاختلاف والمشاحنة بينهم أيّهم يتولىٰ قَبْض ذلك، فكان السيّد محمد بن محمد فحم في جانب ومعه جماعة من بني الزّبيح وغيرهم، وبنو كشارب ومعهم المهادلة في جانب، فَجَرَى بينهم وَقْعَتان إحداهما في شهر شعبان والثانية في شهر رمضان، فقتل منهما تسعة نفر وجرح عشرة أنفار من الجانبين، فأصلح بينهم السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل فصاروا بعد ذلك إخواناً آمنين، فجزاه الله خيراً وأدام به النفع للمسلمين.

وفي ليلة الخميس، الخامس عشر منه، طلع القمر كاسفاً ضعيف النور ولمّا قَرُب من وسط الماء سلبَ جميع نوره حتى أستتر جميع قُصره فوقعت ظلمة، وغاب نحو ساعة ونصف ثم انجلى.

وفي يوم الجمعة، غرة شوّال، رَخّصت الدّولة الرعيّة الأجانب الّذين نقلوهم من الحديدة إلى بَاجِل في الطلوع إلى مَنَاخة - بطلبٍ منهم - لعدم مناسبة هواء باجل لهم، فساروا إلى مناخة.

وفي هذا اليوم - أيضاً - توفي الرّجل الصّالح علي بن أبكر سويد بالمنيرة ودُفن بها، رحمه الله، وقد مرّ ذِكره في أهل المُنيرة.

وفي يوم الرّبوع، الثالث عشر منه، توفي السيّد العلاّمة عبد الله بن الأمين بن محمد بن عبد الباري الأهدل بالمراوعة ودُفن بها.

وفي يوم السبت، السادس عشر منه، توفي أخوه السيّد الفاضل حسين بن الأمين بالمراوعة ودُفن بها.

وفيه، وقعت مقتلة بين أهل مدينة زبيد، منشاؤها وقوع المخالفة بين شيخ من العرب من خُدّام الدّولة وبين قاضي زَبِيد من السّادة بني الأنباري، وهو حسبما بَلَغنا من قُضاة السُوء. وكانت مدينة زبيد مُقَسّمة على أربعة أرْباع: رُبع الجامع وربع الجزع[1] وفيهما ذلك الشيخ، والمجنبذ والعلي وفيهما القاضي المذكور وبين أهل الأرباع ضغائن سابقة، وقد وقعت بينهم مَقْتَلة عظيمة قُتِل بها السيّد العلاّمة

---

(١) أورده الأستاذ عبد الرحمن الحضرمي باسم: الجزء، قال أنه سُمّي كذلك لموقعه في الجزء الجنوبي الغربي للمدينة. انظر كتاب زبيد ص (٢٠)، صادر عن المركز الفرنسي بصنعاء. لكن الأصح هو ما أورده المؤلف بدليل أن المدهجن في تاريخه أوردها بهذا الاسم.

عبد الله بن محمد بطّاح، وقد سبق ذكر ذلك في شهر ذي الحجة من عام خمسة وعشرين بعد ثلاثمائة وألف، فاتّفق الآن أن رَمى الشيخ على بيت القاضي بالسدف فاغتاض القاضي من ذلك وشكاه إلى الوالي بصنعاء - وله عند الوالي كلمة نافذة - فأمر الوالي بفك الحرب على الرُّبْعَيْن اللَّذَيْن فيهما الشيخ وفيهما السّادات العلماء من بني المفتي - ذرّية سيدي يحيى بن عمر الأهدل - فأُطلقت عليهم المدافع بالرمي، وقَابَلَهم أهل الجانب الآخر بالبنادق حتى قُتل من الجانبين ومن أهل البوادي نحو ثلاثين قتيلاً، وهدمت المدافع مسجد سيدي يحيى بن عمر مقبول الأهدل «مسجد النور» الذي كان فيه سيدي عبد الرحمٰن بن سليمان الأهدل وسيدي أحمد بن إدريس المغربي، ورُوِّعت نساء ورجال وأطفال من العترة الطّاهرة وغيرهم، ونُهِب أموالهم وأُخربت بيوتهم، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم. فلقد كان زبيد - قبل جريان هذه الأمور الفظيعة - محط رحال أهل العلم ومنبع الفضل فأصبحت مركزاً للظلمة أهل الفساد، والله المستعان.

وفيه، يوم الإثنين غرة شهر ذي القعدة الحرام، طلعت نار من بعض بيوت المنيرة وقت صلاة الظهر في حرّ وريح شديدتين فأحرقت نحو سبعين بيتاً في لحظة خفيفة، نسأل الله السلامة.

وفي ليلة الجمعة، الثالث عشر منه، وقعت مقتلة بين بني الطويل وبني المكعدل بدير الطويل، سَبَبها أخذ البسرة السابق ذكره آنفاً في شهر شعبان من هذا العام، فَقُتِل بها نحو خمسة نفر من بني المكعدل ونَفَر واحد من بني الطويل، وأَحْرَق بنو المكعدل بعض بيوت دَيْر الطويل ونهبوا بعض دوابهم وأثاثهم، فأرسَل إليهم السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل بعض أولاده ليناصحوهم في ترك الفتنة وحقن دماء المسلمين، فامتثلوا وكَفُّوا.

وفيه، توفي الرّجل الصّالح الشيخ أحمد بن مقبول عماري، من بني المعدي السّاكنين بقرية مَوْر، وبها دُفن رحمه الله آمين.

وفي يوم الأحد، الخامس عشر منه، قَتَل رجل من بني حديدة آخر من بني المفضل وكلاهما من السّادة المهادلة.

وفيه، بَلَغنا أنّ الفتنة عادت بين أهل زَبيد، فَقُتل من الجانبين نحو عشرين نفر.

وفي شهر ذي الحجّة الحرام، توفي السيّد العلاّمة علي بن محمد بطاح الأهدل بمدينة زبيد ودُفن بها.

وفيه وصل شريف من أشراف الشام المُرَتّب في عسكر السيّد العلاّمة محمد بن

علي الإدريسي إلى جهة بني قَيْس عند صالح بن حسن مسعود المُرَتَّب فيها من جهة السيِّد المومىء إليه، وحسبما قيل أنّ مقصوده الوصول إلى الصَّنيف والاستيلاء عليه بمعيّة صالح بن حسن، وأمدّهم السيِّد بجبخانات وسلاح ومأكولات، فتلقّى لها الشيخ يحيى بن علي ثواب وأخذها من الطريق قبل وصولها إليهم، فنزل بعض عسكرهم إلى الخشم فقامت لهم الدّولة بالعسكر وخيَّمت بالقَنَاوِص وتحشَّدت معهم القبائل، ولمّا رأوا ما لهم بذلك طاقة رجعوا من حيث جاءوا.

احداث عام ١٣٣٦هـ:

وفي شهر محرم الحرام، عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف، غَزَت الدّولة العثمانية على حصن رجل يُسمَّى «الهارب» في بلد عَبْس من جهة السيِّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي، فدخلوا الحصن واقتتلوا هم وأهل الحصن فَقُتِلَ من أهل الحصن نحو خمسة وعشرين نفراً ومن الدّولة نحو أربعة عشر نفراً، ومَلَكت الدولة الحصن.

وفيه غزا الشيخ إبراهيم بن عبد الله فوزي ـ ومعه ثلة من العرب وثلة من عسكر الدولة ـ على أهل دوغان بني الكلفود، فقُتِلَ ممن معه شخص واحد ومن الجانب الآخر أربعة نفر، وأخَذت العسكر غنماً كثيراً لشخص من أهل القَنَاوِص كان جاراً لبني الكلفود وقُتِل فيمن قُتِل.

وفي يوم الثلاثاء، السادس من شهر صفر، وقع قتال بين العساكر العثمانية وبين المخالفين لهم من أهل عَبْس وبني حسن وتلك القبائل في محل «الهارب» من جهة السيِّد محمد بن علي فكانت الطائلة للعساكر العثمانية، فَوَقع أولاً الحرب بينهم بالبندق فقُتِل من العرب خمسة وعشرون ثم وقع الإلتحام بينهم بالصّنجات من العساكر وبالجَنَابي من العرب حتى سالت الدماء من ذلك، فقُتل من العرب ـ ثانياً ـ مائة وخمسة وعشرون، فجملة القَتلى منهم ـ أولاً وثانيا ـ مائة وخمسون ومن الترك أحد عشر نفراً وواحد من رؤسائهم. هذا ما بَلَغ إلينا مع بعد الشقة.

وفي يوم الأربعاء، السّابع والعشرين منه، وصل متصرف الحديدة زائراً العلاّمة السيِّد محمد بن يحيى الأهدل بالمنيرة، وجاء معه بالتلغراف الهوائي ـ السابق ذكره ـ فشاهدته فإذا هو مُرَكَّب من آلة في مثل الصندوق، ومن جملة الآلة زجاجات في غاية الصّقالة في ظاهر الصندوق وباطنه، وفيه سراج يشعل إذا نَظر إليه النّاظر من خارج الصندوق وهو يرى من زجاجه في جانب الصندوق الخارجي خطف نظره بسرعة فلا يقدر أحد إثبات نظره فيه، فإذا أُريد أخذ الأخبار منه أوْ إرسالها إلى آلة

تقابلها في محل بعيد مرتفع ليس بينهما حاجز فتحرك آلة خلف ذلك الصندوق من خارج متصلة بآلة في باطنه تقابل كوّة صغيرة مسدودة بزجاجة من ذلك الزجاج مقابلة للزجاجة التي في وجه الصّندوق من خارج، وبين الآلة الخارجية والناحية ذلك السراج فإذا حرّك الخارجة والداخلة فيكون لها انطباق وانفتاح بحبال تلك الكوّة فكلّما انطبق أنستر ضوء السراج وإذا انفتحت ظهر. لكن السّراج ما يحتاجون إليه إلاّ بالليل وبالنهار فيكتفون بضوئه، فيقال أنهم يأخذون من تلك الحركات الإخبارية الذاهبة والجائية باصطلاح بينهم معروف لديهم - كما أخبرني بذلك من له خبره به - وذلك بدون امتداد خَيْط وأخشابٍ فيما بين الآلتين بل في الهواء، حتى أنه بالليل يُرى له شُعاع عند المخابرة بتلك الآلة ممتد، فهذا شيء يبهر العقل فسبحان من علم الإنسان ما لم يعلم.

وفي المدّة السابقة - من نحو أربعة أشهر - وَقَعت مخالفة بين السيّد هادي باشا بن أحمد هَيْج - شيخ الواعظات - وبين شيخ بني جامع أحمد باشا بن محمد هباش، فَحَبسه السيّد هادي لديه وشدّد عليه في الحبس فما خلى سبيله إلا بعد أن سلّم له ثمانية آلاف. فيقال إنّه عند خروجه جَرَت المخابرة بينه وبين السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي خفية، وفي ظاهر الأمر باقٍ على طاعة الدّولة، فاتفق أن دخل في هذا الشهر - من صَفَر - إلى اللُحيّة بنحو مائة وخمسين نفراً يطلب من الدولة سلاحاً ودراهم للعسكر من أولاده المُرَتّبين مع الدّولة، وضَرَب وقت دخوله اللُحيّة البنادق حتى ارتاع أهل البندر من ذلك ظناً منهم أن جيش السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي قد دخل إليهم، وكانوا يتوقعون ذلك، فصرفه قائمقام اللُحيّة بحسن تدبير، ولمّا خرج متوجهاً إلى بلده دق قائمقام التغراف على الدّولة وأخبرهم بما صار منه فأرسلوا إليه من العسكر مائتين وخمسين، فأحاطوا ببيته وأخذوه وأودعوه دار الحبس باللُحيّة واستولوا على البيت بما فيه.

وفي ليلة الجمعة، التاسع والعشرين منه، توفي السيّد الصّالح ولي الله عبد الله بن محمد القُديمي بالزيْدية ودُفن بها، وله من العمر نحو التسعين مُمَتّعاً بجميع حواسه، وقد مَضى مُتَرجَماً عند ذِكر عشيرته القُديميين.

وفي ليلة الأحد، إنسلاخ شهر ربيع الأول، ولد الولد المبارك إن شاء الله علي بن إسماعيل الوشلي ابن جامع هذا التاريخ بالمُنيرة، أنبته الله نباتاً حسناً وجعله من حملة القرآن العظيم والعِلم النّافع وباراً بوالديه آمين.

وفيه، اجتمع لدى السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي جموع كثيرة من جهات شتى، كالجبال الشرقية عن صَبْيَا وأبو عريش وقبائل يام وغيرهم. ولمّا سمع

بهم بعض أهل المشرق من حاشد وبكيل والأذواء الذين هم قوم الإمام السيّد العلاّمة يحيى بن محمد بن حميد الدين، جاثوا إلى الإمام وطلبوا منه تسليم مُرَتَّبهم الشهري فاعتذرهم بعدم الحاصلات وانقطاع النازل البحري بسبب المحاصرة، ووعدهم أن اصبروا بالتسليم فلم يصبروا ونزلوا إلى السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي ليكونوا من جملة عسكره ويَصِلوا إلى مقصودهم من الكفاية، فاجتمع عنده منهم ومن غيرهم ممن ذكرنا ما ينيف على عشرة آلاف مقاتل، فرتّب لكل واحد منهم سبعة عشر ريالاً شهرياً ما عدا الكفاية على أيدي رؤسائهم، فأمرهم بالمسير إلى مِيْدِي فساروا وتفرّقوا في مِيْدي وحبل وحرض ومكثوا بقية شهر صفر إلى أن وصل السيّد العلاّمة محمد بن علي إلى ميدي في شهر ربيع الأول ففرّقهم ثلاث فرق، وأمرهم بالتوجه إلى جهة اليمن لقتال عسكر الدّولة العثمانية المُرَتّبين في عَبْس والواعظات والزُهرة والجامعي والعَطَن، وجهّز جيشاً آخر من طريق البحر في السواعي، وجهّز الجيشين البرّي والبحري بما يكفيهم من السلاح والجبْخانة والبنادق والمدافع وكفايات الأكل والشرب. فانفصلوا من مِيْدي إلى الجهة اليمنية فما وصلوا إلى بعض الطريق بمحل يُسمّى الدراعية إلاّ واللّحيّة شاغرة من سكانها قد تفرّقوا إلى سائر البلدان، وخَرَجت مأمير الدولة منها مع العساكر إلى العَطَنْ، وحملوا دفاتر الديوان إلى الزبيدية.

وفي غرة شهر ربيع الثاني وصلَ بابور من بوابير الإنجليز إلى بندر اللُحيّة فأطلَق على البندر الرّمي بالمدافع من البابور، أخرب بها بعض بيوته وأحرق بعضها، ودام الرمي ثلاثة أيام. وقد عملت الدّولة العثمانية خندقاً في طريق الجيش المذكور، ملأوه بالبارود مستعدّين به عند وصول الجيش إليه يشُبُّو فيه ناراً فيهلكهم، وقد عملوا أيضاً نوعاً من البارود يُسمّى ديناميت، أشياء جرمَ الواحد منها كالكُوز الصغير إذا وُضِع واحد منها في وسط مدينة أهلك أهلها بمن فيه من بني آدم والأموال. فوضعوا منها واحدة خَفيَّة بجانب بيت الشيخ محمد بن يحيى باصِهي وبيت السيّد العلاّمة محمد بن على الإدريسي، وأخرى بجانب بيت السيّد، وشَبُّوا النار فيها، فأمّا التي بجانب بيت الشيخ محمد بن يحيى فَهَدمت بعض البيت وأمّا التي بجانب بيت السيّد فكان وقوعها إلى جهة البحر وسلّم الله منها.

وفيه، أطلقت الإنجليز الرّمي من البابور على عسكر الدّولة الذين بالعَطَنْ، ونحو أربعة أيام، فكانت القلل تَقصر عنهم، فنقلوا الجبْخانة التي بالعَطَنْ إلى الكشعة ـ محل بمعدن الملح ـ خوفاً من وقوع قلة فيها فتهلك وتهلك، فرتبت العساكر بالكشعة وأخرِقت قرى بني جامع الذين صاروا من جملة جيش السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي وهم عشيرة أحمد باشا هبّاش الذي أخلته القُلّة وساروا به

إلى عَبْس السابق ذكره قريباً، وقد رَتَّبت الدّولة حول اللُحيّة والزّهرة والواعظات وعَبْسٍ بالعِدّة والعدد، إلا أنهم بالنسبة إلى جيش السيّد محمد بن علي قليلون عدةً وعدداً.

وفي يوم الأربعاء، الرابع من شهر ربيع الثاني، هجمت طائفة من جيش السيّد الإدريسي وعضدتهم طائفة من بني جامع - عشيرة أحمد باشا هبّاش - على الترك، وعضد الترك جماعة من القبائل في قرية تسمّى القمرية بأسفل الوادي مور، فاقتتلوا وقُتِل من الطرفين جماعة. ثم في يوم الخميس - الخامس منه - اقتتلوا فقُتِل جماعة أيضاً من الطرفين.

وفي هذا اليوم - بهذا التاريخ - وَقَعت مقتلة بين المقارنة من قبيلة الزّعلية[1] وبين السيافة وبين راجح من قبيلة البعجي[2] فقُتِل من المقارنة إثنان.

وفيه، اجتمع عند السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل قبائل صليل والعطاوية والمقاعشة وزَبيد، أزْيَد من مائة نَفَر، فأصْلَح بينهم لِمَا قد سبق بينهم من القتل والنهب. وفي خلال ذلك أضافهم بأنواع الضيافات والإكرام فزالت الضغائن والعداوة الكائنة بينهم، فجزاه الله خيراً.

وفيه، توفي الرّجل الصّالح الشيخ عايض بن علي حميدة رئيس مدينة باجل.

وفيه، قبضت الدولة على الفقيه العلاّمة مُفتي بندر اللُحيّة عبد الرحمٰن بن عيسى سعيد، وعلى نفرين من رؤسائهم - حسبما يقال - أتهموا بالمكاتبة إلى السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي بأن البندر خالٍ من العسكر، فيقال إن الكتاب وقع في أيدي بعض أهل ميْدي قبل وصوله إلى السيّد محمد بن علي فأرسله إلى الدولة، فأخذوهم من اللُحيّة وأرسلوهم إلى الجرَب في دار الحبس، ثم بعد خمسة عشر نهاراً من ذلك شَفَع فيهم بعض النّاس فأطلِقوا ووُجّهوا إلى الزهرة، وتوفي الفقيه عبد الرحمٰن عقب ذلك، رحمه الله، ودُفن بها.

وفيه، وقعت فتنة بين الشيخ هادي بن أحمد هَيْج ومعه قومه وهو من طرف الدولة العثمانية، وبين جماعة من أهل الجامعي وهم من طرف السيّد الإدريسي. وكانت الفتنة بقرب الرّصاص من بلد الجامعي[3]، فقُتِل من جماعةٍ من الطرفين وجُرح آخرون، فأحْرَقت الدّولة أكثر قرى أهل الجامعي بسبب موالاة هؤلاء الجماعة

---

(١) المقارنة: هم أهل المقرني من قبيلة الزعلية في اللُحيّة، لهم قرية: خبت المقارنة

(٢) السيافة وبني راجح: قبيلتان تسكنان قريتي الخوبة وديو راجح من قرى مديرية اللحية.

(٣) الرّصاص: قرية من مديرية اللُحيّة بجوار أبيات حسين.

للسيّد الإدريسي، وبعض القرى أحرقتها الجماعة المذكورون حتى صارت بلد الجامعي شاغرة من أهلها. وكان من والي قوم السيّد الإدريسي أن توجه إليهم بالمحل الذي خيّم به الجيش وهو محل يُسمّى الدراعية(١).

وفي ليلة السبت الخامس من شهر جمادي الأولى، في الساعة السادسة من الليلة المذكورة، دخل الجيش الذي بالقنفذة من طرف السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي إلى بندر اللحيّة من طريق البحر نحو ألفين نفر، ومُقَدَّم الجيش السيّد مصطفى المغربيّ والشريف حمود بن عبد الله الحازمي والسيّد يحيى بن عرار النعمي، وكان دخولهم والبندر قد خلي من سكانه ولم يكن به أحد غير عشرين نَفَر من النظام عسكر الدّولة، فأمسوا إلى الصباح وفتحو الحرب على النظام المذكورين فَقُتِل ثلاثة من النظام ورئيسهم، واستسلم الباقون فأخذوهم بحكم الأسْر إلى مِيْدِي ومعهم شيخ البعجي أحمد بن علي دوس، ورتّبوا البندر بالعسكر والمدافع النارية فوق جبل الزيلعي وغيره من المعاقل. وخرج النّداء من قِبَل السيّد مصطفى بالأمان لأهل اللحيّة في النّفس والمال، ولمّا بَلَغهم ذلك - وهم متفرقون في البوادي - أخذوا في الرجوع إلى أوطانهم فلم يَبْقَ منهم أحد إلاّ رجع.

وفي يوم الأحد، السّابع منه، هجم جيش السيّد الإدريسي الذي بالدّراعية على العَطَن - محل الماء الذي يستقي منه أهل اللحيّة - وفيه ثلاثة من النظام فقابلهم النظام وبعض بني جامع ممن بقي مع الدّولة العثمانية فاقتتلوا، فَقُتِل من بني جامع سبعة نفر وانهزموا، وانحاز النظام إلى الكشعة - محل معدن الملح - واستولَى الجيش على الماء.

وفي يوم الخميس، العاشر منه، قُتِل شخص من بني العنين المُقيمين بالمنيرة على يد الماهوب في دَيْر كشارب، وقد كان المقتول قَتَل شخصاً منهم قَبل هذا.

وفيه، خرجت طيّارتان من البحر من مراكب الإنجليز. حتى حاذت لقرية مَوْر والزّهرة وجبل الملح، يتّبعون بها المحال التي بها الترك، ولكنها لم تُحدِث شيئاً، ثم رجعتا من حيث خرجتا.

وفيه، أحرقت النظام قُرَى البعجية لكونهم أنِسُوا من أهلها المَيْل إلى موالاة السيّد محمد بن علي بن إدريس.

وفي يوم الخميس، السابع عشر منه، هجم جيش الإدريسي على الترك الذين بجبل الملح، فقابلوهم بالمدافع والمكينات فَهُزم الجيش وقُتِل منهم إثنان وأربعون

---

(١) الدّراعية: قرية لبني حسين بمديرية عَبْس بني ثواب في تهامة ومن أعمال محافظة حجّة.

قتيلاً وجُرح خمسة عشر. وكذلك وقعت المصادمة بين الجيش وبين الترك في محل يُقال له أبو كرش فانهزم الجيش وقُتل منهم إثنان وعشرون وجُرح سبعة نفر.

وفيه كَثُر تردد الطيّارات من مراكب الإنجليز إلى مخيّم الترك الّذي بحبل الكشعة، فأخبرني مَن رآها ممن حضر هناك - وهو الشيخ هادي بن احمد مفرّح شيخ الزّعلية - أنها تُشبه صورة الصّنبوق ولها جناحان ورأس وذنب، فيحرّك من فيها آلة له فَتَقْطع مسافة يوم في ساعة وترتفع في الهواء ارتفاعاً بعيداً بحيث أن من فيها يَرَى الشيء العظيم في الأرض صغيراً؛ فإذا ألقت على من تحتها شيئاً من القلل فلا تصيب إلاّ نادراً بسبب ارتفاعها ورؤية من تُلْقي عليه ذلك جرماً صغيراً ولو كان في غاية العِظَم. فأخبرني مَنْ ذكر أنّ الّذي ألقتْهُ عليهم من القُلل إحدى وسبعين قُلّة، ولكنها لم تُصِب أحداً منهم وكانت تقع حولهم. فإذا وقعت في الأرض فتنزل فيها أكثر من قامة الإنسان عمقا؛ وطولاً نحو عشرة أذرع تقريباً؛ ويرتفع منها غبار مختلط بدخانها مرتفعاً في الهواء بعيداً، وعند وقوعها بالأرض فينقدح منها نار، ويُسْمَع لها صوت كصوت المدفع العظيم، وإن وَقعت وَسَط قوم فتُهْلِك منهم جماعةً، نسأل الله السلامة. وقد رموها الترك في تلك الحالة تارة بالمدفع وأخرى بالبندق رمياً كثيراً فأخطأوها لبعدها وارتفاعها في الهواء، وقد ذَكروا أنها إذا أُصيبت بالرمي تسقط حالاً إلى الأرض فتَهلك وتُهْلِك من بها.

وفي يوم الثلاثاء، الثامن والعشرين منه، توفي السيّد الصّالح عمر بن علي عجلان بمدينة الزّبيدية ودُفن بها، رحمه الله.

وفي ليلة الإثنين، الثالث عشر من شهر جمادي الثانية، توفي الشريف الصّالح الهُمام والأسد الضّرغام حمود بن علي بن محمد الحسني بقرية المعترض ودُفن بمحلٍ قد أعدّه لذلك في حياته يحويه جدار المسجد خارجاً عنه. وقد مضى مُتَرْجماً في الأشراف الحسنيّين.

وفي هذا اليوم، بعد صلاة العصر. تَعرّض خمسة أشخاص من بني الزيح للسيد محمد بن إسحاق قحم الأهدل بين قرية المغيدفية ومدينة الزّيدية، ومعه شخص من بني الزيح من عشيرة الخمسة المذكورين فقتلوهما غدراً فلا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، فَدُفِنا بالزّيدية.

وفيه، نَزّل والي صنعاء محمود نديم وقائد الجيوش التركية باليمن أحمد توفيق إلى تهامة لقصد تفقد الجيوش الكائنة بالمراكز واصلاح أحوالهم بالمحتاجات، فوصلا إلى مَناخَة وبَاجِل والمَرَاوعة والمُنِيرة والزّيدية والزهرة والواعظات وعَبس

ومراكز الترك بالجامعي، وكلما وَصَلا إلى محل أخَذا منه أموالاً جزيلة على سبيل الإعانة للعساكر، ما عدا المَراوِعَة والمُنيرة فإنهما ما وصلا إليها إلا لقصد الزيارة فقط، ثم رجعا إلى صنعاء من طريقهما التي وَصَلا منها.

وفي يوم الثلاثاء، الحادي والعشرين منه، هَجَمت النظام على جيش السيّد محمد على الإدريسي بقرية مَوْر، وكان ذلك بعد أن أخلف أهلها على الدولة وخرجوا عن طاعتهم كغيرهم من بعض قبائل الزّعلية والبعجية والجامعي والواعظات، فاجتمع في مَوْر نحو ثلاثة عشر مائة مقاتل من القبائل المذكورة ومن بني مروان ويام وغيرهم، ورئيسهم الشريف منصور بن حمود صاحب وغلاَنْ[1] وغُمير أحد أعيان الواعظات وسيقت عليهم من الذّخائر ما لا يحصى كالبنادق والجبخانات والدقيق والنقود فهجمت عليهم النظام الذين بالزّهرة وشيخ مشائخ قبيلة الواعظات هادي بن أحمد هَبّج باشا ومعه من بقي على طاعة الدولة من قبيلة الواعظات، فثار الحرب بينهم وبين الجيش، فبينما هم في أثناء ذلك إذ وقع في النظام بعض الفشل فقصدهم شيخ الزّعلية هادي بن أحمد مقرني والنظام المرتبون بالزعلية ومَنْ بقي على طاعة الدولة من الزّعلية، فاقتتلوا بعد تراجع المنهزمين فوَقعت ملحمة عظيمة وجرَت من الشريف منصور - من هذا اليوم - أفعال ظَهَرت بها شجاعته الحيدريّة فانهزم الجيش ولم ينهزم هو بل بقي وحده ومعه ثلة، فقُتِل من الجانبين قتلى كثيرة وجُرح كثيرون، وأكثر القتلى من الجيش لكونهم انهزموا فتبعهم النظام والقبائل يقتلون فيهم ثم رجعوا إلى مَوْر فوجدوا فيه من السّلاح والجبْخانات والدقيق والأرز شيئاً كثيراً فاستولوا عليه وأحرقوا البيوت وأخربوها. ثم أنّ الجيش وقف بجبل جدع وكانت الإمدادات تأتيهم من اللّحية.

وفي الثاني والعشرين منه، توفي الفقيه العلاّمة يحيى بن أحمد عمر يعني الحضرمي، بالضّحِي ودُفن بها، وقد مَضى مترجماً.

وفي الخميس، الثلاثين منه، أنزل الله مطراً بجهة المُنيرة والزّيدية، فوَقعت صاعقة أصابت شخصاً من بني الزبح، شَقّت بطنه إلى سرته كان بها أجله، نسأل الله السّلامة.

وفيه، توفي الشيخ الكامل أحمد بن أمحمد معدي ويُسمّى أحمد بن علي وإنما هو أحمد بن أمحمد، وذلك بالدّمنة - قرية السّادة بني القبقب من الزّعلية، ودُفن بمقبرتهم، رحمه الله.

---

(1) وغلاَنْ: قرية من أعمال صامطة بمنطقة جلزان.

وفيه، توفي السيّد الأجل الولي الأكمل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن إدريس في صَبْيَا ودُفن بها، وقد مضى مُتَرَجَماً.

وفيه، جاء الخبر بوفاة الشيخ العلاّمة الإمام سالم بن عبد الرحمٰن باصهي ببلدة حضرموت، وقد كان مقيماً بجهة صَبْيَا وأبي عريش فتوجّه إلى بلده لحاجة فتوفي بها، وسيأتي ذكره - إن شاء الله تعالى - في هذا المجموع.

وفي شهر رجب، غَزَا النظام على الهنود أهل المشاف[1] لكونهم ممن خرج عن طاعة الدّولة، وهم أهل ثروة وتغلبات في البيع والشراء، فَنَهَبوا منهم أموال جزيلة من طعام وبَزّ ودراهم وفضة وسلاح وأثاث.

وفيه، توفي السيّد الصّالح عبد الباري بن القادري بن سليمان الأهدل بالمراوعة ودُفن بها، رحمه الله.

وفيه. توفي الرّجل الصّالح مشهور بن حسن - أحد تجار اللُحيَّة - فجاة باللّحية رحمه الله.

وفيه، توفي الرجل الصالح علي بن عبد الله قريشي يتيم، رحمه الله.

وفي يوم الثلاثاء، رابع شعبان، غَزَا السيّد محمد بن محمد قحم ومعه نحو مائة وخمسين نفراً على بني حمزة وبني الزّيح قاتلي بني أخيه - السابق ذكره قريباً - وقت صلاة الصّبح وهم نائمون، فضربوا بالبندق كلهم على الدّير مرّة واحدة فَقَتَلوا منهم رجلين وامرأة وحصان وجَرحوا رجلين، ثم انهزموا فَتبِعوا أهل الدّير وانظم إليهم أهل القرى الكائنة حولهم وما زالوا يطردونهم إلى أن أوصلوهم بقرب قراهم، وقُتِل منهم خمسة رجال مدبرين وجُرح خمسة وأحرقوا دَيْر حنينة[2].

وفي يوم الأربعاء، الخامس منه، توفي السيّد العلاّمة أحمد بن حاتم الأهدل في مدينة باجل ودُفن بها، وقد مضى مترجماً في الجزء الأول من هذا التاريخ.

وفي يوم الأحد، التاسع منه، طلعت نار من بعض بيوت المنيرة من غربيها في ريح وحرّ شديدين وقت صلاة الظهر، فأحْرَقت من بيوتها على خمس مائة بيت وهَلَك بها أموال جزيلة وطفل وامرأة.

وفي يوم الأربعاء التاسع عشر منه، غَزَت النظام ومعهم من القبائل شيخ الزّعلية

---

(١) المشاف: من قرى مديرية أسلم وأعمال محافظة حَجّة، وهي من بلدان قبائل حجور.

(٢) دير حنينه: قريتان: شرقي وغربي من أعمال مديرية المنيرة، فيهما بني القحم وبني حمزة وبني المؤذن وبني الزّيح وبني عوضة.

هادي بن أحمد مَفرني وجماعة من قبيلته على قبيلة البعجي بسبب أنهم خرجوا من طاعتهم إلى طاعة السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي، فكانت الطائلة للنظام وقُتِل من البعجي خمسة أنفار وأُحرِقت ثلاث من قراهم ونَهَبوا منها طعاماً.

وفي يوم السبت، التاسع والعشرين منه، هَجَمت النظام ومعهم طائفة من القبائل على جيش السيّد العلاّمة محمد بن إدريسي بمحل يُسمّى محل حسين رضوان، فاقتتلوا وانهزم الجيش وقُتِل منهم جَمْع كثير وأُخذ منهم النظام مدفعين وبنادق وغير ذلك، واتصل النظام بالعَطَن محل الماء بعد أن خرج منه الجيش فارّين إلى اللّحيّة بسبب هزيمة الذين بمحل حسين رضوان فقطعوا الماء عن أهل اللّحيّة، ولمّا اشتد بهم الظمأ ارتفع السيّد مصطفى رئيس الجيش ومن معه من الجيش إلى البابور وحَمَل معه ما أمكنه حمله من السلاح والجبْخانة والأكل، ولمّا كانت المدافع ثقيلة لم يتيسر حملها - في ذلك الوقت - أَخَذ آلاتها وتَرَكها مُعَطّلة، وتركوا كثيراً من السّلاح والأكل فأخَذ أهل اللّحيّة بعضها ودَخَلتها النظام عقب ذلك فاستولوا على البعض الاخر.

وفي غرة شهر رمضان، وَقَعت فتنة بين صالح مسعود - وهو من طرف السيّد محمد بن علي الإدريسي - وعضدهم أهل قرية الحزر من صلّيل، وبين الزّعلية وعضدهم بني السّيف من صلّيل أيضاً - من طرف الدولة العثمانية - فَقُتِل جماعة من الطرفين وجُرِح آخرون.

وفيه، أحرَقت الدّولة العثمانية قرية الخَوْبة بما فيها من الأموال بسبب موالاتهم للسيّد محمد بن علي بن إدريس.

وفيه، وَقَعت نار بمدينة الزّيدية أَحرَقت نحو ثلاثين بيتاً.

وفيه، طلعت نار بمدينة مِيدي أحرقت - حسبما حُكِي لنا - نحو ألف بيت وستمائة بيت، وهَلَك بها أموال جزيلة، نعوذ بالله من النار دنيا وآخرة.

وفيه، توفي السيّد العلاّمة ولي الله تعالى مَنْصِب المنصورية أحمد بن يحيى البَخر القديمي ودُفن بها، وقد مَضَى مترجماً نفع الله به آمين.

وفي غرّة شوال، انتقل بالوفاة إلى رحمة الله ومغفرته: ولي عهد الخلافة العُظمى السلطان الأعظم محمد رشاد خان الخامس بن السلطان عبد الحميد خان، وكانت مدة خلافته تسع نسنين وخمسة أشهر وأربعة وعشرين يوماً، لأن جلوسه على التخت كان في اليوم السابع من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٧، وفي اليوم الثالث عشر من هذا الشهر - سنة ١٣٣٨ الموافق من شهر تموّز سنة ١٣٣٤ - جلس خليفة على تخت المُلك: ولي عهد الخلافة العظمى السلطان الأعظم محمد وحيد الدّين خان السادس، وكان في مدته وقع اختلال في المُلك واضمحلال، ولله الأمر من قَبل ومن بَعْد.

وفي ليلة السّبت، الخامس من شهر شوال بَعْد صلاة العِشاء بنحو ساعة، انقض كوكب إلى جهة القِبلة يميل إلى الغرب، فَظَهر له ضوء ملأ الآفاق، ثم بعد ربع ساعة سُمِع له صوت كصوت الرّعد القاصف.

وفيه، غزا غالب بك بعسكر النظام ومعهم قبائل علي جَيْلان صغير بن جَيْلان داويه، فاقتتلوا وانهزم جيلان ومن معه وتغلّب غالب على حصنه، ثم تراجع جيلان ومن معه وهجموا عليهم في البيت فأخرجوهم منه وزحزحوهم، ثم أعادوا القتال مرة بعد أخرى فَقُتِل من الجانبين كثير وجُرِح كثير. ثم ما زالوا على ذلك يُدار عليهم مرة ويُدارون عليه مرة أخرى إلى أن فرّ من بيته فاستولت عليه النظام، وأمّا أخوه جَيْلان كبير فهو مع الدّولة من أول الأمر.

وفي يوم الاثنين، الرّابع عشر منه، توفي السيّد الصّالح محمد بن حسن مصعلي خطيب الكدراء[1] وإمامهم في الصلاة، ودُفن بها. وتوفي الرّجل الصالح أحمد بن إبراهيم بحاري بالمنيرة ودُفن بها.

وفي يوم الأحد، العشرين منه، توفي السيّد الصّالح عبد بن محمد الأهدل خطيب المنيرة وإمام جامعها، وقد مضى مُتَرَجماً في الجزء الأول من هذا التاريخ، ودُفن بالمنيرة.

وفي يوم السبت، السادس والعشرين منه، وقع حرب بين قبيلة الزعلية وبين الواعظات، فقُتِل من الزّعليّة سبعة عشر نفر ومن الآخرين إثنا عشر رجلاً ما عدا المجاريح من الطرفين.

وفي ليلة السبت، السادس والعشرين أيضاً منه، اجْتَمع لَدَى سيدي المالك العلاّمة الأجل السيّد محمد بن يحيى الأهدل بالمنيرة الطائفتان السابق ذكرها ـ وهما بنو كشارب والسيّد محمد بن محمد قحم ومن إليه لأجل الإصلاح بينهم، فَعَرض عليهم السيّد المُشار إليه الصّلح المُطلق فلم يقبلوا إلاّ مُقَيّداً بمدة بأسباب مطالب بينهم لم تحضر من الطرفين فضرب بهم صلحاً مدّة شهرين، فَخَرج رجلٍ من بني حمزة يُسمّى يحيى علي ومعه رجلان عقب تمام الصّلح فاختفوا بجانب قبة الولي الكبير عبد الله بن عمر الأهدل ـ في ليلة مظلمة ـ حتى مَرّ جماعة من بني الجندوب ـ وهم من قوم السيّد محمد بن محمد قحم ـ فرموهم بالبنادق فَوَقعت رصاصة في أحدهم هو عيسى علي جندوب كان بها أجله، ثم شَرَدوا إلى شيخ الحشابرة عبد الله مشهور وما زالوا عنده مخالفين إلى تأريخ هذا.

---

(١) الكدراء: إحدى قرى مديرية الزيدية، بالقرب من المدينة.

وفي شهر ذي القعدة الحرام، توفي الشريف الصّالح عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بقرية المعترض ودُفن بها.

وفي شهر ذي الحجّة، دَخَل جيش السيّد الإمام محمد بن علي الإدريسي إلى اللُحية، فجَرى بينه وبين النظام - الذي بها - حرب قُتِل من الطرفين جماعةٌ، وأخذ الجيش جماعة نحو خمسة عشر رجلاً من النظام وزوجة رئيس من رؤسائهم بِحُكْم الأَسْر، ثم أنه صدر الأمر من الدّولة على أهل اللُحية بالخروج منها فتفرّقوا في البوادي والمدن والقرى بعد أن أغلقوا أبواب بيوتهم على ما فيها من الأثاث والمحاسن، ولمّا صارت خالية من سكانها وقعت النظام في كسر الأبواب ونهب ما فيها من الأثاث والمحاسن، ونَهَبت القبائل ما تركه النظام، فلا حول ولا قوّة إلا بالله. ثم بعد ذلك أحرقت النظام جميع بيوتها القشاش وخَرجوا منها، وأمّا بيوتها الحجر فَرماها الإنجليز بالمدافع من البابور أخرب أكثرها.

وفي اليوم الثامن منه، توفي السيّد الفاضل عبد الرحمٰن بن علي قَمّاط بحزيرة كَمَران ودُفن بها.

وفي يوم الأربعاء، السادس والعشرين منه، طلعت نار من بيوت بني الخارفي، من الجانب الشرقي من مدينة الزبدية، وقت صلاة الظهر، في حرّ وريح شديدين، فأحرَقت نحو ثلاثين بيتاً في لحظة خفيفة.

وفي يوم الجمعة، الثامن والعشرين منه، توفي السيّد العلاّمة الصّالح أحمد ورق - من السّادة بني المقبول - بقرية الدريهمي وبها دُفن.

وفيه، وصل وَالي صنعاء محمود نديم إلى زبيد بعد أن سبقت منهم إساءة في جانب الدّولة فأخربت مواضع كانوا قد استعدّوهَا للحرب، وطَلَب من تجارها مائتين ألف ريال تَمر على سبيل التنكيل، ومائة ألف ريال من أموال الزّكاة التي عليهم. ووقت رَقْم هذا وهو قد أَخَذ منهم خمسين ألف من أموال التنكيل وعشرين ألفاً من الزّكاة.

أحداث عام ١٣٣٧ هـ:

وفي غرة شهر محرم الحرام، ابتداء عام سبعة وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف، تَعرّض بنو حمزة وبنو المطري لشخص من الهنود الساكنين بالمشاف - من أعمال حَجُور - اسمه على عبده، وصل من بلده يريد المراوعة لأخذ البضاعة من البزّ فَخَرجوا عليه بجانب دَيْر أبكر من بلد صلّيل فرموه برصاصة وقعت في ركبته حتى بَرَك، فحماهم عن نفسه بالرّمي فَقَتل منهم رجلاً وامرأة وجَرَح رجلاً وامرأته، ثم لمّا

ضعف وصلوا إليه وتمّموا قتله، ودُفن في دَيْر أبكر محل بني كشارب، وكان معه جماعة من أهل الزّيدية فاستنقذوا دابته وما عليها من الأثاث فَسَلِمَت من النّهب.

وفيه، توفي السيّد العلاّمة حسن بن يحيى بَحْر القُديمي، بالمنصورية ودُفن بها.

وفي يوم الثلاثاء، الثامن من شهر صفر، توفي السيّد الصّالح ـ شيخ الجرابح ـ حسن أصلع بن قاسم شيبة بالضّحي وبه دُفن.

وفي ليلة الثلاثاء، الثاني والعشرين منه، توفي السيّد الصّالح احمد بن محمد طعّان الأهدل بقرية الحزر ونُقِل على أعناق الرّجال إلى المُنيرة بوصية منه ودُفن بها.

وفي ليلة الجمعة، الخامس والعشرين منه، توفي الرّجل الصّالح علي بن أحمد هنيبق، بالمنيرة ودُغن بها.

وفي ليلة الإثنين، الثامن والعشرين منه، توفي السيّد الصالح محمد بن عبد القادر عجلان بالزيدية ودُفن بها.

وفي شهر ربيع الأول أنزل الله أمراضاً بالناس عَمّت أهل سائر البلدان، متنوعة كالحمى المطبقة والخفيفة والسعال ووجه الآذان والصّمم، ومات به كثير من الناس.

وفيه نَزَلت بالإسلام وأهله باليمن فاقرة عظيمة وحادثة جسيمة لم يعهد وقوع مثلها منذ بُعث محمد ﷺ إلى وقتنا هذا، هي أنه وصل ـ عدوّ الله ـ الإنجليز إلى بندر الحديدة قاصداً النزول به والاستيلاء عليه، فأحاطت به مراكبه البحرية وأنزلوا منها جيشاً ملأ الفضاء، وعِدّةً حربيةً عظيمة وجبْخانات وأرزاق للعساكر. فصادف ذلك والبندر قد خَلاَ من أهله بسبب أن الإنجليز قد كانوا ـ من قَبْل ـ يترددون إليه بالبوابير ويرمونه بِالمدافع العظام فَفَرّ أهله منه إلى البوادي، فدخلته الإنجليز ـ الآن ـ من غير رمية وَلا ضربة. وسبب نزولها هذا ما قد سبق ذكره مُفَرّقاً في السنين من هذا التأريخ من تطاول الحرب بين الدّولة العثمانية وبين عدو الله الإنجليز ومن عضده من الطوائف الكفرية من ضربهم للحصار على جميع الممالك العثمانية، فطال الحصار والحرب واشتد البلاء والكرب نحو خمس سنين حتى فنيت من ذلك نفوس لا تُحصى وذَهَبت أموال لا تُعَدّ ولا تُستَقصى وضعفت أحوال رعايا الدّولة العثمانية من شدة الحصار، وانقطع الإمداد لعساكرهم من الأستانة، وانقطعت الأخبار التلغرافية بتمزيق السلك الممدود من اليمن إلى الأستانة، ولم يبق تعيش عساكرهم الذين باليمن إلاّ من مرتب معلوم ضربوه على أهل البيع والشراء سمّوه بالإعانة الجهادية، ولا يحصل لهم من ذلك أموال جسيمة ومنها كان قُوتَهم، ثم لمّا ضعفت قُوتهم من شدة الحروب انتهز ـ عدو الله ـ الفرصة واتّفَقت كلمته مع طائفة منهم تُسمّى

مريكن[1] لم تدخل في هذه الحروب بل بقيت وافرة فجهزوا العدة والعدد التي لا يردها غير حول الله وقوته، فهجموا على الأستانة ودخلوها وتحكموا على من بها كيفما أرادوا. ثم جرت بينهم الشروط في متاركة الحرب على نحو أربعين شرطاً حسبما بلغ إلينا من الأخبار، منها أن الدولة العثمانية يُسلّمون إليهم اليمن وسوريا ودمشق والحجاز ويرفعون منها التلغراف والعساكر الذين بها ويسلمونهم إليهم تحت أسْرِهم، وغير ذلك من الشروط التي تحكّموا بها عليهم، وعَقِب ذلك سكن الحرب. ثم بعد ذلك ورد من جهة السلطنة أمر إلى رئيس الفيلق العثماني في جميع اليمن الكائن بولاية صنعاء أحمد توفيق باشا وذلك بواسطة الإنجليز أنه قد جَرت المتاركة للحرب بينهم وبين الإنجليز، وأنهم يُسلّمون إليهم اليمن ويفرّغونه من الأتراك والسلاح وجميع العدة ونكوّن العسكر بأيديهم بحكم الأسْر. فدخلتهم الواهمة من ذلك حيث أن الأمر جاء على يد الإنجليز فصوّروه في صورة الخيانة منهم، فطالت المراجعة بينهم وبين الإنجليز في ذلك ولكن لمّا جاء الأمر برَسم العَلاَمَة المُتَعَارفة بينهم وبين السلطنة وهي حروف يسمّونها بالشُفْرَة يَعرفُونها بطريق الاصطلاح، ما وَسع رئيس الفَيْلَق إلا الامتثال فأنفذ الأوامر إلى أمراء الأجناد التي في الألوية وغيرها كبلاد عَسِير ولَحج وعَبْس بأنهم يُفرّغون اليمن من العساكر ويسلمونهم إلى الإنجليز مأسورين. فامتثلوا الأمر وكان عندهم من العدّة والجبْخانات - كالمدافع العظام والبنادق - ما لا يدخل تحت الحصر، فكانوا يُظْهرون أنهم غير ممتثلين لِمَا جاءهم مِنَ الأمر من جهة السلطنة ولكن فِعْلهم يخالف ذلك، فأمّا سعيد باشا - وكان بجهة لحج - فَطَلب الإذن من الإنجليز في الدّخول إلى عدن وأنهم يفتحون له باب المخابرة إلى السلطنة في التلغراف، فأذنوا له ودخل، فَجَرت بينه وبينهم المخابرة فرجع إلى عسكره بلَحج وقوّض الخيام، فدخل بعسكره الجزار وما معهم من جميع أهبّة القتال وغيرها إلى عدن بمقتضى الأمْر، فأدخلوهم قِيْل إلى مصر فَنُفي إلى هناك بعسكره، وقيل إنهم باقون بعدن وقيل بِكَمَران. وأمّا رئيس الجُنْد ببلاد عسير وفي جُنده كثرة عظيمة فَسَلّموا ما معهم من أهبة الحرب كالمدافع والبنادق والجبْخانات والبغال والخيام وسائر الأثاث إلى السيّد العلاّمة الإمام أمير المؤمنين محمد بن علي بن إدريس، ثم وصلوا إلى جازان فجاءت البوابير الإنجليزية فركبوا فيها إلى كَمَران ثم إلى عدن بحكم الأسر بأيدي الإنجليز. وأمّا رئيس الجُند بجهة عَبْس والواعظات وسائر قضاء اللّحيّة فهو غالب بك وكان بهذه الجهات لمحاربة السيّد العلاّمة الإمام محمد بن علي بن إدريس، فَجَرت بينه وبينهم حروب عظيمة ومواقف عديدة جسيمة

---

(١) أمريكا.

وكانت الطائلة في أكثرها لمولانا الإمام أيّده الله ونصرهُ، ولمّا صدر الأمر من قايد الفيلق أحمد توفيق ـ السابق ذكره ـ عليه بتوجهه بعسكره إلى البحر ففي أول الأمر كان يُظهِر عدم الإمتثال وعقب ذلك صَدَر منه الأمر على جنده بيع السلاح والجبخانات وسائر الأثاث كالنحاس والألبسة وغيرها، فوقعوا في بيع ذلك حتى لم يتركوا لهم شيئاً، وهو في خلال ذلك يأمر بسير الجُنْد إلى محل يُسمى بالزّاوية ـ كائن قبلى المراوعة ـ فكانوا يسيرون شيئاً فشيئاً من بلاد عَبْس إلى جهة اليمن، فكلما فَرَغت بلد وخلّفوها وراء ظهورهم طَوَوا خَيْط التلغراف منه وأخذوا آلته التي تؤخذ منها الأخبار ، وشدّوا جميع أثقالهم وذلك من عبس إلى الواعظات ثم إلى الزّهرة ومنها إلى الزّيدية، وفي خلال ذلك كلما وصلوا بلدة باعوا بعض الأثقال، فاجتمع بالزّيدية منهم جَمع كثير فباعوا بها كلما عزّ وهان وذلك بأبخس ثَمن، إلا البنادق والجبخانة فباعوها بقيمتها المعهودة، وإلا المدافع فإنهم أرسلوها إلى الزّاوية وإلى باجل وأرسلوا إلى إمام شَهَارة السيّد العلاّمة يحيى بن محمد بن حميد الدين كثيراً من جبْخانة المدافع والبنادق من طريق الشّعافل[1] ثم إلى المحويت يُقال أن ذلك كان لِدَيْن له عليهم وسيأتي ذِكر ذلك إن شاء الله. وما زالوا يسيرون من الزّبدية ويترددون إلى الزّاوية ثم منها إلى الحديدة تحت أسْر الإنجليز، فَسَيَّروا بهم إلى كَمَران ومن هناك ما يدري إلى أين. وفي أثناء سَيْر التُرك من عَبْس والواعظات إلى جهة اليمن وصل شيخ الواعظات السيّد هادي بن أحمد هَيْج وشيخ عَبْس يحيى بن علي ثَواب إلى السيّد العلاّمة أمير المؤمنين محمد بن علي بن إدريس خافظين جناح الذُل، وكانا قد بايناه مباينة عظيمة بموالاتهم للأتراك فوصلا إليه الآن ولسان الحال يستشهد بما قاله إخوة يُوسف ليوسف: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾[2] فما كان بأسرع من أجابهم بقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وذلك على عادته الجميلة فإنه لا ينتقم لنفسه ولا يعاتب أحداً ولا يعاقبه بل يعفو ويَصْفَح تخلّقاً بالأخلاق النبويّة، بل فوق ذلك يُعطى الجزيل ويجود بالكثير فصار المذكوران من خواص المُقرَّبين إليه، وولّى بعضهم العمل في بعض الجهات. وأمّا العساكر المُرَتّبون بِزَبِيْد وبيت الفقيه فطلعوا من المَرَاسي الكائنة بحذائهم إلاّ أنّا لم نتحقق إلى من سلّموا السّلاح الّذي بأيديهم، فهذا ما كان من أمرهم بالخطة التهامية ذكرناها باختصار، وأمّا الخطّة الجَبَالية كصنعاء وما والاها فمن كان بها من الأجناد التركية فلم ينزل منهم أحد إلى تهامة سوى رئيسهم المُسمّى بالفيلق أحمد

---

(١) الشّعافل: منطقة في شرقي القناوص عِدَادها من محافظة المحويت، وهي الشعافل السفلى والشعافل العليا.

(٢) سورة يوسف، الآية: (٩١).

توفيق فإنه نزل إلى الحديدة وركب إلى عدن، وسَبب عدم نزول الجُنْد حسبما بَلَغنا أنّ له عند الدّولة ديوناً عظيمة فَمَنعهم من النزول حتى يَقْضوه إيّاها، غير أن في صنعاء من عائلة الترك الأيتام الّذين قُتل آبائهم في الحروب أو ماتوا عنهم عدداً كثيراً في كفاية الدّولة هناك، فأنزلوهم إلى باجل وسَيّروهم إلى الحديدة وسلّموهم إلى الإنجليز ليقوموا بكفايتهم. وفي خلال ذلك أُطلقت أسرى الإنجليز الّذين كانوا في مَناخَة، وهم الّذين كانوا في الحديدة يَتّجِرونَ قبل وقوع الحرب والحصار ولمّا وقع الخلاف بين الترك والإنجليز أُخِذُوا بِحُكم الأَسْر وسُيّرُوا إلى مناخة، وأطلقوهم الان وسيّروهم إلى الحديدة وهذا من جملة الشروط السابق ذِكرها.

وأمّا العدّة التي في صنعاء وسائر الجبال الشامية عنها إلى حَجّة وحَجُور والقُفْل والشَّاهِل وما والاها والتي بيماني صنعاء وغربيها إلى تَعِز ومَناخَة ورَيْمَة وما والاها، فَوَضعَ السيّد العلاّمة يحيى بن محمد بن حميّد الدين يده عليها عن آخرها وهي عدة عظيمة لا تُحصى ولا تُحصر من المدافع المختلفة الأنواع من كِبَر وصِغَر البنادق وسائر آلات الحرب والمنافع، مقابله فيما له عند الدّولة من الدّيون التي مرّ ذِكرها. وكان قَبْل ذلك قد دَخَل إلى صنعاء بنحو خمسة أشهر ولم يدخلها قط من يوم كان ما كان بينه وبين الترك من الحروب إلى هذه المدّة، وكان قَبْل ذلك محط مُلْكِه في شَهَارَة والقَفْلَة فصارت الآن صنعاء قاعدة مُلْكِه كما كانت لأسلافه الكرام ومدّ يده على جميع الجبال وتخلّت أيدي التُرك منها وعن سائر تهامة اليمن، بعد أن بقيت دولتهم عليه اثنان وسبعون سنةً، لأن دخولهم اليمن واستيلاء يَدَ المُلْك عليه كان في عام أربعة وستين بعد المائتين والألف[1] وانقضاء دولتهم منه في عام سبعة وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف[2] بعد أن مَلَكوا وقَهَرُوا ونَهَوا وأَمَرُوا. ومِنْ عجيب الاتفاق أنه يوم دخلت الأتراك في اليمن - في عام أربعة وستين بعد مائتين وألف - كان أول من تولّى منهم في مدينة الزّبيدية تركي اسمه بيرم وآخر من تولّى منهم بها تركي بيرم. وانتقضت دولتهم من اليمن وخَلَفَهُم بالتولّي عليه السيّد العلاّمة الإمام محمد بن علي الإدريسي.

وما هي إلا دولة بعد دولة تخول ذا نعمي وتَعْقُب ذا بوسي

ونَظِير هذا دولة بني مروان من بني أُميّة، فإن أول من تولّى منهم: مروان بن الحَكَم، وآخر من تولّى منهم: مروان بن محمد الّذي كان يقال له مروان الحمار، والمدتان متقاربتان فإن مدة الدّولة الأموية بالنسبة إلى بني مروان ثلاثة وستون سنة

---

(١) (١٨٤٩م).

(٢) (١٩١٨م).

ومدة الدّولة التركية اثنان وستون سنة، فالفرق بين المدتين تسع سنوات فسبحان من لا انقضاء لِمُلكه، وقد سَبَق طَرَف مِنْ ذكْر دولتهم ومحاسنها في عام ثلاث وتسعين بعد المائتين والألف في هذا الفصل من هذا التاريخ فارجَع إليه إن أردت الإطلاع عليه ففي ذلك عبرة لمن اعتبر. وقد قلت هذه القصيدة عند وقوع هذا الحدث ونزوله بالإسلام وأهله:

خطب أناخ بساحة الإسلام ... فاندك منه ثوابت الأحلام[1]
وتصدّعت فِرَقاً قلوب أولي النّهى ... منه وحق تساقط الأعلام
والشمّ كادت أن تذوب تحرقاً ... ومساجدَ وصوامع الأعلام
ومنابر الخطبة وهي جوامد ... تبكي لفقد شريعة الإسلام
هذا لعمري للبرية فادح ... مردى العقول مُشَتّت الأفهام
هذي أمور للظهور قواصم ... قادت لراكب متنها بزمام
يا غافلاً عن مزعجات زمانه ... هل أنت أطرش أم من النُّوّام
فأفِق فأيدي الكفر قد مدت إلى ... اليمن المبارك بعد أخذ الشام
هذي مراكبهم رست بحديدة ... فكأنها في البحر كالاعلام
حَمَلت جنوداً ليس يُحْصَر عدّها ... مع عدة تحكي عديد رغام
نزلوا بها مستوطنين ربوعها ... حتى استباحوا دورها بسلام
قد كان رَبْع الدّين فيها عامراً ... فتبدّلت بالشرك والأصنام
قد كان رَبْع العِلْم فيها آهلاً ... فتبدّلت عن نورها بظلام
أوّاه ممّا قد جرى في ديننا ... آهِ لغربة شِرْعَة الإسلام
لَهفي على اليمن السعيد فإنّه ... ما زال محفوظاً من الأسقام
مِنْ عِنْد بعثة أحمدٍ خير الورى ... بالدّين في أمنٍ مَدَى الأعوام
فبحرمة الحرمين يا مَوْلَى الوَرى ... أنصُر خليفة مِلّة الإسلام
أعني أمير المؤمنين محمداً ... شمس الهدى وإمام كل إمام
من آل إدريس الكرام وفخرهم ... بل قطب دائرة الوجود السامي
من دوحة نبويّة علوية ... من آل أحمد مظهر الأحكام
وانصر عساكره ووفق جنوده ... من كل شهم في الوغى مقدام
من كل أسد باسل يوم الوَغى ... يدع العدوّ كذاهب الأيام
نصراً يقوم به الحَنيف مُجَدَّداً ... ويبيد أهل الشِرك والإجرام
يسطو بأبيض في كثيف جنودهم ... حتى يصيروا عبرة لأنام

(١) أي العقول.

ويطهر الأرض المقدسة التي	قد اوطأوها الرجس بالأقدام
ويقوم للشرع الشريف معاضداً	ويزيل غرسه برفع لثام
قد حكم القرآن حسب عبانه	في حكمه بالنقض والإبرام
ماضي العزيمة في العدى سطوته	مشهورة بالفتك والإقدام
حتى نصير جموعهم وجنودهم	مهزومة بثلاثة أقسام
ما بين مقتول وآخر شارد	وكذاك مأسور من الآطام
يا بايعين نفوسهم من ربهم	أثمانها المثوى بدار سلام
هل طالب جنات عدن زخرفت	دار النعيم بغاية الإكرام
هل راغب في نصر دين محمد	من فلّ حقدهم بِحدٍّ حسام
صلى عليه مسلماً رب الورى	مع آله وصحابه الأعلاَم

وأمّا الحجاز فيقال إنّ الإنجليز أمدّوا شريف مكة الحسين بن علي بالإمدادات الواسعة من سلاح وجبخانات وأرزاق ونقود وغير ذلك، فقام يستنقذ البلدان من أيدي الأتراك الّذين بها وقد كانت ـ قبل ذلك ـ يده ويد الأتراك واحدة وكان السبب في إفتراق الكلمة بينهم وبينه ما سبق ذكره في عام أربعة وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف من هذا الفصل، فقام عليهم بالخلاف وساعده الحظ بإمداد من ذُكر لموافقة هواهم لمّا قصده الشريف، فقام أولاً بالحرب على من بمكة وجده والطائف من الترك فأخرجهم منها ثم خرج إلى الجهة الشامية وذلك على يد ولديه: الشّريف فيصل بن الحسين والشريف علي بن الحسين، فكان كلّما وصلوا إلى موضع أخرجوهم منه ورتّبوه بجنودهم حتى وصلوا إلى حدود دمشق الشام وبيت المَقْدِس والعراق وسوريا وما والاها، ما عدا المدينة المنوّرة فإنهم حاولوا دخولها فلم يتفق لهم ذلك بسبب قوّة الترك الّذين بها واستيلاؤهم على هذه البلدان بسبب قلّة الأتراك بها لكونهم ذهبوا إلى محاربة الدولة الأجنبية، فدخلوا أكثرها بدون حرب. وقد مضى طَرَف من هذا أواخر عام أربع وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف من هذا الفصل فارْجَع إليه إن شئت.

ثم لمّا سعرت[1] الخطة اليمنية من الأتراك وذلك بعد أن جرت حروب طويلة بينهم وبين السيّد العلاّمة الإمام محمد بن علي بن إدريس وكانت الطائلة له عليهم في أكثر الوقايع فمن ذلك وَقْعَة جازان المشهورة بوقعة الحفاير، سُمّيت بذلك لوقوعها بالقرب منها وهي جمع حفيرة مَوْضع الماء الحلو الّذي يستقى منه أهل جازان، فوَقعت هناك ملحمة عظيمة بين الأتراك ـ وفيهم كثرة يبلغون عشرة آلاف مقاتل أو أكثر ـ وبين عسكر السيد الإمام المومى إليه ـ وهم نحو ألفين ـ وكان ذلك في ابتداء

(١) هكذا بالأصل، لعلها: بعدت.

دولة الإمام نصرة الله، وفي عدد عسكرة وعدتهم ضعفت بالنسبة إلى قوة الآخرين
لولا الإعانة الإلهيّة والنّصرة الربّانية ﴿غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(1) وللأتراك من
العدة والعدد التي لا يردّها غير حول الله وقوّته، وكان مُقدّم عسكرهم الوالي
محمد علي باشا ومن رؤساء عسكر الإمام أمير المؤمنين سيّد محمد بن علي بن
إدريس: الشريف الهُمام البطل المقدام محمد بن زيد بن الحسين بن علي الحسني
وأخوه الشريفِ العلاّمة الكمي أحمد بن زيد بن الحسين والشيخ الكامل ذو الجنان
القوي الذي لاَ يَهاب الموت ولا يَخاف الفوت - شيخ صَبْيا - محمد طاهر رضوان
والشيخ المقدام - شيخ أبـي عريش - محمد جبريل، وغيرهم من الأبطال من كل
أسد ريبال كالسيد إبراهيم بن فتح الدّين. وفي غالب الأوقات كان مُقَدَّم جيشه
الشيخ محمد طاهر رضوان - المذكور آنفاً - لشجاعته وقوة جنانه، والسّعي مع
مولانا أميرِ المؤمنين بحسنِ نيّة وصلاح طويّة، فقلّما تقدم في قتال أحد إلاّ فاز
بالنّصر وهَزَم الآخرين، فالتَقَى الجيشان في الموضع المذكور واستعرت نار الحرب
بينهم أولاً بالبندق، ومدافع الترك تَرْمِي من البوابير عسكر الإمام، ثم التحم القتال
بالنّصال فانكشفت المعركة عن قتلى نحو ثلاثة آلاف من الترك وعن نحو مائة
وخمسين من عكسر الإمام ما عَدَا المجاريح من الجانبين فهم كثيرون، وغير ذلك
من الوقايع التي جَرَت له النّصرة. ومن المكايد التي بذلوا فيها عظيم حِيَلهم لقصد
إمساكه - فنجّاه الله منهم - أن سليمان باشا رئيس الترك ببلاد عسير كَتَب إليه أنه يريد
أن يُرْسِل ألف نفر من الترك لِيَطْلَعوا إلى البحر ويجيء بدلهم فـأظْهَر غير ما أبطن
فكأنه - والله أعلم - كوشف بمرادهم فأجاب عليهم بالموافقة لكن بشرط أن يخرجوا
بغير سلاح، فَردّ الله كيدهم في نحورهم ولم يضفروا منه بشيء بل صارت الغَلَبة له
عليهم وجاءوا إليه مقهورين صاغرين. وقد جَرَت عادة الله له بالنّصر على من خالفه
لكوْن دعوته بإذن إلّهي، فكيف لا ينصره وهو ما قام إلاّ لنصرة دينه لمّا رآه في
سقوط ولم يَبْقَ منه إلاّ رسوم وآثار كادت تُمْحَى بالكليّة بسبب تحكيم الطواغيت
وظهور البِدَع والمنكرات وانطماس الشريعة الغراء وتَرْك الأمر بالمعروف والنهي عن
المُنكَر، فقام مُجَدِّداً له، ولا شك ولا ريب أنه هو المُجَدِّد في هذا القرن - الثالث
عشر - فقام في أول الأمر ولم يكن عنده ما يستعين به على ذلك سوى النّصرة الإلهية
والإعانة الربّانية فَوَضع يده على الجهة التي قامت بها دعوته من شامي(2) صَبْيَا كبلاد
عسير وما والاها - إلى مِيْدِي وحَرَضْ وما والاها من جهة اليمن وبعض الجبال

---

(1) سورة البقرة، الآية: (249).
(2) شامي: شمال.

الشرقية، فَنَشر بها معالم الشريعة وأقام بها أعلام الدِّين المنيعة، ولمّا قصد امتداد ذلك إلى الجهة اليمنية والشامية قامت له الأتراك بالمحاربة وبذلوا مُهَجَهم وأموالهم وقوتهم في مخالفته، فَوَقعت بينهم وقعات عظيمة وحروب جسيمة، فصابروا الإمام - ذلك - نحو أربع سنين حتى جاء الله سبحانه - وله الحمد - لما لم يكن في حساب فما شعر إلا وقد قَوّضت الأتراك خيام الإياب بِقُدْرَة رَبّ الأرْبَاب. والحال أنّ لهم قوة عظيمة، فأووا إلى البحر بشرِّ أَوْبَه، حتى أن من كان منهن بالخطة العسيرية سَلّموا إلى الإمام الأسلحة طَوْعاً، فَركبوا البوابير جميعهم ولم يَبْقَ أحَدٍ منهم باليمن.

فحينئذٍ استقلّ مولانا - نَصَرَهُ الله - فَلَم يَبْق له مُعَارِض ولا مُخَالِف فاستولَى على الجهة اليمنية والشاميّة صَفْواً عَفْواً، ووصل إليه أهلها طائعين مُنْقَادِينَ لأمره كوصولهم إليه أوّل الدّعوة، فأنْفَذ عُمّاله وعساكره وقُضاته إليها بعد أنْ أَخَذَ عليهم العهود الشّديدة والمواثيق العتيدة على: القيام بالأمر بالمعروف والنّهي عنِ المُنْكَر وإحياء المدارس وإقامة الشريعة المُطَهّرة وإجراء الحدود بأنواعها. وممن وَلاه بقضاء الزيدية عَامِلاً به: الشريف الهُمام الماجد محمد بن زيد بن الحسين الحسني[(1)]، فَدَخلها يوم الأحد الحادي والعشرين من جمادي الثانية في موكبٍ عظيم من العساكر المنصورة، فَدَخل حُصْنَها واستولى عليه وَرَتّب أمورها وأسّس قواعدها على أحسن نظام. ولم يُسْمَع أذان بالصّلاة في القلعة قَطّ - مِنْ بَعْد إستيلاء الترك على اليمن - حتى دخلها هو، وأمّا قَبل استيلاء الترك فقد كان جَدّه - أبو أبيه - الشريف الحسين بن علي بن حيدر والياً باليمن، وكان كثير المكث بالحصن المذكور، فعمّره بالأذان والصّلاة وتلاوة القرآن ومذاكرة العِلْم، فَنَادَى الشّريف محمد بن زيد - المذكور - أولاً بالمحافظة على إقامة الجمعة والجماعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكَفّ النساء عن الاختلاط بالرجال حسبما هو مُشْتَمِل عليه المرسوم الإمامي المُحرّر بيده من حضرته، وكان ذلك بعد رجوعنا من لدى الحضرة الإمامية أعزّ الله به الدّين وأحْيَا به المايت من سُنّة سيد المُرْسلين، فأني كنت قد توجّهت إلى حضرته برفق سيدي الصّنو العلامة الأجل السّيد عبد الله بن سيدي القطب الشهير محمد بن يحيى الأهدل من المُنيرة - في اليوم التاسع والعشرين من شهر جمادي الأولى - وبرفقنا جميع مشايخ قضاء الزّيدية وأعيانهم لأخذ البَيْعَة والعهد، فَسَلكنا طريق الساحل فلمّا وصلنا إلى قرية الخَوْبَة - على نحو ساعيتن من اللُّحيّة، من جهة اليمن - أكْرَمَنا على أيدي عُمّاله غاية الإكرام. وهكذا كلما وصلنا إلى محل لقينا الإكرام التّام

---

(1) انظر ترجمته في الجزء الثاني من الكتاب.

بحُسن عناية الإمام أعزه الله ونصره وحفظه، ثم سِرنا من الخوبة أثناء اليوم الذي وصلنا فيه إلى قرية حَبْل فأقمنا بها يوماً وليلة ثم سرنا منها إلى ميدي وكان قد أرسل لنا الإمام حفظه الله مركوباً يُسمّى «المَوْتَر»[1] وهو آلة عجيبة مُشتملة على ماء ونار وسليط وروح القاز، لا تسير تلك الآلة إلا به، فيحركها شخص مُختَبِر به مخصوص لها بمرتب شهري، فتسير سيراً سريعاً بحيث أنها تقطع مسافة عشرين ساعة في ساعتين، فركبنا فيه ستة نفر ـ وهي لا تحمل أكثر من ذلك ـ في اليوم الثالث من جمادي الثانية من مِيْدِي إلى جازان وشاهد الحال ينشد مُخَاطِباً لحضرة الإمام أعزه الله ونصره:

والله مـــا جئتكـــم زائـــراً | إلا رأيـــت الأرض تُطْـــوَى لـــي
ولأتيـــت العـــزم عـــن بـــابكـــم | إلاّ تعثّـــرت بـــأذيـــالـــي

فدخلنا جازان ليلة الخميس الرابع من الشهر المذكور وقد هُيِّئَت لنا أنواع الإكرام وأنزلنا المنزلة التي لا ترام، ثم إنه استدعى بنا إلى حضرته العلية فوصلنا إليه وبرفقنا ذلك الجَمْع الجمّ، فشاهدنا منه أخلاقاً نبويّة وسيرة مرضيّة أخروية، فصلّينا معه المغرب والعِشاء. ثم في الليلة القابلة التفت إلى ذلك الجمع وبث لهم النصايح الدينية والوصايا الإيمانية والأخذ عليهم العهود والمواثيق، وحرّضهم على العمل بالشريعة المطهرة وخَلْع أعمال الطواغيت المُنْكَرة، ثم ولّى الشريف محمد بن زيد ـ المومى إليه ـ عاملاً بقضاء الزيدية، وقلّد الحقير وظيفة القضاء بعد أن أَخَذت عنه ما كتب الله لي من العِلْم النافع إن شاء الله، وشافهني بالإجازة في جميع ما اتصل به من العلوم بعد أن كان قد كتب لي الإجازة بخطه الكريم في ثبته الجامع لأسانيده ومقروّاته ومشايخه، فجزاه الله عني خيراً. وكذلك أجاز سيدي الصنو العلاّمة عبد الله بن محمد بن يحيى الأهدل بذلك مُشَافهةً، وقد رأيت سيدنا الإمام ـ حفظه الله ونصره ـ في فنون العلوم بحراً لا يُدْرَك مَدَى غايته ولا يُجَارَى في الكرم الواسع، بتّاراً لا يبلغ شأوه الرفيع ولا يُبَارَى، وعندما رأيت ذلك منه جَرَى على ذهني ولساني قوله تعالى في حق طالوت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾[2] كيف لا؟. وهو من قوم منار هُداهم قد أضاء على النيرين، ومَجْد عُلاَهم قد جاوز قمة الجوزاء وأناف على الفرقدين، مجلسه مجلس عِلْم وهَيْبَة ووقار، وسيرته سيرة من أزفت نفسه عن الإلتفات إلى زهرة هذه الدّار، لا تسمعه إلا لَهِجاً بتحصيل نافع العلوم أو ذاكراً للحيّ القيّوم، ذا فهم ثاقب ورأي سديد صائب.

---

(١) السيّارة.

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٤٧).

الشريعة قد استمسكَ منها بالسبب
وحِلْم أثبت من رضوى، وقدَم راسخ في
الأنوى، لا تحل البأساء منه عرى الصبر ولا تستخفه السّراء، نفعنا الله به وأعاد
علينا من بركاته وقد سمعته مرّات يقول. ليس قصدنا من الإستيلاء على البلدان
إتّباع المُلك ولكن قصدنا إحياء علوم الدّين وسنة سيّد المُرسَلين وإماتة البِدَع
والمنكرات وإزاحة ما تكاثف من الطّواغيت والظّلمات. وعند وصولنا إلى جازان
رأيناه قد أسّس المدارس العلميّة بالمدّرسين وطلبة العلوم على اختلاف أنواعها،
وقرّر للعلماء والمتعلّمين بها مقررات شهرية، وَوَعد أنّه عند تقرر الأحوال باليمن
وتوفر الحاصلات سيؤسس في كل بلد منه مدارس بمقررات شهرية للجميع،
فجزاه الله عن الإسلام وأهله خيراً فلقد قامت دعوته المباركة مُؤَسَّسَةً على التقوى
بالقواعد الشرعيّة، مُوَطّدةً بالكتاب والسُّنّة النبوية. ويَدُلّ لذلك ما سمعته من بعض
الثقات ممن لهم مزيد قُرب واختصاص بمولانا أمير المؤمنين - نصره الله - أنّهم قد
سمعوا منه مرّات يقول أنّ دعوته هذه ما قامت إلاّ بعد انعقاد الاجماع عليها من أهل
الحلِ والعقد في الظاهر والباطن وأنهم أمروهم بذلك. ثم إنّي اجتمعت بالسيّد
العلاّمة أحمد بن محمد الأهدل الزّبيدي الملقب بالإدريسي عند قدومه من زبيد
حاجًا على قدم التجريد ومروره بالمنيرة فأخبرني أنه وصل إليه وإلى أخيه مفتي زبيد
السيّد العلاّمة سليمان بن محمد الأهدل مكتوب من حضرة أمير المؤمنين يتضمن ما
ذكره وأنه نصّ لهم في الكتاب على بعض أهل الدّيون كالسيّد العلاّمة وليّ الله حسن
العطّاس والسيّد العلاّمة وليّ الله علي الحَبَشِي وكلاهما من حضرموت الأول من
تريم والثاني من مدينة سيئون(١) وأنهم أخبروه بأنه قد صار إجماع أهل الدّيوان
- وذلك في سنة اثنين وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف - على أن الأتراك سيخرجون من
الخطة اليمنية في سنة ستة وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف فكان الأمر كما ذَكَر نفع الله به،
ثم إنّا ودّعناه ورجعنا من حضرته قافلين بعد أن كانت إقامتنا لديه كإقامة من قال:

أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ... ويومٌ له يوم الترحّل خامس

فهي ثمانية أيّام، كل يوم منها نتشرف بالوقوف في تلك الحضرة لديه، والمثول
بين يديه، نكرع من رحيق ذلك الدّن ونتملّى بتلك الأخلاق الشريفة اللّطيفة التي هي
أشهى من المنّ، فأخلاقه نبوية، وشمائله مرضية، وسيرته أحمدية، وشجاعته
علوية. قوي الجنان، رفيع المكانة والمكان، لا يخاف إلا المَلِك الدّيان. وهو مع

(١) انظر كتاب لوامع النور (١/١٩٧) ومعجم المؤلفين (٧/ ١٩٣) للتعريف بهما أما تريم وسيئون فهما بلدتان غنيتان عن التعريف؛ راجع كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية، وكتاب: إدام القوت في بلدان حضرموت بتحقيقنا.

جلالة قَدْره وعظيم شأنه يَسْمَع الكلام من الشريف والوضيع ويتلقاه بالقبول ومن صغير رضيع، يَعْجب مما يعجب منه الحاضرون وضحك مما يضحكون، وإذا رأى أو سمع ما تَنْتَهك منه حُرُمات الله ظَهر عليه الغضب والغيظ حتى يكاد يأخذه من بين يديه ويباشر إزالة ذلك المُنكَر بنفسه أو يأمر من يزيله، فلا تأخذه في الله لومة لائم، فجزاه الله عن الإسلام وأهله خيراً ونفعنا به آمين.

وفي ليلة الخميس، الثامن والعشرين منه توفي السيّد الصّالح محمد بن قاسم خليلي بالزّبيدية ودُفن بها.

وفي جمادي الأولى، نزل شخصان أحدهما من بني حبال ـ بحاء مكسورة وموحدة ـ والآخر من السّادة المباكرة بئراً بقرب الساحل لقصد إصلاحها فانهدمت عليهما فَمَاتا.

وفيه، وقعت مقتلة بين بني البرّة وبني امحمد، وَقَع بها خمسة مجاريح: من بني أمحمد أربعة ومن بني البرّة واحدة.

وفي الثلاثاء، في شهر جمادي الثانية، توفي السيّد الصّالح علي بن محمّد طعّان الأهدل بالمنيرة ودُفن بها.

وفي يوم الخميس الرابع منه، توفي السيّد الصّالح علي بن محمد دَوْم الأهدل بالمنيرة ودُفن بها.

وفيه، توفي السيّد العلاّمة علي بن عبد الله بن امحمد بن سليمان بن محمد بن عبد الرحمٰن بن سليمان الأهدل بمدينة زَبيد.

وفي شهر رجب توفي السيّد العلاّمة محمد بن سليمان بن محمد بن عبد الرحمٰن بن سليمان الأهدل بمدينة زبيد.

وفي يوم الثالث عشر منه، توفي الشيخ العلاّمة مفتي مدنية حَيْس عوض بن عبد الفتاح الحضرمي ودُفن بها.

وفي الثامن عشر منه، توفي السيّد الصّالح عمر بن أحمد خارفي بمدينة الزّيدية ودُفن بها.

وفيه، طلعت نار من بعض بيوت أهل المراوعة فَحَرق بها نحو ألف بيت وخمسة أشخاص، وهَلَك بها أموال لا تُحصى من البزّ والنقود والبضايع على اختلاف أنواعها، ووصلت إلى سوق المراوعة فأحرقته بما فيه من البضائع العظيمة، نسأل الله دوام الألطاف.

وفي شهر شعبان، وصل السيّد العلاّمة سيد الإسلام مصطفى بن عبد المتعال الإدريسي إلى بندر اللُحيّة نائباً عن السيّد العلاّمة أمير المؤمنين محمد بن علي بن إدريس، ويرفقه الشيخ الكامل الفاضل وزير الإمام أمير المؤمنين محمد بن يحيى عوض باصهي، لتدبير أحوال اليمن وتقرير أمور أهله فقرّرا بعض الأحوال ودبّرا أحوال العُمّال على المَمالح والجمارك وغيرها. ثم رجع السيّد مصطفى في أثناء رمضان إلى جازان لِمُقْتَضي ورجع الشيخ محمد بن يحيى إلى مِيْدِي ثم إلى صَبْيَا على نيّة رجوعهما إلى اللُحيّة بعد عيد الفطر لتتميم ترتيب الأحوال.

وفيه، تحَيّن مشرقي غَفْلَةَ وألقى قلة بعد أن سمّ فيها النار بمحل مملوء من البارود والجبخانات النارية بجازان لحضرة مولانا أمير المؤمنين ـ نصره الله ـ فوقعت في وسط الجبخانة، وببركته لم يؤثّر فيها شيئاً غير أنها أَحْرَقت صندوقاً واحداً من البارود ولو قُدّر أنها علقت بجميع ذلك لأهلكَت بندر جازان بمن فيه، والحمد لله على السلامة. ثم ـ في شهر رمضان ـ عاد ذلك الشخص وألقَى النار في بارود تبلغ نحو ثلاثمائة صندوق فَحَرق من البارود شيء يسير وسلّم الله. ثم أنّه ظهر المشرقي المتجاسر على ذلك الفعل القبيح فأخذ وأقرّ بفعله أولاً وآخراً، فأمر به حَضرة أمير المؤمنين وحُبِس بجزيرة فَرَسان.

وفي غرة شهر رمضان، وَصَلَ الشيخ الكامل محمد طاهر رضوان أحد خوّاص أمير المؤمنين ـ بأمره ـ إلى المنيرة ويرفقة الشيخ الكامل السيّد هادي بن أحمد هَيْج، ومعهم جملة من الجيش المنصور وذلك للكشف والتحقيق عن القضية التي وَقَعت بين الخليل بن إبراهيم وبين الجيش المُرتّبين في القَناوِص من القتل والإحراق. وكان قد بلغ إلى مسامع حضرة أمير المؤمنين ـ نصره الله ـ أنّه بسبب هذه القضية قد فسد قضاء الزيدية فجهّز المذكورين من هذه الجهة وجهز السيّد الحازمي والشيخ صالح مسعود من طريق آخر بعِدّةٍ وعَدَد لإصلاح ما فَسَد من القضاء. والحال أنّه لم يكن فساد على ما وقع من هذه القضية.

وفي خلال ذلك كان قد توسط بين الخليل وبين الجيش السيّد الصّالح عبد بن إبراهيم عبد بن إبراهيم عابد وشيخ قرية مَوْر مقبول بن أمحمد علي مغدي وشيخ الزعلية هادي بن أحمد مقرني، فصلح أمرهم على يدي المذكورَيْن وأعطَى الخليل ابنه رهنيةً للعامل بالزَيديّة الشريف محمد بن زيد بن الحسين. وعقب ذلك رفعوا الإفادة بذلك إلى السيّد العلاّمة مصطفى وللشيخ محمد بن يحيى باللُحيّة فَصَدر الأمر منهم برجوع الجيش الّذي مع الحازمي لظهور عدم الحاجة إلى وصوله،

ووصل الشيخ محمد طاهر وبرفقة السيد هادي هبج فتمم الصلح المذكور وسددا وقاربا بالأمور، وطلبا مشايخ القضاء بواسطة السيد العلامة محمد بن يحيى الأهدل فوصلوا إليه بالمنيرة في منزله، فطلبوا منهم المراهين فأعطوا أولادهم بيد العامل الشريف المذكور، ثم بعد سكون الأحوال توجها راجعين بعد أن أقاما لدى السيد محمد بن يحيى الأهدل ثمانية أيام وبالزيدية يوماً واحداً ثم سارا إلى الشام.

وفيه توفي السيّد الصّالح محمد بن حاتم الأهدل والفقيه الصالح خطيب بجل محمد بن علي الناشري ودُفنا بباجل.

وفيه، ظهَرَت حمرة عظيمة بعد طلوع الفجر فَملأت الأفق، وعند وضوح النّهار غابت، وكان ظهورها في يومين وفي اليوم الثالث ظَهرت ناقصة عن اليومين الأولين ثم لم تَظهر بعد ذلك. وقد ظَهَر نظيرها في ذي الحجّة من عام ثلاثمائة بعد الألف لكن تلك مكثت مدة طويلة، وقد سبق ذِكرها في التاريخ المذكور من هذا المؤلف.

وفي يوم الخميس الثاني عشر من شهر شوال وَقَعت نار بمدينة صَبيا أحرقت منها دُوْراً لا تُحصَى كثيرةً وأحرقت سوقها بما فيه من الأموال الجزيلة. فنسأل الله السّلامة منها في الدنيا والآخرة. ثم بَلَغنا أنه عَقِب وقوع الحريق تفضّل مولانا الإمام - حفظ الله - على ما وقع عليه ذلك بأمواله جزيلة جبراً لِمَا فات عليهم فجزاه الله خيراً.

وفي يوم السبت، الرابع عشر منه، توفي السيّد الصّالح المجذوب قاسم بن محمد الحاج الأهدل بالمنيرة وبها دُفن.

وفي يوم الأربعاء، الثامن عشر منه، توفي السيّد الصّالح أبكر قاضي بن محمد بن إبراهيم القُديمي بمدينة الزّيدية ودُفن بها.

وفي شهر ذي القعدة الحرام، خرج طائفة من الإنجليز نحو سبعين نفر ورئيسهم معاون والي عدن اسمه «جيكوب» إلى الحديدة ثم إلى باجل ومعهم نحو مائة بغل ونحو خمسين جملاً عليها أحمال الدّقيق والأرز ونقود الذّهب شيء كثير، قاصدين الطلوع بذلك إلى إمام صنعاء السيّد يحيى بن محمد حميد الدّين لأمر بينهم وبينه لم يظهر للناس[1]، فَقَبض عليهم مشايخ بَاجِل والقَحْرَا وقبضوا على أموالهم وأوقفوها

(١) كان يسعى جاكوب إلى مقايضة الإمام ومنحه مدينة الحديدة مقابل تنازله - أي الإمام - عن حق اليمن في عدن وبقية المحميات الجنوبية.

بيت الدولة في باجل وأرادوا الاستيلاء عليها وقسمنها، فوصل مَنْصب المراوعة السيّد العلاّمة عبد القادر بن أحمد الأهدل ومعهم من ذلك، والمراجعة - في خلال ذلك - جارية من الإمام يحيى لمشايخ القَحْرَا بإطلاقهم مع أموالهم وإرسالهم إليه، حتى أنه أرسل جماعةً من طرفه إلى بَاجِل لأخذهم ووصولهم بهم إليه، فلم يرضوا بل رفعوا أمرهم إلى السيّد العلاّمة أمير المؤمنين محمد بن علي إدريس، وإلى حال تأريخه لم يرجع جوابه وهم باقون في باجل على ذلك الحال.

وفي شهر ذي الحجّة الحرام هجم جماعة من العبسيّة ومعهم من السّادة أهل المراوعة السيّد عليّ باري الأهدل والسيد محمد بن أحمد بحر الأهدل على الإنجليز الّذين بالحديدة فَقَتلوا فيهم وانتهبوا دواباً وسلاحاً وغير ذلك ونَجوا سالمين، ثم هجموا عليهم كرةً أخرى فقُتِل من الطرفين جماعةٌ.

وفيه نزل والي الترك محمود نديم من صنعاء إلى بَاجِل مُخَاطِباً للقَحْرَا في إطلاق الإنجليز المأسورين بِبَاجِل فلم يساعدوه على ذلك بل بقي متوقفاً في باجل، ويقال أنّ نزوله كان بأمر إمام صنعاء السيّد يحيى بن محمد بن حميد الدين.

وفي خلال هذه المراجعة ضَيَّقت الإنجليز - الّذين بالحديدة - على رؤساء أهل الحديدة إمّا أن يسببوا في إطلاق جماعتهم المأسورين بباجل وإلاّ فسيقومون لهم ولغيرهم من سائر البلدان بانتهاب الأرواح والأموال، فألجأهم ذلك إلى تحرير مكتوب إلى مناصب اليمن مستغيثين ومستشفعين بهم إلى مشايخ القحرا في فك المذكورين من الأسْر قبل نزول ما لا قِبَل لهم به، فأرسِلت من الكتاب نسخة إلى السيد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل مَنْصِب المُنيرة، وهذه صورته: «الحمد لله، إلى حضرة معالي عين أعيان أهل الكمال الرّاقي، أعلا ذروة المجد، سيدنا العلاّمة الأكمل السيد محمد بن يحيى الأهدل. دام كماله وعلاه، بعد السّلام التّام اللائق بالمقام، ورحمة الله وبركاته تَغْشى حضرتكم على الدّوام، ثم لا يخفاكم أن حب الحريّة والاستقلال صفة للعرب طبيعيّة وهو مغروس في قلوبهم فلا شيء يعادل عند العرب الحريّة؛ حتى أن الشّخص منهم يظن أنّه ملك مستقل، ولكن الوصول إلى هذه البغية هو الإنقياد إلى العلماء والعقلاء منهم فقد صار الإنحراف عن الإنقياد - في الزّمن السابق - واختَلَفت كلمة أهل اليمن - جبالها وتهامتها - وعَمّهم الجهل والتنافس والتجأوا إلى الدّولة العليّة العثمانية الإسلامية فيما سبق، اختاروها لحمايتهم والتسلطن عليهم، ونقمة هذا الفكر إنّما كان دخول هذه الدّولة إلى اليمن وَجُهّالها من المأمورين أكثر من علمائها، وطُمّاعها أكثر من زُهّادها، فأَمِنُوا بعض الأحوال وأخربوا جهة الاقتصاد والأموال، وقَصّروا عن تأسيس المكاتب والمصانع

والمتاجر والمزارع لتعلم العلوم الدّينية والدّنيوية اللاّزمة للحياة والممات، والروى
حينئذٍ علماء البلاد واتبعوا عليك بحويصة نفسك، فصار أمراء الدّولة وجهال
المشايخ والأعيان يخبطون ولا يعقلون وكل منهم يريد انقضاء زمن مأموريته وتأمين
ثروته، ولا يكفر فيما كان ويكون، حتى آلَ خراب البلاد، وجهل الآباء والأولاد،
والبحث عن هذا الباب طويل فالاقتصار عنه أَوْلى، والسكوت عن التفصيلات
أَحْرَى، كما لا يَخفَى على أهل الاذعان والعقول أنّ دخول الدّولة العليّة العثمانية في
هذا الحرب هو لقصد التخلّص من مراقبة الدول الأجانب واكتسابها حريتها الدولية
لتوسيع بلادها وإعلاء كلمة الإسلام وترصين مقام الخلافة. وامتدّ هذا الحرب خمس
سنين، وظَفِرت في مباديه ولكن تقهقهرت هي وحلفائها مغلوبين، وشدّد العدو عليهم
طريق الهدنة حتى أَوْجَب الحال إلى نزول عساكر الأعداء في غالب بلادها ولا سيما
في العراق والشّام وقطعة اليمن. وفي الحقيقة ماحصل غُلْب قط لعساكر الدولة العليّة
باليمن كما حصل على عساكرها في البصرة والعراق والشام، إنما من شأن الغالب
التحكم بسعة اقتداره، فضغطوا على الدّولة تسليم عساكرها للأَسْر وسلاحها، فأخرج
العدو عسكره باليمن لحفظ البلاد من الاغتشاش فصار ما صار، ولات حين مناص.
فنقسم بالله الذي لا إله إلاّ هو بأنّا لا نبدّل بدول الإسلام دولة نصرانيّة، ولا نرضى
بالذّلة في دنيانا فكيف بآخرتنا، ولكن ما وجدنا طريقاً مفتوحاً منذ ثلاث سنين ونصف
نُخَابر بها إلى الأستانة - لا شَفَاهاً وَلا تحريراً - وَلا أمكن الدّولة أيضاً تراسلنا بمندوب
ومكتوب، وانقطعت بيننا وبينها جميع المخابرات والمواصلات انقطاعاً باتاً قد
أحكمه العدو بقوته البحرية والمالية. والقوة لله، فلازم علينا أيها العرب أنّا نتّبع
الظّاهر ونترك الدّاثر. ونَعْلَم بأن المُلْك لله تعالى وحده لا شريك له وهو يؤتيه من
يشاء. وقد أخبر علماء العرب السّابقون بأنّ قطعة اليمن سيملكها أناس من غير دين
الإسلام ولهم فيها إقامة حصّة معلومة ثم ينجَلُون عنها، فكيف نُكَذِّب ذلك ونحن
الآن في أمر واقع لا نقتدر على دفعه بالشقاق والعناد والجهل والفساد، بل الواجب
علينا الاتحاد ونُقيم سلطاناً على تهامتنا أكبر سيّدٍ فينا وهو حضرة القطب السيّد عبد
القادر بن أحمد محمد عبد الباري الأهدل، وبمعيّته شيخ الإسلام السيّد محمد طاهر
ابن عبد الرّحمـٰن بن محمّد عبد الباري الأهدل، والمفتي العالم السيّد محمّد بن
عبد الرّحمـٰن بن حسن عبد الباري الأهدل، والحاكم الشرعي السيد حسن عبد الله
الأهدل، وقُضَاة النّواحي وسائر بلاد تهامة منا وبمعرفة رؤسائنا فيصير تعيين المشايخ
والأعيان بصفة وزراء وقوّاد وأمراء وأجناد من حيث القُوّة والعدّة والأموال والنّجدة
قاصرة لدينا، وحفظ البحر يحتاج إلى دولة شكيمة كبيرة، فما نرى أقرب إلى بلادنا
ولا أَرْأَف ولا أَلْطف بالمسلمين بعد دولة الإسلام غير دولة الإنكليز فكيف لا

نرتضيها للحماية ولأمور الاقتصاد؟ وأعيُن الطُلْيان والفرنسيس تَرْمُق وتُحَدِّق على محيط اليمن، فإذا ما عندكم عِلْم بحال الطليان والفرنسيس وشِدّتهم على الإسلام وطمعهم فاسألوا مِنْ النّاس الّذين قد سافروا إلى مُصوّع وجبوتي، أو اسألوا من المسلمين الّذين جالوا في بلاد العرب وسائر قطعة أفريقيا لِتَقِفوا على الحقيقة، ما نَعْلَم لِمْ مشايخ القَحْرَا قبضوا على مندوب الإنكليز بِبَاجل؟ ولم يزالوا قابضين عليهم منذ شهرين وسبعة أيّام إلا لأجل رجوع الدّولة العليّة بالثاني في اليمن، فالّذي نعلمه أن هذا الفكر بعيد، وطلبهم الواقع غير سديد، لِعِلْمِنا بأنّ الدّولة تركت اليمن مضطرة كما تركت طرابلس الغرب وغيرها من بلاد العرب، وأنّ الغَلَبة التي صارت عليها أوجبها ذلك، والأولون لو كان في إمكانها تنفيذ أوامرها وترصين حقوق خلافتها المُعظّمة لَمَا وافقت على القبول وإنّما للضرورة أحكام. ثم بعد ذلك يلزم أن نُفكر في أن السبعين السّنَة الأخيرة على مُلْك الدولة العليّة العثمانية باليمن خَسّرها مئين ألوف من رجال الأصول وملايين نقود الذّهب، ولا أمكنها أحسن سياسة العرب والاقتصاد، فهل شغل الدّولة هو يخالف التجارة في الرّبح والخسارة؟ فَلاَزِم عَلَى العرب أن يفهموا وغير ذلك حتّمت شروط الهدنة بل وشروط الصّلح على تحرير كثير من الأمم، ونال جميع أهالي الدولة والغالبين والمغلوبين تغيير التابعية والمِلْكِية لا سيما أهالي جزيرة العرب، نزولهم الإنفراد بحريّتهم التّامة وتملّكهم على أنفسهم وبلادهم بأنفسهم إن قَدَروا، وجعل المحامي أو الوصي عليهم من أيّ دولة من الدّول إذا رأوا في أنفسهم العجز، فلو كنا نعلم أنّا نَسْلَم من القبض لكنا وصلنا بالذّات إلى باجل وتكلمنا مع مشايخ القحرا جهراً وإخفات، ولكن هيهات إنّما نؤمل منكم أيّها السادة الكرام بأن تفهّموهم بترك سبيل الهيئة[1] وإعادتهم إلى الحديدة سالمين. وللقَحْرَى وسائر العرب في هذه البلاد الأمان للزّبصة[2] وغيرهم من الجُهّال الذين هجموا على الحديدة في ذي الحجّة سنة ١٣٣٧ وقد صار عنهم العفو العام، بحسن سياسة وحصانة الحاكم السياسي الجديد الذي فتح حصار البر والبحر ورخّص للدخول والخروج بدون فَسْح ولا قيد، ورخّص الأموال براً وبحراً، دخولاً وخروجاً. ومنذ قدومه في الأسبوعين نالت الحديدة وأطرافها الرّاحة التّامة في المعيشة والتجارة والأسباب السّائرة. فإذا كانت عريضتنا هذه لا تعني عندكم أو عند القَحْرَا شيئاً فاعتمدوا عنا حضرة مُقَدِّم العريضة، وهو أحدنا السيّد الفاضل العلاّمة أحمد بن عبد الله مروعي[3] وهو يتعهد للقحرا عنّا، ونحن متعهدون عن وكيل دولة

---

(١) الهيئة: يقصد الأجانب المحجوزين لديهم.

(٢) الزبصة: من قبائل عك في المراوعة.

(٣) سبقت ترجمته في الكتاب، وهو من آل الأهدل الحسينيين. وقد عكف على التدريس في زمن=

الإنكليز بما يرضيهم من الأمور الممكنة المعقولة وإذا لا قدر الله صارت مساعيكم عقيمة وإصرار مشايخ القَحْرَى باقٍ على أفكارهم السقيمة، فلا يبعد استعمال القوة الشديدة من طرف دولة الإنكليز على الحديدة وأطرافها بلا تفريق ولا تخصيص، فحينئذٍ تكونون يا حضرات السادات أنتم ومشايخ القَحْرَى المُتَسَبِّبين لِطَحْن تهامة ولا سيما طَحْن الحديدة وأهلها، وكَشْف سِتْر العَار من دخول العساكِر الكثيرة إلى البيوت، وفِعْل المنكرات، وقَتْل الصغار والكبار، ونهب الأموال، وكشف الحال. فما يكون عند ذلك منكم من جواب أمَام المخلوقين وتجاه ربّ العالمين، فيا ليت أموالنا وأرواحنا - إذا ذهبت - سترجع بها دولتنا العليّة، ولكن هيهات فيما قد فات، لا نرى ذلك ينفع ولا القضاء يدفع. فنسألكم بالله أن تعينونا، ونَصْفوا إلى قولنا، وتُفَهِّموا القبائل كافة ومشايخ القَحْرَى بما يتصور من قوّة هذه الدّولة المحتلة وشدة فعلها، إذا لزم البدو عندها لا تسأل عن «جيكب» ولا عن رفقائه إذا قتلوهم القَحْرَى، فيكونوا فداء لإقامة ناموس دولتهم وإظهار صولتهم وإثبات مقدرتهم، كما قد أفنوا في هذه الحرب مئين ألوف. وقد كتبنا هذا ونحن بلا شعور لِمَا في قلوبنا من الخوف ولِمَا نتصوره بل نراه من الحتف، فانصحوا القَحْرَى واكْفَلُونا بالقيام بما يطلبونه من الأمور المعقولة، ونحن كُفَلاء على الحاكم السّياسي بتنفيذ ذلك. ولا نريد بأقوالنا هذه إلا قبول أَهْوَن الضّررين، والله المستعان وعليه التكلان، والسلام عليكم. حُرِّر في يوم الأحد الثاني من شهر صفر الخير سنة ١٣٣٨ .

هذا آخر الكتاب. ولمّا قرأه السيّد محمد بن يحيى الأهدل ما زال يكاتب مشايخ القحرا ويناصحهم في إطلاق المأسورين، والكتب في خلال ذلك تتوارد من حضرة مولانا أمير المؤمنين أيّده الله إلى مشايخ القَحْرَى - بواسطة السيّد محمد بن يحيى - يأمرهم بإطلاقهم، دفعاً لِمَا بَلَغَهُ من تهددهم للمسلمين بإرسال الطيّارات عليهم والفتك بهم، وَيَعِد المشايخ بمخاطبة رؤساء المأسورين بِكَفّ أذيّتهم عن المسلمين. ثم إنّ السيّد محمد ين يحيى أرسل ولده السيّد عبد الله بن محمد في التّاريخ الآتي إلى باجل، فأُطْلِقُوا عقب وصوله - كما سيأتي بيان ذلك.

أحداث عام ١٣٣٨هـ:

وفي يوم الجمعة غرة محرم الحرام سنة ١٣٣٨ توفي الرّجل الصّالح عبد الله بن القاسم علي، بمدينة الزّيدية ودُفن بها.

---

* المشيب ولازمه مع الصبر على الطلبة، ونجب على يديه كثير منهم. وكانت وفاته بمدينة الحديدة سنة (١٣٥٠هـ).

وفي يوم الإثنين، الرابع منه، توفي الرّجل الصّالح محمد بن أبـي الغيث بحاري، بالمنيرة ودُفن بها.

وفي يوم الجمعة، الخامس عشر منه، توفي الرّجل الصّالح يوسف زابط بموت الفجاة بدون مرض، بالزيدية ودُفن بها. وقبله بيومين - في يوم الرّبوع - توفي الرجل الصّالح عبيد بن عبد الله نميص فجأة، وآخر من عشيرته نزل به مطر وهو ضعيف الجسم فمات فجأة.

وفي غرة صفر، توفي السيّد الصّالح عبده بن محسن برد ودُفن بالزيدية.

وفي شهر صفر، وصل السيّد العلاّمة سيف الإسلام مصطفى بن عبد العال الإدريسي إلى مِيْدِي، نائباً عن حضرة مولانا أمير المؤمنين - حفظه الله - في تقوية المعاقل وتسوية الدّوائر الرّسميّة وتقرير الأحوال، وتجهيز العساكر إلى جهة اليمن. ثم بعده بنحو أسبوع وصل حضرة أمير المؤمنين - من طريق البرّ على المَوْتِر - إلى مِيْدي فدخلها بأبهة عظيمة وشارة حسنة. وهو الآن مقيم بها لتدبير أحوال سيرته الحسنة وتنظيم الأمور، بمراجعة سيف الإسلام له في ذلك ومشاورته، وتقرير أحوال المأمورين الذين تستقيم بهم أمور دعوته المباركة.

وفيه، انفتح الحرب بين عسكر مولانا أمير المؤمنين وبين عسكر إمام صنعاء السيّد العلاّمة يحيى بن محمد بن حميد الدّين، وكان الإمام يحيى قد أرسل من طرفه السيد إسماعيل بن الإمام عاملاً على مِلْحَان، فَقَبض منهم مراهين. والحال أنّ أهل مِلْحان كانوا قد دخلوا تحت دعوة مولانا أمير المؤمنين فلمّا وقع منهم النقض أرسل من طرفه عساكر وما يكفيهم من المأكولات والأسلحة ورئيسهم الشريف المقدام محمد بن زيد بن الحسين، فعسكرَ بِسُوق الوَلَجة[1]. وكان قد بقي على العهد من أهل مِلْحَان قبيلة المَعَازِبة وأهل بَدَح وهبّاط فكانت الحرب بينهم وبين قوم السيد إسماعيل بن الإمام، غير أن التأثير بالقتل قليل من الجانبين لتواريهم بالأحجار وقت الحرب، وقد استولوا على كثير من قرى ملحان وزَحْزَحوا منها قوم السيد إسماعيل.

وفي آخر شهر صفر وصل من طريق البرّ الشيخ محمد طاهر رضوان والشيخ هادي بن أحمد هَيْج والشريف منصور بن محمد - من أشْرَاف وعلان - وبرفقهم السيّد العلاّمة محمد المغربـي الشنقيطي[2] ومعهم نحو ثلاثمائة نَفَر ومَدْفع وأرزاق

---

(١) الوَلَجه: قرية في السفح الغربي لجبل ملحان بالمحويت. تقع بالشرق من مدينة الزيدية في تهامة، وتسكنها قبائل المعازبة، وفيها يقام سوق أسبوعي.

(٢) العلامة محمد المغربي: انظر ترجمته في كتاب «معجم المؤلفين» (١١/ ٢٢١).

وجبخانة وصَلَت إليه من طريق البحر، وعَسْكروا بالمنواب من بلد بني أمحمد(١) فوقفوا به نحو شهر ونصف والعساكر تجمع إليهم. ثم إن الشيخ محمد طاهر توجه إلى الضَحي ومعه طائفة من العسكر، وطائفة منهم وَجْههم إلى الحمرة حازة الجرابح ـ وهي كائنة بين حدود القَحْرَى والجرابح ومِلْحَان.

وفي شهر ربيع الأول اشتد الحصار على السيِّد إسماعيل ـ عامل إمام صنعاء بملحان ـ هو ومن معه من العساكر في المراتب الّذين هم بها، وكان الحصار على أيدي أهل ملحان من جيش أمير المؤمنين الإدريسي، فاستغاث السيد إسماعيل ومن معه بالسيد الصالح عبده بن إبراهيم عابد ليصل إليهم ويخلصهم من الحصار، فتجشم المشقة بالوصول إليهم لكونهم في شاهق من الجبل وهو لا يألف المشي في الجبال فما وصل إليهم إلا محمولاً على ظهر شخص، فَجَمع الجيوش من المراتب التي قد استولوا عليها في محل واحد، وطلب منهم أن يخلو سبيل المُحَاصَرِيْن على أن الأسْرَى يُفَكُّونَ من الطرفين. فأجابوه إلى ذلك وأطلقوهم بما معهم من أهبة القتال وأُطلِقت الأسرى من الطرفين. وكان وقوع الحصار بعد أن وقعت بينهم ملحمة عظيمة حَصَل بها قَتْل من الطرفين، فاستولَى جيش أمير المؤمنين حينئذٍ على جبال مِلْحَان ورتّبوا جميع المعاقل التي كان بها جيش الإمام بن حميد الدّين.

وفي يوم الخميس، الحادي عشر منه، وصل سيف الإسلام السيد مصطفى بن عبد العال الإدريسي إلى اللُحيّة ثم ابن عباس، وحيثما وَصَل رتّب أحوال المملكة لأن الإمام كان قد فوّض إليه ذلك لحسن سيرته وسياسته وخبرته بتدبير أحوال المُلك، وجُلّ مقصده بالوصول إلى ابن عباس لإعمال الحيلة في إخراج مأسوري الإنجليز بباجل السّابق ذكرهم، والكُتب في خلال ذلك تتوارد من حضرة أمير المؤمنين إلى مشايخ القَحْرَى بطلب إطلاقهم خوفاً من وقوع محضر منهم بأهل الإسلام، وكانت الإنجليز قد عوّلوا عليه في إطلاقهم فاشترط عليهم عدم وقوع الضرر منهم لِلْقَحرى الّذين أسَرُوا أولادهم، ولمّا كرّر عليهم المخاطبات في إطلاقهم وهم لا يَصْغون إلى ذلك سمعاً وقد مضى للمأسورين نحو خمسة أشهر في الأسر، خاطبته الإنجليز بأنهم إن لم يُطْلِقوا أولادهم سيرسلون على الفجر الطيّارات وأنواع الأذيّات، فأنذرهم أمير المؤمنين بهذا إشفاقاً عليهم، فَصمّموا. وكان إرسال كُتُبه المذكورة على يد السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل ـ مَنْصِب المُنيرة ـ لقصد إعانته على ناصحتهم، فأبلغ لهم النّصيحة، فصمّموا متعللين ـ تارةً ـ بطلب

---

(١) المنواب: بلدة مشهورة من مديرية المغلاف وأعمال محافظة الحديدة، تقع في أسفل حصن ملحان من بلد المحويت وبجوار مدينة المهجم الشهيرة بجهة تهامة.

إرجاع دولة آل عثمان إلى اليمن، وتارةً بالخوف من إمام صنعاء لكونهم أخذوهم وهم متوجهون إليه، وأخرى بالخوف من الإنجليز من إيصال العقوبة لهم على ما فعلوا بأولادهم. وجميع هذا ما يتأتى منه شيء بل مُجَرّد تَوهُمات وحَدْس وتخمين منهم، وحضرة مولانا أمير المؤمنين - حفظه الله - يُخَوِّفهم في خلال ذلك إذا داوموا على التصميم ويَعِدُوه بالسّلامة مما توهّموه.

ولمّا طال الأمر، صَدَقت الإنجليز مقالهم بإرسال الطيّارات إلى باجل، فكانت تخرج من كَمَران وتمرّ على القرى مُحاذية لها من العُلو إلى أن تحاذي مدينة باجل، لمجرد التخويف فقط وما تُرسِل عليهم شيئاً. ولمّا أَذِنَ الله بخروجهم كان تَوجّه السيّد الأجل عبد الله بن محمد بن يحيى الأهدل إلى باجل بِكُتب وَرَدت من حضرت أمير المؤمنين، كان بها - مع وصوله - حصول الفَرَج عن المسلمين بإطلاقهم من الأسْر. وصادف إطلاقهم توجّه السيّد العلاّمة سيف الإسلام مصطفى بن عبد العال الإدريسي من ابن عبّاس إلى كَمَران لأجل خطاب الإنجليز في كَفّ الأذيّة عن أهل باجل إذا أطلقوا أولادهم وفاء بالشرط وبالاتفاق كان إطلاقهم في اليوم الّذي وصل فيه إلى كَمَران، فتم الخطاب بينه وبينهم على ذلك وسار مشايخ القَحَرى بالأسْرَى إلى الحديدة بما معهم من السّلاح والأموال فأوصلوهم إلى عشيرتهم، فأكرَموا المشايخ وأعطوهم أموالا جزيلة؛ وكفَى الله المسلمين شرّهم ببركة مولانا أمير المؤمنين حفظه الله ونصره.

وفي ليلة الجمعة، الثاني عشر منه، توفي الرّجل الصّالح أحمد بن قاسم عبيه بالمُنيرة ودُفن بها.

وفي يوم الثلاثاء، الرابع والعشرين منه، عاد حضرة سيف الإسلام من كَمَران إلى ابن عبّاس بعد إصلاح الشأن معهم - فيما ذُكِر - ثم سار إلى اللُحيّة عقب وصوله لتدبير الأحوال وإنفاذ القوة من العِدّة والعدد إلى الجهة اليمنية.

وفيه، توفي السيّد الصّالح حسن بن محمد الرّفاعي ببندر الحديدة عن مائة وخمسة عشر سنة مُمَتّعاً بسمعه وبصره وسائر حواسه.

وفيه، رجع الوالي محمود نديم إلى صنعاء بعد إطلاق مأسوري الإنجليز ورجوعهم إلى الحديدة.

وفي يوم الإثنين، السابع من شهر ربيع الثاني، توفي الرجل الصّالح الشريف محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين الحسني، بالمعترض[1] ودُفن بالزهرة.

(١) المعترض: قرية جوار مدينة الزهرة.

وفيه، انفتح الحرب بين جيش السيّد العلاّمة أمير المؤمنين محمد بن علي بن إدريس وبين جيش السيّد العلاّمة إمام صنعاء يحيى بن محمد بن حميد الدّين، بجهة بني سعد - شرقي بَاجِل - فَجرَت بينهم حروب متعددة كانت النّصرة والطائلة فيها لجيش أمير المؤمنين الإدريسي وإنهزام الآخرين.

وفي يوم السبت، السادس والعشرين سار قائد الجيوش الإدريسية الشيخ محمد طاهر رضوان من الضّحي إلى بَاجِل فدخل إليه مشايخ العبسية ورؤسائهم طائعين منقادين بدون حرب ولا مؤنة.

وفي يوم الإثنين، الثامن والعشرين منه، توفي الرّجل الصّالح السيد علي بن أبكر مكعدل بِدَيْر المقازلة من بلد المحامدة[1]، فَحُمِل إلى بيته بالنجاري على أعناق الرجال ودُفن بها.

وفيه، اِشتد ريح الأزّيَب فغرَقت سفينة بين رأس عيسى وبين الكثيب بما فيها من الحِمْل، وغرَق أربعة أشخاص كانوا بها من أهل المُنيرة والقَشري[2]. والسفينة لإبراهيم بن أحمد عَبَد أحد أهل المنيرة.

وفيه وقع الحصار من جيش الإمام الإدريسي لجيش بن حميد الدّين في جبل الظّاهر[3] فضايقوهم حتى أخرجوهم منه واستولوا عليه ودخلوه، فانحاز جيش الآخرين إلى جبل أذرع وهو مشتمل على أربع قرى محصنة كل قرية منها لها باب واحد[4] فحاول جيش الإمام ابن إدريس دخوله من جهة اليمن[5] وبنو قيس من جهة الشام[6]، فتكاثر عليهم جيش بن حميد الدّين وتظاهروا فهزموهم وأخرجوهم من الظّاهر وأخذوا بَغْلَتين وأرزاق وزحزوهم إلى العِرجَيْن[7] وقُتِل من الطّرفين جماعة، وكان ذلك يوم الخميس غرّة جمادى الأول:

ومَـنْ ظَـنّ ممـن يـلاقـي الحـروب ... بـأن لا يُصـاب فقـد ظـن عجـز

(١) دير المقازلة: إحدى قرى مديرية المغلاف، قريب من دَيْر مهدي.

(٢) القشري: من قرى مديرية المنيرة، وقد يقال لها: القشرية.

(٣) الظاهر: جبل ومركز إداري من مديرية الخَبْت وأعمال محافظة المحويت.

(٤) جبل أذرع: جبل من بلد الخبت في المحويت. والقرى المذكورة هي: العقم، الشاولة، المنارب، المعازيب.

(٥) اليمن = اليمين.

(٦) الشام = الشمال.

(٧) العرجين: بلدة من مديرية الخَبْت أيضاً، عِدادها من قرى الشماقل السفلى.

فعاد جيش ابن حميد الدّين إلى جبل الظّاهر وبه أهله الذّين كانوا قد دخلوا في طاعة الإمام ابن إدريس فنهبوهم جميع أموالهم وخرجوا إلى جبال مِلْحان التي كانوا قد خرجوا منها فدخلوها وصادف دخولهم وقد أساء رؤساء جيش ابن إدريس التدبير بعدم تقوية المعاقل بالعِدّة والعدد بل تركوها خاليةً، إعتماداً على مجرد خروج الآخرين منها وعلى وجود أهلها بها، فقاموا بالحرب على أهلها ونهبوا ممن قَدَروا على نهبه أموالاً جسيمة وفرّ أكثر أهلها إلى تهامة بنسائهم وأطفالهم.

وفيه، دَخَل جيش الإمام الإدريسي إلى الحَجَّيْلَة[1] واستولوا عليها بعد حرب عظيم من الطّرفين.

فيـــوم علينـــا ويـــومٌ لنـــا ويـــومٌ نُسَـــاء ويـــومٌ نُسَـــرّ

وفي يوم السّبت، السابع عشر منه، وصل من جَازَان إلى ابن عباس مَدْفع عظيم لم يُرَ مثله، طوله نحو ستة أذرع، يبلغ رميه إلى مسافة ست ساعات. ثم سُحِب من ابن عبّاس إلى الزّيدية بالجمال مع إعانة نحو ثلاثين نفراً من بني آدم، ومن الزّيدية سَحَبتْه الثيران إلى مِلْحان.

وفي شهر جمادي الثانية، أرسل الله ريحاً شديداً من جهة الجنوب، ثلاثة أيام بلياليها، وعَقِبها انْبَعَث السّحاب المتراكم، ولمّا كان الليل نزل المطر الغزير فعمّ جميع الجهات الجباليّة والتهاميّة، ولم يجيء أحد من ناحية الأحدث بالجود العميم، وذلك في ليلة واحدة. ودام السّحاب بعد ذلك ثلاثة أيّام يمطر مطراً خفيفاً، فَنَزلت الأودية الدّفّاعة والغيّالة ويلغ بعضها إلى البحر، وزادت مياه البحر إلى البرّ بمسافة ساعة ونصف في جهة اللُّحيّة وغيرها وهذا أمر لم يعهد مثله فيما سبق، فالحمد لله.

وفيه، وصل حضرة مولانا أمير المؤمنين السيّد العلاّمة الإمام محمد بن علي بن إدريس من جَازان إلى مِيْدي بطريق المَوْتَر، وبرفقة حضرة سيف الإسلام السيّد العلاّمة مصطفى بن عبد العال الإدريسي، لتدبير الأحوال اليمنيّة وتجهيز الجيوش المنصورة إليه لمواقع الحرب ونَقْل آلات الحرب وأرْزَاق الجيوش.

وفيه، اشتد الحرب بين الجيوش الإدريسيّة وبين جيوش ابن حميد الدِّين بجهات بَاجِل ومِلْحان والخَبْت والظاهر وأذرع من الخَبْت وجهات بني قَيْس، ووقت رَقْم هذا وقد استولت الجيوش الإدريسيّة على بُرَع والحَجَّيْلَة وما والاها وزحزحوا جيوش بن

(١) الحَجَّيْلَة: بفتح الحاء وتشديد الجيم، قرية بالشرق الجنوبي من مدينة بَاجِل بمسافة (٤٥) كيلاً. كانت الطريق القديمة بين «صنعاء» و «الحديدة» تمر منها وذلك صعوداً من تهامة إلى جبل مناخة.

حميد الدِّين عن جهات بني قَيس، وأمّا جهات مِلْحان والخبت فالحرب سجال فتارة يَغلبون وأخرى يُغلَبون.

وفيه، اشتدّ ريح الجنوب ثلاث أيام بلياليها، فغرق في البحر ساعيتان إحداهما واصلة من البصرة فيها أمول عظيمة من التمر والبَزِ والنقود والأخشاب المثمنة وفيها مائة وأربعون نَفراً، وكان ذلك في رأس عيسى، فغرقت جميع الأموال التي بها وغرق أحد عشر نفراً ونجى الآخرون فَسَبَحُوا حتى وصلوا إلى البرّ وأخرجت بعض الأموال من البحر وَرُدّ بعضها إلى أربابها وبعضها أُخِذ بطريق النهب، وهي لتجار أهل مِيْدي كالشيخ محمد بن يحيى باصِهي وباجُبَيْر. وأمّا السّاعية الأخرى فسارت من الحديدة شاحنة من البُن والجلود وغيرهما من البضايع إلى مصوّع وبها ثلاثة عشر نفراً فلمّا تَوسَطت اللُجَّة أُلقتهم وما فيها من البضايع فماتوا وغرقت الأموال، وما زالت السّاعية في البحر حتى ألقاها برّ عُجْم[1] سالمة وغرَقت غير هذه أربع من السّواعي لأهل القنفذة وأهل مصوّع بما فيها من الأموال والأوادم.

وفي هذه الأشهر عاد أهل الحديدة إليها فقصدها النّاس لأخذ البضائع كعادتهم القديمة، ولكنّها بيد الإنجليز.

وفي شهر رجب، توفي الرّجل الصّالح عبده بن عقيل أبو سرّين العقلي بالجامعي، رحمه الله.

وفي شهر شعبان، وَقع حريق في محل الجبْخانة بجازان لحضرة مولانا أمير المؤمنين ـ حفظه الله ـ ذَهَب بها نحو مائة صندوق مملوءة جبخانة، ومات بها شخص واحد.

وفي شهر رمضان، وَقَع حريق بمدينة الضّحي هَلَك به مساكن كثيرة وأموال عظيمة. ثم في يوم غرّة شوّال وَقَع بها حريق مرّةً أخرى فَذَهب به كثير من الأموال.

وفيه، وَقعت فتنة بين المصاعلة وبين عبيد السيد محمد بن يحيى الأهدل وهم في لعب ولهو بالكدرا[2] فوقع الرّمي بينهم بالبندق، فانكشفت الفتنة عن ثلاثة مجاريح ومقتول من المصاعلة وثلاثة مجاريح ومقتول من العبيد، ثم جرى الصّلح بينهم على يد السيّد الصّالح عبده بن إبراهيم عباد فانحسمت المادّة والحمد لله.

وفي يوم الثلاثاء، الثاني عشر منه، توفي السيّد الصّالح سليمان بن أحمد صائم

---

(١) يقصد البرّ المحاذي لأفريقيا.

(٢) الكدراء: قرية عامرة في بلاد الحشابرة، تقع بجوار مدينة الزيدية ومن أعمالها. وهي للسادة المصاعلة حسب ما أورده المؤلف سابقاً.

النهر بالزيدية ودُفن بها.

وفي شهر ذي القعدة، قُطِعت رؤوس شخصين بجازان قِصَاصاً بأمر حضرة مولانا أمير المؤمنين - حفظه الله - كذلك قَطَع قايد الجيوش الإدريسيّة محمد طاهر رضوان رأس رجل بِبَاجِل قصاصاً بأمر حضرة مولانا أمير المؤمنين أيّده الله.

وفيه، جاءت البشائر بأنّه وَقَعت النّصرة للجيوش الإدريسية على البلاد العسيرية كأبْهَا والسَّرَاة، وضُرِبت لذلك الطبول والأفراح بسائر الممالك الإدريسية.

وفيه، استولى قايد الجيوش الشيخ محمد طاهر - المذكور - على بلاد رَيْمَة وما والاها[1] وأخذ منهم أسرى وأرسلهم إلى الزّيدية ثم أرسلوا إلى جازان.

وفيه، توفي الرّجل الصّالح عبد الله بن عبدة بحارِي، بالمنيرة وبها دُفن. والرّجل الصّالح موسى بن أحمد حجّاجي بقرية بني أبي الخَلْ وبها دُفن.

وفي شهر ذي الحجّة، أنْزَل الله أمطاراً نافعة بهذه الجهات، فوَقَع الناس في الزراعة في الحازّة والخَبْت فنبت أكثرها وسلّط الله الفار على الدُّخن بجهة الزيدية يمانيها، وبعض بلاد صلّيل، فما وضع في الأرض أكَلَهُ بوقته ليلاً فيصبح كأن لم يكن، وأمّا غير ذلك من سائر الجهات فصَلَح فيه الدّخن صلاحاً عظيماً. والجهات التي أكَل دُخنها الفار زَرَعها أهلها باللّوبيا فصَلَحت صلاحاً تاماً.

وفي اليوم الثامن من ذي الحجّة واليوم العاشر - وهو يوم النّحر - أرسل الله أمطاراً عَمّت الجهات اليمنيّة والشّامية لم يعهد مثلها، وذلك في فصل الخريف، فنَزلت الأودية التي تُسْقَى منها أرض الخَبت كالجعيفري وغيره، وقِسْم من السّيل جاء يماني مدينة الزّيدية بين جبل من رَمْل فَشقّ أكثرها من كثرته، وبقي السّيل بين الرّمل أيّاماً فسبحان المتفضل المنعم لا رَبّ غيره. ثم وصلت الأخبار من الجهات الشّامية واليمنيّة بعموم هذه السيول والأمطار ووصولها إلى البحار حتى إنّ وادي حَرَضْ دخل إلى مدينة مِيْدِي فخلل[2] بعض بيوتها وغرَقت منه بضايع كثيرة وصَلَحت الذّرة والدّخن - فيما ثَبت فيه - صلاحاً عظيماً وجاءت بثمرة تامة.

أحداث عام ١٣٣٩هـ:

وفي اليوم الحادي عشر من شهر محرّم الحرام عام ثلاثمائة وألف وتسعة وثلاثين، نَزَلت بالزرع في بعض بلاد العطاوية عاهة وهي شيء كثير من

(١) رَيْمة: منطقة جبلية واسعة تتصل ببلاد وُصَاب وتشرف من جهة الشرق على المنصورية وبيت الفقيه من تهامة.

(٢) أخلّ.

البَرَد[1] وكان بعض الزّرع قد أثمر وبعضه لم يثمر فأهلكه عن آخره.

وفي يوم الإثنين، توفي الشيخ العلاّمة مُفتي الحنفية بالحديدة محمد بن محمد فَقِيْرَه، وكانت وفاته ودفنه بها رحمه الله.

وفيه، أَخبَر بعض الثقات أنّه رأى بقرة بمدينة ميدي جاءت بولدٍ له رأسان في جثة واحدة وكل رأس منهما كامل الحواس.

وفيه، غزت ثلة من العسكر المُرَتَّبين بالزَّيدية على أهل قرية الجعليّة[2] قاصدين القبض على بعض أهلها السابق إساءة منهم، فثارت الفتنة بينهم وبين العسكر قُتِل بها شخصان من العسكر وجُرِح شخص ومن الآخرين رجل وامرأة، فتحركت عليهم العساكر بالمدفع والقوّة فتوسّط في خلال ذلك بينهم السيّد الصّالح عبده بن إبراهيم عابد - قبل وصولهم إليهم - وأخَذ مرهونين من أهل الجعلية وسلّمهم إلى الدّولة فسكنت الفتنة والحمد لله.

وفي شهر صفر، وقع الخلاف بين رجل يُسمّى عبد الرّب وهو شيخ جبل راس[3] ولكنّه تولّى في زَبيد من طرف إمام صنعاء السيّد العلاّمة يحيى بن حميد الدّين وبين السيّد أحمد بن عبد الرحمـٰن بن حسين الأنُباري[4] فاقتضى ذلك المنافرة بينهما وكلاهما من رؤساء جيش إمام صنعاء، فرفع السيّد أحمد الأنباري الأمر إليه فعَزَل عبد الرّب، فلم يهن ذلك عليه فَعَمل الحيلة في رجوعه إلى زَبيد بأن اتّفق مع بعض تجاره بأنه سيتقبل التكاليف الدّولية التي على الرّعية من إمام صنعاء ووعدهم بالمجاوزة معهم في طلب التكاليف، فوافقوه على ذلك وكتبوا له رَقْماً بأسمائهم وأختامهم على أنّهم راضون بما تقبّله من الإمام، فأخَذ المكتوب بيده وتوجّه به إلى صنعاء فعَرضه عليه فوافقه، وتمّ الأمر على ستمائة ألف ريال يدفعها إليه كل سنة عن التكاليف التي على أهل زَبيد وما لحقها، فخَرَج من صنعاء إلى زَبيد في ثمانمائة نفر من العسكر فوقف خارج زَبيد وأرسل إلى السيّد أحمد الأنباري يخبره بذلك فأنكر وصوله بالعسكر على الكيفيّة المذكورة وقال له: إذا كان قصدك ما وَصَلت له فادخل معك بعشر نفر فقط. فَمَنع إلاّ أن يدخل بجميع العسكر الّذين وصل بهم فلم تحصل

---

(١) البَرَد: ماء الغمام يتجمّد في الهواء ويسقط على الأرض حبوباً وقت سقوط الأمطار.

(٢) الجعليّة: قرية من مديرية المنيرة بالشمال الغربي منها، على مقربة من البحر الأحمر في شمال رأس ابن عباس.

(٣) جبل راس: منطقة بالشرق الجنوبي من زبيد.

(٤) أحمد بن عبد الرحمن الأنباري: عالم عارف، تولّى حكومة زبيد من سنة (١٣٣٧هـ) إلى أن مات في ذي الحجة سنة (١٣٦٦هـ) بزبيد.

المساعدة من السيد أحمد على ذلك فارتفع عبد الرّب إلى جهة العُدَيْن [1] يجمع العِدّة والعدد لحرب السيّد أحمد، ووقتِ رَقْم هذا ـ وهو غرّة ربيع الثاني ـ وكل واحد منهما يجمع العِدّة والعدد لحرب الآخر.

وفي يوم الخميس، الثاني عشر من شهر رمضان، توفي السيّد العلاّمة قُطب أهل العرفان مَنصِب المنيرة محمد بن يحيى الأهدل رحمه الله ونفعنا به، وقد رثيته يوم موته بهذه القصيدة:

خطب أصاب جميع الكون قد شملا ... كل الأنام لفقد القطب إذ أَفَلا
وحادثٌ غادر الأرجاء مظلمة ... فاندكّ حُزناً ثبير القلب وانتقلا
ومنه مارت سما العرفان وانكسفت ... شمس العلوم وطود القلب قد نزلا
رزءٌ عظيم له في كل جارحةٍ ... جرح إلى القلب بالتفتيت قد وصلا
ووقعه قاصمٌ للظهر من أسفٍ ... ووقد نار الجَوى في القلب قد شعلا
والجفن فارق عند القوم من عرق ... وسال منه عقيق الدمع متصلا
لم لا يجوز وفرد الكون في جدث ... قد غاب وهذا الرَّبْع منه خَلا
غوث الأنام فريد العصر قدوتنا ... محمدٌ نجل يحيى من سَمَا وَعَلا
عَلا الفضائل حتى نال مرتبة ... بهمّة جاوزت كيوانها زُحَلا
ما زال يدأب في الطّاعات مجتهد ... في كل وقتٍ إلى مولاه مبتهلا
مُقَسِّماً وقته لله بذكره ... مواظباً أو صلاح الخَلْق قَدْ بَذَلا
وبالعلوم له نتف يحصّلها ... ما بين فقه وتفسير به اشتغلا
أو التلاوة للقرآن يحفظه ... عن ظهر قلب بعزمٍ لم يَشُب مَلَلا
مع التدبّر للآيات يعرضها ... على التفاسير حتى يبلغ الأملا
أو التهجّد في سُود اللّيال مع الإخلاص في سعيه لله جلّ عَلا
عن حُسن أخلاقه حَدّث وَلاَ حَرَج ... وحُسْن سيرته للنّاس قد شَمَلا
لَهَفِي على صُحبةٍ لنا معه ... كأنها ساعة لم تعرف الخَلَلا
لَهفي على مجلس العرفان وا أسَفا ... واحسرتا أرتجي عنه لنا بدلا
لَهفِي على صفو أوقات لنا سَلَفت ... ما كان أطيبها فامنن بها عجلا
لَهَفِي على فَقد قُطب الكون عن كمل ... فعيشه بمقال الغيث قد كملا
قد ظمه جدث يوماً ومِنْ عَجَبٍ ... قبر يظم جميع الكون مشتملا
دعاه مولاه للزلفى فجاء إلى ... خُضر الجنان سريعاً فارتقى وَعَلاَ

(١) العُدَيْن: سلسلة جبلية من بلاد إب تمتد خلف جبل راس المُطَل على مدينة زَبيد من جهة الشرق.

يا رب واخلفه في كل الأنام بمن ... يقوم فيما به قد قام متصلا
بقاسم نَجْلَهُ فرد الكمال فما ... له نظير ولم نعرف له مثلا
علامة الوقت ذو الأفضال من جُمِعت ... به الكمالات تفصيلاً كذا جملا
قد أجمع الكل واختاروه لا سيما ... ذو الحل والعقد منهم سادة نُبلا
أعنه يا رب ما حمّلته كَرَماً ... واسلك به نهج أهل الله والسبلا
ووفقه وصبّره وحام حمى ... هذا المقام ليكفي البغي والزللا
وقم بفخر الهدى في كل نائبة ... وكل أخوانهم طفلاً ومن كملا
واملأ بهم غابة وامنعهم نقما ... وحقق يا ربي لهم أملا
وصبّرن قلوباً طالما ضنيت ... واعظم أجورهم واكرم له نزلا
واخلفه في أهله واجبر مصابهم ... وكل مَنْ في الورى به اتصلا
وصل رب على من كان فرقه ... وفقد أسوة للناس إذ رحلا
والآل والصحب ثم التابعين لهم ... مسلماً ما حدى حادي الممات إلى(1)

وكانت وفاته ببلدة المنيرة يوم الخميس ودُفن داخل الجدار في تربة سيدي الشيخ الولي الكبير عبد الله بن عمر الأهدل، وقد مَضَى مُتَرجَماً.

وفي يوم الجمعة، رابع شهر شوال من سنة تسعة وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف، توفي السيّد العلاّمة المجذوب عبد المغيث بن محمد بن حسن بن عبد الباري الأهدل بالمراوعة ودُفن بها.

وفي يوم الخميس، الخامس والعشرين منه، أرسل الله ريحاً حمراء بغير سبق مطر، فأظلمت منها الأرجاء ثم اصفرت فَوَقع بالناس خوف شديد وفزعة، ثم انْجَلَت بعد نحو نصف ساعة. فهي آية عظيمة: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾(2).

وفي يوم الخميس، غرّة ذي القعدة الحرام، وقعت فتنة بين قبيلة صِلّيل بعضهم بعضاً، فكان أهل الحازّة في جانب ومنهم شيخ صليل السيد إبراهيم بن عبد الله قوزي، وأهل الخبت في جانب وفيهم السيّد قاسم بن محمد قحم. فكانت الفتنة في محل الأقعد ـ غربي سوق القناوص ـ فَقُتِل بها السيّد قاسم بن محمد قحم وعشرة نفر ممن كان معه وجُرِح منهم جملة ونَجَى الآخرون سالمين. ولمّا بَلَغ الأمر إلى مسامع مولانا أمير المؤمنين إمام الحق السيّد العلاّمة محمد بن علي بن إدريس وهو ببندر جازان تحرّكت هِمّتَهُ فأرسلَ من الجيوش المنصورة نحو ثلاثة آلاف لتربية صلّيل الذين صَدَرت منهم هذه الأفعال القبيحة والقَبْض على المتجاسرين عليها،

---

(1) قوله «إلى» في هذا إكتفاء، أي إلى الدار الآخرة.
(2) سورة الإسراء، الآية: (59).

فوصلوا إلى القَنَاوِص الثاني والعشرين من ذي القعدة ومُقَدّمهم الشّريف محمد بن علي الحازمي فَفَرّق الجيوش في قُرَى صليل وكلّفهم القيام بكفايتهم، ثم ألقى يد القبض على رؤساء القُرَى وأودعهم حبس القناوص تسكيناً للفتنة حتى يتحقق الجاني من البريء وهم نحو اثنين وثلاثين نفراً. ثم في غرّة ذي الحجّة الحرام أرسلوا محفوظين بثلاثمائة نَفَر من الجيش إلى حضرة مولانا أمير المؤمنين بجازان، وفيهم السيد محمد بن محمد قحم - والد القتيل - والشيخ إبراهيم بن عبد الله قوزي فأودِعُوا دار الحبس بجازان.

وفي خلال هذه المدّة اشتد هبوب الرّياح في الفصل المُسَمَّى في عُرْف أهل اليمن بفصل سُهَيْل، فَدَامت سبعة أيام، وفي أثنائها اشتدّت جمرة الرّيح ثم اصفرت ووارت السّماء والشمس فظن بعض النّاس أنّها كاسفة، وليس بها كسوف وإنما هو من شدّة الرّيح، ففزعوا إلى التهليل والتكبير، ثم أعقب ذلك ظهور السحاب الثقال فتراكمت وانزل الله أمطاراً عظيمة عامّة نافعة وذلك في فصل الأولين المعروفين عند أهل اليمن، فَوَقع الناس في زراعة الدّخن والذّرة والسّمسم وغيرها في الطّين والرّون فجاء ثمرة عظيمة نافعة والحمد لله.

ثم إنّ حضرة مولانا أمير المؤمنين - أيّده الله بنصره - لم يزل يبحث في مادّة قَتْلَى صِلّيل المارّ ذكرهم قريباً ويتطلب التحقيق ممن له وقوف على القضية، فلم يقف على حقيقة تُبَيِّن له القاتل من غيره فيرتّب عليه الحكم، وأسباب ذلك أن القتال وقع - مع تباعد الفئتين - برمي البندق فكان يُضْرَب من الجانبين دفعة واحدة فلم يعرف المصيب من غيره، فرأى سيدنا - حفظه الله - المصلحة في انّه يطرح على قبيلة صليل دِيَاتْ القتلى؛ فقاموا بأدائها وأُطْلِق المحبوسون فكان في طيّ ذلك الصّلاح العام الّذي لولاه لَسَرى الفساد وعمّ وانتشر، وأصبحوا كلهم آمنين بالأمان العام الّذي جعله الله رحمة بقيامه بهذه الدّعوة المباركة، فَجَزَاه الله عن الإسلام وأهله خيراً.

وفي يوم الإثنين، الحادي عشر من ذي الحجّة الحرام قُطِع رأس شخص في باجل قِصَاصاً، وهو من عسكر مولانا حفظه الله، وكان قد قَتَل أحد رؤساء العسكر ظُلماً عامداً وأقرّ بذلك فقتله به قايد الجيوش الإدريسية الشيخ محمد طاهر رضوان قصاصاً.

وفي يوم عيد النّحر، هَجَم سَيْل عظيم من الوادي على مدينته صَبْيَا فأخذَ شطراً من مساكنها وأخربها وذَهَب بها، ثم توجّه السّيل على الشطر الآخر منها وبها مساكن مولانا أمير المؤمنين السيّد العلاّمة الإمام محمد بن علي بن إدريس، فلمّا شاهد

الضرورة المحققة أصدر أمره المُطاع على أهل صَبْيا بالنقول إلى محل كائن شرقيها بنحو نصف ساعة عنها، فَخَرج بنفسه إلى هذا المحل بعد أن ساوم أهله فيه فاشتراه منهم بالثمن، ثم بدأ بنفسه فَبَنى مسجداً ومساكن واسعة عديدة فتبعه أهل صَبيا بالبناء فَسمّاها «صَبْيا الجديدة الإدريسية». ووقت رَقْم هذا ـ عام أربعين بعد ثلاثمائة وألف ـ وعملية البناء كائنة بها، أعمره الله ـ سبحانه ـ وسائر بلاد المسلمين

وفي يوم العيد ـ أيضاً ـ وقَعت زلزلة في بندر مصوّع وعَصَب وأوروبا، خرَب بها بعض المساكن ومات تحتها جماعة كثيرون كما أخْبَر بذلك الثّقات ممن كان بتلك الجهة في يوم الواقعة.

وفيه، ضَرَبت صاعقة رَجُلاً ببلد العطاوية وحَوْلَهُ أولاده فقتلت أباهم ونَجوا، وأحرقت البيت الذي هم فيه، فنسأل الله السّلامة.

أحداث عام ١٣٤٠هـ:

وفي شهر محرّم الحرام عام أربعين استدعاني حضرة مولانا أمير المؤمنين السيّد العلاّمة الإمام محمد بن علي الإدريسي أيّده الله بنصره إلى بندر جازان، فوَصلت إلى حضرته فلقيت عنده من الإكرام ما لا أستطيع القيام بشكره، ثم ولاني القضاء ببندر الحديدة فامتثلت أمره المطاع، ولقيت لديه من علماء العرب من أهل شنقيط علماء جهابذة جذبهم الله إليه بقيام دعوته المباركة بأرض اليمن من تلك الشقة البعيدة، حتى إني سألت أحدهم: كم بينك وبين بلدك من هنا؟ فقال لي سنة كاملة أسافر براً وبحراً لا أفترّ يوماً من السّفر، وهو الشيخ محمد بن عبد الله الشنقيطي، فسمعت منه فرأيته بحراً في العلوم لا ساحل له؛ متفنناً في مذهبه مذهب الإمام مالك وغيره لا سيما علم الحديث والسِير وعلوم الآلة؛ كثير الحفظ سريع الاستحضار للأدلة قد منحه الله مَلَكَة الاستحضار التي هي أقوى المَلَكات الثلاث، قويّ الفهم والذكاء إذا أمْلَى من حفظه فكالسّيل المنهمر. ومنهم الشيخ محمد تقي الله، جبل من جبال القلم راسخ، فهو بضدّ الأول لا يتكلم غالباً إلا جواباً مع أنّه متفنن في جميع العلوم. ومنهم السيّد العلاّمة العابد الزّاهد النّاسك محمد بن محمد المغربي الشنقيطي، رأيته مقبلاً على عبادة مولاه مُنيباً خاشعاً كثير المراقبة لله، شديد الخوف منه، قليل المخالطة للنّاس، حافظاً للقرآن الكريم عن ظهر قلبه، له وِرْد منه يبتدأه في السّاعة السّابعة أو الثامنة من الليل ويختمه وقت طلوع الفجر وذلك بمحل مولانا أمير المؤمنين حفظه الله آمين، وما زال مقبلاً على شأنه متوجهاً بكلّيته على مولاه قليل الكلام مع الناس إلاّ فيما يعني. ومنهم السيّد العلاّمة الفهّامة محمّد مختار المغربي الشنقيطي، متفنن في العلوم، له اليد الطولى في علوم الآلة، مُكثر من الإفادة

والاستفادة، حافظ لكتاب الله، على غاية من حُسْن الأخلاق والبِشْر والتواضع. وجميع هؤلاء واقفون لدى سيدنا أمير المؤمنين للإفادة والاستفادة والتدريس، وهو قائم بكفايتهم في كل ما يحتاجونه من الأمور الدنيوية لهم ولعائلاتهم. وقد أخذت عن الشيخين محمد بن عبد الله ومحمد تقي الله ما تيسّر لي من العلم لا سيما الشيخ محمد بن عبد الله فإني لقيته مرّة أخرى بالحديدة في شهر ذي القعدة الحرام من هذا العام فاستفدت منه كثيراً جزاه الله عني خيراً. ثم إني انصرفت من الحضرة الإمامية الإدريسية متوجهاً إلى بندر الحديدة محل وظيفة القضاء فوصلت إليها في سلخ محرّم الحرام من عام أربعين بعد ثلاثمائة فباشرت وظيفة القضاء بين أهلها، فأسأل الله الكريم التوفيق للصّواب وتسديد الأقوال والأفعال بالجري على جادّة الشريعة المطهرة إنه وليّ ذلك.

وفي شهر ربيع، تحرّك سيف الإسلام السيّد العلاّمة مصطفى بن عبد العال الإدريسي[1] من جازان إلى الحديدة قاصداً إلى مصر بعد أن أذِنَ له مولانا أمير المؤمنين في الوصول إليها لأمور مهمّة وتَفَقُّد أحواله وعائلته المُقيمين بالصعيد من أعمال مصر لكونه قد غاب عنها مدة تزيد على خمس سنين، فوصل إلى الحديدة وقرر أحوالها وتفقّد أمور بيت المال والعسكر المُرَتّبين بها وبتلك الجهات. وفي خلال إقامته بها سُلّمت مَمْلحة الصّليف إلى حضرة مولانا أمير المؤمنين - أيّده الله بنصره - فعاد سيف الإسلام من الحديدة لِتَسَلّمها فوصل إلى الصّليف في ربيع الثاني وتسلّمها فصارت من جملة ممالك مولانا أمير المؤمنين - حفظه الله - ثم عاد سيف الإسلام بعد ذلك إلى الحديدة فركب منها في البابور البحري إلى عدن في جمادي الأولى، ثم ركب من عدن إلى مصر فَدَخلها بهيئة عظيمة وأبّهة فخيمة، فتلقّاه أهلها بالإعزاز والإكرام، كيف لا؟ وهو من ذلك الجيل الكرام وسليل خير الأنام، وقد ضَمّ إلى شرف النّسب ورفيع الحَسَب رياسته الوزارة لحضرة بن عمّه مولانا أمير المؤمنين أيّده الله بنصره، بل عَظُمت منزلته لديه لِحُسْن تدبيره وسياسته وإعانته في قيام هذه الدّعوة المباركة الإدريسية حتى صار هو العين النّاضرة فيها.

وفي شهر شعبان، توجه السيّد العلاّمة محمد العربي بن عبد العال الإدريسي الحسني من جازان بأمر حضرة مولانا أمير المؤمنين - حفظه الله - إلى بندر الحديدة، ومَرّ في طريقه إلى حَرَض ونصّ لهم على مكان قبلي حرض لِنَقْل المدينة إليه بأسباب

---

(١) مصطفى الإدريسي: من أعيان الأدارسة ومن كبار قادتها، وقد حارب الدولة العثمانية ثم الإمام يحيى حميد الدين لصالح ابن عمه محمد بن علي الأدريسي ثم ثار على ولده المُستخلف وتوفي بمصر سنة (١٣٤٩هـ).

تسلّط سيول الوادي عليها حتى أخرب بعض بيوتها ونوحه على البعض الآخر، فصدر الأمر من مولانا - أيّده الله - بنقولهم إلى هذا الموضع كما وقع نصير ذلك في صنبا ثم بَعد ذلك ركب السيّد العربي في المَوْتر إلى الحديدة فدخلها في أوائل رمضان وبمعيّته الشيخ الكامل محمد بن يحيى عوض باصهي الحضرمي لتفقد أمور العسكر المنصورة والنَّظر في أحوال بيت المال، فقرّر أحوالها وعزل بعض العُمّال والكتبة على بيت المال ممن ظهرت خيانته وأبْدَل غيرهم ممن فيه صلاحية. ثم رجع الشيخ محمد بن يحيى في أواخر رمضان إلى الحضرة الإماميّة بجازان وبقي السيد محمد العربي بالحديدة لتتميم العمل وهو رجل صاحب ذكاء ومعرفة وسياسة وحُسن تدبير وجودة رأي. ووقت رَقْم هذا - وهو الخامس والعشرين من شوّال - وهو باقٍ بالحديدة قائم بإصلاح ما هو بصدده جزاه الله خيراً.

وفي شهر ذي القعدة الحرام كثر طلوع النيران من البلدان والقرى كالزَّيدية والمُنيرة والزّهرة واللّجام ومَوْر وبَاجِل والضُّحي والمنصورية والقُطَيْع ودَيْر المغازلة والكلفودية وغيرها، فهلكت بها أموال جزيلة من البضائع والمساكن والأثاث وذلك وقت اشتداد الحرّ في أيام الصّيف، وقد قال بعض الحُسَّاب أنّ أسباب ذلك: حلول الشمس في منزلة ناريّة؛ فلاتفاق الحرارتين: حرارة الشمس وحرارة المنزلة تؤثر فيما وقعت عليه فتنقدح النّار منه، وعند الله حقائق الأمور.

وفي شهر ذي الحجّة الحرام، وَفَد الشيخ العلاّمة محمد بن عبد الله الشنقيطي - سابق الذِّكر قريباً - إلى بندر الحديدة فأخَذت عنه من العلم ما كُتب لي، نفعني الله بذلك ووفقني للعمل بما هنالك.

وفيه، ورَدَت إلينا رسالة من مصر، من رئيس الوفد الفلسطيني الإسلامي الشيخ عبد القادر المُظفّر مآلها أنّ اليهود يحاولون أن تكون فلسطين قاعدة مملكتهم و «بيت المَقْدِس» محل متعبّدهم الأكبر وأن يُخْرِجوا المسلمين منهما!! ووجّه الخطاب بذلك إلى قاضي الحديدة الشّرعي حالاً، وكان القاضي بها وقتئذٍ الفقير رَاقِمُ هذا، مُستنجداً منه ومن أهل الإسلام بهذه الجهة الرّد على اليهود برسالةٍ تدحض حجتهم، ولمّا كان الأمر منوطاً بحضرة مولانا أمير المؤمنين - أيّده الله بنصره - رفعنا إليه صورة الرسالة ليقضي فيها بما أراد، فلم يعد منه جواب أصلاً وكأنّه يُشير أنّ هذا لا يستحق جواباً فإنّ الله ناصر دينه لا محالة!!

وفيه، توفي السيّد العلاّمة عبده بن علي بن عبد القادر الأهدل بالحديدة ودُفن بها، والسيّد العلاّمة علي بن أمحمد عزّ الدين يوم عيد النحر بجبل أذرع وبه دُفن، والسيد الصالح محمد بن حسن النُعمي بمدينة الضّحي ودُفن بها، رحم الله الجميع

في الفصل المُسمّى في عُرف أهل اليمن

وفي اليوم الثامن والعشرين منه، عمّت جميع البلدان في اليمن بالخامس، أنزل الله أمطاراً عظيمة نافعة - إن شاء الله - عمّت جميع البلدان في اليمن والشام من هذه الجهة، ونزلت الأودية فأسقت أرضها المعتادة للسقي منها، ثم لمّا كثر سيلها تخلفت عن مجاريها الأصليّة ووصل إلى مواضع لا يعهد وصوله إليها فيما مضى، فنسأل الله أن يجعل في ذلك البركة وحصول الثمرة النافعة منه إنّه ولي ذلك.

أحداث عام ١٣٤١هـ:

ثم أنّ الأمطار لم تزل متابعة في شهر محرم الحرام عام إحدى وأربعين بعد ثلاثمائة وألف جاءت الزراعة بثمرة عظيمة كالدّخن والذّرة والسّمسم فالشكر لله المتفضّل المُنعم.

وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من صفر، توفي الرّجل الصّالح عبده عَزّي بن محمد هنيق بالمنيرة ودُفن بها.

وفي شهر ربيع الأول، توفي الرّجل الصّالح قاسم إبراهيم بحاري، والرجلان الصالحان يحيى بن حسين سويد ويحيى بن بلغيث سويد بالمنيرة ودُفنا بها، غفر الله للجميع ورحمهم رحمة الأبرار آمين.

وفيه، توفي الشريف الصالح محمد بن يحيى بن ظافر الحسني بِصَبْيَا، والرّجل الصّالح عبد الله شاذلي بالمعترض، والفقيه العلاّمة محمد بن إبراهيم الخُشَيْبري بصبيا، رحم الله الجميع.

وفي شهر ربيع الثاني، طَلَعت نارٌ من بعض بيوت المنيرة في وقت شدة الرّيح الأزيب، أحرقت نحو مائة بيت في ساعة خفيفة.

وفي اليوم الثامن والعشرين منه، عاد السيّد العلاّمة محمد العربي بن عبد العال الإدريسي من بندر الحديدة إلى صَبْيا الجديدة بأمر حضرة مولانا أمير المؤمنين - أيّده الله بنصره - بعد أن أقام بها ثمانية أشهر، وخَلَفَهُ بها الشريف العلاّمة أحمد بن زيد بن الحسين بالأمر الإمامي الإدريسي.

وفي شهر جمادي الأولى، توفي السيّد العلاّمة - مفتي بيت الفقيه ابن عُجَيْل - موسى بن محمد بن المساوَى الأهدل وبه دُفن، والفقيه الصّالح قَيِّم رباط الشيخ أبي الغيث بن جميل بيت عطا[1] وبه دُفن.

---

(١) لم يذكر اسم القَيِّم المتوفي. أمّا الرباط المذكور فهو من الأربطة العلمية المشهورة في تهامة وموقعه بقرية بيت عطا إحدى قرى بلاد صلّيل في الشمال الشرقي من مدينة الزيدية. والشيخ أبي الغيث بن جميل هو رجل صالح تفقّه في آخر أيامه وسَلَك مسلك الصوفية حتى وفاته سنة =

وفي شهر جمادي الثانية، أقبلت سفينة من عدن إلى الحديدة مشحونة بأنواع البضائع بما يبلغ قيمته خمسون ألف ريال ولمّا وَصَلت إلى قرب الحديدة ليلاً دفت في أحجار هناك تسمّى الشِعَب كائنة بين الماء، فانكَسَرت السفينة وغرقت تلك الأموال كلها ومَا خَرَج منها من بين الماء وُجِدَ تالفاً، وهي لجماعة متفرّقين من أهل عدن ومِيْدي والحديدة وجَازان وغيرها، والسفينة لرجل من أهل عدن يُسمّى بَاعَشَن.[1]

وفي شهر رجب الحرام، توفي الرّجل الصّالح - شيخ عَبس - يحيى بن علي ثواب ودُفن ببلدة، وكان محباً للصلاح رحمه الله.

وفيه، وَقَع حرب عظيم بين مُقَدَّم جيش إمام صَبْيَا مولانا الإدريسي: الشيخ هادي بن أحمد هَيْج، وبين مقَدَّم جيش إمام صنعاء: أحمد بن يحيى حُبَيْش[2] بجهة مِلْحان فكانت الطائلة للشيخ هادي هَيْج، فأخرجوهم من جميع نواحي جبل مِلْحان وأخذوا منهم مدفعاً وسلاحاً وعِدّة كثيرة، وأسِر رئيسهم أحمد بن يحيى - المذكور - ومن جيشه نحو ستمائة مقاتل، ثم أرسلوه إلى قائد الجيوش الإدريسية بباجل الشيخ محمد طاهر رضوان، ثم أُطْلِق أحمد بن يحيى ومعه أربع مائة نَفَر بغير سلاح وأُرسل مائتان إلى المقام الشريف بصبيا فَشَفع فيهم منصب الحدادية - السيّد عبده بن إبراهيم عابد - عند حضرة مولانا أمير المؤمنين - أيّده الله بنصره - فَشفّعه وأطلقهم في شهر ربيع الأول الآتي من سنة اثنين وأربعين. ثم إنّ الشيخ هادي بن أحمد هَيْج حَصّن المعاقل الكائنة بِمِلْحَان بالعِدّة والعدد، وتزحزح من بقي من جيش بن حُبَيْش إلى صنعاء وأخذوا مراهينهم معهم.

وفي يوم الثلاثاء، الثالث من شهر شعبان، وقعت ثلمة عظيمة على أهل الإسلام وخَطْب فادح للخاص والعام، وذلك وفاة مولانا السيّد العلاّمة إمام الحق والدّاعي إلى المُلك الحق؛ مُجَدِّد ما انطمس من السُنّة النبويّة، والقامع بسيف عدله رقاب الفِرَق الضّالة الغَويّة: محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن إدريس الحسني إمام صَبْيَا، وكانت وفاته نقيصاً عظيماً على أهل الإسلام ورِزْءاً عاماً لأهل اليمن والشام، وكان قد استَخلف قُبَيْل وفاته: ولده السيّد العلاّمة الإمام علي بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن إدريس فلم يُدْفَن حتى أنْعَقَدت البيعتان الخاصّة والعامة له من

= (٦٥١هـ) وله مجموع لطيف في التصوف. انظر: طبقات الخواص (٤٠٦).

(١) ينتمي إلى آل باعَشَن المشائخ بوادي دوعن. انظر كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

(٢) هو النقيب أحمد بن يحيى حُبَيْش وكان متولياً بلاد المحويت للإمام يحيى، أو ما كان يُطلق عليه صفة: عامل.

أهل الحل والعقد من أهل تلك الجهات: صَبيا وما والاها، ثم ممن شملتهم دعوته أهل الجهة اليمنية كالحديدة وما والاها. وكان سِنّ ولده المُستَخلف - إذ ذاك - نحو سبعة عشر سنة، فَعَهد إليه بذلك لتحققه بأهليّته للقيام بهذا الشأن لِعِلْمه وحِلْمه وشهامته وشجاعته وحُسْن تدبيره ومجده.

ومـن شـابَـهَ أبـاهُ فمـا ظَلَـم

بـانـه أقْتَـدَى عَلـيٌّ فـي الكـرم

فقام بالدّعوة أتم قيام، وتتبع مآثر أبيه في كل محفل ومقام[1]، ودَانَت له رِقاب الأنام، ولاح لواء النّصر على هامته وتوّج بتاج النّصر والمهابة في حال سكونه وحركته، أدام له الله النّصر والظّفر والتمكين، وأشاد به معالم هذا الدين المتين.

وكان وقتئذٍ السيّد العلاّمة مدير قُطب رحى هذه الدّعوة المباركة من أوائل القيام بها: مصطفى بن عبد العال بن أحمد بن إدريس قد توجه إلى مصر من نحو سنة بالإذن من حضرة مولانا الإمام السيّد العلاّمة محمد بن علي بن إدريس - رحمه الله - لتفقد أحواله الذّاتية لكونه قد غاب عنها باليمن من نحو خمس سنين، ولمّا بلغه وفاته سارع بالوصول في البابور البحري فوصل الحديدة يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر شعبان فأقام بها بقيّة ذلك اليوم، فركب البابور البحري إلى جازان ثم إلى صبيا فأدّى سُنَّة العَزَاء وَزَار الأحياء والأموات، وبوصوله إلى صَبْيا تقررت الأحوال وانتضمت الأمور على نحو ما كانت عليه في مدة إقامته مع المرحوم سيدنا الإمام، سقى الله ثراه صبيب الرّحمة والرضوان آمين.

ولمّا توفي سيدنا الإمام رثاه جماعة كثيرون بقصائد جميلة، ومنهم الفقير جامع هذا، أرثيته بهذه القصيدة فهي وإن كانت ركيكة المبنى لكنها صحيحة المعنى وهي:

خطـوب ذَوَت منهـا القلـوب تـوليّـا ... ودكـت لهـا الشُـمّ الـرّواسـي تـأوّهـاً
ومارت سماء العلم من حادث عرا ... فطاشت له الأحلام من قرط حربها
وجـادت عيـون الشـرع تبكـي تـأسفاً ... بـوكـاف دمـع للـوديقـة أشبهـا
لفقـد أميـر المـؤمنيـن محمـد ... رفيـع الـذّرَى ربّ الجـلالـة والبهـا
أتـاه النِـدا مـن بـاري الخلـق للّقـا ... إلـى الخضـرة العليـا فلبـى وامَهـا
فـأوّاه هـل يُغنـى التـأوه والأسـى ... فلـولا التـأسى فـارق الـرّوح جسمهـا

(١) من الواضح أنه يتحدث عنه بلغة الرضا، وإلاّ فإن عمره لا يعطيه مثل تلك الصفات، لذا نجد كاتب سيرة الإمام يحيى حميد الدين قال عنه أنه لم يتحلّ بشيءٍ من العرفان، ولكن أعوان أبيه أرادوا من تنصيبه حفظ سيطرتهم ومصالحهم. انظر كتاب: سيرة الإمام يحيى، تأليف: القاضي عبد الكريم مطهر، تحقيق الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحية - جامعة اليرموك الأردن.

هو السيّد العلاّمة البحر من سَمَى … بهمته فوق السماكين والنهى

إمامٌ أَتَى والجهل قد مدّ باعه … على أمم قد بات في الناس جهلها

أقام عماد الدِّين بعد اعوجاجه … وقد صار في ذا القطر أخفى من السُّهى

وعاد غريباً في الأنام كما بدا … بنص رواه في الصحيح أولو النهى

وقد جاء بأن الله يبعث للورى … على كلّ قرن من يجدد ما وهي

من الدّين حتى يستقيم عموده … ويرفل في ثوب من العزّ قد زهى

فنبهه المولَى لنصرة دينه … فبادر لمّا أن دعاه ونبّها

وقام مُجَدِّداً غير وانٍ محدداً … لأمة خير الرسل من أمر دينها

فأضحى به ثغر الشريعة باسماً … مضيئاً حكاه البدر نوراً وأشهبا

وذاد عن الشّرع المطهر بدعة … وهدّم ركن الزيغ . . . (1)

وذو الجهل ولّى قارعاً سن نادم … وقد كان أقوى النّاس جهلاً وسفهاً

كأن لم يكن كلّ الأفاعيل قد أَتى … وجُند جيش البغي بل قال ما اشتهى

وسعّر أرجاء البلاد مصاعراً … فصار أخا ذلّ عن الزّيغ قد لهى

وأصبح منقاداً إلى الخير تائباً … لمولاه مما قد جنى متأوّها

مطيعاً منيباً خائفاً متديناً … عن فعلة المذموم قَدْ كَفّ وانتهى

ولمّا أتانا أصبح القطر آمناً … يجرّ ذيول الأمن جذلان فازدهى

فأيقَظَنا من نومة الجهل مُرشداً … إلى طُرُق الخيرات يدعوا مُنَبّهاً

تَرَى حِلَقْ التدريس في كل بلدة … واعلامها قد طبق الأرض علمها

هنيئاً لقد حاز السُّباق مؤيّداً … من الله بالتوفيق والنور والبَهى

هنيئاً لقد طَلَعت في الكون أنوار شمسه … فغابَ فكانت حسرة لا نقلها

فأبقَى لها الذكر الجميل مخلداً … إذا استخلف البدر المنير ونوها

بعهد له لمّا رآه مؤهلاً … لدعوته العُظمى الجدير بحملها

فقام بقوة مقتدياً بأبيه … على ذلك النهج الشريف يؤمها

نجوم سماء كلّما انقضّ كوكب … بدا كوكب يتلوه في الفضل يُشْبِهَا

فنسألك اللّهم عَوناً ونصرةً … لسيدنا بحر العلوم وربها

كذا الحسن السّامي إلى منهج العلا … إمام أُولى العِرفان بل هو قطبها

كذلك مولانا الوزير بن عمّه … فقد نال أعلا رتبة ما أجلّها

هو المصطفى ثم السنوسي وصنوه … محمد العربي ذو الفضل والنهى

وسائر أهليكم ومن ظلّ واقفاً … لخدمتكم يا سادة الناس كلها

---

(1) بياض بالأصل.

فأوصيكم بالصبر يا سادتي على ... فراق إمام الحق من جاوز السُّهى
فهذا سبيل الله في أهل ودّه ... فبالصّبر يؤتى العبد غاية ما اشتهى
نهنيكم بالمنصب الشامخ الذي ... له خضعت شم الأنوف برغمها
وصل على طه الأمين محمد ... شفيع الورى يوم المعاد وذخرها
مع الآل والأصحاب أنصار دينه ... صلاة مع التسليم قد فاح نشرها

وفي اليوم الثالث من شهر رمضان، وصل شيخ مصوّع: الشيخ محمد بن سالم في البابور إلى الحديدة ومنها توجه إلى صَبْيا لأداء سُنّة العَزاء بسيدنا الإمام للخليفة وأبناء عمّه وعشيرته الإدريسيين، ثم عاد إلى الحديدة - بعد مكثه لديهم نحو نصف شهر - يوم السّبت التاسع عشر من شهر رمضان في المَوْتَر قافلاً إلى بلده مصوّع، وكان قد أُصْحِب بالأمر الإمامي الإدريسي إلى عامل الحديدة: الشريف العلامة محمد بن زيد بن الحسين في إرسال خمسة أشخاص من أهل الحديدة إلى المقام الشّريف وشخصين آخرين قد شهِدَا برؤية هلال رمضان ثم ظهر كذبهم، فَطُلِبُوا من المقام الشريف لقصد تعزيرهم لإقدامهم على شهادة الزّور.

وفي شهر شوال، وَصَل السيّد العلاّمة سيف الإسلام مصطفى بن عبد العال الإدريسي إلى مِيذِي لتقرير أحوالهم والنّظر في بعض أمورها.

وفي شهر ذي القعدة الحرام، وصل سيّدنا العلاّمة الإمام أمير المؤمنين علي بن محمد بن علي الإدريسي إلى مِيذِي بعد أن وقف في قرية الْمَضَايَا[1] نحو أسبوع لتدبير الأحوال الدّينية والدّنيويّة، ثم وصل إلى مِيذي بأبهة عظيمة، وضُرِبَ لوصوله أحد وعشرون مدفعاً، أيّده الله بنصره. وكان وصوله هذا أول وصول له إلى ميدي بعد قيامه بالدّعوة من بعد وفاة والده.

وفيه، توفي الرجل الصّالح الشيخ علي بن يحيى الأُصابع، شيخ مشايخ مِلْحَان، رحمه الله.

وفيه، وقعت نار في مدينة الزّيدية أَحْرَقت في لحظة خفيفة نحو مائة بيت وذلك في وقت شدة الرّيح في الفصل المُسمّى بِسُهَيْل في عُرْف أهل اليمن.

وفيه، قَدِمَ حضرة مولانا سيف الإسلام السيّد العلاّمة مصطفى بن عبد العال الإدريسي إلى الحديدة لتقرير بعض أحوالها فَضُرِبت المدافع لقدومه، ثم عاد إلى جازان.

---

(١) المضايا: من قرى منطقة جازان، وهي قاعدة بلاد الحكامية.

وفيه، تعرّضت الفئة الباغية للحاج الحجازي المُسمّى بالمحمل الكبسي[1]، بعد أن خرجوا من صنعاء وما حولها متوجهين إلى حج بيت الله الحرام فتعرّضوا لهم في الطريق بقرب البلاد العسيرية مما يحاذي محايل من جهة الشرق، فغدروا بهم قتلاً ونهباً، فقُتل من الحُجاج نحو ثلاثة آلاف نفس ومن الفئة الباغية نحو ثلاثمائة. ومن سَلِم من الحاج فرّ إلى جهة مكّة فتمّ حجهم وأخبروا بما جرى من هؤلاء، قاتلهم الله.

وفيه، منع شريف مكة المحمل المصري من الوصول إلى مكة لأداء النسك فعادوا من أثناء الطريق ومعهم كسوة الكعبة التي يهديها الخديوي رئيس مصر كل عام.

وفي يوم الجمعة من شهر ذي الحجّة الحرام، توفي الرّجل الصّالح حسين بن أحمد بن حسين جَذْي بالحديدة ودُفن بها.

وفي عيد النحر، منه، ثارت الجبْخانة من قلعة مدينة الزّيدية وفيها من البارود والدّنميت وآلة المدافع والبنادق شيء كثير، فأخربت المحل التي هي فيه، واتصل جزءاً منها ببعض بيوت أهل الزّيدية فأحرقتها، ومن لطف الله سبحانه أنّه لمّا انهدم المحلِ الكائن فيه الجبْخانة كَبس عليها الطّين واليَاجُور فهَانَ شرّها ولو قُدّر ثورانها جميعاً لأهلكت المدينة، فالحمد لله على ذلك.

أحداث عام ١٣٤٢هـ:

وفيه - وفي شهر محرم الحرام - من عام اثنين وأربعين بعد ثلاثمائة وألف، أنزل الله أمطاراً كثيرةً عامة للجبال والتهائم فَنَزلت منها سيول عظيمة عميمة وصلت إلى محالها المعتادة للسقي منها وإلى غيرها، فأنبتت الأرض زراعةً عظيمة في جميع الجهات، وأمّا الأودية الكبار كَسُرْدُد ومَوْر وسِهَام وزَبِيد وغيرها فبعضها وصل إلى البحر. ولم تزل الأمطار هاطلة والأودية سائلة بكثرة إلى وقت رَقْم هذا - وهو شهر ربيع الأول - وفيه كَثُرت إصابة البرق فمَرّةً أصابت رجلاً من الشحارية المقيمين بالزّيدية وتأثر باحراقها بعض بدنه ثم شفي منها، ومرّة أصابت امرأةً فألصَقها بجدار البيت ولم تتأثر بذلك، وأصاب بالحديدة بيتين أو ثلاثة فوَقع بها الخلل، نسأل الله السّلامة والعافية.

وفيه، وصل السيّد العلاّمة سيف الإسلام مصطفى بن عبد العال الإدريسي من جازان إلى اللُحيّة ويرفقه أنجاله الكرام - محمد المهندي ومحمد الهادي - لتفقد

---

(1) نِسْبَةً إلى أمير الحج: الكبسي.

الأمور وإصلاحها وإزالة المظالم إن كانت، فوصل إليه مشايخ تلك الجهات وأعيانهم وبعض عقالهم. ثم بعد نصف شهر من وصوله إلى اللحيّة تشرّفت بوصول حضرة مولانا أمير المؤمنين السيّد العلاّمة علي بن محمد بن علي الإدريسي - أيّده الله بنصره - في أبّهة عظيمة ولواء النصر على رأسه إذ هو فرع ذلك الأصل الذي قام بتشييد أساطين هذا الدين في هذا الوقت وأساسه، فوقف باللُّحيّة نحو نصف شهر فقرّر الأحوال بها وما حولها من البلدان وألزم من وصل إليه من أهل الجهة بالقيام بالمصالح الدينيّة والدنيوية مما تتقوّى به الدعوة المباركة. ثم في شهر ربيع الأول عاد إلى جازان ثم إلى صَبْيا، وفي مدة إقامته باللُّحيّة أنفذ جيشاً إلى الجهة اليمنيّة وكان قد جهّزه من الجهة الشامية قبل خروجه. وإحسانه في خلال ذلك فائض على مُستحقيه، أدام الله له النصر والظفر آمين.

ثم إنّ سيف الإسلام تأخر باللُّحيّة لتتميم بعض الأمور وتأسيس أمور أخرى مما تقوم وتتقوّى به هذه الدّعوة المباركة وأعاد من كان هناك من رؤساء تلك الجهات إلى بلدانهم بعد أن أجازهم بما يليق بكرمه وشهامته، وأوصاهم باجتماع الكلمة على الصلاح وإقامة الشريعة المُطهّرة التي هي أساس هذه الدّعوة الإدريسية، وعقب ذلك ركب مع أولاده - المشار إليهم - وأخيه السيّد محمد العربي بن عبد العال في المَوْتَر قاصداً بندر الحديدة وذلك يوم الخميس الثاني عشر من شهر جمادي الأولى في صدر النهار، فوَصل إلى الحديدة آخره لسرعة سَيْر المَوْتَر إذ هو يطوي مسافة يومين في ظرف خمس ساعات بل أسرع من ذلك، فدَخل الحديدة بِشَارةٍ حَسَنة وهيئة مُستحسنة فضُربت المدافع لقدومه.

وألْقَت عصاها واستقرّ بها النّوَى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

فازدحم عليه أهلها لقصد رؤيته وتقبيل يده والتّبرك به كأنهم لم يروه قبل ذلك، وهو - نَفَع الله به - يتلقّاهم بالبِشر وطلاقة الوجه وحُسن الأخلاق واللّطافة ورحب الصدر الذي لا يقدر عليه غيره. وممن وصلِ للقائه مشايخ أهل الجهة اليمنيّة ممن كان قد دَخل في ظل دعوتهم الشريفة، فتلقّاهم بغاية الإكرام ثم أجازهم وأمرهم بالرجوع إلى بلدهم بعد أن ألزمهم وحثهم على السعي بالصلاح وأمَرَهم بتقوية الحصن الذي بِقرية المنظر(١) محل مركز العساكر، وأرسل إليهم العمّارين أهبّة البِناء. وهو الآن مستقر ببندر الحديدة على هذه الحالة المرضية متفقد أحوال أهل البندر، مُزِيلاً عنهم المظالم، مُقرراً أحوالهم وأحوال بيت المال، ناصراً للشريعة

(١) المنظر: قرية بجوار مدينة الحديدة صارت اليوم جزءاً من المدينة وموقعها بجوار الربصة وشارع النجلة.

لمطهرة، آخذاً على يد من يتعرض لمعاكسة أحكامها، قائلاً إنما نحن خدمة للشريعة المُطهّرة، عاملاً بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝ ﴾(١). فَجَزاه الله عن الإسلام وأهله خيراً، آمين.

وفي يوم السبت، الرابع عشر منه، توجه أخوه السيّد العلاّمة محمد العربي بن عبد العال وبرفقه السيّد العلامة محمد الهادي بن مصطفى في البابور إلى بندر عدن، لقصد التداوي من جرح برجله اشتدّ عليه وجعه، فركب معه سيف الإسلام مُشَيِّعاً له إلى البابور ثم عاد بوقته إلى الحديدة.

وفي شهر جمادى الآخرة، انْفَصَلت من وظيفة القضاء بالحديدة بعد تكرير طلبي للانفصال لقصدي رجوعي إلى العائلة بالزيدية والمنيرة(٢) فأذِن لي الإمام جزاه الله خيراً بالرجوع مع البقاء على وظيفة القضاء بالزّيدية.

وفي شهر رجب، وَقَعَ خلاف بين حضرة مولانا الإمام السيّد علي بن محمد الإدريسي وبين حضرة سيف الإسلام السيّد مصطفى بن عبد العال الإدريسي، اقتضى ذلك الافتراق والتنافر بينهما، فدام ذلك إلى شهر شعبان ورمضان وشوال.

وفيه، وَقَع مطر بجبال مِلْحان، فَضَربت صاعقة في بيت الشيخ علي بن يحيى الأصابع، فأصابت أربعة أشخاص في البيت تأثّر بها إثنان ثم شُفِيَا وإثنان قَسَمت كل واحد منهما نصفين، ثم ضربت بعدها صاعقة أخرى ـ على أثرها ـ فالتأم كل واحد منهما وشُفيا، فكان يُرَى أثر الصاعقة كالخيط، فنسأل الله السّلامة.

وفي شهر شوالٍ، توفي السيّد الصّالح عبد الرحمٰن بن عبد الحي الأهدل بالزيدية ودُفن بها في تُربة الشيخ دهل بن إبراهيم، رحمه الله.

وفيه، خَرج حضرة الإمام السيّد علي بن محمد الإدريسي من مِيْدي ـ في عسكر كثير ـ فوصل إلى عَبْس ثم إلى مدينة الزُهرة، فَضُرِبت المدافع في الزُهرة لقدومه. فأقام بها يوماً واحداً ثم توجّه منها إلى اللُحيّة فَوَقف في طريقه بقرية الزِصاص ـ من الجامعي ـ ليلةً واحدة ثم سار منها إلى اللُحيّة فدخلها في ذلك الجيش الكثيف. وكان دخوله إذ ذاك وسيف الإسلام السيّد مصطفى بن عبد العال بها بعد وقوع الخلاف بينهما، فبعد دخول الإمام خرج سيف الإسلام منها إلى الحديدة. فوقف الإمام باللُحيّة يوماً وليلة ثم خرج منها إلى مدينة الزّيدية فوقف بها سبع ساعات وضُربت المدافع عند دخوله، ثم سار منها إلى الحديدة فوقف بها ثلاثة أيّام وسيف الإسلام بها

---

(١) سورة محمد، الآية: (٧).

(٢) تولّى المؤلف القضاء ببندر الحديدة مدة ثلاثين شهراً، وذلك بتكليف من الادريسي

فَجَرى الصلح بينهما من ذلك الإختلاف الذي كان بينهما في جازان وأسند الإمام إلى سيف الإسلام تدبير جميع الأمور كما كان قبل وقوع الافتراق، ثم عاد حضرة الإمام إلى جازان.

وفيه، توفي السيّد الجليل الفاضل محمد بن عبد الله بن أبـي بكر الأهدل بالمنيرة ودُفن بها.

وفي شهر ذي القعدة، أصاب البرق إمرأةً وبنتها عقب مطر، مَاتَا بها، وذلك في قرية العُرُش من بلد الحشابرة[1]، فنسأل الله السّلامة.

وفي يوم الأربعاء، الثاني والعشرين منه، توفي السيّد الصّالح عمر بن محمد حمزة الحسني بالحديدة ودُفن بها.

وفي يوم الجمعة، الخامس والعشرين منه، توفي السيّد الصالح علي بن عبد الله عجلان الحسني بالزيدية وبها دُفن.

وفيه، توفي السيّد الصّالح على مكعدل بِدَيْر القحم وبه دُفن.

وفيه، جاءت الأخبار بأنه أجمع رأي من بالشام على إلغاء اسم الدّولة العثمانية من المملكة ورَفع السّلطنة من آل عثمان أصلاً، وجعلوا الأمر شورى بين جماعةٍ كثيرين وجعلوا مركز ذلك في عنقره[2] وعادت اصطنبول ولايةً من ولاية عنقرة واتفق رئيسهم على أن الخليفة العام يكوْن من غيرهم فاختاروا أن يكوْن شريف مكة هو الخليفة، وهو الشريف حسين بن . . . .[3] وأسندوا أمور الخلافة إليه. ومما حُكِيَ عن الجمعية المذكورة[4] أنهم ألغوا أحكام الشريعة المُطَهّرة وأسندوا الأحكام إلى ما اجتمع عليه رأيهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي يوم عيد النحر ضربت المدافع بمدينة الزّبَيدية لإظهار شعار العيد فاتفق أنهم شحنوا المدافع بالبارود الأفرنجي والمدفع الكبير ولكنه من المدافع العربيّات التي كانت في أيام الأشْرَاف فانكسر المدفع قطعاً إلى كل ناحيةٍ، وكان ذلك وقت خروجه النّاس من المُصلّى راجعين إلى بيوتهم وفيهم كثرة عظيمة فَسَلّم الله ذلك الجَمْع الكثير

---

(١) العُرُش: بضمتين، من قرى مديرية الزيدية.

(٢) يقصد: أنقرة.

(٣) فراغ بالأصل. والمقصود الشريف الحسين بن علي شريف مكة والحجاز.

(٤) يتحدث المؤلف عن جمعية «تركيا الفتاة» السرية التي كانت تعمل بواسطة حزبها العلني «الاتحاد والترقي» وهي كانت تدعو إلى تتريك عناصر الدولة ومحاربة الفكرة العربية الأمر الذي دفع الشريف الحسين إلى قيادة الثورة العربية.

من هذا الحادث العظيم.

وقد وقع نظير هذا بالزّيدية في مثل هذا اليوم من العام الماضي، وهو يوم النحر، فثارت الجبْخانة وفيها بارود وقلل ورصاص فسلم الله الخلق من ذلك فالحمد لله على ألطافه الظاهرة والباطنة.

وفي يوم الجمعة، التاسع من ذي الحجّة، توفي الرّجل الصّالح الشريف عبد الله بن حسين بن صالح الجوفي بمكّة المكرمة ودُفن بها.

وفي يوم الخميس، الثامن والعشرين منه، طلعت نار من بلد المنيرة وقت صلاة الظّهر في يوم شديد الحر شديد الرّيح، فأحرقت في ساعة خفيفة نحو ثلاثين بيتاً، وحَرَق بها أموال جسيمة من اللؤلؤ الثمين للسيّد محمد بن عبد الله خوفاني، يقوم بمبلغ خمسة وعشرين ألف ريال.

أحداث عام ١٣٤٣هـ:

وفي شهر محرم الحرام، عام ثلاثة وأربعين بعد ثلاثمائة وألف، أنزل الله أمطاراً عظيمة بمدينة الزّيدية ونواحيها فضربت صاعقة بالزّيدية أصابت امرأة وصبيّها في حينها فماتت المرأة بوقتها وسَلِم الصبي، وأصابت رجلاً في دَيْر البخور[١] مات منها بوقته فنسأل الله السّلامة.

وفي خلال هذه المدة ظهرة الخلاف من السيّد مصطفى بن عبد العال الإدريسي على الإمام السيّد علي بن محمد الإدريسي لأمور اقتضت مخالفته يتضعضع منها القيام بهذه الدعوة الشريفة وتتلاشى، فراجعه في ذلك لكونه عارفاً بما يتطرق منه الخلل لِكِبَر سِنّه وطول تردده في تدبير المُلك مع والده لأنه كان وزيره قدّس الله روحه، ومولانا الإمام حديث السّن لا خبرة له بالأمور فلم يرفع رأساً لمراجعته، ولمّا رأى أنّ الأمر سيؤول إلى التلاشي تدارك ذلك فقام مجتهداً في جَمْع كلمة قبائل القَحرَى والخضرية[٢] والعبوس[٣] وربط الكلام معهم بواسطة منصب المراوعة السيّد العلاّمة عبد القادر بن أحمد الأهدل، ثم شدّد ما بينه وبين إمام صنعاء السيّد العلاّمة يحيى بن محمد بن حميد الدين بواسطة الوالي محمود نديم حتى صارت الكلمة واحدة، ثم السيّد مصطفى جمع الجيوش من القَحَرى والخضرية والعبسية وأمدّهم

---

(١) دَيْر البخور: قرية جوار مدينة الزّيدية.

(٢) هم قبائل الخضارية في مديرية بَاجِل، ومن بلدانهم: الرهوانية، الخضراء، الفنيسة، الزيلعية، الدوم، الفريدلية، العسلة، الأقزل، بني السهل، وغيرها.

(٣) يقصد العبسية.

بالجبخانات والأسلحة النارية والمعاشات والكفايات وخرج بهم إلى مدينة الزيدية فاستقر بها وجعلها محل المركز وقاعدة تدبير المُلك، واستولى على معادن الملح بالزيدية واللحيّة ورتّب ولده السيد المهتدي بمملحة اللُحيّة المُسمّاة بالكشعة مع العساكر المتكاثرة وولده السيّد الهادي بالحديدة، واستقر هو بالزيدية، ولم يزل مستقراً بها يرتّب الأحوال ويحلب الجيوش من قبائل الزيدية وغيرها حتى اجتمع كثير منهم بالزيدية ومعدن الكشعة، ولكن سرت فيهم الخيانة والخداع حتى أن بعضهم كان يستمد الجبخانة والمعاشات المرتبة والكفايات ثم يفر هارباً، ولم يثبت إلا بعض صنّيل والحشابرة ومن قبائل المَخا، فرتّب بعضهم بالكشعة وشيخهم علي عثمان وهم من قبائل المَخا كانوا قد وصلوا من بلدهم مُسْتَخدمين مع السيّد مصطفى فدخلوا الموضع المذكور بغير حرب واستولوا على حصونها ووجدوا في بيت المال بالزهرة أموالاً جزيلة من النقود والطعام والسلاح والجبخانة، وكان بها إذ ذاك القاضي محمد بن إبراهيم بحر عاملاً فخرج منها إلى مملحة الكشعة فأقام بها مع السيّد المهتدي، ثم ان الإمام السيّد علي بن محمد بن إدريس جهّز عليهم الجيوش المتكاثرة لقتالهم وهم من الواعظات والمسارحة وعسير ورجال ألْمَع وغيرهم من قبائل الشام فأقبلوا على مملحة الكشعة وبها السيّد المهتدي ومن معه ممن ذُكِر، فناوشوا الحرب فلم يستطيعوا الدّخول عليهم لكونهم في حصن حصين - والقوّة موجودة عندهم بأنواعها - فحصروهم من كل جانب وقطعوا عنهم وصول الأكل والجبخانة من الزيدية فطال الحصار نحو شهر. وفي خلال الحصار شرد كثير من العسكر الّذين بها وهم الجرابح وبنو البزّة وبنو أمحمد والقَحَرى والخضارية والعبوس والحشابرة، ولم يثبت مع المعتدي سوى شيخ مشايخ الزيدية السيّد إبراهيم بن عبد الله قوزي ومعه ثلة من عشيرته ومن صليل والشيخ علي عثمان وعسكره فوقعت بينهم وبين عسكر الإمام حروب وقتل قليل. ثم لمّا طال الحصار عليهم وانقطع عنهم المدد من الزيدية سَرَوْا من المَمْلحة ليلاً بما معهم من العِدّة والسلاح والدّواب وغير ذلك ولم يشعر بهم أحد حتى دخلوا مَرَسى ابن عباس صباح تلك الليلة، وكان جيش الإمام قد وصل إلى المغيدفية قبل وصول المذكورين إلى ابن عباس فحاصروهم في ابن عباس وقطعوا عنهم الماء وهو في قرية تُسمّى البّاردة[1] ولم يكن ثم ماء غيره، وعاثوا في الطرق بالإفساد ونَهَب من وجدوه من المسافرين، فمَكث المهتدي في قلعة ابن عباس يومين فأضرّ بهم الظمأ وكان يُجْلَب إليهم من الصّليف ما لا يقوم بكفايته لشرب الآدميين فضلاً عن الدّواب لأن معهم خمس روس من الخيل وخمسة

(١) الباردة: قرية في شرقي بندر ابن عبّاس من مديرية المنيرة.

عشر جملاً وأربعة عشر بغلاً واثنى عشر حماراً، فركبوا البحر وبقي السيد المهدي في ابن عباس وتركوا الدواب المذكورة فاستولى عليها جيش الإمام. ولما وصلوا إلى الصليف خرج السيّد، المهتدي من ابن عباس في طريق البر إلى دير البحر من الحشابرة فوقف به منتظراً أمر والده إلى أن يامره بالتوجه، وعقب خروجه من ابن عباس وصل إلى المملحة عسكر من جيش الإمام فاستولوا عليها وبقي الشيخ علي عثمان مع عسكره في الصّليف، وأمّا أخوه عبد الله عثمان فثبت في حصن الزهرة مع جيش كثير، فتكاثرت عليهم الجيوش من عسكر الإمام عليٍ بن محمد الإدريسي ورئيسهم شيخ مشايخ الواعظات السيّد هادي بن أحمد هَيج فوقع بينهم حرب وقتل من الجانبين قليل، فدخلت جيوش الإمام حصناً للشريف محمد بن علي بن الحسن يُسمّى «الحَنَش» باسم الحيوان المعروف فضربه الشيخ عبد الله عثمان بالمدفع فهدَمه وأحرقت من بيوت الزهرة ما كان قريباً من الحصن خوفاً من دخول العدو فيها. وفي خلال ذلك جرَت المكاتبة بينه وبين الشيخ هادي هَيج على خروجه من الحصن سالماً مع عسكره وجميع ما معهم من السلاح وغير ذلك فرأى عبد الله عثمان أنّ ذلك أصوب من سفك الدماء بمناوشة الحرب، فخرَج إلى الجهة اليمنيّة ووصل إلى دير أبكر - من قُرَى الزّعلية - فعسكر به، فوقعت الخيانة من الزّعلية وصارت يدهم ويد الواعظات واحدة عليه فلمّا شعر بذلك - وجيشه قليل وجيش الآخرين - خرَج من دَيْر أبكر إلى بلد صلّيل فأقام بدير القحم - محلّ الشيخ إبراهيم قوزي - فتبعهم الآخرون وفي عسكرهم كثرة يزيدون عن ستة عشر مائة من الشام والواعظات والزّعلية والبعجيّة وبعض صلّيل فعسكروا بالحثيريّة - من بلد الزّعليّة - ورئيسهم الشيخ هادي بن أحمد هَيج فأرسَل طائفة من عسكره إلى دَيْر عبد الله - من بلد السادة المهادلة - وطائفة إلى المغيدفية قرية السيّد محمد بن محمد قحم، وكثير من الجيش بقي لديه فتَبِعوا الشيخ عبد الله عثمان والشيخ إبراهيم بن عبد الله قوزى إلى دير القحم وعسكرهم نحو المائة فأحاطوا بـه من كل جانب وفتحوا الحرب عليهم، وكانوا قد حفروا حول دَيْر القحم من كل جانب، فحارب بين كل حفرتين عشرون خطوة، ودخلوها ومكثوا بها. فكان من قَرُبَ من عسكر الشيخ هادي رموه بالبندق، والمدفع في جانب آخر، فولّى جيش الشيخ هادي مدبرين بعد أن وَقَع فيهم قتل ذريع يزيد عن مائة نفر والمجاريح بلا حصر، وقتِل من قوم الشيخ عبد الله عثمان والشيخ إبراهيم بن عبد الله قوزي رجلان وجُرح ثلاثة ﴿وَكَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. وظَهرت في هذا اليوم شجاعة الشيخ إبراهيم بن عبد الله قوزي وثَبات جنانه وشَهِد له بها الشيخ عبد الله عثمان. ثم انهما انحازا إلى حصن الزَيدية خوفاً من الحصار في دَيْر القحم ولم يكن عندهم من الأكل والجبخانة ما يكفيهم، وبعد خروجهم منها وقع

جيش الشيخ هادي في إحراق القُرى التي حول دير القحم ثـم عادوا إلى الحتيرية ووقفوا بها. وفي خلال هذه الحـروب كـان منصب المنيرة السيّد العلاّمة قـاسم بن محمد الأهدل يتردد بين الجيشين ويُشير عليهم بالصلح وترك الحرب، فصادَف أهوية غير موافقة ورغبة في القتال فلم يساعدوا، فكان ما كان والله المستعان. وأمّا الذين انجّهوا إلى السيّد محمد فحم فكانوا غير مضبوطين وانظم إليهم جماعة من أهل الفساد من مخلاف الزيّدية وغيرها فمن وجدوه فيها نهبوه وضربوه وأخذوا دابته وما عليها، فانقطع السالكون إلى المنيرة وما زالوا على هذا الحـال مدة طويلة، وألقَى الله الرّعب والخوف في قلوب جميع أهل البلاد الحاضر منها والباد، فأمّا أهل الزيدية فخرجوا منها إلى البوادي بنسائهم وأطفالهم وأموالهم وأثاثهم فتركوها خالية خوفاً مـن مصادمة الجيوش بها ولـم يقف بهـا إلاّ النّادر اليسير ممن كـان له قلب قوي وَوَثَق بقدرة الله سبحانه، حتى أنّ يوم تأريخ هذا ـ وهـو يوم الجمعة الحـادي عشر من شهر ربيع الأول ـ صَلّينا بـالزّيدية الجمعة نحو عشرين نفراً وقد كان يجتمع للصلاة بها ـ من أهلها ـ نحو ألفي نفـر، وأسباب خروجهم أنـه كَثُرت الأقوال الكاذبة والأخبار الزائفة ـ كل يوم وليلة ـ بأنه سيقع النّهب لأهل المدينة من القبائل والجيوش التي ستقصد حصن الزيدية لحرب من فيه، فكلّما شاعت الأكاذيب خرجوا شاردين إلى قُرَى البادية، وأمّا أهل البوادي فكانت أهل كل قرية تهرب إلى الأخرى خوفاً مما ذكر، وسَرَى هذا الخوف إلى جميع بلدان اليمن والشام فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي خلال هذه الوقايع وقع خلاف من الشيخ محمد طاهر رضوان رئيس الجيوش الإدريسية بباجل في مدة المرحوم السيّد محمد بن علي الإدريسي، فبعد مماته وقيام ولده السيّد علي بن محمد وحصول الخلاف بينه وبين السيّد مصطفى بن عبد العال الإدريسي وَقَع خلاف من محمد طاهر المذكور على السيّد مصطفى كان سبباً في إلقاء يد القبض عليه، فطلب وصوله إلى الحديدة وأبقاه بها عنده وكَفّ يده عن الوظيفة، ثم سار به معه إلى الزّيدية فكان معه لا يفارقه، ثم سَرَى ليلاً هارباً من الزّيدية ومعه نحو خمسين من العسكر فلمّا شعروا به قامت الغارة إليه ففاتهم ووصلَ إلى باجل وتَرَكَ بالزّيدية بعض الأثاث ومنه سَيْف مُحُلّى بفضة، وناقة وولدها، وسقَطَت منه في الطريق ثياب حرير وشنطة فيها أوراق مكاتبات من بعض الرؤساء بالحديدة فألقى عليهم يد القبض وحُبِسوا، ثم لمّا وصل محمد طاهر إلى باجل جعل يحشد القبائل على قتال السيّد مصطفى ويبذل لهم الأموال والذخائر وهم قبائل القَحَرى وقبائل قضاء الزيدية، فبادر السيد مصطفى بالوصول إلى التربة وهو محل

كائن بين الزيدية والحديدة[1]، وطلب وصول السيّد عبد القادر بن أحمد الأهدل مَنْصِب المراوعة لكونه معتقد قبائل القحرا والخضرية فهم ينقادون له. فوصل إلى التربة فلم يزالا يطلبان وصول المشايخ والعقال إليهم فوصلوا كلهم وجرى العهد هناك على اتفاق الكلمة ومنابذة محمد طاهر، وتم الكلام على هذا ثم انتقلوا من التربة إلى محل بقرب باجل يُسمّى القرار فطاب لهم المكث والقرار وهو على نصف ساعة من باجل، فخاطبوا محمد طاهر من هناك بأنه يخرج سالماً ويسلم بيوت الأموال بما فيها من المدافع والسلاح والذخائر المستعدة فلم يرض إلا بالحرب. فحوصر نحو نصف شهر. وفي خلال ذلك أطلق المدافع على بيوت مشايخ القحري يحيى على مزريه وإسماعيل بغوي فهدمها، ثم أنّ السيّد مصطفى جلب مدفعين أحدهما من الزّيدية والثاني - وهو كبير ويُسمّى منتل - من الحديدة. ولمّا امتنع محمد طاهر من الخروج والتسليم أطلق السيّد مصطفى المدفع على المحل الذي هو فيه المستعد للذخائر والسلاح ولم يقصد هدمه بالكليّة بل أصاب رأس المحل إرهاباً لمحمد طاهر لِيَسَلِّم، فحينئذٍ رضي بالخروج والتسليم فخرج سالماً بشفاعة مَنْصِب الحدادية السيّد عبده بن إبراهيم عابد وخرج معه إلى الحدادية. ثم أنّ السيّد مصطفى استولى على جميع ما بذلك المحل وأقام به يجهز الجيوش إلى جهة الزّيدية.

وفي يوم الخميسِ، الحادي من شهر ربيع الأول، وصل جيش من باجل إلى الزيدية ومعه رؤساء القَحَري الشيخ يحيى على مزريه والشيخ إسماعيل بغوي وشيخ باجل أبو هادي بن عليٍ حميدة وشيخ الجرابح السيّد عبد الله بن حسين أصلع فدخلوا الزيدية بقوّة عظيمة وضربت ثلاث مدافع لقدومهم وإرهاباً للقبائل. ثم بعد أن وقفوا بها يومين خرجوا إلى بلاد الحشابرة - ليلاً - فوقفوا في دَيْر عمر فَقَدِم عليهم جيش الإمام فاقتتلوا وأحرقوا الدَيْر وقُتِل من كل طائفة رجلان.

وفيه، وُلِدَ الولد عبد الرحمٰن بن إسماعيل الوشلي، جعله الله من حَمَلَة القرآن العظيم والعِلْم النافع آمين.

وفي ليلة السبت الثاني من شهر ربيع الأول، غَزَا الشيخ عبد الله مشهور على القرية - قرية الحشابرة - محل أولاد الشيخ علي بن أحمد الحُشَيْري فأحرق بعضها، فأغار عليهم صاحب القرية الشيخ إسماعيل بن علي الحشيبري وهو من جيش الإمام ومع كل منهما قَوْم فاقتتلوا فانكشف القتال عن قتلى من الطائفتين وأحرق دير عباش ودَيْر القادري من قرى الحشابرة[2] على يد الشيخ عبد الله مشهور.

---

(١) التربة: قرية جنوب مدينة زبيد بنحو تسعة أكيال.

(٢) القريتان للحشابرة من أعمال مديرية الزيدية

وفي يوم الخميس، العاشر من شهر ربيع الأول، وصل حضرة مولانا علي بن محمد الإدريسي إلى قرية ابن عباس فأقام بها إلى آخر النهار، ثم وصل إلى المغيدفية قرية السيّد محمد فحم وقد تقدمت أمَامَهُ الجيوش ومعهم مدفع عظيم يُسمّى منتل نجره سبع جمال، فأرسل من المغيدفية إلى الجيش الذي بحصن الزيدية ورئيسهم عمر أفندي البزاني وكيد السيّد مصطفى بأن يُسَلِموا الحصن بما فيه ويخرجوا سالمين، وكان جملة من فيه الشيخ عبد الله عثمان المخاوي ونحو مائة من عسكره والشيخ إبراهيم بن عبد الله قوزي ومعه من عشيرته نحو عشرين نفراً، ولمّا رأوا أنّه لا محيص لهم عن الخروج خرجوا ليلاً خفية فأصبح الحصن شاغراً ما به أحد سوى المحبوسين ومن يحافظهم من الشحارية، فَسُرّي عن أهل مدينة الزَّيدية وقد كانوا في خوف عظيم من وقوع المصادمة بين الجيشين ومجاوزة المحذور إلى أهل المدينة، ولمّا كان أول النهار دَخَلت فَمَلأت الحصن والمدينة فأقاموا يوماً واحداً ثم توجه شطر منهم إلى الحديدة وشطر إلى باجل. ويوم دخولهم الزيدية عاد الإمام إلى ابن عباس ثم إلى اللُّحيّة وولّى خاله عبد المطلب بن محمد هارون أمير الجيوش وترتيبهم وإرسالهم إلى الجهة اليمنية للقبض على السيد مصطفى بن عبد العال ودخول باجل والحديدة، فمكث يومين بحصن الزَّيدية ثم توجه إلى الحديدة بعد دخول الجيوش إليها وإلى بَاجِل بدون ضَرْبة ولا طَعْنة، ولمّا جائت البشائر إلى الزيدية بدخولهم ضُرِبَت لذلك خمسة مدافع فرحاً، وأمّا السيّد مصطفى فخرج من باجل إلى المراوعة وكان ولده المهتدي والمهدي قد وصلا من بلد الحشابرة إلى الحديدة فَخَرجا إليه منها وتَرَكا بالحديدة أموالاً جسيمة فَنُقِلَت إلى بيت المال، ثم إن غالب أرباب الوظائف والرؤساء من جيش السيّد مصطفى أُخِذوا وعُزِّرُوا بالضرب والحبس والقيود والإهانة في الحديدة وباجل.

وفي يوم الأحد، العشرين من شهر ربيع الأول، وصل العلامة محمد السنوسي ابن عبد العال الإدريسي والقاضي العلاّمة السيّد محمد حيدر القبّي إلى الزيدية بأمر الإمام علي بن محمد الإدرسي ثم توجهوا إلى الحديدة ثم إلى بَاجِل وذلك لترتيب بعض الأمور وتقرير أحوال أهلها والقبض على السيد مصطفى فلم يتفق لهما ذلك فعاد إلى جَازَان. ثم أنّ الشيخ عبد المطلب وجّه بعض الجيوش إلى المراوعة للقبض على السيّد مصطفى بأمر الإمام فَنَهضت بعض الرؤساء والتجار من أهل الحديدة إلى المراوعة واتفقوا مع بعض السادة من أهل المراوعة على مناصحة السيد مصطفى على الخروج من المراوعة خوفاً من معرة الجيش المأمورين بالقبض عليه، فأبلغوا له النصيحة بطلب الخروج فخرج إلى الدريهمي وبرفقة السيّد العلاّمة مَنْصِب المراوعة عبد القادر بن أحمد الأهدل، فهو باقٍ في الدريهمي إلى تأريخ هذا ـ وهو يوم

الجمعة العاشر من شهر ربيع الثاني.

وفي يوم الخميس، الثامن من شهر ربيع الثاني، توفي السيد الصالح أحمد بن يحيى مكعدل بقرية النجاري - من بلد المهادلة - وبها دفن. وفي هذا التاريخ أرسل الإمام علي بن محمد الإدريسي جماعة إلى الحديدة غاضباً عليهم وهم السيد العلامة محمد بن حيدر القبي؛ والقاضي العلامة عبد الرحمن بن يحيى الغنمي والقاضي العلامة محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عُطيف والشريف حمود أبو سرداب والشيخ محمد بن يحيى بَاصِهي والشيخ يحيى بن إبراهيم زكري والسيد محمد المغربي والشيخ العلامة محمد أمين الشنقيطي، فوصلوا إلى الحديدة ومكثوا بها أياماً ثم أرسلوا في التاريخ الآتي ذكره إلى عدن ومُصَوع وأرسل الشريف حيدر بن حسن حوذان والسيد حسن علي الجيلاني والقاضي محمد بن إبراهيم مبجر إلى فرسان محبوسين مُقَيَّدين بالحديد، وأمّا القاضي محمد نوري فتوجه في البابور إلى مصوّع بشفاعة بعض النّاس في الحديدة. وفي التأريخ - أيضاً - توجه الشيخ محمد طاهر رضوان إلى الإمام للمشاورة في أمر الجيش وتقرير أحوالهم، فوصل إليه بجازان ثم عاد إلى محل إقامته باجل بعد أخذ أمره في تقرير ذلك.

وفي يوم السّبت، الحادي عشر من شهر ربيع الثاني، وصل الإمام في المَوْتَر من جازان إلى الزيدية فوقف نحو ست ساعات ثم ارتحل من يومه إلى الحديدة فوصلها يوم الأحد أوّل النّهار، ثم ارتحل آخر النهار إلى قرية المنظر وأمر الجيوش التي بالحديدة أن تتبعه فتبعوه وقائدهم خاله الشيخ عبد المطلب بن هارون فعسكر بها، فلما وصل إليها الإمام وتبعه الجيوش تزحزح السيد مصطفى من الدريهمي إلى الطائف - قرية على ساحل البحر ببلد الزرانيق[1] - بها الشيخ أحمد فتيني فأرسل الإمام إلى أحمد فتيني بأن يأمر السيد مصطفى بالمسير من عنده. وعقب ذلك عاد الإمام إلى جازان سريعاً بعد أن أقام ليلتين ويوماً بالمنظر وبقيت الجيوش في المنظر.

وفيه، وَقَع القبض على الشيخ يحيى علي مزرية شيخ الخلفية والشيخ إسماعيل بغوي شيخ الجمادي بأمر الشيخ طاهر رضوان عن أمر الإمام، فساروا بهما محفوظين إلى جازان مُقَيّدين بالحديد؛ الأول في رجله على حمار والثاني في رجله ويده على جمل، فوصلا إلى جازان وأودعا دار الحبس.

وفي شهر جمادي الأولى، جاء الأمر من الإمام بإرسال الأشخاص المار ذكرهم الذين سَفَرُوا إلى الحديدة وذلك إلى عدن ومُصَوّع فأركبوا في البابور المصري

---

(١) عِدَادها من مديرية الدريهمي بجوار قرية غليفقة.

بعضهم إلى عدن وبعضهم إلى مصوّع

وفي شهر جمادى الثاني أُلحِق السيد العلاّمة محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عطيف والشيخ محمد طاهر رضوان بالجماعة المتقدم ذكرهم إلى عدن مُسَفَّرين.

وفي شهر رجب، توفي السيّد العلاّمة موسى بن عبد الحي المؤمني الإدريسي مجبل أذرع وبه دُفن.

وفيه، طلب الإمام شيخ مشايخ الواعظات السيّد هادي بن أحمد هَيْج للوصول إليه بجازان فامتنع من الوصول خوفاً من إلحاقه بالجماعة المُسَفَّرِين المار ذكرهم، فجهز عليه الإمام، فانفتح الحرب ووقعت قتلى من الجانبين ولم يَظْفروا به.

وفي هذا العام قَصَد بن سعود أمير الدرعيّة الحرم المكي، فانفتح الحرب بينهم وبين شريف مكة الحسين بن علي والي الحجاز فكانت الغَلَبة لابن سعود وفرّ الشريف إلى جده فاستولى ابن سعود على مكة وأخرب المَشَاهد التي بها، فَقَطَع الشريف عنهم الوارد من جدة إلى مكة فارتفعت - بأسباب ذلك - أثمان المأكولات بمكة.

وفي يوم الثلاثاء، خامس عشر شهر شعبان، توفي السيّد العلاّمة مَنصِب المراوعة عبد القادر بن أحمد الأهدل، وأُقيم أخوه السيّد العلاّمة عبد الرحمٰن بن أحمد الأهدل مقامه، وكانت وفاته بالمراوعة بعد رجوعه من الطائف قرية أحمد فتيني - المار ذكرها - وطلوع السيّد مصطفى منها إلى عدن ثم إلى مصر بعد وقوفه بعدن مدّة من الزمان. وقد كان السيد عبد القادر معه؛ من خروجه من باجل إلى المراوعة إلى الدريهمي إلى الطائف لم يفارقه حتى طلع إلى عدن، ثم بعد طلوعه عاد إلى المراوعة فَمَرِض عقب وصوله إليه فمات، نفع الله به.

وفي هذا الشهر تحركت جنود السيّد العلاّمة أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن محمد بن حميد الدّين إلى تهامة، نحو خمسين ألفاً، للاستيلاء عليها لكون مملكة الإدريسي بها قد اضمحلّت بأسباب يطول شرحها؛ من أعظمها أنّه أبْعَد رؤساء مملكته وأقصاهم إلى عدن ومصوّع وهم الذين تدور رحى مملكته عليهم وقام بهم أمر والده من أول قيامه؛ وكأنه والله أعلم اعتزلهم على بعض مخالفة لا تقتضي إبعادهم إلى البلدان الشاسعة وأخلا مقامه منهم فَبَقي فريداً لا يجد من يشاوره في تدبير أموره، فبذلك دَخَل عليه الخلل وتضعضع المُلْك.

إنّ الأمـور إذا الأحـداث دبـرهـا ... دون الشيـوخ تَـرى فـي بعضهـا خَلَـلا

ولمّا خشي حضرة مولانا أمير المؤمنين السيّد العلاّمة يحيى بن محمد بن حميد الدّين - أيّده الله بنصره - امتداد أطماع الأجانب إلى الاستيلاء على الخطة التهامية

انتهز الفرصة وجهّز القوّة الكافية ما يزيد عن خمسين ألف مقاتل ورتّبهم في الخروج من حدود بَاجِل إلى حدود حَرَض، فنزلوا إلى باجل والزّيدية والزهرة والواعظات وبني نَشر وحَرَض برؤساء ومقاومة أبطال الصدام؛ فأول من تقدم بالنزول هم الذين نزلوا إلى الزيدية فدخلوها بسلام آمنين ومُقَدَّمهم السيّد المقدام محمد بن عبد الله أبو مُنَصر(١) والبطل الضرغام السيد إبراهيم بن عبد الله قوزي(٢) فاستولوا على جهات الزّيدية جميعها وذلك يوم الأحد العشرين من شهر شعبان. ثم تلاهم الذين نزلوا إلى جهة الواعظات والزهرة واللُحيّة بيومين أو ثلاث ورئيسهم السيّد العلاّمة الليث الغضنفر فخر الإسلام وبدر أهله المنير عبد الله بن أحمد الوزير(٣) وابن عمه السيّد العلاّمة الأسد الريبال ومقدم الأبطال عند النزال محمد بن علي الوزير(٤) فدخلوها بغير ضربة ولا طعنة. ثم تبعهم الذين من جهة باجل فدخلوها بعدهم بأربعة أو خمسة أيام بغير ضرب، وتناولوا من هناك جبل بُرَع(٥) فاستولوا عليه. ثم إنّ السيّد العلاّمة عبد الله بن أحمد وابن عمه السيّد العلاّمة محمد بن علي الوزير ـ المُشار إليهما ـ توجّهوا من الزهرة إلى المنيرة فنزلوا على السيّد العلاّمة منصب المنيرة قاسم بن محمد الأهدل فمكثوا لديه يوماً واحداً؛ فأكرمهم غاية الإكرام وأنزلهم المنزلة التي لا ترام، ومن هناك توجه السيّد العلاّمة عبد الله بن أحمد إلى بَاجِل لترتيب أحوالها، وتوجّه السيّد العلاّمة محمد بن علي إلى الحديدة؛ وذلك في اليوم الثامن والعشرين

---

(١) محمد بن عبد الله أبو منصر: من سلالة الأمير أحمد بن محمد أبي منصر المقتول في ذبيين سنة (١١٤٧هـ) والمنتهي نسبه إلى الإمام المنصور عبد الله بن حمزة. وقد كان المترجم له مساعداً لوالده في إدارة بلاد المحويت ثم تولى قيادة الحملة المذكورة.

(٢) إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم قوزي: هو شيخ مشايخ صليل وقد قام بالمشيخ عقب مقتل والده سنة (١٣٣٣هـ).

(٣) عبد الله بن أحمد الوزير: عالم كبير، تولى للإمام يحيى قضاء ذمار ثم قاد جيوشه لفتح بلاد البيضاء ومأرب والجوف ووصابين وتهامة، كما كان مندوباً للإمام في مفاوضات الطائف مع السعودية. إلاّ أنه ـ رغم ذلك ـ لقي كل الجفاء من الإمام، ولمّا قامت الثورة الدستورية، بويع إماماً، ثم فشلت الثورة وأرسل إلى حجّه ليستشهد يوم (٢٩) جمادي الأولى عام (١٣٦٧هـ).

(٤) محمد بن علي الوزير: كان فقيهاً عالماً ذكياً، ومن أوائل شهداء الثورة الدستورية. وهو والد العلامة المحقق أحمد الوزير الذي تولى القضاء في غير مكان آخرها حاكماً في الحديدة. وهذا هو والد القانوني الكبير الأستاذ إسماعيل الوزير الذي تولى أعمالاً وزارية عديدة منها وزيراً للعدل ثم وزيراً للشؤون القانونية ثم مستشاراً لرئيس الجمهورية.

(٥) بُرَع: بضم ففتح، جبل عظيم يقع شرقي مدينة الحديدة على بعد (٦٠) كيلاً وارتفاعه (٢٤٠٠) متراً عن سطح البحر. وهو من الجبال الوعرة صعبة المرتقى. ومن بين جنباته تنحدر سيلات وادي سهام.

من شعبان فدخلها يوم الجمعة ثاني شهر رمضان بغير ضربة ولا رمية بل جميع هذه البلدان استولوا عليها بعد أن شرّد منها عمّال الإدريسي وتركوا بها من الأموال كالأسلحة والمدافع والذخائر والطعام ما لا يُحصى؛ فأدخلوها بيت المال، والحديدة كانت قاعدة مملكة الإدريسي وبها يُحصَّل من الأموال الدّولية - كل أسبوع بل في كل يوم - ما لا يحصر لأن البواخر البحرية تجلب إليها الأموال من البلدان الشاسعة للتجارة كالهند وعدن ومصر ومصوّع والشام وغيرها، والأموال البريّة التجارية ترد إليها من كل جهة من الجبال والتهايم كالبن والجلود والطعام وغير ذلك وكان باستيلائهم على جميعها في أقل من خمسة عشر يوماً؛ فرتّبوا أمورها وخصّصوا عشورها وسائر التكاليف الدولية في الأموال التجارية، واستولوا على ثلاثة من معادن الملح. معدن القمّة غربي الزيدية ومعدن الكشمة غربي الزهرة ومعدن قضبه بمانى الحديدة، ثم بعدها استولوا على معدن الملح بالصّليف، وعمّروا ما وهى من الحصون في كل مدة واستجدّوا غيرها ورتّبوها بالعِدّة والعدد والمدافع، ورفعوا الشبّك الذي وضعه الإنجليز حول الحديدة يوم استيلائهم عليها في وقت الإدريسي لمنع الداخل والخارج إلا بإذن، وهو حديد مشبوك وضعوه كالدائرة على الحديدة وتركوا فيه أبواباً للدّخول والخروج عليها حرس؛ لا يدخلها أحد ببضاعة أو غيرها إلا بعد أن يُسلّم ما اشترطوه من التكاليف، فرفعه أمراء المؤمنين يوم دخولهم الحديدة فجزاهم الله عن الإسلام وأهله خيراً. فحينئذٍ أقبلت البواخر البحرية بالبضائع المختلفة الأجناس وشُدّت إليها البضائع من البرّ فاتّسعت أحوال الخلق وظهرت المكاسب للنّاس وللدّولة وقد كانت - قبل ذلك لا يَرِد إليها من البضائع إلا اليسير بأسباب تكاليف شاقة يسمّونها بالعُشور أهلكت ما في أيدي الناس من الأموال، فلمّا ضعفت الآن عادت النّاس تجلب إليها البضائع براً وبحراً.

وفي شهر رمضان، عاد الشيخ محمد طاهر رضوان والقاضي العلاّمة محمد عبد الله بن إبراهيم بن عطيف النّعمي من عدن إلى الحديدة وهم ممن سفّرهم السيّد علي بن محمد الإدريسي فعادوا باختيارهم بعد أن أَمّنوا سطوته باستيلاء الإمام يحيى بن محمد على الحديدة وما والاها، فوصل الشيخ محمد طاهر إلى بَاجِل بأمان من السيّد العلاّمة عبد الله بن أحمد الوزير فأرسله مناصحاً لأهل بُرَع في دخولهم وانتظامهم في سلك الطاعة فلم يمتثلوا، ثم كرّر إليهم الوسائط بالمناصب وغيرها فصمّموا على العصيان فجهّز عليهم - ثالث عيد الفطر - القوّة وتوجّه إليهم السيّد العلاّمة عبد الله بن أحمد الوزير بالذات؛ فدخلوا عنوة بعد حروب عظيمة وقَتْل كثير من الجانبين، واستولوا عليها وقرّروا أمورها، ثم عاد السيّد المشار إليه إلى باجل.

وفي شهر شوال، توفي الشريف الهُمام أحمد بن علي بن محمد الحيدري

الحسني بالمعترض، وبه دُفن.

ثم أنّ السيّد العلاّمة عبد الله بن أحمد الوزير لم يزل مقيماً بباجل يقرر أحوال بُرع وسائر أحوال تلك الجهات، وفي خلال ذلك وصل السيّد العلاّمة ابن عمّه محمد بن علي الوزير من الحديدة إلى باجل بعد أن تقررت أحوالها وانتظمت، ووصل إليها من صنعاء قاضيها السيّد العلاّمة محمد بن حسين غمضان(١) وعاملها السيّد العلاّمة حسين بن علي بن عبد القادر(٢) وبوجودهما حصل الركون له بحفظ البندر وضبطه، وعقب وصوله إلى باجل أرسله السيّد العلاّمة عبد الله بن أحمد إلى بُرع لتكميل طاعتهم، فوصل إليهم وأخذ منهم جميع ما بأيديهم من السلاح عقوبةً لهم لمخالفتهم وعدم انتظامهم في سلك الطاعة من أول الأمر بل ناوشوا الحرب واشتدت مخالفتهم، وأخذ منهم رهائن كثيرين إلى باجل وعاد بالسلامة. ولم يزل السيّد العلاّمة عبد الله بن أحمد الوزير مقيماً بباجل مقبلاً على صلاح أحوال الخلق ليلاً ونهاراً بجد واجتهاد؛ يَلِيْن في موضع التليين ويخشن في موضع المخاشنة، فوضع الأشياء مواضعها بتدبير حسن ورأي صائب كما هو دأب الملوك أرباب القدرة والحِلم والسياسة، وقد يعفو في موضع المخاشنة إذا رأى له طريقاً إلى الصلاح والسلام، والحاصل أنّه جمع ما تضمّنه قول الشاعر:

فمن يحاول أنْ تكون صفاته ... كصفات عبد الله انصت واسمع
أصدق واعْفَ واصْبِر واحتمل ... واصْفَح وكاف ودارِ واحلم واشجع
والْطُف ولِنْ وتأن وارفق واتئد ... واجزم وجد وحام واحمل وادفع

وفي خلال هذه المدّة نَفَذت الأوامر من حضرته إلى عُمّال كل بلدة بتعمير مَا وَهَىٰ من الحصون والمعاقل بالحديدة والزّيدية والزُّهرة ومعدن الملح بالكشمة والمعاقل التي استولوا عليها بالجامعي كحصن هباش والمَخاي؛ فَعُمِّرت عمارة قوية وَزِيْدَ فيها في بعض البلدان كالزيدية؛ حصون علوية وسفلية. ولم يزل الأمر في زيادة

---

(١) محمد بن حسين غمضان: عالم، ورع. تعيّن في أيام الأتراك ناظراً للوقف إلى سنة (١٣٢٥هـ) وعينه الإمام يحيى حاكماً بقضاء ذمار، وفي سنة (١٣٤٣) تعين حاكماً للواء الحديدة ثم لحكومة سنحان، وتوفي سنة (١٣٥٨هـ).

(٢) حسين بن علي بن عبد القادر: من آل عبد القادر المنحدرين من سلالة الإمام شرف الدين؛ كان عالماً، أديباً، رئيساً جليلاً، تولى للأتراك أعمالاً بصنعاء وكان ضمن المبعوثين عن اليمن إلى الأستانة لتمثيل اليمن في مجلس المبعوثان، ثم تولى عمالة صنعاء نحو ثلاثين سنة تخللتها سنتان تولّى فيهما أمور «الحديدة» ونواحيها، ثم توفي سنة (١٣٧٦هـ) ـ انظر كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

وقوة بإرسال العساكر والعدة حتى تمكّن أمر مولانا أمير المؤمنين - أيّده الله بنصره - في تهامة، وقويت شوكته.

وفي شهر ذي الحجة الحرام، ظهر الخلاف من قبيلة الجرابح واتفقت كلمتهم مع غالب قبائل قضاء الزيدية على الخلاف والخروج عن طاعة مولانا أمير المؤمنين وتظاهروا على ذلك، فأنفذ عليهم أمير الجيش المنصور السيّد العلامة عبد الله بن أحمد الوزير الوسائط في تسليم المراهين والانتظام في سلك الطاعة، فما زادهم ذلك إلا نفوراً، فجهز عليهم ابن عمه السيّد العلامة المقدام الأسد الضرغام محمد بن علي الوزير ومعه جَمع كثيف وعِدة قوية. فحرجوا من باجل ووقفوا في الخضرية نحو نصف شهر يُوَسِّطون عليهم الوسائط ليدخلوا في الطاعة ويحقنوا دماء المسلمين، فلما رأى بعض قبيلة الجرابح أنهم لا طاقة لهم بمخالفة الدّولة جَنحوا إلى السِلْم ودخلوا في الطاعة وانقادوا، وصَمّم بعضهم على الخلاف وهم بنو الأصلع فخرجوا إلى الإمام السيّد محمد بن علي الإدريسي ووقفوا لديه بالموالاة؛ فحينئذ توجّه السيّد العلامة محمد بن علي الوزير بمن معه من القوّة إلى الضّحي فدخلها بغير حرب واستقر بها وانقاد أهلها ومن أطاع من الجرابح أهل الخوف وأمّا أهل الحازة من الجرابح فهم دخلوا في الطاعة بأول وهلة وسلموا مراهينهم إلى الدّولة فكان ذلك سبباً في دخول من خالف من قبائل الزّيدية في الطّاعة خوفاً ورهبة. ثم لمّا بَلَغت مسامع مولانا أمير المؤمنين - أيده الله بنصره - هذه الحركات من القبائل جَهّز جيوشاً عظيمة إلى تهامة وفرّقهم في النزول إليها؛ فأول من نزل منهم السيّد العلامة البطل عبد الله أبو مُنصّر فوصل إلى باجل ثم إلى الزّيدية - ومعه ألف مقاتل - متوجهاً إلى الجهة الشّامية لقتال جيش السيّد علي بن محمد الإدريسي، فوصل إلى الزهرة واستقر بها نحو ثلاثة أشهر ثم تحرّك بعساكره المنصورة في شهر ربيع الثاني إلى مِيْدي؛ وما زال بها إلى الآن.

وفي خلال هذه المدة اشتدّ الخلاف من قبائل العبسيّة، فَجهّز عليهم السيّد العلامة عبد الله بن أحمد الوزير العِدّة والعدد المتكاثرة فأثخنوا فيهم قتلاً ونهباً وإحراقاً لقراهم، فتفرق أهلها فارّين في بلاد الزرانيق.

أحداث عام ١٣٤٤هـ:

وفي شهر صفر، جهّز السيّد العلامة محمد بن علي الوزير من الزّيدية الجموع الكثيرة على السيد محمد بن محمد قحم الأهدل السابق إساءات منه وعَدَم الانتظام في سلك الطاعة، فَعَسْكَر في دَيْر المؤذن فخرج السيّد محمد قحم فارًّا إلى السيّد علي بن محمد الإدريسي بجازان؛ وصَحَبَهُ أكثر أهل القُرَى الذين كانوا مُوَالِيْن له

كأهل المغيدفية وخوفان والجعلية والباردة وغيرها، فأخرفت العساكر قراهم عن آخرها وهدّموا بيوت السيّد محمد قحم في المغيدفية، وقد كان السيد العلامة قاسم بن محمد الأهدل تقدم إليه قبل ذلك ونصحه غاية النصيحة في أن يطيعه في الدّخول على الدّولة ويبذل الطّاعة؛ على أنه سَيُأمِّنَهُ من وصول مكروه إليه؛ يطلب ذلك له منهم؛ فلم يَقْبَل بل صَمّم على الفِرار فوَقع في تعب عظيم هو وعائلته ومن فرّ معه من أهل القُرى المذكورة، ومَنْ لم يَفِر منهم أخذ لهم السيّد العلاّمة قاسم بن محمد الأهدل الأمَان من السيّد العلاّمة محمد بن علي الوزير على أنهم يدخلون في الطاعة ويَسُوقُون المراهين، فقبل منه وأعطاه لهم ورقة الأمان ثم عاد من دَيْر المؤذن إلى الزيدية بعسكره؛ فوصل السيّد قاسم بهم إليه فدخلوا فيما دخل فيه النّاس وأمّا الذين توجّهوا مع السيّد محمد قحم إلى ميدي وجازان فَحصل بهم التعب والشتات فتركوه وعادوا إلى أوطانهم باذلين الطاعة، فَدَخل بهم السيّد قاسم على الدّولة وسَلِمُوا. ولم يزالوا يرجعون على التدريج إلى أوطانهم إلى تأريخ هذا وهو الخامس عشر من شهر ربيع الثاني.

وفي هذا الشهر، صدر الأمر من السيّد العلاّمة عبد الله بن أحمد الوزير بتوجيه ابن السيّد العلاّمة محمد بن علي الوزير إلى بلد الزرانيق لكونهم لم يبذلوا كمال الطّاعة وأظهروا الخلاف فطلب من مخلاف الزّبدية جموعاً كثيرة علاوة على مَنْ معه مِنْ العساكر المتكاثرة فتوجه بهم إلى بلد الزرانيق، ولمّا وصل بهم إلى أطرافها إذا هم قد جمعوا جموعاً كثيرة فالتقى الجَمْعان واقتتلوا فَقُتِل من الجانبين جَمْع كثير وقُتِل من الزرانيق رؤساهم المشهورون بالشجاعة؛ فانهزموا بأسباب ذلك وخرجوا عن قراهم شاردين فدخلت الجيوش المنصورة المتوكلية بعض بلادهم ووصلوا إلى المنصوريّة[1] بلد السّادة بني البحر القُدَيْميين.

وفيه، توجّهت الجيوش المنصورة إلى حَبْل[2]؛ فوصلوا إليه وفيه جيش السيّد علي بن محمد الإدريسي ورئيسهم عبد المطلب بن محمد هارون خال السيّد علي بن محمد الإدريسي؛ فاقتتلوا وأخرجوهم من حَبْل وقُتِل عبد المطلب، واستولى الجيش المتوكلي عليه وعلى ما فيه من الأسلحة والجبخانة التي تركها جيش الإدريسي.

وفي شهر جمادي الأولى دخل الجيش المتوكلي مدينة حَرَض بغير قتال فاستولوا عليها، ودخل بعض مشايخ تلك الجهة في الطّاعة وسلّموا المراهين.

---

(١) المنصورية: مدينة شمال بيت الفقيه، تبعد عن الحُديدة جنوباً بشرق بمسافة (٤٥) كيلاً.
(٢) سبق التعريف بمنطقة حَبْل، وهو وادٍ واقع بين عَبْس وميدي في تهامة، تسيل إليه سيول جبال مستبا وجبال وشحة من بلاد حجّة.

وفي شهر جمادي الثانية، تقدّمت الجيوش من حرض إلى ميدي فدخلوه واستولوا عليه بعد حرب قليل وفَرّ من كان به في حَبس الإدريسي من المراهين من اليمن والشام، ولمّا استولوا على هذه البلدان ضعفت قوّة الإدريسي ولم يبق له إلا جازان وصَبيَا وما والاها؛ فأراد السيّد علي بن محمد الإدريسي تسليمها وتسليم ما بقي معه من القوّة إلى السيّد العلاّمة يحيى بن محمد بن حميد الدّين فمنعه عمه السيد الحسن بن علي وَوَقع الاختلاف بينهما، وكان قد وصل قبل ذلك أحد السنوسيين من مصر لأجل الإصلاح بينهما فلم يَقبل السيّد على الصّلح فَرأى السنوسي خلعه من الإمامة وإقامة عمّه الحسن؛ فبذلك شَدّد في عدم قبول الصّلح وأراد تسليم البلاد إلى الإمام السيد العلامة يحيى بن محمد بن حميد الدّين؛ فأقبل النّاس على الحسن؛ فتركوه فركب البحر إلى فَرَسان خوفاً من القبض عليه.

وفيه، دَخلت الجيوش المتوكلية إلى سامطة[1] فاستولوا عليها فقام أهلها بالعساكر وفرّقوهم في بيوتها، وبينما هم كذلك إذ وَقَعت الخيانة من أهل تلك الجهة من قوم السيّد الحسن بن علي فغزوهم على غرّة، فاقتتلوا ووَقَعت معركة عظيمة قُتِل بها من الجانبين قَتْلَى كثيرة؛ فعاد من بقي من العساكر المتوكلية إلى حَرَض بعد أن أُحرِقَت بيوت سامطة عن آخرها.

وفيه، جاءت الأخبار التلغرافية أنّ ابن سعود أمير الدّرعية دخل المدينة المنوّرة بعد أن حاصرها أياماً؛ فاستولىْ عليها وَفرّ الشريف الحسين بن علي ـ أمير مكة ـ من جدة إلى بغداد فَصَفت البلاد لابن سعود من المدينة إلى مكة وجدة وما بينهما من يَنْبع ورَابغ وحَزْب وغيرها.

وفيه، توفي السيّد الصّالح بل الولي الكامل حسن بن عبد الرحمٰن بن أبـي بكر الأهدل بالمنيرة ودُفن بها، والقاضي العلاّمة أبو طالب بن أحمد البهكلي ببيت الفقيه بن عُجيل وبه دُفن.

وفي شهر رجب، توفي الصّالح الفالح هزّاع علي التقي بالمعترض ودُفن به، والسيّد الصّالح عبد الله قادري المحمدي بقرية المغلاف وبه دفن.

وفيه، خرج السيّد علي بن محمد الإدريسي بعد أن عاد من فَرَسان إلى جازان بأهله متوجهاً إلى مصر، فوصل إلى كَمَران وصحبته عمّه السيّد محمد السنوسي بن عبد العال فتوفي السنوسي في كمران وبقي هو بها مدة نحو شهر؛ ثم ركب بأهله ومن معه إلى عدن وبقي بها إلى تأريخ هذا، فاستقلّ عمّه الحسن بالإمامة في صَبْيَا.

---

(١) سامطة: بلدة ساحلية من منطقة جازان، وقد تبدل السين صاداً فيقال: صامطة.

وفي يوم الثلاثاء سادس وعشرين شهر رجب، دَفع وادي مَوْر سيل عظيم كالجبال، لم يعهد مثله فيما سبق؛ فانقسم ثلاثة أقسام: قسم جاء في طريقه المعتاد وفي المسجور وبلاد الجامعي فعمّ ما قبْلهُ من الأراضي ثم نزل إلى الجهة اليمنية بجانب معدن الكشعة فعَمّها بالسّقاية، وقِسْم جاء إلى جهة القمْة فعمّ تلك الجهة إلى بوحلق والذراعية، وقِسْم سقط إلى جهة اليمن من فوق اللّجام ونزل إلى بلاد الزّعلية فأسقى أكثر أراضيها ومَدّ إلى البعجية فأسقَى أكثرها؛ وبعضها وصل إلى البحر بعد أن أسقت أراضي لم يعهد سقيها منه؛ فطلبت النّاس الزراعة في أراضي الجامعي والبعجية والزّعلية من كل ناحية، فزُرعت وجاءت بثمرة عظيمة ودام السيل بين الزرع إلى أن بلغ النهاية، وفي بعض المواضع منعهم السيل من الحصاد. وغرق بهذا السيل أكثر من أربعمائة نفس ما بين رجل وامرأة وصبي، وغرق من الأموال كالدّواب والطعام والعجور وغير ذلك ما لا يحصى ولا يحصر لأنه جاء بقوّة عظيمة ليلاً وأكثر النّاس نيام فلم يكن الهرب منه، ونزّل من الجبال بكثير من بني آدم مَوْتى نساء ورجال وغيرهم من الأموال فنسأل الله السّلامة ودوام الألطاف وأن يُوزِعنا بشكره على ما مَنّ به وأنعم.

وفي يوم الإثنين، خامس وعشرين رجب، توفي الرّجل الصّالح أحمد حربان بالمنيرة ودُفن بها.

وفي ليلة الأربعاء، العشرين من رجب، وقعت زلزلة بجهة جبال مِلْحان وحُفَاش وغيرها، اهتزّت منها الجبال والجدران، ثم في ليلة الأربعاء وقعت الزلزلة بتهامة تحرّكت منها الجدران والأرض والسُّرُر وذلك وقت السّحَر، فنسأل الله السلامة من هذه الحوادث المفزعة.

وفي شهر شوال، توفي السيّد علي بن حسن النُعْمِي في قرية المعترض ودُفن بمقبرتها إلى جانب المسجد من جهة اليمن.

وفي ليلة الثلاثاء، ثاني أيام التشريق، توفي السيّد العلاّمة إسحاق بن محمد الأهدل عن اثنين وتسعين سنةً وهو مُمتَّع حواسه ودُفن بالزّبدية بتربة الشيخ دُهَل بن إبراهيم.

وفيه، توفي أمحمد بن عبد الله بن موز بقرية الحسينية[1] ودُفن بها.

وفي يوم الأحد، السّابع عشر من ذي الحجّة، توفي كامل رستم الأوّاه حسن بن أحمد الرّفاعي بمدنية ميدي وبها دُفن، والشريف الصّالح حسين بن علي

---

(١) الحُسَينية: مدينة كبيرة في وادي رِمَاع، تتوسط ما بين زَبِيد وبيت الفقيه.

الحازمي[1] ودُفن في الزُهرة، والسيّد الصّالح محمد بن عمر الخارفي بمدينة الزّيدية ودُفن بها.

أحداث عام ١٣٤٥هـ:

وفي شهر محرم الحرام، ابتداء سنة خمسة وأربعين بعد ثلاثمائة وألف، قَدِم الحُجّاج من بيت الله الحرام وأَخبَروا بفتنة وَقَعت بين ابن سعود وبين الدّولة المصريّة.

وفي ليلة الخميس، ثاني عشر شهر محرم، توفي السيّد العلاّمة أحمد بن حسين الزَوّاك من وَجَع في أذنه اشتدّ به فتوجّه من بلده الزّيدية إلى عدن للتداوي، ولمّا وصل إلى الحديدة مكث بها ثلاثة أيام فتوفي بها ودُفن بمقبرة عشيرته السّادة الظواهرة بحافة الشحارية.

وفي شهر صفر وقَع بالنّاس إسهال ذريع في صنعاء وسائر تلك الجبال فمات به خلق كثير.

وفي شهر ربيع الأول، وَقَع مطر فَضَرب البرق شخصاً في دَيْر الطبيش[2] شَقَه نصفين ثم ضُرب مرةً أخرى فالتأم وعاد كما كان ومات به.

وفي يوم الأحد، الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول، توفي السيّد الصّالح عبد الله بن أحمد الزوّاك بالزّيدية ودُفن بمقبرة ساكن المخزن.

وفي يوم الأربعاء، الثامن والعشرين منه، توفي السيّد الصّالح محمد جماد بن أمحمد بن إبراهيم القُديمي بالزّيدية ودُفن بها.

وفي ليلة الأحد، بعد صلاة العشاء الثالث من شهر ربيع الثاني، توفي الصّالح العلاّمة سليمان بن محمد بن عبد الرحمـٰن بن حسن الأهدل في المراوعة ودفن بها.

وفي شهر جمادي الثانية، توفي السيّد الصّالح عمر بن أحمد بن يحيى عبيد بالضّحي ودُفن بها.

وفي ليلة الأحد، الخامس والعشرين من شهر رجب، توفي السيّد الصّالح عبد الله بن أبكر دَوْم الأهدل بالمنيرة ودُفن بها.

وفي ليلة الإثنين، السابع والعشرين من شهر رجب الموافق ليلة المعراج، نزل من السماء شيء يشبه الدّخان ولعله سحاب رقيق بدليل أن الأرض كان بها منه شيء يشبه الطل وتكاثف حتى أنّ الرجل لا يكاد يعرف جليسه ولا يراه إلاّ بتكلّف، وكان

---

(١) انظر ترجمته في كتاب: نيل الوطر (١/ ٣٩٠).

(٢) دير الطبيش: من قُرى المطاوية بمديرية الزيدية.

نزوله قبل صلاة الصّبح وبقي كذلك إلى أن طلعت الشمس وارتفعت قدر رمح ثم ارتفع. وهذه آية لم يُعْهَد مثلها فيما سبق في تهامة، وأمّا في الجبال المرتفعة فيوجد بها كثيراً ويُسَمّيه أهل الجبال العُمَيَّاني - بظم العين المهملة وفتح الميم المخففة[1] - وفي العادة إذا نَزَلَ في تهامة يكون يسيراً ويسميه أهلها «أبو شميلة» تصغير شملة[2].

وفي شهر شعبان، توفي الشريف الهمام محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين الحسني بأبي عريش وبه دُفن.

وفي اليوم الثاني والعشرين منه، توفي السيّد العلاّمة محمد بن أحمد الأهدل - الملقب بغدادي - بالمراوعة ودُفن بها. والسيّد العلاّمة محمد بن حيدر بن يحيى البحر القديمي بالمنصورية ودُفن بها.

وفيه، وصل الشيخ الكامل علي بن عمر المِقْدَاد[3] عاملاً بالزيدية من طَرف مولانا الإمام أيده الله بنصره.

وفي ليلة الأربعاء، سادس رمضان، توفي الولد يحيى بن إسماعيل بن محمد الوشلي بالزيدية ودُفن بها.

وفي يوم الإثنين، ثاني شهر شوّال، توفي السيّد الصّالح محمد باري بن سليمان الأهدل بمحل السيّد سليمان في حازة الجرابح وبه دُفن.

وفيه، توفي السيّد أحمد بن قاسم جبال. ضَرَبَهُ ابن له مجنون بِقَدُوم في رأسه فوصلت الضربة إلى أم دماغه فمات رحمه الله.

وفيه، توفي السيد أحمد خزام شيخ قبيلة الخضارية رحمه الله.

وفيه، طلب مولانا الإمام أشْرَاف وادي مَوْر ومشايخهم وعُرَفائهم من أهل الواعظات والجامعي والزّعلية والزهرة والمعترض للوصول إلى صنعاء وبعضهم إلى حَجّة، وطلب منهم أولادهم فبذلوهم فأخذوا من كل شريف وشيخ وعريف ومن بعض الرّعية وأرسلوهم إلى كُعَيْدِنة[4] جبل يتردد إلى السيّد العلاّمة سيف الإسلام

---

(١) هو الغَمَام إلا أنه يبدو غريباً على أبناء تهامة بينما يظهر بكثافة في مناطق الجبال المرتفعة مثل جبال المحويت وجبال حَرَاز المطلة على تهامة.

(٢) الشَّمْلَة: عباءة تُصنع من شَعَر الماعز، ولعله سُمّي كذلك لأنه يغطي السماء بالضباب.

(٣) علي المقداد: من مشائخ آنس، وقد قام بأدوار مشهودة في محاربة الأتراك، وتولى للإمام يحيى عمالة بلاد الطعام مع الرياسة على من في تلك الجهة من الأجناد، ثم أضاف إليه جبل بُرع وبلاد الزيدية.

(٤) كُعَيْدِنَة: بضم ففتح فسكون. مدينة بالغرب الشمالي من حجّة، تقع بالقرب من جبل الشاهل.

أحمد بن أمير المؤمنين(١) وكان ضبط المراهين بنظره حفظه الله تعالى.

وفي يوم الأربعاء من ذي الحجة الحرام قَدِمَ سيف الإسلام السيّد العلاّمة محمد بن أمير المؤمنين(٢) إلى بندر الحديدة من صنعاء متوجهاً إلى البحر فركب في الباخرة يوم الأحد، خامس ذي الحجّة، إلى مصوّع ثم عاد بعد مدّة إلى بندر الحديدة فأقام به بأمر والده مولانا أمير المؤمنين لتدبير أمور المملكة بها وتفقدها، وباشر ذلك بحسن التدبير والسّعي في الأمور على أحسنها فانتظمت الأمور وصلحت وأنصَف الظالم من المظلوم فجزاه الله خيراً وحفظه وتولى عونه.

وفي يوم الأحد، الثامن عشر منه، وَقَع عُرْس رجل في قرية ابن عِباس فرَمى رجل ببندق للفرح فوقعت الرصاصة في أحد جوانب سقف المخدرة فرَجعت منه ووقعت في رَجُلْ من بني برمين أهل دَيْر الطبيش فكان به أجله.

وفيه، طلعت نار من بعض بيوت المنيرة في شدّة الرّيح من فصل سُهَيْل فأحْرَقت في لحظة خفيفة نحو ثلاثين بيتاً.

وفيه، وَقَع خلاف من قبائل عبس وبني حسن وبني مروان وبني نَشْر وأسْلَم على الدولة بخروجهم عن الطّاعة حتى أن قبيلة أسْلَم قتلوا العامل الّذي في بلدهم، ولمّا بلغ ذلك مسامع مولانا سيف الإسلام السيّد العلاّمة أحمد بن أمير المؤمنينِ جهّز عليهم العساكر المنصورة فَقَتلوا منهم ونَهَبُوا أموالهم وأحْرقوا ديارهم، فتفرّقوا شاردين في كل جهة.

وفيه، قَدِمَ حُجّاج بيت الله الحرام من مكة ومعهم الجوائب التي تنشر الأخبار فاستُفيد منها أنّ حُجّاج هذه السنة ـ وهي سنة خمسة وأربعين بعد ثلاثمائة ـ بَلَغ عددهم مائتا ألف وعشرون ألفاً وستمائة واثنان وستون من الطريق البحري والتهامي والحجازي، وهذا الحصر أُستفيد من ضبط الدّولة بالقلم لكونهم يأخذون على كل حاج شيئاً معلوماً.

أحداث عام ١٣٤٦هـ:

وفي شهر محرم الحرام، عام ستة وأربعين بعد ثلاثمائة وألف، توفي السيّد

= في الجهة الغربية منه. وهي منطقة جبلية أقرب إلى السهل التهامي حيث تبعد عن مدينة الزهرة شرقاً بنحو (٤٥) كيلاً.

(١) هو الإمام أحمد لاحقاً.

(٢) الابن الأكبر للإمام يحيى، وقد تولى إمارة الحديدة، وتوفي غرقاً وهو يسبح في شاطىء البحر في (١٦) ذي الحجة عام (١٣٥٠هـ).

الصّالح أحمد بن بلغيث سريع.

وفي يوم السبت، السابع عشر منه، وُلِد الولد الصالح إن شاء الله تعالى محمد بن إسماعيل الوشلي، ولد جامع هذا الكتاب، أنبته الله نباتاً حسناً وجعله من حَمَلة القرآن العظيم والعلم النّافع وبارّاً بوالديه آمين.

وفي يوم الأربعاء، الرابع عشر منه، توفي القاضي العلاّمة عبد الرحمن بن البهكلي بمدينة بيت الفقيه ابن عُجيل، وبها دفن.

وفي يوم الجمعة، الثاني والعشرين منه، طلعت نار من بعض بيوت المراوعة فصادَفت ريحاً شديدة في فصل سُهَيْل فأحرقت نحو مائتي بيت وأموالاً جزيلة وجملة من النّاس.

وفي الخامس والعشرين منه، عاد حضرة السيّد العلاّمة سيف الإسلام محمد بن أمير المؤمنين من سفرته التي توجّه إليها قُبَيْل عيد النّحر؛ فوصل إلى الحديدة في البابور البحري بأبهة عظيمة وضُرِبَت لوصوله المدافع؛ أحد وعشرون مدفعاً، ونزل معه بمدافع وآلات حربية وكثير من مؤنة المدافع والبنادق فأرسلها إلى صنعاء ومكث بالحديدة لتدبير أمور المملكة كما سبق قريباً الإشارة إلى ذلك.

وفي يوم الثلاثاء، الخامس والعشرين من صفر، توفي السيّد الصّالح الفاضل حسن بن أحمد بن عبد الرحمن الأهدل بمدينة الزّبيدية ودُفن في مقبرة الشيخ دُهل بن إبراهيم الحُشَيْبري.

وفي يوم الخميس، السابع والعشرين منه، توفي السيّد العلاّمة محمد بن إبراهيم دَوْم الأهدل بالمنيرة ودُفن بها رحمه الله، وقد رثيته يوم موته بهذه القصيدة:

كَفَى واعظاً بالموت والهول في القبر … وما بعده من معضلات إلى الحشر
وهولٌ نكير ثمّ منكر عندما … يجيئان للسُئَال في ظلمة القبر
ووحشته إذا ما به قط مؤنسٌ … إلى أن يقوم النّاس منه إلى النشر
وضمّت الجسم الضعيف بقوّة … تخالف أعضاء يقيناً بلا نكسر
أخي ما لهذا غير سعيك للذي … به الله يَرْضَى في الحياة مدى العمر
فقدم لهذا الموطن الضنك صالحاً … وعن صالح الأعمال لا بك في سكر
فللموت فينا جولة بعد جولة … وعند نفاد العمر يبطش بالقهر
فلا يرهب الأبطال في حومة الوَغى … ولا يرحم الأطفال إذ ذاك بالأمر
فكم نابه أرداه في غمراته … وكم خامل أفنى ولو كان ذا قدر
وكم فاضل نودي فلبّى مسرعاً … إلى جنةٍ أنهاراً تحتها تجري
فمنهم شريف الذّات والعلم والتُقَى … محمد نجل الدّوم من سادة غر

نقيٌ نقيٌّ طاهر البردين مذ نشأ … إلى الأهدلي يُنمى سليل أبي بكرِ
دعاه إله العرش دعوة وامتثل … أجاب إلى الفردوس في السرّ والجهر
سألتك يا مولاي مجبر كَسْرنا … من نقص وما جلّ من كسر
وتسكنه جنات عدن مع الرضا … فإنك ذو الأحسان في العسر واليسر
وتخلفه في أهله منك منة … وتملأهم بالفضل والرّزق والذِكر
فهان له يا سيدي لعثرة … لهم عائلات ألبسوا حلل الفقر
فصبراً بني الزّهراء عن حادث عرا … فإنكم أهل المكارم والصّبر
أعزيكم بالبدر إذ صار آفلا … وإشراقه يوم القيامة كالبدر
بني الذوم دوموا في اصطبارٍ على الذي … قضاه آله العرش تحضون بالأجر
ويا سيدي قطب الزّمان تأسياً … بمن جاءنا بالمرسلات وبالفجر
عليه صلاة الله تشمل آلة … جميعاً مع التسليم في الشفع والوتر
وأصحابه الغر الكرام وتابعاً … على عدد الأيام والليل إذ يسرى

وفي شهر ربيع الأول، أنزل الله أمطاراً عظيمة نافعة إن شاء الله في حازة الزيدية وحَبْنها، ووقعت النّاس في زراعة الأرض، وكان نزوله في آخر يوم من السّادس، وأصابت صاعقةً رجلاً من السّادة بني المقبول وبَقَرةً في جهة الدّيري من الوادي سردد.

وفي شهر ربيع الثاني، سلّط الله الجرَاد فَعمّ جميع البلدان ومكثَ نحو شهر يتردد فيها بين المزارع فأكل أكثرها، ثم وضع ذريته في الأرض في الجهة الشامية والشرقية من وادي مَوْر إلى حَجُور إلى وادي بيش فاستأصل مزارعها أكلاً وفي جهة الزّيدية وما والاها أكل الدُّحن ثم ارتفع عنه وعاد الدّخن كما كان ووضع الله فيه ثمرته ببركة عظيمة وصلحت أحوال النّاس.

وفيه، خَرَجت دَابة بجهة الوادي مَوْر غير معروفة في هذه البلدان، تُشبه الذّيب ولكنها أكبر منه في الهيئة، فوصَلت إلى أسفل الوادي بالقرب من جبل الملح ثم خَرَجت إلى القرى الشرقية كَمَوْر واللّجام وما والاها، وأينما وَصَلت وصادَفت أحداً في سيرها ـ وهي سريعة المشي ـ عَدَتْ عليه فبعضهم أصابته في رجله وبعضهم في جنبه وبعضهم في صدره حتى أصابت أكثر من مائة نفر، وقد مات بعضهم من ذلك، ولمّا وَصَلت إلى قرية اللّجام اجتمع عليها أُناس فقتلوها.

ومن حوادث هذا الوقت العجيبة أنّ طوائف الكفر كالإنجليز والطُليان والألمان اخترعوا آلةً تطير في الهواء؛ فتغيب حتى لا تُرى؛ وتدنو تُبْعُد، وبعضها تحمل إناساً كثيرين ومَدَافع وآلات الحرب، وأصغرها تحمل أربعة أو خمسة أنفار، ولها آلات

تُحرِّك فتطير في الهواء ولهذا سمّوها الطيّارات، فيسيّرونها إلى البلدان فتقطع المسافة البعيدة في أسرع وقت. وقد قَطَعت المسافة من الحديدة إلى صنعاء في ظرف ثلاث ساعات وقيل أقل، وهي مسافة ستة أيام تقريباً. وقد اتفق في هذا التاريخ - وهو شهر ربيع الثاني - أن ركب فيها شخص من آل العطّاس قد أحْكَم عمل الطيّارة وشخصان من الطُلْيان فركبا فيها من صنعاء إلى حجّة، فلمّا حاذت للرّوضة وقع في آلتها تغيّر فأعيدت إلى صنعاء فسقطت قبل وصولها من عُلوّ فمات من بها من شدّة وَقْعتها بالأرض.

وفي شهر جمادي الأولى، سافر شخص من أهل كَمَران وتُجّارها - اسمه محيي الدّين - إلى مُصَوّع في ساعية ولمّا وصل إلى باحة وقعرها بعيد، وهو قد ربط سريراً إلى جانب السّاعية ونام عليه؛ والمَوْج فيها كالجبال فأقْبلت على السّاعية مَوْجَه كالحبل العظيم فخطفته من فوق السّرير بسرعة وغَيّبتهُ في البحر وتَبحث السفينة وما فيها.

وفيه، سقطت امرأة في بئر بالزّيدية وهي من أهلها كان في ذلك أجلها فَكَتب الله لها الشهادة.

وفي يوم الأحد، الخامس والعشرين منه، توفي الشيخ محمد بن عبد الله بوني بالمِسَلّم من بَلَد بني قَيْس[1].

وفي شهر جمادي الثانية، توفي السيّد الصالح عبد الله بن محمد معوضة بالمرَاوعة ودُفن بها.

وفي رجب، توفي الرجل الصالح إبراهيم بن محمد علي معدي؛ بالغرزة من وادي مور، في ليلة الأحد الثالث والعشرين منه.

وفيه، توفي الشّريف الصالح الهُمام حيدر بن علي بن محمد بالمعترض وبه دُفن.

وفي شهر شعبان، قَطَع قاضي اللحيّة السيّد العلاّمة محمد بن حيدر القبي النُعْمِي رأس رجل قِصَاصاً وأيْدِي رَجُلَيْن حداً بالسرقة؛ في سوق الزُهرة.

وفيه، توفي السيّد عبد الله بن أبكر دَوْم بالمنيرة وبها دُفن.

وفي شهر رمضان، توفي السيّد الفاضل محمد بن عبد الله قَحْم بالمُنيْرَة ودُفن بها.

---

(١) بني قَيْس الطَوْر: من أعمال محافظة حجّة.

وفيه، توفي الفقيه العلامة قاسم النشري بالحديدة ودُفن بها.

وفيه وفي الشهر الذي قبله، وَقَع طاعون في عدن مات به خلق لا يحصون، نسأل الله السلامة.

وفي شهر شوّال، جَهّز مولانا أمير المؤمنين الجنود الكثيرة على الزرانيق[1] وكان مَا قَدْ انتظموا في سِلْك طاعته؛ فعسكر بعضهم بالمنظر وبعضهم في الحديدة، فغزَت طائفة من الزّرانيق على جماعةٍ وقت صلاة الصّبح فغدروا بهم وهم نائمون فقتلوا منهم جملة فيهم الشيخ إسماعيل بغوي[2].

وفيه غزَت جماعة من الزّرانيق في البحر فنزلوا عند الجبّانة[3] فوجدوا قافلتين هناك لأهل الزيدية إحداهما مُقبِلة من الشام تريد الحديدة والأخرى من الحديدة تريد الشام وعليها بضايع جلود وصافي[4] ونقود وبزّ[5] مُثمِن بما يقطع مالاً جزيلاً؛ فأخذوا جميع ذلك وشَحَنُوا به ساعية وتوجّهوا به إلى الطائف من بلد الزّرانيق، وأكثر أهل هذه البضائع فقراء يُضَارِبون بحق النّاس.

وفي شهر ذي القعدة الحرام، جَرَى الخلاف بين حضرة مولانا أمير المؤمنين - أيده الله بنصره - وبين عدو الله الإنجليز في النواحي بجهة الضّالع وجُحاف والشُعَيب والشعار والجليلة والحواشب والصّبيحة وما والاها من اليمن، كائنة تحت يد أمير المؤمنين وهم يطلبون منه تفريغها ليستولوا عليها، وكَتَبُوا إليه بذلك فأجاب عليهم بأنه لا يمكن تفريغ مقدار شِبْر من بلد الإسلام لكفار، فأجابوا بأنهم سيحاربونه براً وبحراً وهواء، وأرادوا بالهواء: الطيّارات، فقال لهم: إني مستعد لحربكم ومُستَعِين عليكم بالله سبحانه. ولمّا كانوا قد وعدوا بالطيّارات خشي سيدنا أمير المؤمنين من وقوع شيء منها على الجبْخانة التي في صنعاء تهلكها وأهلها، فأمر بإخراجها إلى جبل نُقُم وغيره[6] وأمَر أهل صنعاء بإخراج النساء والأطفال لا سيما وقد أهلكوا مدينتين من المدن المذكورة بالطيّارات[7] فخرجوا خوفاً من وقوع ذلك

---

(١) الزرانيق: قبيلة كبيرة تسكن بيت الفقيه، ومنهم هذا الفرع الذي يسكن في شرقي مدينة الحديدة.

(٢) إسماعيل بغوي: هو شيخ قبيلة القحرى.

(٣) الجبّانة: منطقة ساحلية بمدينة الحديدة.

(٤) الصافي: حبوب البن المُصفّى من القشرة.

(٥) البَزّ: القماش.

(٦) جبل نُقُم: هو الجبل المُطِل على مدينة صنعاء من جهة الشرق.

(٧) قام سرب من قاذفات القنابل البريطانية بقصف مدينتي قَعْطَبة والضالع، وذلك يوم (٩) ربيع -

المحذور وخرج أيضاً بعض أهل الحديدة خوفاً من ذلك وكان بها ـ حينئذٍ ـ ولده سيف الإسلام السيّد العلاّمة محمد بن أمير المؤمنين حفظهم الله؛ فرفع إلى والده يستأذنه في التجهيز عليهم فأذن له وقال له: لا نرضى لهم ولا بشبرٍ من بلد الإسلام واستشهد له بهذين البيتين:

لا يغــرنّــك مــا تــرى مــن رجــال إن تحـــت الضلـــوع داءً دويـــا
فضــع السيــف وارفــع الصــوت حتــى لا تــرى فــوق ظهــرهــا أمــويـا

فحينئذٍ عمل السيّد العلاّمة سيف الإسلام القوّة القوية واستعد لحرب عدوّ الله الإنجليز بالعدة والعدد والهمّة الهاشميّة والغيرة الإسلامية؛ فطلب القبائل الشامية فأجابوه من كل بلد قريب وسحيق وجاءوا إليه مُلَبّين دَاعِيَهُ رجالاً: وعلى كل ضامرٍ مِنْ كل فجٍّ عميق. ولمّا كانت القبائل سريعة الإنقياد للسادة المناصب أراد سيف الإسلام زيادة الحث لهم على ذلك؛ فطلب حضور المناصب إلى الحديدة كالسيّد العلاّمة منصب المُنيرة قاسم بن محمد الأهدل ومنصب المنصورية السيّد العلاّمة يحيى بن محمد البحر القديمي وغيرهم، فحضروا إليه فطلب منهم ـ بعد أن أعلمهم بما ذكر ـ أن يجتهدوا في مناصحة القبائل بأن تكون كلمة الإسلام واحدة على أعداء الله الكَفَرة الطغام؛ وقال لهم: هذا الباب يحتاج إلى قوّتين قوّة حسيّة وقوة معنوية فأمّا الحسيّة فتكوّن بالعدة والعدد وذلك في يَدي، وأمّا المعنوية فهي في أيديكم وذلك بمناصحة القبائل بالثبات على الدّين وموالاة عصبة أهل الحق واليقين.

فأجابه السادات وَلَبّوا دعاءه إلى ما طلب امتثالاً لأمره الكريم ورجاء حُسن المُنْقَلب، وهم على ذلك مقيمون لكن ولا شك أن الله ـ سبحانه ـ ناصر دينه وخاذل أعدائه لا مَحالة ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

وفي يوم السبت، الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة، توفي السيّد العلاّمة الطّاهر بن عبد الله البحر القديمي بالمنصورية ودُفن بها.

أحداث عام ١٣٤٧هـ:

وفي ليلة الجمعة، الحادي عشر من شهر محرم الحرام سنة سبع وأربعين بعد ثلاثمائة وألف، توفي الرّجل الصالح إبراهيم بن عمر بهلول الحُشَيْبري بقرية المحال(١) ودُفن بها.

---

* الثاني سنة (١٣٤٦هـ) كما قام سرب آخر بإلقاء القنابل على كل من مدينة تعز وإب وماوية ويريم وذمار، وأنزلت بالسكان الآمنين خسائر فادحة في الأموال والأرواح.

(١) المحال: إحدى قرى الحشابرة بمديرية الزّبيدية.

وفي شهر صفر، توفي الشريف الصّالح الحسن بن محمد بن علي من آل الشريف حمود بن محمد بن أحمد؛ من مرض الجدري، بمدينة الزهراء وبها دُفن.

وفي هذا العام والذي قبله، أنزل الله مرض الجدري بأهل الزهراء فمات به منهم أكثر من سبع مائة نفر، حتى خَلَت أكثر بيوتها من سكانها.

وفيه، توفي السيّد العلاّمة علي بن أحمد الزوّاك صائم الدهر بالحديدة وبها دُفن.

وفي شهر ربيع الثاني، توفي السيّد العلاّمة علي بن عبد الله مكي بقرية الغرزة[1] ودُفن بها، والشيخ أحمد بن عيسى معدي بقرية مَوْر وبها دُفن، والسيّد العلاّمة محمد بن قاسم الأهدل يوم الجمعة الرابع عشر منه بالمنيرة ودُفن بها وقد رثيته يوم مونه بهذه القصيدة:

خطبٌ عظيم بالأنام قد نزل ... أجرَى الدّموع دماً ففاض من المُقَل
ورواسخ الأحلام دكت هيبة ... لنزوله فالقلب منه على وَجَل
من فرط حزن لا يطيق يثيره ... حملاً ولا رضوى لعجز إن حمل
فضلاً عن القلب الضعيف من الأسى ... فلذاك دك وصار يغشاه الخلل
ما ذاك إلا أنّ بدر زمانه ... سيما العلوم من المنازل قد أفل
أعني محمد، نجل قاسم من سَمَا ... نحو العلوم بهمةٍ فاقت زُحل
قد سار فيها سيرة نبويّة ... من يوم شأنه بذاك قد اشتغل
بل فاق أقراناً له ومشايخاً ... علماً وفضلاً والنقاء مع العمل
وعلى ما قد حواه من الذكاء ... والفهم في كل العلوم بلا ملل
تلك العلوم مؤبد ... لا ينقضي حتى أفضى للأجل
لهفي على حفظ القرآن وغيبه ... عن ظهر قلب لا يَمِل ولا يُمَل
لهفي على التقوى الّذي من شأنه ... فيه السيادة والسعادة تكتمل
لهفي على تلك البشاشة للورى ... مع حسن خُلُق للبرايا لم يزل
أسفاً على تلك الفنون ودرسها ... مع حسن إخلاص وقصدٍ في العمل
ما زال يحرص من صباه على رضى ... مولاه بالطّاعات للرّحمٰن. . . .[2]
حتى دعى للخلد في دار الرّضى ... لبّى سريعاً فاكتسى انس الحلل
فاغفر له يا رب واملأ قبره ... نوراً وروح حفرةً فيها نزل

(١) الغرزة: من قرى وادي مَوْر بمديرية الزهرة.

(٢) فراغ بالأصل.

واعصم قلوباً طالما ضنيت على فقدانه بالصبر فضلاً في عجل
لا سيما قطب الزمان أبوه مَنْ أعطى الكمال مُبوءاً على محل
فاحفظه يا مولاي وامل غابه بنيه والأخوان جمعاً عن كُمل
ثم الصلاة مع السلام على الذي قد كان اسوتنا تجادنه الحلل
والآل والأصحاب أرباب التُقى ما بقي داعي الحق أو عبث همل

وفيه، توفي السيّد العلاّمة أبو بكر بن عبد الله القديمي، ليلة الأحد السادس عشر منه، بمدينة الزيدية ودُفن بها.

وفيه، وصل السيّد العلاّمة الأسد المقدام سيف الإسلام أحمد بن أمير المؤمنين وولي عهده - حفظهم الله - من صنعاء إلى تهامة اليمن بجيشٍ كثيف نحو عشرة آلاف ولواء النصر على رأسه، فوصَل إلى بَاجِل ومنها توجّه إلى القَطَيْع ثم إلى المَرَاوِعة ثم إلى الدريهمي، فوقَعَت الحملة من هناك على قبيلة الزرانيق فبعض الجيش تقدم إلى بيت أحمد فتيني بالطائف وبعضهم تقدم إلى بيت الفقيه ابن عُجَيْل، فكان القتال واقعاً بينهم وبين الزرانيق في حال سيرهم وإقدامهم فلم يهابوا الموت ولم يَخْشوا الفوت فدخلوا إلى بيت الفتيني بالطائف واستولوا عليه وعلى ما فيه من الذخائر والسّلاح والبنادق ومن ذلك مدفع عظيم؛ واستولوا على سائر بلدان الزرانيق ولكن بعد وقوع ملحمة عظيمة قُتل فيها من الجانبين جَمْع كثير، وأَسَروا من الزرانيق جَمْعاً. ورئيس القوم حين دخلوا الطائف هو الشريف الهُمام والغضنفر المقدام عبد الله بن محمد الضُمَيْن[1] ثم دخلها حضرة سيف الإسلام ومكث بها ثلاثة أيّام ثم عاد إلى الدّريهمي يرتب أمر العساكر من هناك ويدير الأمور الحربية؛ وقد أَمَر بعمارة حصن الطائف ومدّ التلغراف من بندر الحديدة إلى الطائف ليتم الاستحكام وتتصل المخابرة بينه وبين والده حضرة مولانا أمير المؤمنين بصنعاء وبينه وبين أخيه السيّد العلاّمة سيف الإسلام بالحديدة. وقبيلة الزّرَانيق المذكورة فيهم شكاكة وغلظة وجفاوة طباع لم يتمدّنوا قط وكانت الأتراك تناوشهم الحرب للاستيلاء عليهم ثم تتركهم فلم يقع لهم ولا للإدريسي من بعدهم الاستيلاء عليهم إلا أن وَقَع ذلك على يد سيدنا سيف الإسلام والأسد المقدام المشهور بكثرة الفتوح في البلدان النّجدية السيّد العلاّمة مَوْلَى الجلالة والفخامة أحمد بن أمير المؤمنين وولي عهده الموصى إليه أدام الله لهم النّصر المكين والظفر والفتح المبين آمين آمين. وقد خرج أحمد فتيني صاحب

(١) عبد الله الضُمَيْن: من سلالة الإمام عبد الله بن حمزة، وهو أول من عُيّن قائداً لجيش الإمام يحيى بن حميد الدين، وقاد عدة معارك في حاشد وتهامة والجوف. وقد استمر قائداً للجيش المتوكلي حتى وفاته سنة (١٣٤٥هـ).

الطائف فاراً إلى كمران فَبَنى له بيتاً من القشاش خارج كمران إلى جهة العرب، وبعض الزرانيق صار تحت الأسْر وبعضهم فرّوا، وأكثرهم دخلوا تحت طاعة سيف الإسلام.

وفي شهر جمادي الأولى، دخل الجيش المنصور «غليفقة» من بلد الزرانيق واستولوا عليه بعد قتال خفيف واستقر بها الجيش والحمد لله.

وفيه، توفي السيّد الصّالح حسن بن علي خار في القديمي بالزّيدية وبها دُفن.

وفي ليلة الخميس، الحادي عشر منه وقت السحر، توفي الفقيه العلامة إسماعيل بن علي المحنبي الهناري بالتربية ـ وهي قرية بشرقي زبيد ـ وبها دُفن.

وفيه، توفي الشيخ الصّالح محمد بن سليمان مريقي بِدَيْر البلسري وبه دُفن.

وفي يوم الجمعة، ثالث جمادي الثانية، توفي الرَّجل الصَّالح بلغيث بن محمد سويد بالمنيرة ودُفن بها.

وفي خامس رجب، توفي السيّد الصّالح يحيى بن عبد الله بن محمد الأهدل بالمنيرة ودُفن بها، والشريف الصّالح أحمد بن علي بن حيدر بالمعترض وبه دُفن، والشيخ الصّالح محمد بن أمحمد معدي بالغرزة ودُفن بها.

وفي شعبان، توفي السيّد الصّالح عبده بن قاسم مخنجف بالمُنيرة، والسيّد الصّالح الطاهر بن محمد صائم الدهر بالحديدة وبها دُفن.

وفيه، توفي الرّجل الصّالح عبد الله عبد الله حميدة هنيبق بالمنيرة ودُفن بها.

وفي ليلة السبت، الحادي والعشرين منه، هَجَمت قبائل قضاء الزيدية ورئيسهم الشيخ إبراهيم بن عبد الله قوزي على عساكر الإمام بحصن الزّيدية في السّاعة الرابعة من الليل؛ فقصدوا الحصن والعساكر والعامل السيّد العلاّمة يحيى بن أحمد الكبسي [1] فطلبوا منه تسليم الحصن والخروج منه بالسّلامة وتَرْك ما معهم من السّلاح وأموال بيت المال ليستولوا عليها أو يقوموا عليهم بالحرب، فلم يُسلّموا بل ثَبَتوا لهم بالحرب، فقصدوا مدير المال السيّد أحمد بن يحيى زَبَارة في بيته بالحرب وحاصروه فلمّا ضايقوه وتكاثروا عليه نزل من البيت فتركوه وَوَقَعوا في أمواله ينهبونها، وخرجوا إلى خيط التلغراف فقطعوه كي لا تصل الأخبار إلى اللّواء، ولمّا بلغت الأخبار بما وَقَع إلى مسامع السيّد العلاّمة سيف الإسلام محمد بن أمير المؤمنين ـ حفظهم الله ـ رَفَع الأمر إلى والده مولانا أمير المؤمنين بواسطة

---

(١) يحيى بن أحمد الكبسي: إداري وسياسي قدير، تولى إدارة أعمال بلاد الحيمة الخارجية ثم الزيدية ثم النادرة ثم ضوران آنس، وفي الأخيرة كانت وفاته عام (١٣٥٩هـ).

التلغراف فأمره بالمبادرة بتجهيز الجيوش من الحديدة إلى الزّيدية، وأنفذ الأوامر إلى كل مركز سَوْق العساكر المتكاثرة؛ فأقبلَ ـ أولاً ـ من جهة سيف الإسلام جيش كثيف يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر شعبان ورئيسهم الأسد الريبال السيّد العلاّمة محمد بن حسن بن المتوكل حفظه الله فوصل إلى الزّيدية السّاعة الرابعة من الليل؛ ولمّا شعرت القبائل بوصولهم خرجوا فارّين من الزّيدية وخرَج رئيسهم الشيخ إبراهيم بن عبد الله قوزي ومن معه بمدير المال السيّد أحمد بن يحيى زبارة إلى بيته ثم أرسله من هناك. ثم إنّ الجيش وَقَعوا في نهب أموال أهل الزّيدية وإحراق بيوتهم ظناً منهم أنّهم راضون بفعل القوزي معاونون له ولعل بعضهم خاض في ذلك فعَمَّ النهب جميع أموال أهل الزّيدية وإحراق بعض البيوت، وممن عمّه النهب رَاقِم هذا الكتاب فلم يتركوا لنا شيئاً، فتفرق أهلها شاردين في القرى. ثم إنّ السيّد العلاّمة أمير الجيش محمد بن حسن المتوكل خَرَج إلى البوادي العائدة إلى قضاء الزّيدية ـ ممن عاون القوزي ودخل معه في هذه القضيّة الشنيعة وخالف الدولة وخَرَج عن الطاعة ـ ومعه جيش كثيف فكان خروجه أولاً إلى قرية المعروفية ـ في اليوم الخامس والعشرين من شعبان ـ فَعَسْكَر بها وفرّق العساكر في بيوت أهلها ليقوموا بكفايتهم ويُسمَّى ذلك بالخِطَاط، فَتناوَل القبائل من هناك فَحَضروا إليه بعضهم بواسطة العسكر وبعضهم بواسطة السّادة مَنْصِب المنيرة السيّد العلاّمة قاسم بن محمد الأهدل ومنصب الحدّادية السيّد الفاضل عبده بن إبراهيم عابد، فبَذلوا الطّاعة وأخذوا منهم وثائق ومراهين وسَادَت العساكر في قراهم بتخطيط، فأقام بالمعروفية نحو اسبوع ثم انتقل منها بعسكره الجرّار ـ وذلك في سادس شهر رمضان ـ إلى دَيْر المقازلة[1] من بلد السادة المحامدة وبرفقه مَنْصِب المنيرة السيّد العلاّمة قاسم بن محمد الأهدل ليرشد النّاس إلى الانتظام في سلك طاعة الدّولة فنَزل بقرية الأشعلية[2] من بلد قبيلة بني أمحمد قريباً من حضرة أمير الجيش فكان من هناك قبائل بني أمحمد وبني البُرّة ويناصحهم في بذل الطاعة والوصول إلى أمير الجيش مما زالوا يدخلون إليه ويبذلون الطاعة ويَقْبَلُون الخطط ويُسَلِّمون الرّهائن من أولادهم؛ ممن دخل منهم كَتَب له أمير الجيش وَرَقَة الأمان بيده حتى كان ذات يوم قام بعض سفهاء القبائل من بني أمحمد فضربوا البندق على العساكر المُخَطَّطِين في الأشعلية فَانْفَتح الحرب بينهم وبين الجيش عمّا كان بأسرع من إنكشاف القبائل منهزمين ولم يقع قَتْل، فحينئذٍ أمر أمير الجيش بنهب الطعام المدفون بالأشعلية وهو لبني أمحمد، وفيها طعام كثير مدفون

---

(١) عِدَادها من مديرية المغلاف.

(٢) وقد تُكْتَب في بعض المصادر: المشعلية.

نحو ثلاثين مدفناً وقد كان - من قَبْل - يحميه أمير الجيش من النهب فلمّا ناوشوا الحرب أمر بنهبه. فوصل إليه منصب المنيرة فشفع إليه فيما بقي وهو قدر الثلث فشفعه وأمر بترك نهبه بشرط رجوعهم إلى قراهم بدوابهم وأثاثهم وكانوا قد خرجوا فارّين بسبب وقوع النهب المذكور؛ فخرج إليهم مَنْصِب المنيرة يرشدهم للرجوع إلى قراهم فرجع بعضهم. ثم إنّ بعض أهل المغلاف من بني البُرّة تعرّض لبعض الجيش بالأذية فقرح البُنْدُق بينهم في المغلاف واشتعلت نارِ الحرب فشمّ بعض أهل المغلاف النّار في البيوت التي بها الجيش فما وسعهم إلاّ الخروج منها، فتبعهم بنو البرّة بالحرب فكان البُنْدق تقرح من الجانبين، وفي خلال الحرب توجّه إليهم منصب المنيرة ومنصب الحدّادية - والحقير رَاقِم هذا معهم - لأجل إنكشاف الحرب وَكَفّ سفك دماء المسلمين؛ فكان الرصاص يقع حوالينا فسلّم الله.

ثم إنّ السّيدين المذكورين لم يزالا يردان بني البرّة ويكُفّانهم عن الحرب حتى وصل العسكر إلى دير المقازلة فانكشف الحرب عن قتلى كثيرة من الجانبين، فحينئذٍ اشتد خوف بني البُرّة وبني أمحمد فشَرَدوا إلى الهيَاج بذراريهم ودوابهم وتركوا طعامهم مدفوناً بالأرض؛ فتبعهم السّادة بأمر أمير الجيش ليرشدوهم إلى الطّاعة وحُسْن السّلوك والرجوع إلى قُراهم وتَسَلُّم طعامهم وسَيَعفُوا عنهم أمير الجيش وإلاّ فسيأذونهم بالحرب؛ فأبلغ لهم السادة في النصيحة فيما ذُكِرَ وعالجوهم أشدّ المعالجة فلم يساعدوا بل صَمّموا على العصيان، فحينئذٍ أُرْسِلَت العساكر على بني أمحمد في المِنْوَاب - قرية شيخهم حسن غضيب - ونهبوا ما فيه من مدافن الطعام، ثم فعلوا بالمغلاف - قرية بني البُرّة - مثلما فعلوا بالمنواب فليتهم أطاعوا السّادة ودخلوا في طاعة الدّولة لِيَسْلَموا وسَلِمَت قُراهم وأموالهم، ورحم الله القائل وهو دُريد بن الصّمة:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى   فلم يستبينوا الرُشد إلاّ ضُحَى الغَدِ

فبعد ذهاب أموالهم وهلاكها بَذل شيخ بني أمحمد الطاعة ووصل إلى أمير الجيش فَعَفى عنه وأمّنه هو وسائر قبيلته. وتوجّه شيخ بني البُرّه إلى حضرة سيف الإسلام السيّد العلاّمة محمد بن أمير المؤمنين بالحديدة وساق معه عقيرة على عادة القبائل فَعَفى عنه وكتب له ورقة الأمان؛ فعاد إلى أمير الجيش بأمانه وأمان قبيلته. ثم إنّ أمير الجيش انتقل من دَيْر المقازلة إلى الحدّادية - قرية السّادة بني عابد - لتتميم إصلاح بني البُرّة وبني أمحمد من قُرْب؛ فأنفذ العسكر من هناك إلى المغلاف وأمر ببناء حصن فيه. فَمَكث بالحدّادية نحو أسبوع ثم توجّه منها إلى الضّحي يوم الإثنين - التاسع والعشرين من رمضان - فَفَرّق العساكر في قُرَى الجَرَابِح (الحازة

والجوف)[١] وصلّى عيد الفطر بها، ثم قام منها يوم الأحد سادس شوّال إلى المنيرة ومعه جيش كثيف. وقبل توجهه إليها أعلن في جميع قضاء الزيدية بأن كل حارب سلاحاً يلقاه إلى المنيرة؛ ومن ضُعف عقول القبائل وفساد نياتهم ظنوا أن قصده نهب إلى المنيرة هو لقصد نهب أموال أهلها وإحراق دُورِهم فلما وقع في مدينة الزيدية من النهب والإحراق حتى أنّ بعضهم حَمَل معه الزنابيل لجعل المنهوبات فيها والكبريت لأحراق البيوت؛ وما فكروا أنهم في الزيدية صادفوا الحرب ثائراً فيها عليهم من ثلاثة أيام بوجود القوزي وأعوانه بها، وأمّا المنيرة فمُتَنَزِّهَة عن ذلك بل انها محل معتقدهم، قبحهم الله. ومَنْ وَصَل إليها منهم خائفاً نَجَى؛ أو قاتلاً عُفِي عنه من غير قود ولا دِيَه كما ذكره السيّد العلاّمة محمد الطاهر البحر في مؤلفه «تحفة الدهر».

وفي اليوم التاسع عشر من رمضان، توفي السيّد قاسم على بنع. والسيّد محدم بن علي عجلان.

وفي ليلة الإثنين، الثلاثين من رمضان، توفي السيّد علي بن عبد القادر عجلان بالزّيدية.

وفي يوم الرّبوع، ثاني شوال، توفي عمر بن محمد شاوش بالحُديدة.

وفي يوم الإثنين، التاسع والعشرين من رمضان، وصل الشريف الهمام والغضنفر المقدام عبد الله بن محمد الضُمَيْن الجوفي إلى المنيرة قاصداً إلى قضاء اللُحيّة لأجل تفقد أحواله بأمر حضرة مولانا أمير المؤمنين ـ أيّده الله بنصره ـ فأقام بالمنيرة ستة أيّام لدى السيّد العلاّمة منصب المنيرة قاسم بن محمد الأهدل فأكرمه غاية الإكرام، ثم سار يوم الأحد ـ سابع شوّال ـ إلى اللحيّة صَدْر النهار، وفي آخره وصل أمير الجيش السيّد العلاّمة محمد بن حسن بن المتوكل إلى المنيرة بعد مشاورة منصبها السيّد العلاّمة قاسم بن محمد الأهدل في طلب محل مستقل واسع له باب واحد ليتمكن من الضبط والربط وسَلْب السّلاح الذي سيأتي ذكره؛ وطلب الأذن من السيّد في ذلك فأذن له، فأقْبلت إليه القبائل بذلك الطلب مسرعين من كل حدب ينسلّون حتى ملئوا جميع بيوت المنيرة مع العسكر الذين وصلوا برفق أمير الجيش، فساق إليه السيّد أنواع الضيافات والإكرام مدّة إقامته بالمنيرة، فمكثت القبائل المطلوبة ثلاثة أيام وقد ضَبَط أسمائهم لديه وهم لا يدرون ما يُرَاد بهم؛ ولمّا كان اليوم الثالث جَمَعهم في ذلك المنزل ـ بعد أن جعل من النظام من يدور حول المنيرة جميعها كي لا يفرّ أحد من القبائل ـ فما شعروا وهم نحو الألفين إلا وقد سلبهم

---

(١) ما كان في حواز الجبال أو ما خرج عنها من القرى.

جميع السلاح البنادق التي معهم وأخذوا منهم المَعَابِر[1] وردّ إليهم المقاصب فارغة ثم أذِنَ لهم في الرّجوع إلى بلدانهم حسراً بغير سلاح، فخرجوا من المنيرة على تلك الصورة مُهَانين مكسورين ذليلين، ذُلّ مِنْ مَنْ فقع الغلا، وقد كان قصدهم إذهابها بالكليّة فردّهم الله خائبين ورَفعها فوق ما كانت قبل ذلك:

وأتــــوا كـــي يقصّـــروه فَطَـــالاَ
قصــدوا هــدم ســورهــا فتعـالـى

تــركــوهــا لهـم عليهـم وبــالاَ
واستجــرّوا مكــايــد الحــرب حتـى

ثم إنّ أمير الجيش حفظه الله فرّق العساكر في قرى قضاء الزّيدية جميعها لاستئصال أخذ باقي السلاح فأخذوه عن آخره فبلغ مجموع ذلك شيئاً كثيراً، فَحُمِلَت إلى الزيدية ثم إلى صنعاء. وبعد تمام أخذ السلاح توجه أمير الجيش إلى الزيدية، وكان توجهه يوم السبت سادس وعشرين شوال أدام الله لهم النصر والظّفَر في كل وِرْد وصدر.

وفي شهر ذي القعدة الحرام، توفي الرجل الصالح عيسى بن عيسى مقعدي بالجدري في بلد الزرانيق وهو مع قوم الإمام في قتالهم، والسيّد الصّالح إبراهيم بن عمر دَوْم بالمنيرة ودُفن بها، والسيّد قاسم بن علي حودن في حصن مدينة الزيدية محبوساً بالجدري والسيّد محمد بن عمر مهدلي بِدَيْر المهدلي وبه دُفن.

وفي ليلة الخميس، سابع ذي الحجّة الحرام، توفي السيّد العلاّمة الكبير والعالم الشهير محمد طاهر بن عبد الرحمن بن محمد الأهدل بالمراوعة وبها دُفن، وقد مَضى مُتَرجَماً في الجزء الأول.

وفيه، وَقَعت حروب متكرّرة بين جيش الإمام السيّد العلاّمة أمير المؤمنين يحيى بن محمد بن حميد الدّين وبين الزرانيق قُتِل بها من الجانبين جَمْع كثير.

وفيه، جاء الأمر الكريم بأن يجعل في مدينة الزيدية مكتباً لتعليم أولادهم القرآن والكتابة والفقه، فجاء من صنعاء مُعَلّم مخصوص لذلك وَبَنى محل واسع وجَمَع فيه نحو مائة وخمسين نَفراً؛ فهم الآن في التعليم، ثم نُشِرت في سائر البلدان من قضاء الزّيدية حتى صار فيها نحو خمسة وثلاثين مكتباً بِمُعَلّمين يُعَلّمون أولادهم بمعاشات من بيت المال، فجزاهم الله عن الإسلام وأهله خيراً.

أحداث سنة ١٣٤٨هـ:

وفي يوم الثلاثاء، الثالث والعشرين من شهر محرم الحرام، توفي الرجل الصّالح محمد بن المساوَى.

---

(١) المَعَابِر: الرّصَاص.

وفي يوم الأربعاء، ثاني ربيع الأول، توفي السيّد الصّالح علي زيد بن السيّد هادي أحمد هيج بِدَيْر الشمة وبه دفن.

وفي ربيع الثاني، توفي السيّد الصّالح أحمد قاضي بن محمد القديمي ودُفن بالزيدية، والسيّد الصّالح أمحمد جيلان ولي، بِدَيْر الولي وبه دُفن والسيّد الصّالح محمد حرد بالجيلانية ودُفن بها.

وفي يوم الأربعاء، الحادي والعشرين من ربيع الثاني، دخل حضرة مولانا السيّد العلاّمة ولي العهد أحمد بن أمير المؤمنين مدينة بيت الفقيه ابن عجيل بعد أن حاصر الزرانيق بها نحو سنة وهم مجتمعون بها، فَصَابَر حربهم المدّة المذكورة لا يكف القتال بينهم وهو يباشر الحروب بنفسه متقدماً في القوم كالأسد الريبال، فدخلها ولواء النصر يلوح على رأسه بعد أن وقعت قتلى كثير من الجانبين.

ومـن ظَـنْ ممـن يُـلاقـي الحـروب بـأن لاَ يُصـاب فقـد ظـن عجـزا

وهذه القبيلة ما زالت متغلبة مُظْهِرةً للعصيان على الدّول السابقة كالأتراك ومن بعدهم، متجاسرة بالقتل والنهب لمن مرّ ببلدهم حتى جاء النصر عليهم مع ولي العهد المشار إليه، فدخل بلدهم واستولى عليهم، فدخلوا في طاعته وَمَلأ منهم المعاقل القريبة والبعيدة بعد سلب السّلاح منهم، فصاروا الآن أطوع أهل هذه الجهات ودَخَل كثير منهم في العسكريّة معه، وهكذا من كان على الحق يبتلى ثم يكوْن له العاقبة.

وفي شهر جمادي الأولى، توفي الرّجل الصّالح محمد بن سليمان بيروه الهندي - أحد سكان الحديدة وتجارها - وبها دفن.

وفيه، أنزل الله الغيث بجهة دَيْر عِلي وفيه رَعْد وبَرْق فأصاب البرق رجلين من أهل الدّيْر؛ مات أحدهما بوقته والآخر متأثر منه باق في قيد الحياة، نسأل الله السلامة.

وفي شهر جمادى الثانية، توفي الشريف الأديب الفلكي محمد بن أحمد بن يحيى الحيدري الحسني بقرية القُفل من بلد الزّعلية وبها دفن، وقد مضى مُتَرْجماً في الجزء الثاني من هذا التأريخ.

وفيه، جاء الجَرَاد فأكل بعض مزارع هذه الجهات ثم وضع ذُرِّيّته في الأرض فَخَرج منها بعد اثنى عشر نهاراً؛ شيء كثير طَبَق أرجاء الأرض فأكل مزارع الخَبْت ثم سعى إلى مزارع الوادي سردد فأكل ثمرة الوسمي عن آخرها إلا القليل منها.

وفي شهر رجب، توفي السيّد الصالح يحيى بن أمحمد الأهدل بالزيدية ودُفن بمقبرة الشيخ دُهَل بن إبراهيم الحُشيبري غرب الزيدية.

وفي يوم الخميس، غرّة شهر رمضان، توفي الفقيه العلاّمة يحيى بن نوح البشكيري بالحديدة وبها دفن.

وفي منتصف رمضان خرج سيف الإسلام السيّد العلاّمة ولي العهد أحمد بن أمير المؤمنين من بيت الفقيه بن عُجَيْل بعد أن قرر قواعدها وأسس الدّولة بها، ودانت الزرانيق وانتظموا في سلك طاعته وسلّموا المطالب الدّولية ودَخَل في وظيفة العسكرية منهم كثير، فوصل إلى الحديدة وضُرِبَت لقدومه المدافع إجلالاً وفرحاً بالنصر، ومكث بها نحو شهر ثم خَرَج إلى مدينة الزيدية راجعاً إلى حَجّة - محل ولايته - بطريق المَوْتَر فوصل إلى الزيدية الساعة السادسة من الليل وبِرَفقه أخوه السيّد العلاّمة الكبير محمد بن أمير المؤمنين وذلك في الليلة السابعة عشر من شوّال، فضُرِبَت لوصولهم في الزيدية عشرة مدافع فمكثوا بها إلى شروق الشمس من تلك الليلة ثم سار إلى حَجّه، فعاد السيد محمد من أثناء الطريق إلى محل ولايته بالحديدة ومضى السيف أحمد إلى حَجَّه.

وفي اليوم الرّابع عشر من شهر رمضان، تفضّل حضرة مولانا أمير المؤمنين - حفظه الله - رَفْع العشور من الخطة التهامية، وهي أموال جسيمة تُؤخَذ من البضائع إعانةً على تجهيز حرب المخالفين فلمّا انفض الحرب تفضّل برفعها من سائر البوادي وبقيت في الطالع والنازل البحري من البنادر فيما ترك لهم من زكاة أموالهم.

وفي اليوم الرابع والعشرين من شوّال، توفي السيّد الصّالح علي بن أبـي بكر القُديمي ودُفن بالزيدية.

وفي يوم الأحد، الثامن والعشرين من ذي القعدة الحرام، توفي السيّد الصّالح أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمـٰن الأهدل ودفن بالمُنيرة.

وفيه، توفي الشيخ بلغيث بن إبراهيم عبيد بالقرية من جهة الصّليف ودُفن بها.

وفيه، كَثُر مرض الجدري في القرى والمدن فَوَقع أهل المنيرة في الشكى المُسمّى في عُرف الناس بالشبا وهو أن يُشْرَط الجلد حتى يطهر قليل من الدم ويُوْضَع في موضع الشرط شيء يسير من مَيْد شخص مجدور؛ فيمكث نحو سبعة أيام ثم يثور به الحَمَام ثلاثة أيامٍ وبعدها يَظْهر الجدري بجسده ولكنه قليل جداً ويَبْرَأ في مدّة قريبة. وقد ذكر الشلّي صاحب «بغية المسترشدين» في فتاويه بأنه يخف جداً؛ وَحثّ على استعماله وذَكَر أن بعضهم أوجبه. انتهى، قلت: وقد شاهدنا كما ذكر من طلوعه في الجسد بِقِلّة وغَلَبت السلامة فيه.

وفي شهر ذي الحجّة الحرام، توفي الرّجل الصّالح حسن صالح العماري بقرية

القبلة[1] من جبل مِلْحَان، وهو صاحب القات المحراسي المشهور بأنه أحسن قات ملحان، ودُفن في هناك.

وفي ليلة الثاني والعشرين من ذي الحجّة الحرام، وقع بحُجّاج بيت الله الحرام حادث عظيم هو أنه بعد قضاء النسكين خَرَج بعضهم من مكة إلى جدّه قافلين إلى بلدانهم؛ فركب في البابور البحري منهم نحو ثمانية عشر مائة نفر بما معهم من الأموال والأثاث؛ ولمّا كانت الساعة الثالثة من الليل - وفيهم الشريف محمد بن زيد بن الحسن وعامل قضاء اللُحيّة السيّد هادي بن أحمد هيج ما شعرُوا إلاّ والنّار قد شَبّت من بطن البابور؛ والحُجّاج فيه على ظهر لَجّة البحر ولم يكوْنوا يُحسنون السباحة ومن جملتهم نساء، فأما الافرنج أهل البابور لمّا علموا أنهم هالكون لا محالة بادروا بالنزول إلى البرّ لأن البابور كان بمرسَى جده قريباً منها؛ وأمّا غيرهم من الحجاج فبعضهم متعلّق بحبال مربوطة بالباور - وقد أُرسِلت إلى خارجه - وبعضهم ضاقت به نفسه خوفاً من الحرق فَرَمى بنفسه في البحر ومات بالغرق ورآه أهون من الحرق. وفي خلال ذلك رأى أهل جده البابور والنار قد شَبّت فبادروا بالسنابيق إليهم من طرف أمير مكة السعودي وغيره؛ فكانت تستنقذ المتعلقين في الجبال وقد مضى لهم نحو ثلاث ساعات متعلقين في الهواء بين الماء والبابور؛ فاستنقذوا كثيراً منهم وأنزلوهم في السنابيق، وبعضهم رَمَى نفسه من البابور إلى السنابيق فمنهم من انكسرت رجله ومنهم سَلِمْ وبعضهم بقي في البابور فحرق ومات، وقد حُصِر الهالكون بالحرق والغرق فبلغوا نحو أربع مائة نفر وسلّم الله الباقين بالأرواح فقط منهم الشريف محمد بن زيد والسيّد هادي بن أحمد هَيْج - المذكوران - وأولاد هادي: الزّين وحسين ومحمد، وقد كانت إحدى يدي حسن مفقود فتعلّق بالأخرى في حبل من تلك الحبال؛ فأوصلتهم السنابيق إلى جدّه فأمر لهم أمير مكة السعودي بالكفاية التامة من الأكل واللّباس مع غاية الأكرام ثم أركبهم في بابور آخر إلى الحديدة وأمَر لهم بالكفايات إلى أن يصلوا بلدهم في البابور قُرْباً وبعداً، وما زالوا قائمين بكفايتهم حتى وصلوا إلى الحديدة فأنْزَلوا بها مَن كان مِنْ أهل هذه الجهة، فحينئذٍ أمر حضرة مولانا أمير المؤمنين السيّد العلاّمة الإمام يحيى بن محمد بن حميد الدّين بأجرة الدّواب إلى بلدانهم قُرْباً وبُعْدَاً، كُل منهم على قَدْر مسافته إلي بلده، فجزاهم الله عن الإسلام وأهله خيراً. وقد قُلت هذه القصيدة مهنياً للحجاج الواصلين بسلامة الوصول:

ألا أيها الوفاء من أرض مكة ... هنيئاً لقد عدتم بغفران غافر

---

(١) القِبَله: مركز إداري من مديرية ملحان وأعمال محافظة المحويت.

أبى الله إلاّ أن تفوزوا وتَظْفروا   بأجر عظيم وافر متكاثر
بما نالكم من حادث متعاظم   شديد شَبّ النار في وسط زاخر
فحمداً لمن أسدى لما هو أهله   فأنقذ أرواحاً لقدرة قادر
وشكراً لمن نَجّى النبي وقد غدا   بباطن بحرٍ صابرٍ غير ضاجر
ودع عنك ما قد فات من عرض الدنا   وألقِ استماعاً قول أفصح شاعر
إذا سَلِمَت رؤوس الرِّجال من الرَدي   فما المال إلاّ مثل جزّ الأظافر
فيا سادتي صبراً على مبرم القضا   ففي طيبة للخير أعظم ناشر
فهذا دليل للقبول محقق   بمرور حج كُنْ أخي خير شاكر
فيهنيكم حَجٌ عظيم مقارن   لكامل أجرٍ وافر متواتر
وزورة خير الخلق من خص في الورى   بحمل لواء الحمد في اليوم الآخر
هنيئاً لكم لمّا وصلتم وطُفتم   سبوغاً غسَلتم للذّنوب العوابر
إلى مهبط الوحي المُعظّم شأنه   وشاهدتم أنوار تلك المشاعر
وفي عرفات نلتم الفوز والرضى   وفزتم من الإكرام أسنى المفاخر
وبالسعي بين المَرْوَتين صَفَت لكم   قلوبٌ وأُكرمتم بنور البصائر
وقد عمرت منكم قوىً عند عمرة   وعدتم بحمد الله بين العشائر
بذا نلتم من ربكم غاية المُنى   لأجر عظيم ليس يُحصى لحاصر
ولا سيما من نال منكم شهادة   بحرق وغرق بين نارٍ وزاخر
فأوصلتم بالصبر يا سادتي على   قضاءٍ جَرَى ما الأجر إلاّ لصابر
أهنيكم والأهل طراً ومن غدا   محباً لكم من كل بادٍ وحاضرِ
وصلّ الهي كل آن ولحظة   على من أتى بالمعجزات الظواهر
وآلٍ وأصحابٍ، كذا كل تابع   لهم بالتُقى أهل العلوم الزّواهر

أحداث عام ١٣٤٩هـ:

وفي ليلة الجمعة، غرّة محرّم سنة ١٣٤٩، توفي السيّد الصّالح سليمان بن إبراهيم الأهدل بمحل السيّد سليمان وبه دُفن.

وفيه، وقع مَطَر في الجانب الشامي من الواعظات، وعقب ذلك هبّت ريح حارة شديدة الحرارة لا يشك أحد أنها من تنفسات جهنم المأذون لها به في حديث: «اشتك النار إلى ربها» إلى آخر الحديث المشهور، فَهبّت بتلك الحرارة نحو ساعتين ثم سكنت.

وفيه، توفي السيّد العلاّمة مَنصِب القُطَيْع أحمد بن حمود هَجّام الأهدل بالحديدة، ثم حُمِلَ على أعناق الرّجال إلى بلده القُطَيْع ودفن بها. وكانت وفاته

بسبب سقطه عن ظهر حصان كان راكباً عليه بمحل به فسقط فانكسرت رجله فوصل إلى الحديدة للتداوي فكان بها موته رحمه الله.

وفي ليلة الجمعة، الرابع عشر من شهر صفر، توفي السيد الصّالح محمد بن علي فارس القُديمي الضرير ودُفن بالزبيدية.

وفي شهر ربيع الأول، توفي الفقيه الفاضل أحمد بن يحيى عمر بعيني الحضرمي بالضّحي ودُفن بها.

وفي شهر جمادي الأولى وقع مطر بجهة الزّيدية وصواعق فأصابت رجلاً وامرأة وجملاً فماتوا فيها.

وفي جمادي الثانية، توفي الشريف العلاّمة الأديب أحمد بن زيد بن الحسين بالمعترض من وادي مَوْر ودفن بها، والسيد علي بن محمد مكيتل ودفن بالزيدية.

وفي شهر رجب، توفي الشريف محمد بن حمود بن زيد بن علي بن حيدر ودُفن بمدينة حرض.

وفي يوم الإثنين، الثالث والعشرين من شهر شعبان، توفي السيد الصّالح ماس ابن يحيى القبعي ودُفن بالمعروفية.

وفي ليلة الجمعة، الثاني عشر من رمضان، توفي الرّجل يحيى بن عبد الله غبيق ودُفن بالمنيرة.

وفي يوم الثلاثاء، السابع من شوال، توفي الرجل الصّالح حسن بن محمد صالح الشحري وقد جاوز المائة سنة مُمَتّعاً بسمعه وبصره وجميع حواسه ودُفن بالزيدية.

وفي ليلة السبت، عاشر شوال، توفي السيّد الصّالح أحمد بن محمد قحم الأهدل ودُفن بِدَيْر المعروفية من بلد صليل.

وفي ليلة الجمعة، خامس عشر شهر ذي الحجّة الحرام، خسف القمر في الساعة الثالثة من الليل وغاب بجميع قرصه نحو أربع ساعات ثم انجلى.

وفي ليلة الرّبوع، خامس الحجّة، توفي السيّد العلاّمة منصب المراوعة عبد الرحمٰن بن أحمد الأهدل ودُفن بها.

وفي يوم الإثنين، الثاني والعشرين منه، توفي السيّد الصّالح مساوى بن علي المَهْدَلي ودُفن بالهارونية.

أحداث عام ١٣٥٠هـ

وفي شهر محرّم الحرام سنة ١٣٥٠ أنزل الله داءً في البقر فمات منه الكثير في التهايم والجبال؛ صنعاء وغيرها.

وفي شهر صفر، توفي السيّد الصّالح محمد بن عبد الله بن بكر دوم والسيّد محمد بن بكر قاسم دوم، ودُفنا بالمنيرة.

وفيه، وُلِدَ الولد المبارك إن شاء الله محمد بن يحيى بن أبي الغيث بن قاسم الأهدل، أنبته الله نباتاً حسناً وجعله من حملة القرآن العظيم والعِلم النافع آمين.

وفي شهر ربيع الأول تخالف الوادي سُرْدُد من مجاريه الأصلية فوصل إلى مواضع لم يعهد وصوله إليها في هذه الأزمان المتأخرة اللّهم إلاّ أن يكون قد تخلف في الأزمان المتقدمة، فوصل إليها وقد انقسم وتفرّق؛ فَقِسْم ـ وهو الأكثر ـ جاء قبلي الزيدية بعد أن سَقَى الجهات الشرقية التي مرّ عليها فجاوزها إلى الجهة الغربية حتى وصل إلى الجعيفري أراضي السّادة أهل المنيرة وغيرهم فَعَمّها بالسّقي وجاوزها حتى دخل البحر، وقسم منه جاء يماني مدينة الزيدية فانقسم في جهات منها متفرقة ودخل بين رمال كالجبال فَقَسمها وجاوز حتى وصل يمانِي المنيرة؛ وما زال كل يوم وليلة يدفع بكثرةٍ عظيمة وجاء بامرأة من الجبال ميتة غرَقت بالسيل؛ وفواكه من الجبل وأواني وغيرها، فسبحان المُتفضّل القادر المُنْعم، فصادف وجود هذه السواقي العظيمة وبَقَر الحراثة قد فَنى من الموت كما قَدّمنا فَحَرث الناس الأرض على الجمال والحمير إلاّ ما كان يعمل من الأرض بالقدّوم فلم يحتج إلى الحرث بل عمل به. والأمطار في خلال ذلك هاطلة بالجود العظيم المتتابع فوقع النّاس في زراعة الأرض بالدخن والذرة والسمسم واللّوبيا؛ فانتهت زراعتها وجاءت بثمرة عظيمة، وَوَقع في أثناء ذلك في الدّخن حمرة في بعض المواضع ثم صلح. وجاء الجراد فوضع ذريته بالأرض ثم خرجت وأكلت بعضها ووضع الله في باقيها، فالحمد لله على ما أنعم ونسأله المزيد من فضله. ثم بعد مدّة جُرِفت قرية بقرب بلاد بني البُرّة تُسمّى البعلية فانهارت حتى حوّلت الماء إليها ووجهته إلى الجهة اليمنيّة حتى نزل الجَرْف يماني الضّحي وغرّب إلى طريق الحديدة وبلاد الحشابرة وانصرف عن الجهة الشامية. وكذلك تخالف وادي مور عن مجاريه الأصلية فجاء قِبلَة حصن الكاملية ولكن تداركه عامل قضاء اللحيّة السيّد هادي بن أحمد هيج فَجَمع ما بقي بعد الموت من الثيْرة من الواعظات والزّعلية والجامعي والزّهرة واللّجام وغيرها؛ نحو ثلاثة آلاف ضِمْد، فَسَدّ المحل الذي تخلّف منه حتى عاد إلى مجراه فجزاه الله خيراً.

وفي شهر ربيع الثاني، توفي السيّد الصّالح عبد الله بن حسن بن إبراهيم صديق

ودُفن بالحدادية، والسيد أحمد فوزي الملقّب مظلوم عن مائة سنة وخمسة عشر سنة ممتعاً بحواسه ودفن في دَيْر إبراهيم، وأحمد بلغيث زريع ودُفن بدير الزّريع، والسيد علي بلغيث مكعدل ودُفن بدير الفحم الشرقي، والسيد الصالح يوسف بن أحمد ودفن بالضّحي.

وفي يوم السبت، سابع جمادي الأولى، توفي الرّجل الصالح صالح بن محمد شاذلي، أحد تجّار بندر الحديدة، وكان قد مرض فخرج إلى مدينة الزيدية المتداوي وتغيير الهواء فمات بها، ثم انتقل إلى الحديدة عقبت موته في الموتر ودُفن بها.

وفي ليلة الخامس عشر منه، خسف القمر بعد مضي ثلث اللّيل الأول من الليل ولم يزل خاسفاً إلى أن استتر كله ولم يبق منه إلاّ مثل النجم، ثم انجلى بعد أن مضى من الليل نصفه. وقد خسف في نصف شهر القعدة من العام الذي قبله.

وفي شهر جمادى الثانية، توفي السيّد الصّالح إسماعيل بن عز الدّين النُعمي ودُفن بالضّحي.

وفي يوم السبت، الثاني عشر منه، توفي الشريف الصّالح راجح بن علي بن محمد ودُفن بالمعترض.

وفيه، توفي الرّجل الصّالح عبيد بن محمد نوره أحد تجار الحديدة وبها دُفن.

وفي شهر رجب، توفي الولد محمد بن إسماعيل الوشلي ودُفن بالزيدية.

وفي شهر رمضان، توفي السيّد العلاّمة محمد بن عبد الرحمن بن محمد الأهدل وأخوه السيّد العلاّمة عبد القادر بن عبد الرحمن بن محمد الأهدل ودُفنا بالمراوعة وبين موتيهما ثلاثة أيام.

وفيه، وقعت بالزيدية وغيرها أمراض عظيمة متنوعة وغالبها من مرض الصفرله وكثر بالزيدية حتى كاد يعم أهلها.

وفي شهر شوال، توفي السيّد الصّالح أحمد شرف ودُفن بدير عبد الله من بلد المهادلة.

وفي شهر ذي القعدة الحرام، توفي الرّجل الصّالح أبكر بن علي نجري بالمنيرة ودُفن بها.

وفي يوم الجمعة، سادس عشر ذي الحجّة الحرام، توفي السيّد العلاّمة سيد الإسلام محمد بن أمير المؤمنين يحيى بن محمد حميد الدّين غريقاً في بحر الحديدة بمحل قريب من الكثيب بعد أن خرج إليه من الحديدة للتنزّه فكَتب الله له بذلك شهادة صغرى، فوصَل الخبر إلى أخيه شقيقه ولي العهد السيّد العلاّمة أحمد بن أمير

المؤمنين - وهو في حجة - بواسطة التلغراف وقت موته فبادر بالوصول في المَوْتَر؛ فوصل إلى ذلك الموضع فأخرجه وجهزه وصلى عليه ثم وضعه في الوتر بعد أن دهن جسده بدهان ليمنع تغيره ثم سار به الموتر إلى حجّة ودُفن هناك. وكل هذا في أقل من يوم لسرعة السلك والمَوْتر وبين الحديدة وحجه ثلاثة أيام تقريباً.

وفيه توفي الفقيه الصالح عبدة فائز ودفن ببيت عطا، والسيّد الصالح أمحمد بن أمحمد دَوْم ودُفن بالمغدفية، والسيد الصالح علي إبراهيم فتيني ودُفن بمحل الفتيني.

أحداث عام ١٣٥١هـ:

وفي شهر محرّم الحرم، سنة إحدى وخمسين بعد ثلاثمائة وألف، توفي الشيخ الكامل الصّالح محمد بن حسن الحاج الزيلعي وهو في طريق عدن قافلاً منها بعد أن وصل إليها للتداوي لِعِلّة الحصر، رحمه الله.

وفي شهر ربيع الأول، أنزل الله أمطاراً عظيمة عميمة من أقصى اليمن إلى أقصى الشام؛ فسالت الأودية الكبار وما دونها وذلك في مختم الخريف، فوقع النّاس في الزّراعة وقَبلَتْها الأرض فَضَعُف، وصَلَحت الذُرة والسمسم واللوبيا صلاحاً عظيماً وجاءت بثمرة تامة.

وفي جمادي الثانية، توفي السيّد الصّالح محمد بن حسين خارفي ودُفن بالزّبدية.

وفي جمادى الأولى توفي الرّجل الصالح عبد الله شعبين بجزيرة كَمَران ودُفن بها، والسيد حسين بن أحمد من السّادة بني مهدي ودُفن بالجيلانية.

وفي شهر رجب وقعت وقايع فظيعة وحوادث شنيعة بجهة صَبْيَا وجازان؛ منشأها أن السيّد علي بن محمد الإدريسي كان بمكة لدى ملك الحجاز عبد العزيز بن عبد الرحمن السعودي مقيماً بعد انقضاء دولة ابنه في الخطة التهامية، فأكرمه غاية الإكرام وأنزله المنزلة التي لا ترام؛ فمكث لديه على ذلك بمكة ثمان سنوات ثم إنّه أراد الرجوع إلى صَبْيَا لزيارة أهله فلم يعامله عبد العزيز بما يليق، ولمّا وصل إلى أثناء الطريق علم بتوجهه الشيخ محمد بن يحيى بَاصَهِي - وزير أبيه - فخامر ذهنه إذا وصل إلى صَبْيَا سَتَحدُث بها أنواع الفساد بسببه، وكانت دولة السعودية قد امتدت إلى صَبْيا وجازان وأبي عريش وما والاها فكَتَب محمد بن يحيى إلى السعودية باسترجاعه من أثناء الطريق إلى مكة خوفاً مما تَوَهّمه، فاسترجعه السعودي وأخبره بما كتبه إليه محمد بن يحيى وأرسله إلى الرّياض محل مملكته وقاعدتها، ولمّا وصل إلى الرّياض إلى عمه الحسن وأخيه عبد الوهاب يخبرهما بما جرى من محمد بن يحيى وإرسالها إلى الرّياض؛ فغضبا لذلك ووصلا إلى أمراء السعودية

بجازان ـ وهم ابن زغير والحجازي ـ وأخبرهما بما تجاسر عليه محمد بن يحيى الناشيء عنه: حَبْس السيّد علي في الرياض؛ وطلبا منهما الارتفاع بعسكرهم من جازان وتسليم البلاد التي كانت أيديهم عليها قبل استيلاء السعودي عليها، فقالا لا نُسَلِّم إلا بعد الحرب عن غَلَبة، فرجعا إلى صَبْيا وطلبا قبائل تلك الجهة كالمسارحة[1] وغيرهم؛ فاجتمع عليهم نحو ثلاثة عشر ألف مقاتل، فنزلوا على الماء المُسمّى بالحفاير وهو الذي يسقى مه أهل جازان فقطعوهم عن الماء. وانفتح الحرب بينهم وبين ابن زغير ومن عنده من العساكر فوقع قتل ذريع من الطرفين وقتل الشيخ أحمد عامر زيلعي. ثم إنّ ابن زغير طلب الأمان وبَذَل تسليم ما لديه وانكفّ الحرب. فأخذ قوم السيّد الحسن بن علي بن زغير والحجازي إلى صَبْيَا بحُكم الأسْر ومعهما نحو خمسين نفراً؛ ووَقع جُنْد الحسن في نهب جازان وإحراق دُوْرِه. وقد كان الحسن عاتب محمد بن يحيى على ما صدر منه مما سبق ذكره لكونه كان وزير أخيه السيد محمد بن علي ـ أميراً لمملكته ـ ومَا قَام مُلْكَهُ إلا على رأسه فهو معه من أول الأمر إلى انتهائه؛ فأنكر محمد بن يحيى وقوع ذلك منه ولكن الوقعتين التي سيأتي ذكرها منه تدل على صدور ذلك منه وإذ صداقته انقلبت خيانة. ثم إنّه جاء إلى السيد الحسن بصورة الصداقة وقال له أنّ قَوْم السعودي لا تُؤمَن غوائلهم وأن لا ركون على مَنْ معك مِنْ هؤلاء القبائل؛ فالأَوْلَى أن تأخذ النساء والحسم وجَنْبهم في الجبال إلى الجهة الشرقية كي لا يصل إليهم أحد بمكروه. فَصدّقه وجمعهم وخرج معهم بنفسه ليوصلهم إلى محل يأمنون فيه، ولمّا خَرَج بهم بادر محمد بن يحيى بالكتاب إلى جيش الحسن الكائن بالحفائر بأن الحسن قد هرب فلا مقام لكم بعد هَرَبه، وأَطلَق ابن زغير والحجازي ومن معهما من الأُسَرَاء ودَلَّهم على خزانةٍ للسيد الحسن فيها من النقود الذّهب شيء كثير؛ فكسروها ونَهبوا ما فيها من النقود وحَمَلوه إلى جازان في أربعة مواتر حسبما أُخْبَر بذلك الثقات. وبَلَغ السيد الحسن ذلك فَجَمع من قبائل تلك الجهة جموعاً كثيرة فوصل بهم إلى صَبْيَا ومَكّنهم من نهبها، ونُهِبَت بيوت محمد بن يحيى وفيها أموال جزيلة، وقبض على محمد يحيى وكان قبل وصولهم إلى صَبْيَا جاء النذير إلى محمد يحيى بذلك فأحضر خمسة وعشرين جَملاً وحمل عليها ما خف من النقود وغيرها من الأموال النفيسة وخرَج به مع عائلته إلى مرسى

(١) المسارحة: حلف قبلي واسع، قال الأستاذ حَمَد الجاسر في كتابه «معجم قبائل المملكة العربية السعودية أنهم من أثرى قبائل تهامة وأشهرها وأن منازلهم من وادي خُلب شمالاً، حتى وادي جازان جنوباً؛ ومن ضفاف البحر حتى قرب الحَزْن. ثم أورد من فروعهم نحو وخمسين قبيلة نذكر منهم: بنو الحَكَم، الرواجحة، العوامرة، الهواشمة، بنو واصل، المسارعة، المحارزة، البكارية، الحوامضة، بنو حسان، آل الدوشي، وغيرهم.

القوزي[1] ليطلع الأموال والعائلة في البحر، فوصل السيد الحسن مع الجيوش إلى صبيا فنهبوا ما فيها من الأموال وأنفذ جانباً من الجيش ليلحقوا محمد بن يحيى في الطريق ويردون إليه؛ فلحقوه بمحل يُسمّى العدايا[2] وأوقفوا أولاده وما معهم من تلك الأموال التي خرج بها من صَبْيَا على الجمال في تلك القرية، وقبَضوا على محمد يحيى وتوجّهوا به إلى السيد الحسن بن علي، ولمّا قَرَبوا من صبيا فَشَعر بهم السيد الحسن فأرسل إليهم إني لا أرَى وجهه فاقتلوه خارج صبيا، ثم استرجع أولاد محمد يحيى بما معهم من الأموال إليه فحفظ لهم تلك الأموال وأحضر كُتّاب محمد يحيى وألزمهم بحفظ الدفاتر الحاوية لمعاملته من أهل البلدان القريبة والشاسعة كمصر ومصوّع والهند وغيرها؛ بل قال بعض التجار إنّه أغْنَى أهل اليمن على الإطلاق، ووقف العائلة والأموال والمعاملة على نظره لأنهم أطفال ونساء؛ فالتزم الكُتّاب بذلك وهم خمسة عشر كاتباً. ومن جملة ما أخبر به السيد الحسن أن لمحمد يحيى في عدن عشرة صناديق مملوءة ذهباً؛ منها أربعة صناديق من مَخْلَف أخيه السيد محمد بن علي الإدريسي وأنّ محمد يحيى قد أمَر تسليمها إلى السيد الحسن، وسِتّة منها لمحمد يحيى. ثم إنّ قوم السعودي عادوا إلى جازان ورتّبوه وجعلوا على الحفاير رُتْبَة، وطائفة منهم خرجوا إلى صبيان فأحرقوا دُوْرَها ونهبوا ما بقي فيها. وأمّا السيّد الحسن فرجع إلى عائلته في جبل يُسمّى عكده وهو الذي خرج إليه أولاً، وأمّا عسكر السعودي الذي بجازان فقد حاصرهم السيد الحسن ثانياً ووقفت جيوشه على ماء الحفاير بعد أن طردوا جيش السعودي منها؛ فهم الآن محاصرون بجازان وجيش السيد الحسن فيهم كثرة؛ عدد بلا عِلّة ولا مَدَد، ففي أثناء ذلك وصل الشريف عبد الله بن يحيى بن عون الذي كان والده الحسين أميراً بمكة وأخرجه السعودي منها، فكان وصوله من عدن إلى السيد الحسن ومعه أربع سواعي مملوءة بالدّقيق والتمر والأرز والنقود إعانةً للسيد الحسن، يُقال أنّها من عند الأجانب أمدّوه بها إغاظةً للسعودي. وقال له إن القوّة بالسلاح واصلةً إليه على أثره، وقد قال الحسن لجيوشه المذكورين عقب تلك الوقايع: لا تُحدثوا حرباً بل حاصروهم حتى يخرجوا من صَبْيَا وجازان، وما زالوا محاصرين لهم إلى أن أقْبلت جيوش السعودي من طريق البرّ في المَوَاتِر وفي السواعي من طريق البحر بكثرة عظيمة فوَقعوا في قتل من وجدوه من الرجال والنساء والأطفال إلى أن وصلوا إلى أبي عريش فأقاموا بها. وممن قُتِل في هذه الحادثة السيّد العلاّمة القاضي محمد بن حيدر الفتى النُعْمي

---

(١) يقصد مَرْسى ابن عباس بمديرية الزيدية حيث بلاد ومكان مشيخة القوزي.

(٢) العَدَايَة: من قرى صبيا، بمنطقة جازان.

ونُهِبَت أمواله وخيّله، وقُتِل فيها أيضاً ولد السيد قاسم بن محمد الأهدل، وفر أهل
هذه البلد إلى الجبال ومِيدي ووادي مَوْر، فلم يبق فيها أحد سوى قوم السعودي
وكانت أراضيهم زراعةً في فصل الخريف وفيها ثمرة عظيمة وأموال جسيمة نفروا
عنها ووقَع جيش السعودي في صرفها لدوابهم وأكلهم منها فذَهبت كان لم تكن
وأمّا السيد الحسن فرجع بعائلته إلى جبال فَيْفَا وما والاها خوفاً أن يقع لهم ما وقع
لأهل تلك البلدان، ولم تكن قَوْم السعودي قد وصلت إليها فطَلبوا من عامل ميدي
عبد الله بن أحمد العَرَشي[1] أن يُسَلِّم إليهم السيد الحسن بن علي، وقد سبق بينهم
وبين الإمام السيّد العلاّمة يحيى بن محمد حميد الدين بأن يسلمه إليهم فاعتذرهم
العَرَشي بأن المحل الذي هو فيه ما قد امتدت دولة الإمام إليه، وأمّا ابن أخيه السيد
علي بن محمد الإدريسي فهو باق في الرياض كما سبق التنبيه عليه.

وفي شهر شوّال، التاسع والعشرين منه، كسفت الشمس قبيل الغروب، فغربت كاسفة.

وفي شهر ذي القعدة الحرام، توفي الرّجل الصالح إبراهيم بن علي بالزيدية وبها دُفن.

ثم بعد مدّة وصل السيد الحسن بن علي إلى مِيْدي يطلب أمير السعودي في جازان لقصد المخابرة؛ فَخيّره بأمر السعودي بين إحدى ثلاثة أمور: في الإقامة بجازان آمناً مع سَوْق ما كان يعتاده من المعاش - وذلك عشرة آلاف ريال في كل شهر - أو يرجع إلى وطنه بصبيان أو يطلع إلى حضرة مولانا أمير المؤمنين بصنعاء، فأبَى من الرجوع إلى جازان أو صبيا خوفاً من وقوع الخيانة به كما وقعت بابن أخيه السيّد علي بن محمد، وابتنى له بيوتاً في محل شرقي حَرَضْ يُسَمّى أبو حجر في مملكة مولانا الإمام وأقام فيه مع عائلته.

أحداث عام ١٣٥٢هـ:

وفي شهر محرّم الحرام سنة اثنين وخمسين بعد ثلاثمائة وألف، وَقَعت زوبعة - وهي إعصار - بقرية المعروفيّة، وأهل الجهة يبدلون الهمزة تاء فيسمونه تعصاراً. فما شعورا إلاّ وقد قام من طرف القرية الغربي وارتفع إلى السماء ارتفاعاً عظيماً

---

(١) عبد الله بن أحمد العرشي: عالم وإداري قدير، تولى للإمام يحيى أعمال ناحية جُبَن من بلاد رداع، ثم كلفه الإمام بالسفر إلى عدن ليكون ضابط الاتصال بين الإمام وبريطانيا. ثم عيّنه الإمام عاملاً على قضاء ميدي إلى أن قامت الحرب السعودية اليمنية فكان من جُملة الأسْرَى، ثم أفرج عنه بعد اتفاق الطائف وتعين - لاحقاً - عاملاً في بلاد كحلان إلى أن توفي بها سنة (١٣٥٩هـ).

فاسودّ ثم احمرّ وفيه حرارة عظيمة فما مرّ على شيء إلاّ ورفعه إلى السماء ولو كان ثقيلاً، وغيّر عشش البوت، وقلع أشجاراً عظيمة، ورفع صندوقاً مملوءاً من الثياب إلى السماء فانتثرت منه الثياب فوُجد بعضها وفُقد بعضها، ثم سار إلى الجهة الشرقية. فهذه آية عظيمة مخوّفة: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾[1] وقد ذكر في القاموس أنها سُمّيت بالزوابع لوقوع اسم الجنّي المُسمّى زوبعة فيها، وقيل غير ذلك فعلى هذا يكون من قبيل المجاز من تسمية المحل باسم الحال بعكس الغائط فإن أصله المكان المطمئن فسمى الخارج فيه باسمه؛ فكان من تسمية الحال باسم المحل

وفي شهر صفر، وصل جماعة منهم رئيس من رؤساء قوم السعودي تحملهم سبعة مواتر يريدون إلى حضرة مولانا أمير المؤمنين بصنعاء، فأقاموا بالمنيرة ليلة واحدة ثم توجّهوا إلى الحديدة ومنها إلى صنعاء وأقاموا بها ثلاثة وسبعين يوماً لدى مولانا أمير المؤمنين مع الإكرام وأنواع الضيافات ثم رجعوا في ربيع الثاني ولم تظهر نتيجة وصولهم إلى حضرة مولانا.

وفي ربيع الأول، وُلِد علي بن يحيى بن أبي الغيث الأهدل جعله الله قرة عين وبارّاً بوالديه امين.

وفي ربيع الثاني، توفي الرجل الصّالح ـ أحد تجار اللُّحيّة ـ محمد بن عبد الودود الشمري ودُفن بها، والرّجل الصالح أحمد قديمي بكمران وبها دفن.

وفيه، ثارت النار من جبْخانة الدّولة بالحديدة وفيها باروت ورصاص وقُلَل، وقت العِشاء، ولم يزل القارح منها وتطاير القلل إلى الفجر، فلم يُصب أحد من أهل البلد شيء مع قربها منه. ثم سكنت بعد الفجر وبقي من الجبخانة بعضها فنُقل إلى موضع آخر بيماني الحديدة وقد كانت شاميها[2].

وفي يوم الثلاثاء، ثامن جمادي الأولى، توفي السيّد العلاّمة شيخ الإسلام وبقية العلماء الأعلام محمد بن عبد الرحمٰن بن حسن بن عبد الباري الأهدل، مُفتي المراوعة وشيخ تدريسها، وبها دُفن.

وفيه، جاء مكتوب من بلد جاوه تحمله الطيّارة إلى جماعة من أهل جاوه يطلبون العلم باليمن، فوصل المكتوب إلى أحدهم وهو بمدينة الزبيدية.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: (٥٩).

(٢) شاميها: شمالها.

وفيه، توفي الرّجل الصّالح علي بن يحيى الحُشَيْبري بقرية المحال من بلد الحشابرة وبها دُفن.

وفي جمادي الثانية، أنزل الله أمطاراً نافعة إن شاء الله بجهة الزبدية في وقت والزرع قد ضعف فصلح وجاء بثمرة عظيمة.

وفي شهر رجب، توفي الرجل الصّالح هادي بن أحمد مفرني الحنيرية - بالتصغير - من بلد الزعلية ودُفن بها[1]. والرجل الصالح محمد بن علي شعيل حشيبري بقرية العجلانية[2] وبها دُفن، والسيد العلاّمة حسين بن محمد صائم الدهر بمدينة الحديدة ودُفن بها، والرّجل الصالح علي بن محمد محسن بكمران وبها دُفن.

وفي شهر شعبان ورمضان وشوال وما قبلها، وَقَع قحط في البيع والشراء في البنادر وغيرها، وكَسَدت البضائع وقلّ البيع وضعف الحاصل.

وفي شهر ذي الحجّة الحرام، وَقَع الخلاف بين مولانا أمير المؤمنين السيّد العلاّمة يحيى بن محمد بن حميد الدّين وبين ملك الحجاز عبد العزيز السعودي، وكل منهما جَمَع جموعاً وعدداً متكاثرة فوقف كل جميع في حدود مملكته، فجموع مولانا أمير المؤمنين وقفت في حَرَضْ ومِيْدي، وجموع السعودي وقفت في سامطة وجازان وكاد الحرب أن ينفتح بينهم. فبينما هم على ذلك إذ سعى الساعي بالصّلح وجعلوا لتمام الصلح موضعاً في بلاد عسير يُسمّى أبْها، فكان من طرف أمير المؤمنين السيّد العلاّمة عبد الله بن أحمد الوزير ومن طرف ملك الحجاز ابنه فيصل بن عبد العزيز، فاتفقا في أبها ودار الخطاب بينهم على شروط توقّف تمام الصلح عليها ورجوع الوزير إلى صنعاء لمراجعة أمير المؤمنين فيها؛ فوصل إليه من طريق تهامة، ثم كان رجوعه من طريق الجبال فوصل إلى أبْها ودار الخطاب بينه وبين فيصل فكأن الشروط لم تتم من الطرفين لاختلاف مقصد كل منهما فاشتد التجهيز منهما على ما قد كان من التجهيز الأول وتكاثرت العِدّة والعدد. ولمّا كان آخر شهر الحجّة ما شعرت جيوش الإمام الذين في حَرَضْ ورئيسهم السّيّاني إلاّ وقد غزاهم جيوش السّعودي وقت صلاة الصّبح على غرة؛ فانفتح الحرب بين الفئتين ووقعت ملحمة عظيمة، وانكشفت عن قتلى كثيرة من الجانبين نحو ألفي نفر والجرحَى بغير حساب وكذلك النساء والأطفال من أهل حَرَضْ. وكانت الجَبَانَة قد سَرَت إلى قبائل بني مَزوان وغيرهم من أهل تلك الجهة في إعانتهم جيش السعودي على جيش الإمام

---

(١) الحنيرية: من قرى مديرية اللحية.

(٢) العجلانية: إحدى قرى الحشابرة من مديرية الزبدية.

الذي بحَرَض وغيره، ثم بعد انكشاف القتال حاصرهم جيش السعودي بحرض؛ ففي أثناء المحاصرة أقبل ابن السيّاني[1] ومعه نحو ألف نفَرَ إمداداً لوالده فقرّر بنفسه وبالجيش الذي معه وقصد الحصن الذي والده فيه فاعترضهم جيش السعودي بالقتال؛ وما زالوا يقتتلون وهو مع ذلك يزحف بجيشه إلى والده فوصل إلى والده بعد أن قُتِل من جيشه نحو خمسمائة ومن الآخرين كثير، ولمّا اشتد عليهم الحصار وشق من كثر روائح القتلى خرجوا ليلاً من الحصن فانحازوا إلى الجيش الذي بالرّنف من بلاد عَبس[2] فاستولى جيش السعودي على الحصن.

أحداث عام ١٣٥٣هـ:

ثم بعد أسبوع قصد جيش السعودي إلى جيش الإمام الذين في ميْدِي ورئيسهم عبد الله بن أحمد العَرَشي[3] وذلك في أوائل شهر محرّم سنة ١٣٥٣ فاقتتلوا وقُتِلَ من الطرفين جمع. ثم إنّ الإدريسي ومن معه انهزموا فَرَكب بعضهم البحر وبعضهم البرّ، وتركوا في ميدي أموالاً جسيمة وأسلحة وذخائر فاستولى عليها جيش السعودي، فأمّا الذين ركبوا البحر فنزلوا مَرْسَى بن عبّاس وأمّا الذين خرجوا إلى البرّ فأدركهم جيش السعودي في الطريق فاقتتلوا فوَقع القتل من الطرفين؛ ومن بقي منهم دخل إلى اللُّحيّة وغيرها. ولمّا وَقَع الاستيلاء من جيش السعودي على حرض وميدي رأى مولانا أمير المؤمنين بحسن رأيه الصائب وكمال رأفته برعيته فَصَدر أمره المُطاع برفع العساكر والعمال من المعاقل ووقوفهم في أطراف الجبال بالقرب إلى تهامة، وذلك لأمرين أحدهما الخشية على الرّعية من سفك الدماء ونهب الأموال لأن الحرب إذا انفتح عَمّ كل من وقف قِبَلَهُ وفيهم الضعفاء والأطفال والنساء. فكان صدور أمر مولانا بخروجهم من اللُّحيّة إلى حدود بيت الفقيه ابن عُجَيْل، فدخل جيش السعودي - وفيهم كثرة عظيمة - راكبين المواتر والخيل والإبل، ما فيهم أحد منهم على قدمه، وكان اجتماعهم في بندر الحديدة سُوى ما تركوه في المراكز، في كل مركز نحو عشرة أنفار. وكان أحمد بن عبد الله الشويعر هو قائد الجيش، ورئيسهم ابن الملك: فيصل بن عبد العزيز سعود، فلمّا وصل إلى الحديدة أخذ في تدبير أمير العساكر وإرسالهم إلى المراكز اليمنية كزبيد وبيت الفقيه لمناوشة الحرب لمن بها من عساكر مولانا أمير المؤمنين، فبينما هو في أثناء ذلك إذ صدرت الأوامر بتوقيف الحرب من

---

(١) هو السيد علي السيّاني وكان من كبار قادة جيوش الإمام يحيى. انظر كتاب: الأمير علي الوزير، ص (٥٧٣).

(٢) الرّنف: بلدة في جنوب مدينة عَبس، عِدادها اليوم من مديرية الزُّهرة.

(٣) سبق التعريف به.

الجانبين إلى انتهاء الصلح الذي تسعى به بينهم بعض الدول، وكان السيد عبد الله بن أحمد الوزير - الذي كان قد أرسله مولانا الإمام - وقَفَ بأبها من بلاد عسير وقد وصل إلى مكة فصار الصلح هناك بمعرفته وهو رجل حازم حاذق ناضج مع الإمام لا يرسله في أمر مهم إلا سره على أحسن الأحوال.

ولمّا انتهى الصلح على شروط كثيرة قوّض عسكر السعودي خيامهم وكرّوا راجعين إلى الجهة الشامية وخرجوا من الممالك الإمامية فلم يتأخر منهم أحد، فعادت عساكر مولانا أمير المؤمنين مع العُمال إلى المعاقل والمراكز بعد حصول السلامة لهم وللرعية من سفك الدماء، فالحمد لله على ذلك.

وفي ليلة الإثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول توفي السيّد العلاّمة سيف الإسلام أحمد بن قاسم بن عبد الله بن يحيى حميد الدين بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين بن الإمام القاسم[1]، وكانت وفاته بمحروس الرَوْض من أعمال صنعاء وبه دفن[2]، ومولده كان سنة سبع وسبعين ومائتين وألف فعمره ست وسبعون سنة.

وفي يوم الأحد، ثالث شهر ربيع الثاني، توفي الرّجل الصالح السيّد عبد الرحمٰن بن أحمد الأهدل بالزيدية وبها دُفن في تربة الشيخ أبـي دهل بن إبراهيم، والسيد حسين بن أبكر صائم الدّهر ودُفن في دَيْر عبد ربه، وعلي حمود ودُفن بالزيدية، والسيد الصالح أحمد شريف بن أحمد عيسى ودفن ببيت عكاد.

وفي يوم الإثنين، ثاني شهر جمادي الأولى، توفي الشيخ الصالح الفاضل مقبول بن محمد علي بن معدي بقرية مور ودُفن في تربة الشيخ أبـي العَذَر.

وفي شهر رجب الحرام وقعت زلزلة في جبال ملحان سَقَطت منها أحجار وأشجار وغيرها، ثم سكن.

وفي شهر شعبان، توفي السيّد الصّالح يحيى بن عبد اللطيف النُعْمِي بقرية الرّافعي من أعمال وادي مور وبها دُفن.

وفي شهر ذي الحجّة الحرام، توفي محمد بن عبد الله يس باللُحيّة ودُفن بها.

---

(١) من آل القاسم. وكان عالماً مجتهداً وكفاءة عسكرية تجلّت في عدد من الحروب التي شارك فيها مناصراً للإمام الهادي شرف الدين ثم الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين ثم ولده يحيى.

(٢) الرَوْض: يُقال لها اليوم قرية القَابِل الواقعة في أسفل وادي ظَهْر بالغرب الشمالي من صنعاء بنحو خمسة عشر كيلاً، وأعلاها القصر المشهور باسم: دار الحجر.

وفي يوم الجمعة، ثاني عشر ذي القعدة الحرام، توفي الرّجل الصّالح محمد بن محمد قندي بقرية مَوْر ودُفن بتربة الشيخ أبي العَذَب.

وفي نصف شوال، طلع القمر خاسفاً منطمساً كله ثم انجلى بعد ساعة.

أحداث عام ١٣٥٤هـ:

وفي شهر محرم الحرام، افتتاح سنة أربع وخمسين، توفي الرّجل الصّالح حسن بن عبد الله مهدلي ودُفن بالزبيدية.

وفي يوم الأربعاء الحادي والعشرين منه، ولد الولد المبارك إن شاء الله إسماعيل بن قاسم بن إسماعيل الوشلي، حفيد جامع هذا أنبته الله نباتاً حسناً وجعله من حَمَلة القرآن العظيم والعلم النافع آمين.

وفي شهر ربيع الأول، توفي الرّجل الصّالح إبراهيم بن عبد الله نجري بالقرية المنسوبة إلى الصّليف[1] ودفن بها وله من العمر ما ينيف على مائة سنة ممتعاً بسمعه وبصره.

وفي هذه الأشهر، كثر موت البقر في الجهة اليمنية حتى كاد يَفْنَى.

وفي هذه الأشهر ـ أيضاً ـ قدّر الله قَحطاً في النقود بسبب سقوط البيع والشراء وكساده ولكن من الألطاف الإلهية رخصت الأسعار في كل شيء حتى في البَزّ بحيث نزل سعر ما كان يُباع بثلاثة ريال إلى ريال واحد، وبِيع رطل البُرّ بنصف الثّمن وقد كان يُباع بربع ريال، فسبحانه من لطيف خبير. فالألطاف مُقارنة للمقادير لا تنفكّ قال ابن عطاء الله في «الحِكَم»: من ضمن انفكاك لُطفه عن قدَره فذلك لقصور نظره.

وفي يوم الربوع، سلخ ربيع الثاني، توفي السيّد العلاّمة عبد الله بن محمد بن يحيى الأهدل بالمنيرة ودُفن بها داخل الجدار يماني القبور رحمه الله.

وفي يوم الجمعة، سلخ جمادي الأولى، توفي الرّجل الصّالح محمد صبري أفندي بالحديدة ودُفن بها.

وفي يوم السبت، غرة جمادي الثانية، توفي الرجل الصّالح إسحاق بن أحمد علي قاسم بالزيدية ودُفن بها.

وفي شهر رجب، توفي الرجل الصالح السيّد أبكر بن عبد الله بن أبكر دَوْم

---

(١) القرية: بلدة بجوار مدينة الصّليف.

بالمنيرة ودُفن بها، والسيد الصالح يحيى بن حسن هنشل بالقَشريَة[1] ودُفن بها.

وفي يوم الجمعة، الحادي عشر منه، توفي الرجل الصالح أحمد بن علي بن أبكر بالضَحِي وبها دفن.

وفي يوم الجمعة الثامن عشر منه، توفي الرجل الصّالح الشريف مرجان بالزيدية ودُفن بها.

وفي هذا العام، وَقَع الخلاف بين فئتين كفريتين هما الطُليان والحبشة، فاستعد كل منهم للحرب ولكن الطليان أظهر قوة عظيمة في جميع ممالكه ولا سيما في مصوّع فإنه جلب الناس إليه للعمل في أنواع ما يحتاج إليه في الحرب وفَتَح العمل ليلاً ونهاراً فمن كان له قُدره على العمل في الليل والنهار كانت أجرته أكثر؛ فبعضهم إلى أربعة ريالات وإلى أكثر والبعض في نهار واحد مع ليلته، ومن لم يكن له قُدرة إلا في النهار فقط كان بعضهم في نهار واحد بريالين وأكثر وأقل على قدرة الإنسان. فلهذا انجذبت النّاس إلى مصوّع من التهايم والجبالِ القريبة والبعيدة حتى كادت البلاد تَخْلَى من أهلها، بل بعض القرى لم يبق فيها إلاّ النساء والأطفال، وصادف مع ذلك ضعف الزراعة بالكلية في الجهة اليمنية فلهذا ذهب أكثر الناس إلى مصوّع وانجذبوا إنجذاب الحديد إلى المغناطيس حتى قيل أن الذين ذهبوا إليه من هذه الجهات أكثر من مائة ألف؛ وهذا أمر لم يعهد مثله فيما مضى من الأزمنة، فنسأل الله دوام الألطاف للخاص والعام.

وفي ليلة الخامس عشر من شوال، خسف القمر في الثلث الأول من الليل فذهب نوره جميعه حتى خفي، ثم انجلى بعد نحو ساعة.

وفي هذا العام، مَنَع السعودي الحاج اليماني من الحج براً وبحراً ومنع المَحْمَل النجدي الذي يخرج من صنعاء المُسَمَّى بالمحمل الكبسي فوَقع بينهم قتال، وقُتِل من الطرفين جملةً ورجعوا من أثناء الطريق. ومُنع الحجاج المصريين من النزول إلى جدة من البوابير لكونهم حَجّوا بالسلاح على خلاف العادة.

أحداث عام ١٣٥٥هـ:

وفي شهر محرم سنة ١٣٥٥ توفي الرجل الصالح العلامة محمد بن محمد شبيلي الحُشيبري بالحريقية من بلد العطاوية[2] وبها دفن.

---

(١) هي قرية القَشَرِي من قرى مديرية الزيدية.

(٢) الحريقية: من قرى العطاوية بمديرية الزيدية.

وفي ليلة الجمعة، من شهر ربيع الأول، توفي السيّد العلاّمة حسين بن محمد مرتضى الحسني بالزيدية ودُفن في تربة الشيخ صائم الدهر.

وفي يوم الخميس، رابع عشر منه، توفي السيّد العلاّمة عبد الله بن عبد الله طويل بدير الطويل وبه دُفن.

وفي هذه الأشهر من هذا العام، أنزل الله أمطاراً عظيمة في وقت الخريف عمّت جميع هذه الجهات من الجبل إلى البحر، فَسَالت الأودية والشعوب وأسقت جميع أراضيها ووصلت سيولها إلى البحر؛ كوادي سردد ومَوْر، وزرعت البلاد ونَبَتت زراعتها بحيث أن ما وَقَع من الذُّرَي على الأرض نَبَت، ثم في فصل الشتاء نَزَلت أمطار كثيرة فما وصل الشتاء إليه من الزرع صلح صلاحاً عظيماً وجاء بثمرة كثيرة وما تخلّف عنه الشتاء صلح بعضه وضعف بعضه، فرخصت أسعار الطعام وغيرها، فالحمد لله على ذلك.

وفي شهر جمادى الأولى، توفي العلامة بركات بن مهدي بالزيدية وبها دفن.

وفي هذه الأشهر من سنة ١٣٥٥ وصل ناس من الأجانب ووضعوا خيامهم خارج بلد الزيدية من الجهة الشامية يجمعون الحشرات كالحانيش والجرمة وغيرها فكأنهم كانوا يجذبونها بأشياء ما يدري ما هي فتحضر بين أيديهم كالسكران لا تتعرض أحداً فيمسكونها ويجعلونها في موضع لا تستطيع الخروج منه، ثم انتقلوا إلى قرية ابن عبّاس وفعلوا مثل ذلك ومكثوا نحو شهر ثم سافروا، ثم بعد ذلك وصل أناس من الأجانب - أيضاً - يطلبون سَوْق القردة من الجبالات والهيَاج - زاعمين أن ذلك بأمر حضرة مولانا أمير المؤمنين - وذلك إلى جهة البحر، فساقوا بعضها إلى الزيدية وغيرها فكانت تُمْسِي لديهم وتصبح قد شَرَدت ورجعت إلى الجبال والهياج وبعضها قاتلت عن نفسها فعجزوا عنها وعن سوقها.

أحداث عام ١٣٥٦هـ:

وفي شهر ربيع الأول من سنة ١٣٥٦ توفي الرجل الصالح السيد حمد بن أحمد طويل من السّادة المهادلة ودُفن بدير الطويل.

وفي ربيع توفي الرجل الصالح قَيِّم جامع المنيرة ومؤذنه إحتساباً محمد بن إبراهيم بحاري الملقب مبكري ودُفن بالمنيرة.

وفيه، توفي الرجل الصالح الناسك حافظ القرآن عن ظهر قلب عابدين محمد جيلان عابد بالحدادية ودفن بها.

* * *

وجاء في ختام الكتاب بقلم الناسخ، ويقال إنه ابن المؤلف، قوله:

إلى هنا وقف قلم المؤلف سيدي الوالد العلامة إسماعيل بن محمد بن أبي القاسم الوشلي الحسني واخترمته المنيّة في ليلة الإثنين الثاني من شهر جمادي الثانية من سنة ١٣٥٦ ستة وخمسين بعد ثلاثمائة وألف هجرية، تغمده الله بواسع رحمته وأدخله فسيح جنته وأعاد علينا من بركاته وحَشَرنا في زمرته آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وكان التمام لنقله في ٢٨ من شهر جمادى الثانية سنة ١٣٨٧ هجرية.

مصادر التحقيق

- الأحساب العلية في الأنساب الأهدلية: أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل.
- البدر الطالع بمحاسن من بَعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني.
- تحفة الدهر في أنساب السادة بني البحر: خ، محمد بن الطاهر الأهدل.
- تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن: الحسين بن عبد الرحمن الأهدل.
- تحفة الطالب اللبيب في تدريج بني أبي القاسم وذكر تراجمهم على الترتيب: خ، عبد الله بن عبد الهادي الأهدل.
- الدرة الخطيرة في علماء المنيرة: خ، أبو القاسم بن أبي الغيث الأهدل.
- رسالة في القبائل التي سكنت زبيد: خ، جمال الدين بن محمد المدهجن.
- السلوك في طبقات العلماء والملوك: البهاء الجَنَدي.
- سيرة الإمام محمد بن يحيى حميد الدين: علي بن عبد الله الأرياني، تحقيق: د. محمد عيسى صالحية.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: محمد بن عبد الرحمن السخاوي.
- غرر الدرر في مختصر السير وأنساب البشر: خ، محمد بن عبد الله الناشري.
- القول الأعدل في تراجم بني الأهدل: محمد أديب الأهدلي.
- معجم الألقاب اليمنية: خ، إبراهيم بن أحمد المقحفي.
- معجم البلدان والقبائل اليمنية: إبراهيم بن أحمد المقحفي.
- المعجم الجغرافي لليمن: خ، إبراهيم بن أحمد المقحفي.
- مصادر الفكر الإسلامي في اليمن: عبد الله بن محمد الحبشي.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة.
- المقتطف من تاريخ اليمن: القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي.
- نيل الوطر من تراجم رجال القرن الثالث عشر: محمد بن محمد زبارة.
- هجر العلم ومعاقله في اليمن: القاضي إسماعيل الأكوع.

فهرس المحتويات